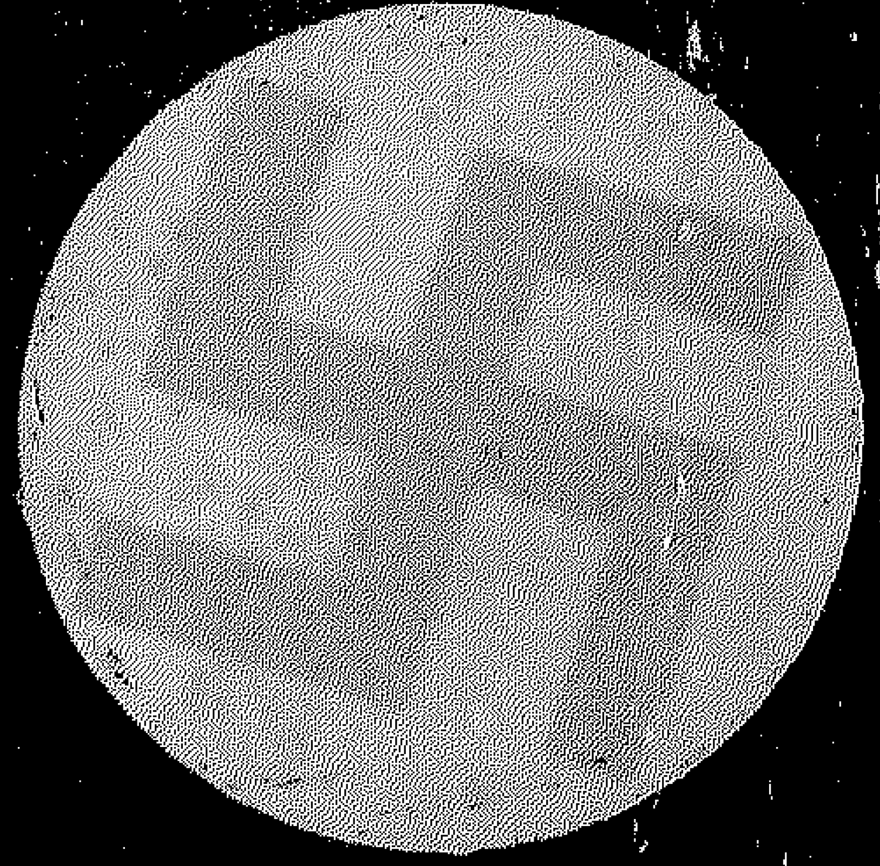
النّازية

بين الإيديولوجية والتطبيق



تأليف : دكتور عادل محمّد شكري

تقديم : دكتور بطرس بطرس غالي

ليازنية

الأيديولوجية والتطبيق

تأليف

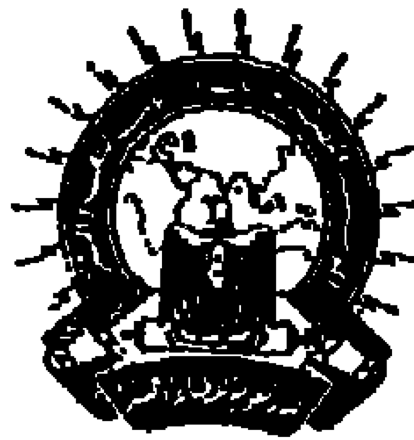
دكتور عادل محمد شكرى

دكتوراه فى التجارة « قسم العلوم السياسية »
بمرتبة الشرف ـ جامعة القاهرة

تقـديم

دكتور بطرس بطرس غالى

أستاذ ورئيس قسم العلوم السياسية
كلية الاقتصاد ـ جامعة القاهرة



الناشر

الدار القومية للطباعة والنشر

فهرس

العنوان الصفحة

العنوان	الصفحة

العنوان	الصفحة

العنوان	صفحة

تقديم

بقلم

الدكتور بطرس بطرس غالى

أستاذ ورئيس قسم العلوم السياسية بكلية الاقتصاد

بجامعة القاهرة

كان المؤلف الذى يقدمه الدكتور عادل محمد شكرى لقراء العربية بعنوان « النازية » ، موضوع الرسالة التى تقدم بها لنيل الدكتوراه فى العلوم السياسية من جامعة القاهرة ، ولما كنت المشرف على هذه الرسالة فقد تتبعت خطوات وضعها وتصنيفها ، لهذا يسرنى أن أقدم لها اليوم بعد أن اتخذت صورة كتاب علمى يعرض على الرأى العام .

لقد كان الدكتور عادل محمد شكرى موفقا فى اختيار النازية دعوة وحزبا موضوعا لرسالته ، ولعل من أبرز الأسباب التى نعده من أجلها موفقا فى اختيار هذا الموضوع ان الدعاية الاستعمارية عامة والدعاية الصهيونية خاصة ، حاولت فى فترة من الزمان أن تشوه جمال ثورتنا فاخذت تذيع ان هذه الثورة متأثرة ببعض مظاهر النازية ، وكانت تلقى الكلام على عواهنه . ولكن القارىء العربى حين يستوعب هذا الكتاب القيم ، ويتوضح ملامح النازية كما أبرز خطوطها الدكتور عادل محمد شكرى ، يتبين له فى جلاء ووضوح ان ثورتنا بعيدة أشد البعد عن النازية ، بل هى مناهضة لها ، مستنكرة لأصولها ومفاهيمها وتعاليمها .

ان النازية قامت حقا ــ على حد قول المؤلف ــ على اللاسامية ، وعلى التمييز العنصرى . ونحن ساميون نؤمن ايمانا راسخا بالمساواة بين الأجناس والشعوب ، وموقفنا من حكومة التمييز العنصرى فى جنوب افريقيا ، ومن حكومة الأقلية البيضاء فى روديسيا ، وموقفنا من كل تمييز عنصرى اينما كان .. كل أولئك دليل على ايماننا بانه لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لأبيض على اسود الا بالتقوى ، وان اكرمكم عند الله اتقاكم ، وان كفاحنا ضد دولة الصهاينة ليس كفاحا ضد اليهودية

فى ذاتها ، فاننا نعترف بها دينا من الأديان السماوية ، ولكنه كفاح ضد الصهيونية التى لا تعدو كونها صورة من أبشع صور الاستعمار أو اداة من أحط أدواته .

والدعوة النازية قامت على الاستعمار والتسلط ، استعمار القارة الأوربية أولا ، ثم القارات الأخرى التى كانت خاضعة وقتئذ للاستعمار الأوربى ، فكأن النازية قمة الاستعمار ، ونحن نحارب الاستعمار حيثما كان ، ونجعل محاربتنا له ركنا من أركان ثورتنا ، وأساسا من أسس نظريتنا السياسية .

والدعوة النازية أخفت مآربها الاستعمارية الرأسمالية تحت شعار « الاشتراكية القومية » وهى اشتراكية خصصوها للجنس الألمـــانى باعتباره عندهم الجنس الراقى أو الشعب المختـــار ، اما ماعداه من الشعوب فى كل قارة وفى كل مكان ، فاجناس من حقهـــا أن تستعبد وتستعمر فى سبيل رفاهية الشعب المختار . وهـــذه الاشتراكية لم يستطع حتى الجنس الألمانى المختار أن يستفيد منها فقد انهـارت أمام سلطان رأس المال المستغل بمجرد وصول هتلر الى منصة الحـــكم . اما نحن فلا نسعى الى استعباد أو استعمار ولا ننشد رفاهية لانفسنا دون غيرنا ، ولكننا ننشد الخير والرفاهية لكل الشعوب ، ونتضامن مع الكادحين فى سبيل الظفر بحقهم فى الحياة الكريمة .

وكان الدكتور عادل محمد شكرى موفقا ايضا فى اختيـــار النازية موضوعا لكتابه ، من حيث أن العالم العربى الذى يقدم اليه هذا الكتاب لم يدرك خطورة الدعوة النازية على العالم حق الادراك . فاثناء الحرب العالمية الثانية كانت كراهيتنا للاستعمار الانجليزى تصرف اذهاننا عن كل ما يقال عن النازية ، حتى لقد كانت بعض الدوائر العربية ترى أن خلاصنا من الاستعمار البريطانى قد يكون من بعض نتـــائج انتصـــار النازية ، وبخاصة ان الدعاية النازية كانت تقوم على ان اهداف النازية منحصرة فى أوربا ، وبالتالى لا خطر على الدول غير الأوربية من النازية . ولكن دراسة الفلسفة النازية ومخططاتها السياسية ــ كما وضحهـــا المؤلف ــ يتبين منها ان العناصر الافريقية والاسيوية كانت خليقـــة أن تعامل بقسوة اشد مما عوملت أوربا لو ان النازية قدر لها الانتصار . واذا كان للنازية صدى فى وقتنا هذا ، فانه يظهر اليـــوم فى الجماعات والتنظيمات الرجعية فى الولايات المتحدة التى تاخذ بالتمييز العنصرى

وتجعل من اهدافها ، بل من أهم هذه الأهداف ، اضطهاد الزنوج. ويظهر هذا الصدى ايضا فى اتحاد جنوب افريقية حيث نجد اكثر من سياسى ، واكثر من مفكر يجعلون من همهم تبرير موقف حكومتهم من السود والملونين بنظريات مستمدة فى حقيقتها من صميم الدعوة النازية .

لهذا نرى ان موضوع هذا الكتاب من موضوعات الساعة ، ولو ان البعض يظن ان النازية قد انتهى امرها ، وطوى كتابها ، وصارت فى ذمة التاريخ منذ حلت الهزيمة بالمانيا النازية .

وقد قسم المؤلف كتابه جزاين ، خصص اولهما للدعوة النازية ، وخصص الثانى للحزب النازى . وعرض فى الجزء الأول للمبادىء الأساسية للدعوة النازية سواء بالنسبة الى العنصرية ، او الدين او التنظيم السياسى او التنظيم الاقتصادى ، او الدبلوماسية . اما الجزء الثانى فقد خصصه للحزب النازى ، فعالج نشاته وتنظيماته والمراحل المختلفة التى مر بها حتى وصل الى السلطة ، والعوامل التى ساعدته على تحقيق ذلى .

واقامة المؤلف طويلا فى برلين ، واجادته للغة الألمانية ، واستعداده الفطرى للبحث ، واتصاله بالشعب الألمانى الذى عاش بين ظهرانيه طوال خمسة اعوام ، والظروف المواتية التى أتاحت له فرصة الاطلاع على كثير من المراجع ، كل هذا كان من الأسباب التى جعلت من كتابه هذا ــ على الرغم من كونه باكورة مؤلفاته ــ مرجعا علميا قيما فى العلوم السياسية جديرا بالتقدير والاهتمام .

مقدمة

على الرغم من مرور حوالى العشرين عاما على نهاية ألمانيا النازية فلقد ظل موضوع النازية والحكم الهتلرى لألمانيا من الموضوعات التى يقبل الباحث على طرقها ويلذ للقارىء الاستزادة منها بدليل ان كتاب « ويليام شيرر William Shirrer The Rise And Fall of The Third Reich » ، الذى حوى تفصيلا روائيا لهذه الموضوعات قد لقى هذا النجاح الذى قلما تلقاه الكتب السياسية فى هذه الأيام [1] .

ولكن العرض للنازية وعهدها بالشكل الذى يستهوى القارىء ويذيع من صيت الكاتب ويحقق للناشر ايرادا مجزيا شىء والبحث الدراسى الذى يهدف الى ابراز الحقائق وربطها والتعليق عليها شىء آخر . ومع هذا العدد الضخم من الكتب التى تعرض كتابها للنازية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى الآن فلقد ظل مجال البحث الدقيق فى هذا الموضوع مقصورا على مؤلفات محدودة لم يتمكن أغلبها من الوصول الى المقومات المطلوبة للمرجع الأكاديمى الكامل . ولا يسع من يصل الى هذه الحقيقة الا أن يتساءل عن الأسباب التى أدت الى

---

(١) صدر من هذا الكتاب حتى الآن حسب رواية Walter Laqueur اربعة عشر طبعة واعتبرته دوائر النشر الامريكية « أوسع الكتب انتشارا لعام ١٩٦٢ » . اقرأ مقال Laqueur فى مجلة Encounter عدد ابريل سنة ١٩٦٤ صفحة ٣٩ .

افتقار المكتبة السياسية الى هذا النوع من المراجع الأساسية الدراسية عن النازية ؟

قد تقع مسئولية ذلك على المؤرخين المحترفين الذين لم يخرجوا لنا حتى الآن تاريخا مفصلا للنازية أو حكمها أو حزبها ليفند روايات المدعين أو الروائيين ومزاعمهم التى امتلأت بها كتبهم فى الموضوع . والعذر الشائع عن هذا التقصير هو الافتقار الى الوثائق التى سجلت هذه الحقبة من تاريخ ألمانيا نتيجة الدمار الذى حاق ببرلين أثر الاحتلال الروسى ، ومالم يلحقه التدمير من هذه الوثائق استخدمه سكان برلين للتدفئة فى شتاء عام ١٩٤٥ القارس (١) .

ثم وقعت بعض الوثائق فى قبضة الاحتلال الروسى وبعضها الآخر فى قبضة الاحتلال الأمريكى . أما ما استولى عليه الروس فلا يعرف عنه شيئا ، أما الأمريكيون فلقد عهدوا بوثائقهم الى الجمعية الأمريكية التاريخية American Historical Society التى ما زالت تدرسها وتصدرها فى مجلدات صدر منها حتى الآن ٤٢ مجلدا (٢) .

ويشارك الفكر السياسى الألمانى الحديث فى تحمل تبعة الافتقار الى أسانيد البحث عن النازية . فالملاحظ ان الكتاب الألمان ما زالوا محجمين عن التعرض لهذا الموضوع وكأنه لا يعنيهم فى الوقت الذى تمتلىء فيه المكتبات الألمانية بالكتب المترجمة عن هذه الفترة المميزة من تاريخ

(١) نفس المرجع صفحة ٤٠ .

(٢) الوثائق التى أصدرتها هذه الجمعية حتى الآن لا تساهم فى حل مشكلة النقص فى المراجع الأساسية اذ انها قد عرضت لبعض الحوادث الادارية والقرارات التى كان يصدرها الرؤساء الاقليميون للحزب النازى وبعض النشرات الصحفية .

بلادهم . أجل لقد صدرت بعض الكتب الألمانية عن النازية ولكنها كانت تضع نصب أعينها أما الرد على التهم التى وجهت الى الشعب الألمانى بالتواطؤ مع هتلر وتأييد سياسته العنصرية أو للمشاركة فى التنـديد بشخصه لاظهار براءة الألمان منه ومن ديكتاتوريته . والأولى بالمؤرخين الألمان أن يظهروا من الحرص على ابراز وقائع تاريخهم بالجرأة والانصاف اللتين سجل بهما المؤرخون الفرنسيون عصر نابليون مثلا .

واذا كانت المكتبة الأوروبية فى حاجة الى المراجع الدراسية عن النازية فان المكتبة العربية تفتقر هى الأخرى الى هذا النوع من المراجع ، بل انه فيما عدا بضعة كتب أصدرها الأستاذ عباس محمـود العقـاد والدكتور محمد فؤاد شكرى والدكتور مصطفى كمال فايد عن هتلر والنازية وثورتها فلقد ظل هـذا الميدان مغلقا أمـام كتابنا وباحثينا السياسيين حتى اليوم [1] .

---

(١) تنحصر الكتب العربية التى تعرضت للنازية فيما يلى : ـ

★ كتاب «هتلر فى الميزان» لعباس محمود العقاد ـ القاهرة (دار المعارف عام ١٩٤٢)

★ كتاب « النازية والأديان » لعباس محمود العقـاد ـ ٣ محاضرات مجمعة وصدرت فى القاهرة عام ١٩٤١ .

★ كتاب « ألمانيا النازية » للدكتور محمـد فؤاد شكرى ـ القاهرة (دار الفكر العربى عام ١٩٤٨) .

★ كتاب « الثورات الثلاث » للدكتور مصطفى كمال فايد (القاهرة) نهضة مصر بالفجالة عام ١٩٤٥ .

★ كتابين مترجمين أصدرتهما الدار القومية للطباعة والنشر هما ادولف هتلر بقلم ويليم شيرر (١٩٦٣)

★ يوميات جوبلز « بقلم هايبر » (كتب سياسية ـ العدد رقم ٣١٥) .

ولقد انعكس هذا النقص فى مراجعنا العربية عن النازية على جيلنا العربى الحاضر فبات محتاجا الى ما يصحح المعلومات التى اكتسبها البعض ممن عاصروا الحرب العالمية الثانية نتيجة الدعاية النازية والبعض الآخر من المطالعات فى الكتب الأجنبية التى استهدفت العرض الروائى للموضوع..

وتفاعلت كل هذه الظروف لتضعنا أمام مشكلة البحث عن النازية . فلقد توخينا الخروج ببحث علمى يشارك بنصيب فى حل أزمة النقص فى المراجع عن النازية فى الوقت الذى لم تسعفنا فيه المراجع الدقيقة عن الموضـــوع ، وكان لزاما علينا أن نخرج للقارىء بعرض غير متحيز للأهواء الغربية أو الشرقية التى اتضحت فى المؤلفات التى ظهرت حتى الآن ، وأخيرا فلقد التزمنا بأن نقدم لجيلنا العربى الحاضر صورة كاملة دقيقة لا هم ما يفتقر الى معرفته عن النازية وحزبها وعصرها . وعلى هذه العناصر الثلاثة الأساسية قام بحثنا الحالى .

كانت النازية دعوة وحزبا وسياسة ، فعلى أســـاس مما بشر به دعاتها من مبادىء وطنية واشتراكية وعضوية قامت الدعـــوة النازية عام ١٩١٩ لتكافح فى ميدان السياسة الألمانية بغية اكتساب الأنصـــار والقدرة على منافسة الدعوات السياسية اليسارية واليمينية الأخرى . ومع نشأة الدعوة النازية قام الحزب النازى ليستغل شعاراتها فى مناوأة الأحزاب الأخرى وليحاول افساح الطريق ليصل بمبادئه الى الحكم . وعن طريق رئاسة الوزارة الائتلافية التى تكونت فى يناير سنة ١٩٣٣ اتجه « ادولف هتلر » للعمل على تنفيذ المبادىء النازية ولكى ينفرد وحزبه النازى بالعمل السياسى والتحكم فى مقادير البلاد حتى نهاية الحرب العالمية الثانية .

وينقسم بحثنا الحالى عن النازية الى جزئين :

الجزء الأول   الدعوة النازية

الجزء الثانى   الحـــزب النازى

وفى الجزء الأول نعرض للمبادىء الأساسية للدعوة النازية وهى : المبادىء العنصرية ، المبادىء الدينيـــة ، مبادىء التنظيم السياسى ، المبادىء الاشتراكية ، مبادىء السياسة الخارجية . ولقد احتل كل من هذه المبادىء بابا كاملا استعرضنا فيه تطور المبدأ ومفهـــومه النازى وما قامت به الحكومة النازية لتطبيقه .

والجزء الثانى مخصص للحزب النازى ويعرض لنشأته وتنظيماته وكفاحه من أجل السلطة والعوامل التى ساعدته على الوصول الى الحـــكم .

وفى الختام سنحاول الخروج بتعريف للنازية على ضوء مظاهرها المميزة وبالمقارنة مع الدعوات السياسية التى عاصرتها .

على أن بحثنا الحالى محدد بالفترة ما بين نشأة النازية عام ١٩١٩ ونشوب الحرب العالميـــة الثانيـــة عام ١٩٣٩ . ويرجع عـــدم تتبعنا « للنازية » حتى نهاية الحرب العالمية الثانية الى اعتقادنا بأن العرض لنشأة النازية وتطورها وحزبها حتى الوصول الى الحكم وقيام حكومتها بتطبيق مبادىء دعوتها حتى بداية الحرب العالمية الثانية . ان مثل هذا العرض الذى قام عليـــه بحثنا الحالى لكاف لتحقيق أهداف الباحث فى النازية ولتجنب بعثرة الجهد فيما بين دراسة النازية وتتبع وقائع الحرب العالمية الثانية .

وبعد ، فهذه هى جوانب بحثنا الذى استغرق اعداده حوالى خمسة أعوام انتهزت خلالها فرصة وجودى فى برلين حيث عملت ممثلا تجاريا بها من يناير ١٩٥٩ حتى مارس ١٩٦٣ للاتصال بأساتذة العلوم السياسية

بجامعتى : Humboldt و Freie Universitate Berlin وهم الذين يرجع اليهم الفضل فى ارشادى الى مختلف المراجع الألمانية التى استندت اليها فى بحثى . كذلك فلقد لقيت المعاونة الكافية من القائمين على مكتبات برلين العلمية :

U.S. Information Center, Berlin-W
Deutsche Bibliotfhek, Berlin-W
Statsbibliothek, Berlin-E
British Center, Berlin-W

وبهذه المناسبة يهمنى أن أذكر اننى قد لاحظت ، نتيجة اتصالاتى بالأوساط العلمية ببرلين الغربية والشرقية حول هذا الموضوع ، ما يلى :

١ — الاجماع على تهيئة الظروف المواتية لمساعدتى لدرجة أن بعض الأساتذة قد كلفوا معاونيهم بتجميع وترجمة بعض الوثائق والبيانات اللازمة للبحث خصوصا فيما يتعلق بتطور الفكر السياسى الألمانى .. وبدون هذه المساعدات لم تكن ظروف عملى لتسمح لى بالتفرغ التام لاعداد هذه البيانات .

٢ — من المناقشات التى خضتها مع أساتذة جامعة برلين الشرقية اتضح لى اتفاق آرائهم مع أساتذة جامعة برلين الغربية فيما يتعلق بالتنديد المستمر بهتلر ودعوته وحزبه وبيراءة المثقفين من تهمة الاشتراك معه فيما ألحقه عهده بالبشرية من دمار . ولكن فى الوقت الذى كان أساتذة ألمانيا الشرقية دائمى التركيز على ابراز الدور الذى لعبه هتلر للقضاء على الشيوعية والشيوعيين وتشريدهم وتعذيبهم فى معسكرات الاعتقال ، فقد كان الموضوع المفضل لدى أساتذة برلين الغربية هو ابراز جرائم النازية ضد اليهود والمقارنة بين دعائم الدكتاتورية النازية والديمقراطية الألمانية الحالية .

٣ — اتفق الجميع على ان معظم الوقائع التى أوردها كتاب الغرب فى مؤلفاتهم عن العهد النازى تتسم بالتهويل والمبالغة ، وان واجب تصحيح هذه الوقائع يستلزم تكاتف الجامعات الألمانية لتجميع الوثائق اللازمة لتسجيل أحداث العهد النازى والخروج على العـالم بالمرجع الأساسى عن الموضوع .

على انه لا يفوتنى ، فى مجال الاشادة بالمساعدات التى لقيتها فى اعداد هذا البحث ، الا أن أذكر بالعرفان والتقدير فضل الرجل الذى أخذ بيدى منذ تخرجى من جامعة القاهرة وشجعنى عـلى المضى فى الدراسة والبحث حتى حصلت عـلى يديه على درجتى « الماجستير » عام ١٩٥٨ ، والدكتوراة عام ١٩٦٥ فاليه والى متابعته الدائمة وثقته الغالية يرجع الفضل الأول فى الخروج بهذا البحث .

الجزء الأول

الدعوة النازية

خرجت النازية على محيط السياسة الألمانية بمنطق جديد للحياة والمجتمع والسياسة والحكم أطلقت عليه تعبير Weltanschaung وترجمته الحرفية « النظرة الى العالم » وتقوم هذه « النظرة » على التعريف بحقائق الحياة الألمانية على أساس ارجاعها كافة القيم الانسانية والدولية الى أصل عنصرى .. وكانت النازية تحتم على دعاتها ومؤيديها من ذوى الدم النظيف أن يعتبروا هذه « النظرة » ، بأركانها التى تتناول كافة جوانب الحياة فى المجتمع ، بمثابة دستور العمل السياسى الجديد الذى تبشر به النازية (١) .

ولم تكن هذه (النظرة الى العالم) فلسفة .. بل ان فلاسفة النازى لم يعتبروها كذلك ، اذ أنها تفتقر الى الدرجة المطلوبة من الاتقان الذهنى والتسلسل المنطقى (٢) . ولكن هذه النظرة قد حددت ، فى حد ذاتها ، الاطار الذى طلب الى فلاسفة النازى البحث داخله لتزويد هذه الآراء والمعتقدات بما تحتاجه لنظريات لفلسفية عادة من المنطق والحجة والدراسة وذلك لاقامة كيان الفلسفة السياسية النازية ، وليتمكن هذا الكيان من منافسة ومناجزة الايديولوجيات المنافسة على مسرح السياسة الألمانية فى ذلك الوقت .

---

(١) Kriek,E Grundlagen, Aufbau und Wirtschaftsordnung des Nationa-lsosialistischen staates Berlin-Wien 1936.

(٢) Rosenberg, Alfred Der Mythus des 21 Jahrhunderets (Nationalverlag) Munich 1936, P. 699

وللوصـــول الى أسس الايديولوجية النازية ينبغى لنا البحث فى عناصر هذه « النظرة الى العالم » التى يمكن تلخيصها عن فيلسوف النازية الكبير Rosenberg فيما يلى [1] :

١ — تبدأ « الفلتأنشونج » بالعنصر الألمانى لتبين أصله الآرى العظيم وتعدد مآثره التاريخية على العلم والحضارة ثم تخلص الى الأهمية الحيوية فى الحفاظ على نقاء هذا العنصر وتنمية خصائصه الموروثة فى الشرف والحرية والشجاعة وذلك للوصول الى المطالبة باعـادة خلق « الرجل النورديكى البطل » .

٢ — ثم تعرض للتربة التى ستأوى هذا العنصر وضرورة اتساعها لتضمه مع أسلافه وليقيم عليها امبراطوريته العنصرية Der Reich .

٣ — وتعرف « الفلتأنشونج » المجتمع المثالى بأنه هذه المجموعة من الأفراد العنصريين الذين جمعتهم الطبيعة ليفنوا ذواتهم وأرواحهم فى خدمة مجتمعهم العنصرى . هذا المجتمع يقوم على مبدأ تفضـيل المنفعة الجماعية على المنفعية الفردية وضرورة العمل بروح الجمـاعة Kamaradschaft لامكان بقاء هذا المجتمع وحماية استقلاله .. أى ان المجتمع ، فى نظر النازية ، هو المجتمع العنصرى الوطنى .

٤ — وبالنسبة للدولة فعلى أساس هذا المجتمع تقوم الدولة الشعبية Volkstaat التى هى وسـيلة لخدمة الزمـلاء العنصريين . وبواسطة

---

(١) كان الفرد روزنبرج احد مؤسسى الحزب النازى منذ انشـائه ويرجع اليه والى زميله جوتفريد فيدر الفضل الأول ـ بعـد هتلر ـ فى اقامة صرح الدعوة النازية وتبرير مبادئها .

اقرا تلخيصه لجوانب « النظرة الى العالم » فى كتابه سالف الاشارة اليه صفحة ٤٣٢ ـ ٥١١ .

تواجد « الفوهور أو الزعيم » على رأس هــذه الدولة وهو الذى تتجمع فى يديه كل السلطات المطلقة بوصفة المعبر عن آمال هذا المجتمع ؛ يمكن لهذه الدولة أن تصل الى تحقيق كافة الغايات التى يرجوها أعضاء هذا المجتمع .

٥ — بالنسبة للمجتمع الدولى فان الامبراطورية العنصرية التى تقوم على أكتاف الدولة الشعبية ستكون قادرة على تأكيد مكانتها فى المجموعة الدولية وفى سبيل بلوغ غايتها سيكون كل فرد فى هذه الدولة مستعدا للتضحية فى سبيلها وأن يضع حريته وشرفه فى خدمة هــذا الرايخ وحريته وشرفه .

٦ — بالنسبة للدين فتطالب النازية — كما عبرت القلتأنشونج بالايمان والالهية ، وان الكون يشع منه جانب غامض يبين أهميــة العنصر [١] . ومن هنا طالبت النازية باعادة سرد وكتابة تاريخ الحضارة الألمانية للوصول الى المسيحية الايجابية [٢] .

وبظهور هذه النظرة الى العالم استكملت النازية شكل الدعوة الجديدة وأصبح واجب الفلاســفة النازيين منحصرا فى مهمة اسباغ

---

(١) U. N. E. S. C. O., The Third Reich Weidenfeld und Nicolson, London, 1955, P. 683.

(٢) ادعى بعض فلاسفة النازى ان النازية لا تتعرض للدين وانهـــا اقتصرت على تحديد النظرة العنصرية الجديدة للعالم وللحياة ولكنها فى الوقت نفسه اعتقدت بأن الدين سيمدها بالتأييد ... ومن هنا اتجــه هتلر واتباعه الى الحديث عن « المسيحية الايجـــابية » والهجوم على « المسيحية المحترفة والمسيحية السياسية » Kriek,E Nationalisozcalistische Erziehung, Leipzig 1937 P. 96 (نعود الى تفصيل موقف النازية من الدين المسيحى فى الباب الثالث من هذا الجزء)

الشكل الفلسفى اللازم على هذه المبادىء لامكان غزو أوساط الطبقة الألمانية المثقفة . أى ان فلاسفة النازى قد وجدوا أنفسهم داخل اطار محدد من مبادىء هذه النظرة الجديدة واقتصرت مهمتهم على كسوتها بغلاف فلسفى قادر على تحويلها من مجرد دعوة الى ايديولوجية منظمة .

وكانت أولى المهام التى اضطلعوا بها هى وضـــع خط مميز بين دعوتهم والدعوات السياسية المناهضة . وفى هذا المجال كتب O. Dutrich الذى كان يعمل مستشارا سياسيا بالحزب النازى ، كتب يقول :

« ان الديمقراطية المتحررة والشيوعية الماركسية والمسيحية السياسية ان هى الا مبادىء تختفى وراءها أغراضا نغزو العالم عن طريق مجموعة من الرأسماليين أو طبقة هدامة معينة أو كهنة محترفين . ان هـــذه الايديولوجيات تفتقــر الى التجــديد والاستقلال واظهــار عظمة الأمة الألمانية بالاضــافة الى أنها ناصرت عدو العنصر الألمانى الكبير وهو « اليهود » كذلك فهى تشترك فى مهمة تفضــيل مصالحها المادية والفلسفية بشكل يحقق للأولى سيادة البورجوازية وللثانية ديكتاتورية الطبقة العاملة وللثالثة اتخاذ الدين ستارا يخفى المطامع الدنيوية » (١).

وبعد محاولات النيل من الايديولوجيات المناهضة دار بحث دعاة النازية على الشكل الذى يميز دعوتهم عن هـــذه الدعوات من ناحية ويحقق « للنظرة الى العالم » ما تفتقر اليه من أسانيد الفلسفة من ناحية أخــرى . لذلك اتجهت المجهودات النازية الى دراسة أسس الفلسفة

---

(١) Dutrich, O. Die Philosophische Grundlagen des Nationalsozialismus, Breslau 1935 P. 7.

الأوروبية والألمانيـــة وذلك لمحاولة استخلاص كل ما يؤيد اتجاهات « نظرتهم العنصرية الى العالم » بكل ما فيها من أفكار عن الفرد والمجتمع والدولة والدين . وكان أهم من قام بهذه المهمة من دعاة النازية ومؤيديها A. Rosenberg وهو المسئول عن الفلسفة النازية فى الحــزب النازى و A. Baumler الأستاذ بجامعة برلين و E. Kruk المحاضر فى جامعة هيدلبرج ومدرسته التى تضم F. Bohm ، W. Classen ، H. Shwartz وكذلك E. Bergmann الأستاذ بجامعة ليبزج ، ثم O. Dutrich الذى عمل مع روزنبرج فى القسم السياسى فى الحزب [1] .

ويقول البروفسور E. Gregoire الأستاذ بجامعة Lanvin ببلجيكا فى مقاله عن الفلسفة النازية بأن الطريق الذى اتخذه الفلاسفة النازيون لتأييد دعوة الـ Weltanschaung قد اتخذ شكل الاعتماد على أعمال الفلاسفة الألمان القدامى التى تؤيد مبادئهم مع اقتباس بعض عبارات هؤلاء الفلاسفة كدليل على تأصل الاتجاهات النازية المتطرفة فى التاريخ الألمانى [2] .. وعلى سبيل الاستفادة من أعمال الفلاسفة الألمان القدماء أمكن لدعاة النازية أن يعثروا على بعض التأييد لآرائهم العنصرية ، واعتبار الدولة وسيلة لا غاية ، وكذلك شرعية الحرب لحل مشكلات السلام ودولة الحكم المطلق كأعلى شكل للدولة السياسية ، ولنظريات الزعيم والطبقة المختارة للحكم .. وبذلك حقق فلاسفة النازى جزئين

---

(١) International Council for Philosophy and Humanistic Studies &Unesco
The Third Reich Weidenfeld and Nicolson London 1955 P. 711.
بدافع الاختصار سنكتفى بذكره U. N. E. S. C. O. كمؤلف لهـذا المرجع عند الاشارة اليه فى الصفحات القادمة

(٢) نفس المرجع صفحة ٦٧ .

أساسيين من أجـزاء رسالتهم وهما : رسم الخط المميز بين النازية والايديولوجيات المنافسة ، ثم اظهار مرد تعاليم « النظرة الى العالم » الى أعمال أئمة الفلاسفة الألمان لما قبل النازية .

أما اضفاء الجوانب الفلسفية للمبادىء النازية فلم يتمكن فلاسفة النازى — باعترافهم — من اتمام رسالتهم بصددها [١] .

ولقد اختلف تعرف المعلقين لتعبير Weltanschaung : —

فلقد اعتبره البعض ليعنى ترجمته الحرفية وهى « نظرة الى العالم » وذلك على فرض كونه وما يحويه من عناصر معبرا عن وجهة النظر الهتلرية النازية فى كل ما يخص الحياة السياسية والاجتماعية والدينية فى ألمانيا من أمور [٢] . واعتبره البعض الآخر « دستور العمل النازى » الذى حوى كل ما ترمى النازية الى تحقيقه فى المجالات المختلفة بدليل ان مبادىء النازية وبرنامج حزبها مستقاة من الـ .W. A [٣] وعرفته مجموعة ثالثة من المعلقين « برسالة العنصر » التى بشرت بها النازية بدليل انها اقتصرت على تبيـان الجـوانب العنصرية لمظاهر الحيـاة والناس [٤] .

والتعريف الأول وان كان يعتمد عـلى الترجمة الحرفية للـ .W. A الا أنه يفتقر الى سلامة المعنى وذلك لأن عناصر هذه النظرة موجهة

---

(١) فى مقدمة كتـابه Der Mythus سـالف الاشارة اليـه اعترف Rosenberg بأنه حتى عام ١٩٤٢ لم تستكمل المبادىء النازية شكلها الفلسفى المطلوب وذلك لعدة ظروف أهمها التفرغ لمشاكل التطبيق
Rosenberg, Der Mythus des 20 Jahrhunderts, Munich, 1930.

(٢) نفس المرجع السابق صفحة ٦٩٢ U.N.E.C.O., The Third Reich

(٣) المرجع السابق صفحة ١٣ Dietrich. O.

(٤) المرجع السابق صفحة ١٦ Rosenberg. A.

الى ألمانيا وشعبها وحكومتها أكثر من كونها « نظرة الى العالم » .

وتعبير دستور العمل النازى « لا يتسم فى رأينا بالدقة نظرا لأن الـ W.A. لا تحوى الا بعض جوانب الدعوة النازية .

واذا اتفقنا مع التعريف الثالث فانما ذلك بشرط أن يكون « رسالة العنصر الألمانى » .. وهو تعبير يخرج عن الترجمة الحرفية ويلخص الجانب الخطير من الـ Weltanschaung الا هو التعرض لتفسير القدرة العنصرية لألمانيا وشعبها .

ومن المبادىء السالفة التى احتوتها رسالة العنصر الألمانى أو Weltanschaung ومن برنامج الحزب النازى الذى ظهر عام ١٩٢٠ بالاضافة الى ما استطعنا تجميعه من أقوال أئمة النازية وآرائهم نستطيع أن تلخص أهم جوانب الدعوة النازية فى العناصر الخمسة الآتية : —

١ — النازية والعنصر الألمانى :

رأت النازية ان العنصر الألمانى هو سليل أرقى العناصر الانسانية ؛ ولقد ورث من الخصائص الخلاقة ما جعله العنصر « السيد » Hereenrace بين العناصر البشرية الأخرى ، وفى سبيل الحفاظ على مميزات هذا العنصر طالبت النازية بمنع اختلاطه بالعناصر التى تدنوه فى الرفعة وخصت بالذكر منها العنصر السامى الذى حذرت من تسلله الى المجتمع الألمانى والاندماج بأعضائه .

٢ — النازية والتنظيم السياسى :

ونادت النازية بشكل هرمى متدرج للحكم يبدأ من قاعدة المجتمع الشعبى فمجموعة الطبقة المختارة للحكم ثم الزعيم الذى له كل سلطات الدولة المطلقة .

٣ ـ النازية والدين المسيحي :

وطالبت النازية باصلاح ديني يرمى الى القضاء على « المسيحية السياسية » وباقامة « مسيحية ايجابية » تشتمل على تقدير لرسالة العنصر الألماني وتؤيد ضرورة الحفاظ على خصائصه .

٤ ـ النازية والاشتراكية :

ولقد طالبت النازية بحكم كونها مبادىء الحزب الاشتراكي الوطني الألماني للعمال بتحقيق الاشتراكية المعتدلة وذلك بالدعوة الى القضاء على رأس المال المستغل وبالاصلاح الزراعي وبحماية الطبقة المتوسطة .

٥ ـ النازية والتوسع الاقليمي :

كان للنازية دعوتها الاستعمارية التي حددتها بالمناداة بالمجــال الحيوى Lebensraum اللازم لتمدد العنصر الألماني وبوحدة الشعوب الألمانية وبحماية الأقليات الألمانية فى أوروبا .

وفى هذا الجــزء الأول من الرسالة سنقوم باستعراض الجوانب السالفة من الدعوة النازية بحيث تتناول دراستنا النقاط التالية :

(أ) التعريف بهذه المبادىء .

(ب) أصلها التاريخي من واقع الفكر السياسي الألماني .

(جـ) مدلولها النازى .

(د) التطبيق بعد وصول النازى الى الحكم .

الباب الأول

النازية والعنصر الألمانى

انفردت الدعوة النازية ، من بين الحركات السياسية الألمانية المعاصرة الأخرى ، بتمجيد العنصر الألمانى وابراز مكانته بين العناصر الانسانية الأخرى وأحقية الدولة الألمانية بعنصرها هذا ، فى تبوأ مركزها اللائق بين الدول الموجهة للسياسة العالمية .

كانت « النظرية النازية الى العالم » أو الـ Weltanschaung تقوم فى كل مظاهرها — على أسس عنصرية ، أما الحركة النازية ، فقد عملت الى التلويح بالمبادىء العنصرية كوسيلة فعالة للوصـــول الى مشاعر الجماهير الألمانية بل ووضع الحزب النازى ، المبادىء العنصرية فى مقدمة برنامجه السياسى .. وبعد وصول الحزب النازى الى الحكم قامت « الدولة النازية » بتنفيذ رسالتها العنصرية .

وتعتمد المبادىء العنصرية النازية على أساسين هامين هما : —

أولا — تمجيد العنصر الألمانى والتعريف بقيمه ورسالته :

وفى هذا الاتجاه قام فلاسفة النازى بالبحث عن كل ما يؤيد نظريتهم فى Racial Supremacy ، وهى النظـرية التى تنسب العنصر الألمـانى الى العنصر النورديكى (الشمالى) الذى اشتهرت قبائله بالشجاعة والاقدام [1] .

---

(1) العنصر النورديكى — فى رأى Haijer Beals ظهر شمال روسيا ثم اتجه غربا وجنوبا وتغلب صفات النورديكى غير المختلط الآن على =

ثم ترجع النظرية النكبات التى حلت بالشعب الألمانى الى أسباب تتعلق باغفاله خصائصه الطبيعية الموروثة عن أسلافه ، وانه اذا ما اقتنع الشعب الألمانى بأصله المجيد وعاد الى التمتع بخصائص أسلافه فان ألمانيا ستعود الى تبوىء مكانتها الطبيعية بين الدول العظمى (٢) .

ثانيا ــ تنقية العنصر الألمانى :

وللوصول الى الغايات المرجوة من نظرية سيادة العنصر لابد للشعب الألمانى من ابعاد الدخلاء عليه والذين سمح لهم من قبل بالاندماج فيه من الشعوب الدنيئة الأصل وتخص منها النازية العناصر السامية Semite ومن هنا خرجت النازية بنظرية اللاسامية Antisimitismus التى قصد منها محاربة اندماج العنصر الألمانى بأفراد العنصر السامى .

وبمقتضى نظرية سيادة العنصر ونظرية اللاسامية سارت الدعـــوة النازية فى اتخاذ شكلها العنصرى المميز .

= غالبية شعوب اسكندنافيا وشمال المانيا وغرب ايرلندا . كذلك يرى هذان الكاتبان ان الصفات المشهورة عن النورديكى مثل الشجاعة والاقدام والنبوغ لا تستند على حقائق تاريخية ثابتة Beals. L. walter and Haijer Harry An Introduction to Antropalgy Macmillan New York 1959 P. 177.

(١) Rosenberg, Alfred Der Mythus des 21 Jahrhundseds

مرجع سابق صفحة ٨

الفصل الأول

سيادة العنصر الألماني

Racial Supremacy

تعتبر النازية ان العنصر الآرى الذى ينحدر منه الشعب الألمانى هو سيد العناصر الانسانية (١) . ولم يكن وصول النازية الى هـذه النتيجة بمثابة الاكتشاف الجديد ، فان الأفكار العنصرية بصفة عامة ونظرية التفـوق العنصرى بصفة خاصة لسابقة لظهـور النازية وتمتد جذورها الى فلاسفة القرنين الثامن عشر والتاسع عشر .

فلقد كان الاقتصادى الألمانى الشهير فريدريك لست (١٧٨٩ — ١٨٤٦) هو أول من تحدث عن الخصائص العنصرية للشعب الألمانى . وحينما اقترح عقد اتحاد جمركى بين الدويلات الألمانية وهولندا وبلجيكا صرح معضدا اقتراحه بأن هذه الدول تسكنها شعوب ألمانية متحدة

---

(١) لوحظ ان دعاة النازية كانوا يخلطون بين «النورديك» و«الأرى» وان عمـد غالبيتهم وعلى رأسهم هتـلر الى نسبة العنصر الألمانى الى « الاريه » وبالبحث وراء هذين التعبيرين فى المراجع الأولية لعلم الأجناس تبين أن « النورديك » عنصر معترف به بين الأجناس وله خصـائصه المحددة واما « الارية » فهى مجموعة ثقافية لا تحتوى على مظاهر عنصرية محددة ولعل ابلغ دلائل تخبط دعاة النازية فى هذا الشأن ان اصـل النورديكية قد نبع من اسكندنافيا فى الشمال بينما أصل الارية قد نبع من الهند فى الجنوب اقرأ Lynn White Jr Frontiens of Knowledge in the Study of man. Harper New York 1956 P. 86.

الأصل وعليها تقع مسئولية اقامة الدولة الصناعية القائدة ، واستعمار الشعوب المتوحشة وقيادة شئون العالم على وجه العموم [1] .

هذا بشأن سيادة العنصر الألماني .. أما فيما يختص بسيادة الآرية وهي ما قامت عليه النظرية النازية فقد كان أول من خطط لها المفكر العنصرى الفرنسىArther de Gobineau (١٨١٦ —١٨٨٢) الذى كانت أفكاره العنصرية الواردة فى رسالته عن عدم « تكافؤ الانسانية » بمثابة الأساس الذى سارت عليه المدرسة العنصرية الألمانية فيما بعد [2] . وفى مقدمة الرسالة بين الكاتب ان الغرض من دراسته هو فى الأساس محاولة اثبات رفعة عنصره هو الخاص « أى الكاتب » نتيجة دراسة قام بها على شجرة نسبه العائلى . ثم بين الكاتب مزايا العنصر الأبيض من واقع تاريخه وما أداه من خدمات لمدنية العناصر المستعمرة الملونة . ثم فرق بين خصائص الأبيض الخلاقة النشطة وخصائص الملون المتكاسلة الضعيفة ليخرج بنتيجة تؤيد نظرية الاستعمار على أساس انه رسالة العنصر الأبيض لخدمة الانسانية . ومن بين أقسام العنصر الأبيض أشاد « جوبينو » بالعنصر الآرى على انه يمثل كل القدرات والمواهب اللازمة لخلق المدنية ثم عزى مدنيات العالم الى العنصر الآرى .. « فمدنية الهند مثلا ترجع الى العنصر الآرى ، كذلك مدنية اليونان وان كانت قد اختلط فيها العنصر الآرى ببعض العناصر السامية .. أما مدنية مصر القديمة فلقد قامت على أكتاف الأقلية الهندية التى هاجرت اليها ..

---

(١) Murphy. E. Roymand, National Socialism, United States Government Printing office Washington 1943 P. 9.

(٢) Gobineau, Arthur De Essai Sur I,Inégalité des Races Humaines, Paris 1853 P. 18 24.

ثم خرج بنتيجة مؤداها ان أية مدنية انسانية تخلو من التأثير الآرى لا يمكن ذكرها أو التفكير فيها .

واذا كان جوبينو قد خطط للنظرية النازية فى سيادة العنصر فان الدعوة النازية لم تعتمد عليه كل الاعتماد لأنه « أى جوبينو » قد اعترف فى نهاية دراسته بأنه لا يمكن اغفال أثر اختلاط العناصر على تطور المدنيات وهى الحقيقة التى قامت النازية على محاربتها [1] .

ثم تطورت أفكار جوبينو العنصرية بعد ذلك على يد الموسيقار الألمانى المشهور ريتشارد فاجنر Richard Wagner (١٨١٣ — ١٨٨٣) الذى بين ان نقاء العنصر هو حجر الأساس فى قيم الشعوب وعلل اضمحلال ألمانيا وانقسامها بأن شعبها قد تحول عن عقائده الآرية الأصيلة بسبب التبلسل اليهودى [٢] .

أما الفيلسوف الألمانى فريدريك نيتشه (١٨٤٤ — ١٩٠٠) الذى اعتمدت الامبريالية الألمانية على أقواله دائما فلقد أشاد بما أسماه « الحيوان التيوتونى الأشقر » .. وكان نيتشه لا يرى لتقدم الآرية النظيفة أى حدود . وتهدف الدولة الآرية فى نظره الى رفعة ما تستعمره من شعوب وتملك كل العناصر الكفيلة ببقائها كدولة فوق الدول [٣] .

ثم ظهر فيلسوف ألمانى — من أصل انجليزى — تأثر الى حد كبير

---

(١) مرجع سابق صفحة ٨٥. U. N. E. S. C. O. The Third Reich.

(٢) ومن اقوال فاجنر التى مازالت عالقة فى أذهان الشعب الألمانى قوله : « اننا نحن الألمان نعترف بتقدم الانجليز علينا فى الثقافة ولكننا نفضلهم فى انجاب القواد » مرجع سابق صفحة ١٢

Murphy, R. Natoinal Socialism.

(٣) Nietsche Friedrich Peoples and Countries (Translated by J. M. Kennedy, The Modern Library Newyork, 1937 P. P. 182-183.

بأفكار Richard Wagner وبموسيقاه التى يغلب عليها طابع الحماس والوطنية فاتخذ من أفكاره العنصرية أساسا لدراسات جديدة فى نفس المجال .. وكان هذا الفيلسوف هو Houston Stewart Chamberlain (١٨٥٥ — ١٩٢٧) وهو الذى بلغ من تخصصه فى شرح النظريات العنصرية أن أطلق عليه لقب « قيصر علم الانسان » [١] فقد كتب تشمبرلين يقول : ان الأجناس البشرية تختلف باختلاف طبيعتها واستغلالها لمواهب أفرادها والعنصر الألمانى يعود الى أكثرها موهبة وهى المجموعة المسماة « آرية » [٢] . ثم تتبع تشمبرلين التاريخ البشرى ليثبت فضل الآرية عليه فادعى ان حركة البعث فى ايطاليا ترجع الى تدبير « التيتون » « سلالة الآرى » .. وكل العقول المفكرة المشهورة فى أوروبا انما هى من أصل « تيتونى » .. بل ذهب الى الادعاء بأن القديس بول والسيد المسيح كانا آريين وليسا من اليهود [٣] . وحاول تشمبرلين أن يعطى بعض الأسس المظهرية للآرى والتيتونى فوصف التيتونى بأنه طويل أشقر ذو رأس مستطيل .. ولكنه اعترف بصعوبة الأسس التى بناء عليها يمكن التعرف عليه ، حيث ان بعض العناصر الدخيلة مثل اليهود يمكن أن يكون لأفرادها نفس هذه الصفات وقال :

« هناك بعض اليهود الذين لا يمكن تمييزهم عن الألمان الآريين ولكن من الممكن معرفة اليهودى بأنه هو الرجل الذى اذا دخل حجرة بها طفل ألمانى فان الطفل ينفجر فى البكاء » [٤] .

---

(١) مرجع سابق صفحة ٨٥٥ U.N.E.S.C.O. The Third Reich.

(٢) Chamberlain, Houston Stewart The Foundation of the 19th Century. (translated by John Less) Machdonald & Ray London, 1911 P. 541.

(٣) نفس المرجع صفحة ٦١١ Chamberlain

(٤) نفس المرجع صفحة ١٤٨ Chamberlain

ومن هذا يتضح اهتمام رجال الفكر الألمانى بابراز أهمية العنصر الآرى وفضائله على المدنية وحقه فى السيادة . ويمكن اجمال آرائهم فى هذا الخصوص فى أن العنصر الآرى هو أقدر العناصر البيضاء على خلق المدنيات وان بقاء هذا العنصر نقيا من اندماج العناصر الأخرى. هو الشرط الأساسى لتقدمه وان أعظم المدنيات العالمية ترجع الى الأصل الآرى .

المفهوم النازى للتفوق العنصرى :

تؤمن النازية بالتفوق العنصرى للشعب الألمانى وبحقه فى الزعامة العالمية لو استطاع المواطن الألمانى المحافظة على سلالته الآرية وتجنب الاختلاط بالعناصر الشعبية المتسللة .

ولقد أفرد هتلر فصلا بأكمله فى كتابه « كفاحى » لشرح نظريته فى التفوق العنصرى وأحاطها بكل ما أمكنه جمعه من الأسانيد التاريخية والعنصرية [1] ولقد بدأ هتلر بمقدمة عن أهمية العنصر أشار فيها الى « ان المرء وهو يعيش فى عالمه متطلعا الى هبات الخالق طالما يغفل تقدير قيمة العنصر الانسانى كهبة من هبات الطبيعة » ثم عرض لخطورة المزج بين الأجناس زاعما انه أكبر جريمة تقترف فى حق الخالق .. « لأن هذا عمل ضد الطبيعة .. وما هو ضد الطبيعة فهو ضد الخالق » .. ومزج

(١) كفاحى « أو Mein Kampf » هو المؤلف السياسى الوحيد الذى نسب الى أدولف هتلر ولقد انتهز فرصة وجوده فى السجن أثناء الفترة من ١٩٢٣ حتى أوائل عام ١٩٢٥ لتسجل فيه خواطره السياسية اقرأ التعليق على الكتاب ضمن بحثنا عن شخصية هتلر فى الجزء الثانى من هذه الرسالة :

Hitler, Adolf, Mein Kampf, The Unexpurgated Edition Published in English Language Stokpole Sons New-York 1942 PP. 277-321.

الأجناس ينتج عنه — فى رأيه — اما انقراض تدريجى للعنصر القوى أو ضعف جسمانى وعقلى للمولود بالنسبة للفرع السامى من أبويه .. أو كلتا النتيجتين وضرب هتلر مثلا لذلك بشعب أمريكا الشمالية الذى أمكنه أن يوقف اختلاط جنسه الآرى بالأجناس الأخرى فتمكن من سيادة بلده وبناء حضارتها .. وقارن ذلك بشعوب أمريكا اللاتينية الذين سمحوا للزنوج ولغيرهم من العناصر الدنيئة بالاندماج فيهم فنتج عن ذلك حالة الضعف والوهن التى تعيش فيها شعوب أمريكا اللاتينية الآن .

ثم قسم هتلر الشعوب الى ثلاثة أقسام هى : —

(أ) المؤسسون Founders

(ب) المعاصرون Sustainers

(جـ) الهدامون Destroyers

ومضى هتلر يصف الشعوب الآرية بأنها مؤسسة الحضارة وصاحبة الفضل على كافة المدنيات . وادعى أن التاريخ يشهد بأن القبائل الآرية قد دخلت البلاد المتأخرة فاتحة . ونتج عن استعمارها لهذه البلدان تقدم هذه الشعوب . ثم تنازل الفاتح الآرى مع — الزمن — عن بعض مظاهر أنفته وسيادته وسماحه لبعض العناصر الدنيئة من هذه الشعوب بالامتزاج به الأمر الذى نتج عنه تسلل الضعف الى العناصر الآرية وتهاوى عروشها .

وأما المعاصرون فلقد مثل لهم هتلر بشعوب آسيا المتقدمة مثل اليابان التى قامت حضارتها على الاقتباس من التراث الآرى .. هذه الشعوب فى رأى هتلر أن مدنيتها ستتمكن من البقاء طالما استمرت

المدنية الغـربية « وريثة الحضارة والمدنية الآرية » . فاذا ما تلاشت الأخيرة انقرضت الأولى لعدم قدرتها الذاتية على الخلق والابتكار .

أما الهدامون فهم اليهود — فى رأى هتلر — .. واليهود يحملون من الخصائص والصفات ما يضاد الآرية على وجه تام ويجعلهم معها على طرفى نقيض ، فاليهودى لا يقبل التضحية بنفسه فى سبيل أمته اطلاقا ولا يتمتع بالمثالية وهم متفقون فيما بينهم فقط اذا ما تجمعوا لمواجهة عدو يهدد كيانهم وأنهم اذا عاشوا فى العالم بمفردهم فسيأكل بعضهم بعضا ويتسلل الضعف الى مجموعهم (١) .

هذه لمحة خاطفة لآراء هتلر العنصرية بشأن تفوق العنصر الآرى وضرورة الاحتفاظ بنقاوته .. أما مؤسس النظرية العنصرية النازية فهو — بلا شك — الفرد روزنبرج — أب الدعاة النازيين — وهو الذى عرض لها فى كتابه المشهور : Der Mythus des 20 Jahrhunderts (٢) .

ولقد بدأ روزنبرج نظريته فى العنصر بتعريف ما أسماه « سر القرن العشرين » وهو « الدم » .. لقد بدأ الدم الذى سال فى الحرب العالمية فى أن ينتج اثاره لتقتنع الشعوب بأن التاريخ ليس هو الصراع بين طبقة ضد طبقة ولا سياسة ضد سياسة ، ولكنه صراع بين الدم والدم .. العنصر والعنصر .. الشعب والشعب (٣) .

« لقد دفنت فكرة « مسيحية العالم » أو « انسانية العالم مع ضحايا

---

(١) فى البحث التالى عن « اللاسامية » سنتناول رأى هتلر فى اليهود بالتفصيل

(٢) مرجع سابق صفحة ٢٦ — Rosenberg Alfrdd Der Mythus des 20 Jahrhunderts Munichen 1930.

(٣) نفس المرجع صفحة ١٣

هذه الحرب .. والآن قد بدأنا فى ادراك أن القيم تخلق ويحتفظ بها فقط حيثما يحدد قانون الدم أفعال وأفكار الناس سواء عن ادراك أم عن غير ادراك » [1] .

ووصل روزنبرج فى كلامه الى اعتبار ان الروح هى الجزء الداخلى للعنصر والعنصر هو الاطار الخارجى للروح .. وعلى ذلك فستكون الصورة النهائية لعالمنا اليوم هى « انه عالم الروح العنصرية » . ثم بين أثر الهجرات الآرية على مدنيات الهند وايران .. ثم شرح بالتحصيل الثقافات الهندية والايرانية والرومانية والأوروبية ليصل الى انها كلها من فعل الطبقة النورديكية الحاكمة وهى الطبقة التى اندثرت بواسطة امتزاج أفرادها مع العناصر الدنيئة .

وادعى روزنبرج بأن ديانة جديدة ستظهر فى القريب .. وهى ديانة افتداء الدم بكل الأجزاء القيمة فى الانسان .. أو الديانة التى تنص بوضوح على ان الدم « النورديكى » يمثل هذا « السر » الذى حقق لأصحاب الديانات معجزاتهم .. وطالب الشعوب « النورديكية » باتخاذ مثلها العليا فى الشرف والعمل ونبذ الحب والعاطفة مدعيا ان الحب والعاطفة اذا ما غلبت على طباعهم فسيبدأ اضمحلال العنصر « النورديكى » ، ثم هاجم المسيحية والكنيسة الكاثوليكية لأنها تنادى بالمحبة .. ولكنه استثنى شخصية السيد المسيح « صاحب الأفعال البطولية » من هذا الهجوم ثم قال روزنبرج :

« ان فكرة الشرف الوطنى هى بالنسبة لنا بداية تفكيرنا وأفعالنا

---

(١) المرجع السابق صفحة ١١٢

ونهايته . ولن تسمح هذه الفكرة لأية فكرة أخرى سواء الحب المسيحى أو الانسانية الماسونية أو الفلسفة الرومانية بالوقوف أمامها (١) .

ثم عرض روزنبرج فى نهاية بحثه عن العنصر الى مستقبل العنصر « النورديكى » فقال : —

« ان دول أوروبا كلهـا قد أسست وحفظت بواسـطة الرجـل النورديكى ولقد أثرت الحرب العالمية والخمر والماركسية فى انحلال هذا النورديكى واندثار صفاته .. ولكى يمكن استعادة قوة أوروبا فيجب أن تتحد القوى النورديكية فيها ومعنى ذلك أن تتحد انجلترا ودول اسكندناوة وفنلندا وألمانيا » .

« ومستقبل أوروبا هو فى الحفاظ على النورديكية ووحدتها .. ليكون قلبها ألمانيا التى ستدافع عن الجنوب والجنـوب الشرقى .. بريطانيا التى ستدافع عن الغرب والبحار .. والدول الاسكندنافية وفنلندا ستدافع عن الشمال والشمال الشرقى (٢) .

وبمقارنة عبارات دعاة النازية ووصفهم لنظرية سيادة العنصر بما ورد على لسان المفكرين الألمان وغيرهم فيما قبل النازية نلاحظ ان الفكرة القائلة بأن الآرية أرقى العناصر الواجب الاحتفاظ لها بقيمتها وتراثها موجودة من قبل النازية .. ويمكن القول بأن النازية لم تضف اليها شيئا جديدا . ولقد بدأت النازية حيثما انتهى تشمبرلين بمحاولة وضع التعريف المحدد للآرية واتفق كل من هتلر وروزنبرج على اعتبار ان الشعب الألمانى هو المحتوى على أكبر نسبة من الغالبية الآرية .. وأضافه

---

(١) المرجع السابق صفحة ١٧٥ Murphy, National Socialism,

(٢) المرجع السابق صفحة ١١٢ Rosenberg Alfred Der Mythus

روزنبرج بأن انجلترا ودول اسكندنافيا وفنلندا تشترك مع ألمانيا فى هذه الخاصية ، وعليه فان مصير اعادة تأسيس الدولة الأوروبية العنصرية متوقف على قيام هذه الدول مجتمعة بمسئولياتها تجاه الحفاظ على عنصرها بيد انه بينما اقتصرت آراء فلاسفة ما قبل النازية على محاولة التبصير بأهمية العنصر فان مفكرى النازية قد اتخذوا من العنصر أساسا لرسم هيكل المذهبية النازية فى كل ما تعرضت له « النظرة النازية الى العالم » من آراء عن الفرد والمجتمع والدولة والدين ولقد خدمت نظرية التفوق العنصرى انتشار الدعوة النازية فأكسبتها طابعا مميزا عن دعوات الأحزاب الأخرى ، وجذبت لخطبائها جمهور المستمعين الذين أطربهم الكلام عن المجد الآرى ورسالة الشعب الألمانى الموروثة عن أسلافه العظماء وذلك فى الوقت الذى نكست الهزيمة فيه رؤوس أفراد هذا الشعب وبات يقاسى من مظاهر الاحتلال . واذا كانت النازية قد رفعت راية التفوق العنصرى للألمان فلقد أرجعت كل المحن التى نكب بها هذا الشعب الى تسلل العناصر السامية اليه واندماجها فيه وعلى هذا الأساس قامت بالدعوة الى « اللاسامية » كحل ضرورى سريع لاعادة تأسيس الدولة العنصرية .

الفصل الثاني

النظرية اللاسامية

Antisemitism .

« اللاسامية » هى المبدأ المناهض لاندماج العنصر السامى فى العناصر الانسانية التى تنادى بعلو مرتبتها وذلك بغية الحفاظ على خصائصها الموروثة وحمايتها من الضعف والاندثار نتيجة لمثل هـذا الاختلاط العنصرى (١) .

وواضح من هذا التعريف ان التفوق العنصرى واللاسامية يكونان شقين متقابلين لنظرية عنصرية واحدة . فالمنادى بالآرية وتفوقها العنصرى لابد وأن يطالب بحماية هذا العنصر من تسلل العناصر التى تدنو اليه واندماجها فيه . الا أن الأغراض التى توختها النازية من الدعوة الى التفوق العنصرى واللاسامية تختلف فى احداهما عن الأخرى . فقد

---

(١) « السامية » مقصود بها سلالة « سام » ابن « نوح » عليه السلام التى بدأت منذ العام ٤٠٠٠ قبل ميلاد المسيح فى الهجرة من الجزيرة العربية وفلسطين الى الحبشة والسودان ومصر وسوريا وآسيا الصغرى واذا كانت شعوب هذه البلدان يغلب عليها حتى الآن العنصر السامى فلقد اتجهت أغلب الآراء الى اعتبار « سام » أحد مؤسسى العنصر اليهودى وعليه « فالسامية » فى النظريات العنصرية المعاصرة يقصد بها فى الغالب « اليهودية » وذلك اذا لم يثبت الكاتب غير ذلك .

Morgentau, Ashly The Fallacy of Race, 2nd. edition, Random House New-York, 1947 P.P. 21.

كان التفوق العنصرى شعار رفعته النازية لاعادة الثقة الى جمهورها الذى كان يعانى من نتائج الهزيمة والانكسار . أما اللاسامية فلقد رفع النازى رايتها لتوجيه جماهير الشعب الى عدو مشترك .. ليقتنع بخطورته على كيانه ومستقبله .. وليرى فيه كل مسببات الانكسارات الألمانيـة وليضعه مسئولا عن كل النكبات التى ألمت بألمانيا وبشعبها فى الحرب العالمية الأولى . وقد تمكنت نظرية التفوق العنصرى من رفع معنويات الشعب الألمانى وكانت اللاسامية متنفسا لسخطه وحقده وفى هذا المعنى قال هتلر فى « كفاحى » :

« لكى يمكن لمجموعة من الشعب أن تتفهم حملة دعاية معينة فان هذه الحملة يجب أن توجه ضد غرضين : شخص معين وشىء معين . ضد من حاربت انجلترا ؟ .. ضد العسكرية الألمانية كشىء وضد العنصر الألمانى كشخص . وضد من تحارب اليهودية بمساعدة الماركسية ؟ .. ضد البورجوازية كشخص ، وضد الرأسمالية كشىء .. وضـد من نحارب نحن ؟ .. ضد اليهودى كشخص .. وضد الماركسية كشىء[1] .

ولقد كانت « اللاسامية » فى الواقع بمثابة الدعامة التى بنت عليها النازية كيانها السياسى . فبواسطة الدعوة الى هذا المبدأ جمعت النازية حولها الأنصار من مختلف الأوساط الألمانية ورسمت « اللاسامية » أهم خطوط التمييز بين الدعوة النازية والدعوات السياسية اليمينية واليسارية . ولما تولى النازى الحكم تخلص الحـزب من المعارضين والمناوئين بحجة البدء فى تنفيذ النظرية اللاسامية ثم كست اللاسامية الدعوة الامبريالية النازية حيث بررت الغزو والاحتلال بحجة القضاء

---

(١) مرجع سابق صفحة ١٩٨ Sales. R.R. Adolf Hitler, My new Order

على اليهودية العالمية ، وفى سبيل تنفيذ « اللاسامية » لقى اليهود فى ألمانيا ما لاقوه ابتداء من القوانين العنصرية الى معسكرات الاعتقال .

وفى هذا الفصل ستقوم باستعراض اللاسامية النازية من مختلف نواحيها سواء من ناحية شكلها كمبدأ أو المناداة بها كشعار أو تطبيقها كتشريع أو التفنن فى تطبيقها والمغالاة فى تنفيذها بالصورة التى تحكى عن معسكرات الاعتقال .. وفى آخر البحث نورد آراء المعلقين عن اللاسامية وردودهم عليها ثم نختتم بالأسباب التى نراها مستقرة خلف تمسك النازية بهذا المبدأ وتطبيقهم له بكل ما ملكت أيديهم من وسائل التطبيق .

أولا ــ مبدأ اللاسامية :

كان اليهود فى أوروبا هم الفئة الوحيدة التى لم تتحمس للدين المسيحى ولم تشترك فى الحروب الدينية التى شغلت أوروبا خلال القرنين السادس والسابع عشر .

ولقد كان هذا من الأسباب التى من أجلها شعرت المجتمعات الأوروبية بأن اليهود ان هم الا طبقة أجنبية تعيش بينهم على السراء ولا تشاركهم الضراء ، وهنا ظهرت التيارات المعادية لليهود على يد دعاة المذاهب الدينية المتناظرة ووصل هذا الهجوم فى بعض الأحيان المطالبة بطرد اليهود لتطهير المجتمع المسيحى فى أوروبا (١) . ويقول بروفسور

---

(١) يقول مستر « شيرر » ان مارتن لوثر المصلح الدينى المعروف كانت له أفكار لاسامية وان مؤسس البروتستانتية كان « لاسامى » بكل جوارحه اذ انه طالب بتخلص ألمانيا من اليهود بل وان يجردوا من أموالهم وفضتهم وذهبهم وتحرق معابدهم ومدارسهم بعد طردهم .

Shirrer, William The Rise an Fall of The Third Reich, 4th Edition, London, 1962 P. 236.

(COON) فى كتابه عن الأجناس فى أوروبا ان الاتجاه المعادى لليهود فى ذلك الوقت لم يزد عن كونه جزءا من الحملة المسيحية ضد كل ما هو غير مسيحى ولم تتخذ أبدا شكل « اللاسامية » بالذات [١] .

ولقد كان من النتائج الملموسة لعصر النهضة أن اتجه اليهود الى أسواق المال والتجارة فى أوروبا . فمنذ عام ١٨٥٠ زاد نزوح العنصر اليهودى الى ألمانيا التى كانت وقتذاك فى بداية ثورتها الصناعية وذات مستقبل اقتصادى باهر ويقول البروفسور « بولياكوف » ان الجالية اليهودية بما حققته من انتشار وتقلد للكثير من المناصب الادارية والمالية الهامة فى ألمانيا ، تمكنت من اقناع كبار رجال الطبقة الأرستقراطية وقادة الكنيسة الكاثوليكية للاجتماع فى يناير عام ١٨٧٣ لتقرير منح التفرقة بين اليهود والمواطنين الألمان واعطائهم كافة الحقوق السياسية والأدبية مساواة بهم [٢] .

وهنا وتعليقا على هـذا الاجتماع ظهر تعبير اللاسامية لأول مرة فى ألمانيا فى كتيب أصدره أحد مدرسى الفلسفة بجامعة هومبولت بألمانيا تحت عنوان « انتصار اليهودية على الألمانية » ويبحث هذا الكتاب فى تسرب اليهود الى ألمانيا وانشائهم مجتمع خاص بهم داخـل المجتمع الألمانى ، وحذر الكاتب من أن المجتمع اليهودى فى ألمانيا اذا ما أعطى

---

(١) من الأمثلة التى ساقها Coon لتأييد رأيه ماحدث فى اسبانيا فى أوائل القرن السادس عشر حينما بدا فيها عهد محاكمة الفتيش التى عهد اليها بالتنكيل بالعناصر غير المسيحية فى اسبانيا ولقـد كان اليهـود والمسلمون يشـكلون السواد الأعظم من ضحايا الـInquisttion فى اسبانيا

Coon Charleton Stevens the Races of Eurore Macmillan Neyork 195 4P. 38.

(٢) Poliakov. L. The waapon of Antisamitism, Zurich, 1915 P. 831.

الفرصة ، فقد يتمكن من السيطرة على السياسة والحكم « انهم قوم يفتقرون الى الوطن ، واذا ما سمحنا لهم ، بدافع الرأفة أو تأثير الضعفاء ، اذا سمحنا لهم بالعيش بيننا بلا كلفة أو قيد فسنصبح نحن الألمان ، يوما ما مجتمعا دخيلا على ألمانيا اليهودية » [١] .

وكان « مارس » مؤلف الكتيب ، يقصد « بالضعفاء » كل من وافقوا على السماح لليهود بالتساوى الكامل مع الألمان في الحقوق والواجبات . بأن يكون لهم ما لهم وعليهم ما عليهم .

وحتى يستقيم الحال لألمانيا ومجتمعها « الخلاق » طالب الكاتب « باللاسامية » التى عرفها بأن الهدف منها هو « احاطة اليهود بسياج قانونى يمنع تقلدهم المناصب الرئيسية فى الدولة والسياسة والمال » [٢] .

ولم يكن من رأى « بسمارك » الضغط على اليهود وذلك لحاجته الى معاونتهم فى تمويل مشروعاته الحربية ولكنه كان فى بعض الأحيان — وتحت ضغط الرأى العام — يمنعهم من تقلد المناصب الحكومية الكبيرة [٣] . ولقد كانت سياسة « بسمارك » المتقلبة نحو اليهود مثارا للنقد الذى تعرض له من بعض الفلاسفة الألمان وعلى رأسهم الفيلسوف الكبير Paul de Lagarde (١٨٢٧ — ١٨٩١) الذى كتب فى رسالته عن واجبات السياسة الألمانية يقول :

« ان حل المسألة اليهودية لا يكون بالسياسة المتقلبة ولكن بمواجهة الواقع .. هؤلاء قوم لا يملكون أرضا يعيشون عليها فى الداخل أو فى

---

(١) Mars, Wilhelm The Victory of Judaism Over Germanism, Translated by E. Johnson, Clarage London 1915.

(٢) نفس المرجع Mars, The Victory.........; P. 83.

(٣) المرجع السابق صفحة ٢٤٠ Shirrer Rise & Fall......

الخارج ، ان اليهود أجانب عن ألمانيا ، واذا كنا نود بقاءهم على هذا الحال فاننا يجب أن نستمر فى معاملتهم كدخلاء بل ونطردهم الى الشرق أو الى موطنهم الأصلى اذا استدعى الحال » (١) .

ولم تغفل مدرسة التفوق العنصرى « جوبينو . فاجنر . تشمبرلين » اظهار آرائها اللاسامية ومع أن جوبينو « قد ذكر فى كتابه » عدم تساوى الأجناس السالف الاشارة اليه عدم ايمانه بخطورة المزج بين العناصر على تطور المدنيات الا أنه حذر من اندماج اليهود فى المجتمعات الأوروبية وذلك فى قوله :

« هناك بعض الأجناس الدخيلة التى ترمى الى التودد الى العنصر الآرى لتندمج فيه رغبة منها فى اكتساب صفاته الرائدة واكسابه خصائصها الضعيفة ، مثل هذه الأجناس ، وعلى رأسها اليهود ، يجب الحذر منهم على خصائص الآرى وثقافته وجنسه (٢) .

وأرجع فاجنر اضمحلال ألمانيا وانقسامها الى التسلل اليهودى .

وسار تشمبرلن فى كتابه « أساس القرن التاسع عشر » على نفس المنوال محذرا من اليهود وأفرد خمس صفحات فى كتابه ليشرح ما أسماه « علم البشرية العقلى » وكيفية التعرف على اليهود وضرورة الفصل بينهم وبين الشعب الألمانى (٣) .

---

(١) Lagarde, Paul De Uber Die Gegenwartigen Aufgaben der Deutschen Politik. Volksverlag Leypzig, 1881 P. 94.

(٢) De Gobineau, A. J. Essài sur l'inegalité des Races Humaines, Paris, 1853 P. 277.

(٣) Chamberlain, H. S. The Foundation of the 19th Century London, 1911 P, 21-227.

وفى أعقاب الحرب العالمية الأولى وبتأثير من تيار السخط واليأس الذى انتاب الشعب الألمانى عادت اللاسامية لتظهر « قبل الكتب النازية » فى كتابين أحدهما للقصصى الألمانى Gunter تحت عنوان Adel Und Race وقد طالب فيه بضرورة توحيد عناصر المجتمع الألمانى بقيادة العنصر الآرى الأصيل وبعد طرد العنصر اليهودى [1] . ثم R. Blumenbach الذى قسم الأجناس فى ألمانيا الى خمسة أقسام ثم أوضح صعوبة التجانس بينها ، وأثر ذلك على ضعف التيارات الوطنية . ومن بين هذه الأجناس الخمسة اعتبر « بلومنباخ اليهود أقواها أثرا فى أحداث تفرق المجتمع الألمانى ، وذلك للحفاظ على بقائهم فى ألمانيا »[2].

ومن تطور المبدأ اللاسامى من واقع التاريخ الألمانى يمكننا أن نعرف ان الشعور الألمانى اللاسامى كان يشتد بحلول الأزمات والدليل على ذلك هو بداية ظهور اللاسامية بشكل عام فى أعقاب حروب الأربعين وحروب نابليون والحرب العالمية الأولى ثم تتبين ان الشعور الألمانى بمعاداة اليهود يرتكز على أسس تاريخية تمتد الى القرون الوسطى ، وليست اللاسامية النازية الا ترديد لكل المعانى التى سبق ترديدها عن اليهود من قبل ولقد اتفق المنادون باللاسامية على اعتبار أن اليهود هم العنصر السامى الوحيد الواجب مناهضته . ويفسر E. Vermeil ذلك بأن الرغبة فى التعميم لا التخصيص والخوف من اعلان العداء المباشر مع اليهود قد دفع مناهضى اليهودية الى اختيار تعبير «اللاسامية» لتطبيقه على اليهود وعلى كل من يشاركهم فى العناصر السامية [3] .

---

(1) Gunter, H.F.K. Adel ind Rdsse, Berlind, verlag Berlin 1918 P. 5.
(2) U. N. E. S. C. O., the Third Reich, London, 1955 P. 832.
(3) نفس المرجع صفحة ٨٣٥ U. N. E. S. C. O.;

ثم ان اللاسامية قد ظلت بعيدة عن الحكام الألمان حتى تولى هتلر الحكم ومع انه قد قيل عن تأثر بسمارك بها الى حد حرمان اليهود من المناصب الهامة فى الجيش والحكومة الا أن هناك من ادعى أيضا بأن بسمارك قد اعتمد على اليهود (١) .

وفى عرضنا لتطور « اللاسامية » لا يمكن أن نغفل حقيقة هامة هى أن هذا المبدأ وان ظهرت دعائمه فى تاريخ ما قبل النازية الا أن الحزب النازى كان أول من وضع اللاسامية فى صدارة برنامجه السياسى وأعلن عن سياسته بشأنها فى صراحة واصرار وقام بتطبيق أسسها بعد وصوله الى الحكم .

النازية وشعار اللاسامية :

رفعت النازية شعار اللاسامية ، وشرع هتلر فى « كفاحى » فى ابراز هذا المبدأ محاولا اعطائه مبررات جنسية وسياسية واجتماعية واقتصادية وعلى منوال هتلر تفنن كتّاب النازية وخدّامها فى ابراز محاولاتهم لاضفاء الروح الفلسفية على هذ النظرية . وخصص برنامج الحزب النازى خمس مواد تفسر كلها الاتجاه النازى اللاسامى . ولما ولى الحزب النازى ألمانيا عام ١٩٣٣ صدرت مجموعة القوانين العنصرية التى وجهت الى عزل اليهود عن المجتمع الألمانى ثم بدأت معسكرات الاعتقال عملها فى التنكيل باليهود وتعذيبهم واباداتهم وظلت هذه الصفحة من تاريخ ألمانيا عالقة بالأذهان حتى الآن . واندفع الكتاب والمؤخرون فى محاولات

---

(١) Schneider Reinhold Die Hohenzellern Tragik und Konig tum Universitatverlag Lepizig . 1933 P. 12.

لتفسير النظرية النازية للاسامية والطريقة التى طبقت بها محاولين فى ذلك تحليل الأسباب التى دفعت النازية الى التفنن فى تطبيقها ..

١ ــ اللاسامية الهتلرية :

فى كتابه « كفاحى » خصص هتلر فصلا كاملا للكلام عما أسماه « الشعب والعنصر » (١) . وفى الجزء الأول من هذا الفصل كتب هتلر عن الأجناس والعناصر الانسانية ليخرج بنتيجة مؤداها ان العنصر الآرى هو رائد المدنية الألمانية ولابد من الحفاظ على سلالته باحاطته بسياج واق يمنع تسرب الأجناس الهدامة اليه (٢) .

ثم أفرد هتلر الجزء الأكبر من هذا الفصل للكلام عن العنصر الهدام الذى يتزعمه اليهود ــ فى رأيه ــ وعرف هتلر اليهود بأنهم جماعة متسللة لا تملك تراثا أو قدرة خلاقة ، متجردة من روح التضحية ، تتميز أخلاقها بالأنانية والكذب ورفض هتلر اطلاق لفظ « مهاجر » على اليهودى وذلك على أساس ان « المهاجر » يملك وطنا محدد المعالم وان اضطر الى تركه طلبا للعيش أو المرعى .. أما اليهودى فانه لا يملك هذا الوطن وبالتالى فلا يمكن أن يكون « مهاجرا » وانما هو جرثومة تفرض نفسها على حياة الشعوب الأخرى » (٣) .

ثم عرض هتلر لتطور هجرة اليهود الى المجتمعات الأوروبية فأوضح أن تلك الهجرة تدرجت على الوجه التالى : ــ

---

(١) مرجع سابق صفحة ٢٧٧ ــ ٣٢١

Hitler, Meing Kampf, P;277–321.

(٢) انظر تقسيم هتلر للأجناس فى عرضنا للتفوق العنصرى صفحة ٢٢

(٣) المرجع السابق صفحة ٣١٣

« حينما تنشأ دولة أوروبية قوية يهرع اليهودى اليها كتاجر .. ويفصح عن حقيقة جنسه ابتغاء اكتساب عطف الشعوب المضيفة من جهة ولسهولة التعرف عليه نظرا لجهله بلغة البلاد من ناحية أخرى . ثم يبدأ نشاط اليهودى فى الظهور بميدان التجارة حيث يتبرع فى العمل كوسيط تجارى ثم كمرابى ، ثم كمحتكر لنوع من النشاط الاقتصادى ، يهيىء له السطوة والمال وترى اليهودى يتودد الى الأجهزة الحاكمة فى الدولة عارضا استثمار أمواله فى المشروعات الحكومية أو مساعدة الحكومة فى سياستها المالية أو الحربية . وعندما تولى فريدريك الأكبر العرش بدأ الناس يتخذون حذرهم من اليهودى حتى نادى الشاعر الألمانى الكبير « جوته » Goethe محذرا من زواج اليهودى من الألمانى ثم راح اليهودى يحتال محاولا اخفاء جنسه متسترا وراء لغته الألمانية الركيكة المصطنعة وبعد ذلك يطالب اليهودى بالحصول على الحقوق المدنية أسوة بالمواطن الألمانى .

وقال هتلر ان اليهود قد قسموا أنفسهم الى معسكرين : أحدهما تفرغ لممالأة الحكومة وللسيطرة على أسواق المال والتجارة ، والآخر اتجه الى الطبقات العاملة ليندمج فيها وليظهر نفسه ضعيفا مهضوم الحق . وليندس بين أفرادها مستدرا عطفها .. وحينما اتجهت ألمانيا الى التصنيع زادت البطالة بين عمال الحرف اليدوية واندفع العمال الزراعيون الى المدن .. هذا بالاضافة الى طبقة صغار الموظفين الذين لا يملكون الا مرتباتهم مما أدى الى خلق طبقة من الساخطين على المجتمع .. وهنا وجد اليهود فرصتهم السانحة ليندسوا بين هذه الطبقة مستعينين بآراء « كارل ماركس » اليهودى الذى بنى نظريته من أجل

تمكين اليهود — بعد السيطرة على الطبقة العاملة — من خلق الدولة اليهودية العالمية على أكتاف أبناء هذه الطبقة الكادحة من العمال .

ولقد قدم هتلر للعالم .. صورة حية لطبائع اليهود .. وللوطن القومى الذى يطالبون به — فقال انهم لا يطالبون بفلسطين ليتخذوها بلدا يهاجرون اليها فحسب ، وانما لتكون مستعمرة تضم المنبوذين منهم والفاشلين .. ولتكون مدرسة لخلق الجيل الجديد من اليهود الذين سيدربون على التسلل الى أوروبا والسيطرة عليها (١) .

ويقول هتلر عن أغراض اليهود من هذا الاندماج فى العناصر المرتفعة انها أغراض تهدف الى تحطيم العنصر الآرى بقصد اضعافه وافقاده صفاته القوية كما ان من بينها غرضا سياسيا مؤداة احلال ديكتاتورية الطبقة العاملة محل الديمقراطية وغرضا اقتصاديا آخر يجعل الدولة تتجه لتأميم بعض المنشآت ثم يقوم اليهود باعادة شرائها لاحكام قبضتهم على أسواق التجارة والمال ثم غرض معنوى يؤدى الى احلال الشك محل الثقة والضعف والانهزامية محل ايمان الشعب الألمانى وقواده ، وبث الفرقة والشك فى كل معتقداتهم وأمانيهم القومية ، وغرض ثقافى ، مؤداه هدم التراث الثقافى الألمانى والسخرية من كل ما يحتويه الأدب الألمانى من معانى البطولة والفخار . وغرض دينى ، يرمى الى خلق تيار من عدم الثقة فى الدين المسيحى .

« وبعد أن يتمكن اليهودى من تحقيق أغراضه فسينقلب وحشا يسلب الدولة زعامتها ومقوماتها وثقافتها ، والدليل على ذلك ما حدث

---

(١) المرجع السابق صفحة ٣٣٢ Hitler Mein Kampf.

فى روسيا حيث أعدت المذابح للملايين كى تمكن فئة من اليهود من السيطرة على مقاليد الحكم [1] .

ويلاحظ قارىء « كفاحى » لهتلر انه يبدىء ويعيد فى تكرار أفكاره اللاسامية فى كل مناسبة تسنح لذلك . ولقد كانت هذه المناسبات كثيرة . فالى جانب اتهام هتلر لليهود بكونهم ملوثى الدم الألمانى النظيف فلقد عدهم مسئولين عن الحرب الأولى .. ومسئولين عن نتائجها المؤسفة للشعب الألمانى .. وفى شخص اليهود هاجم هتلر الأحزاب الألمانية ورجال الدين الذين يهادنون اليهود ، وكل الزعماء الأوروبيين والأمريكيين الذين ناهضوا سياسته أثناء الحرب العالمية الثانية .

والملاحظ كذلك ان هتلر قد عمد الى التفصيل فى شرح ما أسماه « المخطط اليهودى » بالشكل الذى يوحى للقارىء بأن نظريته « اللاسامية » هى الحل الوحيد للنظرية (السامية) التى شرح تطوراتها .

٢ ـ التفسير النازى للاسامية :

كانت « اللاسامية » — كبقية عناصر « النظرة النازية للعالم — المحور الذى دار حوله دعاة النازى فى محاولاتهم لاكسابها الصبغة الفلسفية والعلمية اللازمة لانتشارها بين أوساط الطبقات الألمانية المثقفة . وانطلاقا الى هذه الغاية قسم دعاة النازى أنفسهم الى مجموعتين :

المجموعة الأولى : وتشمل كبار رجال النازى مثل الفرد روزنبرج وجوزيف جوبلز وجوتفلريد فيدر وهم الذين كانت مهمتهم اعادة سرد المعانى الواردة فى « كفاحى » باعتباره دستور الحركة النازية وذلك فى

---

(١) المرجع السابق صفحة ٣٦٣ ـ ٣٦٥ Hitler Mein Kampf

محاولات لسد ما قد يكون هذا الكتاب قد افتقر اليه من براهين وشواهد [1] .

فأما « الفرد روزنبرج » وهو الذى تخصص بالتبشير بدولة الدم الجديدة على النحو الذى أشرنا اليه فى عرضنا لنظرية « التفوق العنصرى » فلقد اعتبر مسألة تنقية الدم الألمانى من التسلل اليهودى ضرورة حيوية لنظريته فى العنصر ولعل العبارة التالية التى وردت فى أحد كتبه لتؤيد اتجاهه وأفكاره اللاسامية .

« ن المبادىء العنصرية ليست وليدة الانسان أو الزمان وانما أملتها علينا واجباتنا حيال الأجيال الألمانية القادمة . واذا كان من العسير علينا أن نشهد اليوم ثمرة الزرع العنصرى الجديد فان مثل هذا الزرع لا يمكن أن ينمو الا اذا أزيلت الأشواك لتى تعيش على رزقه .. ولن يتأتى لنا ذلك الا اذا استأصلنا اليهود الذين عاقوا تقدم المدنية الألمانية الأصيلة ، وهم السبب فى كل ما حاق بشعبنا من أزمات [2] .

ومثل هذ الاتجاه أظهره مؤرخ النازية الكبير « فيدر » حين قال فى تعليقه على برنامج الحزب النازى [3] .

---

(١) الفرد روزنبرج هومولف مرجع النازية المشهور Der Mythus des 20 Yahrhunderts وجوزيف جوبلز هو الذى شغل منصب وزير الدعاية فى الحكومة النازية راشتهر باخلاصه للمبادىء النازية ولهتلر ويرجع اليه الفضل الأول فى نجاح أجهزة الدعاية النازية اما جوتفريد فيدر فلقد كان من أعضاء الحزب النازى المؤسسين وهو الذى وضع برنامج الحزب النازى الذى ظهر عام ١٩٢٠

(٢) Rosenperg, Wesen Grundsatze und Ziele der NSDAP Munchen, 1933, P. 8

(٣) يقع برنامج الحزب النازى الذى قراه هتلر على الجمهور فى ٢٥ فبراير ١٩٢٠ فى ٢٥ بندا وسيرد ذكر هذه البنود عند عرضنا لكل من المبادىء النازية على حدة .

« المادة الرابعة من برنامج الحــزب النازى تقضى بمنع الجنسية الألمانية عن غير الألمان .. ومعنى ذلك انه لا يمكن لليهودى أن يكون أحد مواطنى هذه الدولة وبذلك يكون الحزب النازى هو المطالب الوحيد بتطبيق قانون الدم .. وحين لا يجد اليهودى منفذا الى شعبنا فاما أن يرحل عنا أو أن تدفعه الى ذلك دماؤنا الآرية النظيفة [1] .

ولقد اتجهت المجموعة الثانية من دعاة النازية الى محاولة وضـع الأسانيد العلمية للنظرية اللاسامية . وهنا يقول بروفسور كلاينبرج Kleineberg ان زعماء النازى قد قاموا بعد توليهم الحكم بالضغط على أساتذة الجامعات الألمانية لوضع الأسانيد العلمية للنظريات النازية ، ولقد رفض بعضهم ، ورضخ البعض الآخر لهذا الضغط [2] .

ومن بين من قاموا بهذه المهمة بروفسور Gausch أستاذ التاريخ الطبيعى بجامعة ليبزج الذى قال ، فى مجال تمجيده للعنصر الآرى وتبريره للاسامية :

« ان العنصر السامى بشكل مركزا وسطا بين العنصر الآرى والعنصر القردى لذلك فانه يمكن أن نطلق عليه اسم Untermensch وترجمة التعبير « الرجل الذى يقل فى مرتبته عن الآدميين » ثم يستطرد الأستاذ الألمانى فى التحقير بالعنصر السامى قائلا :

« اذا كان العنصر السامى أقرب الى القرد » منه الى الآرى فلماذا حاول أفراده الاندماج فى العنصر النـورديكى بدلا من الاندماج فى

---

(1) Feder, Gottfried The programme of the Party of Hitler (translated by E. T. Dugdale) Franz EHER G.M.P.H. Minchen 1932 P. 18.

(2) مرجع سابق صفحة ٨٥٧ UNESCO, The Third Reich,

العنصر القردى ؟ .. الجواب انه لم يثبت حتى الآن ان العنصر السامى لا يستطيع التزاوج بالقرود » (١) .

ولقد قام بعض أساتذة التاريخ البشرى الألمان بمحاولة لصياغة نظرية أطلقوا عليها « نظرية صحة العنصر » وبين أحدهم وهو البروفسور Stammler بأن الهدف من هذه النظرية هو :

« لكى تتمكن من تحرير النورديكيين من الشوائب التى اختلطت بهم فلابد لنا من أن نسلك طريقين » هما : الانقراض والاختيار .

وعرف ستاملر « الانقراض » بأنه القضاء الحيوى على تسلسل العناصر المزدوجة بكل الطرق بما فى ذلك التعقيم وابادة اللاأصحاء وغير المرغوب فيهم .

أما الاختيار « فهو ابعاد العناصر الميكروبية مثل اليهود من العيش فى المجتمع النورديكى النظيف » (٢) .

ومن العرض السابق لتطور النظرية « اللاسامية » على يد كل من هتلر ومن ساروا خلفه من دعاة النازية نستطيع أن نتبين أن هذه الدعوة قد اعتمدت على ما أورده هتلر من أسباب للحث على كراهية اليهود . أما دعاة النازية فلقد اقتصر عملهم اما على نشر آراء هتلر أو التقديم لها أو محاولة ايجاد ما يسندها من مبررات علمية .

ولقد تناول بعض المعلقين عن النازية تحليل أسباب اهتمام هتلر البالغ بالمناداة باللاسامية ... وأرجعوا ذلك الى عاملين أساسيين :

---

(١) Gausch Hermann, Neue Grundlagen zur Rassenforschung Deutsche Verrlag Berlin, 1933 p. 189.

(٢) Benedit A. Race Science and politico. Universitatverlag Berlin1935P.141

الأول — تأصل بذور الكراهية لليهود فى نفس هتلر نتيجة لتجاربه السابقة معهم واتجهوا بعد ذلك الى سرد تاريخ هتلر منذ مولده والى تحليل البؤس الذى مر به فى شبابه الى حد أن اتجه الى « احتراف الجندية » وحين كان يطالب بالعمل والرزق فى فيينا كان اليهـود مسيطرين على ميدان الأعمال فى المدينة . وقد اعتبروا ذلك من أسباب حقده على اليهود . هذا الى جانب تأثر هتلر بمدرس التاريخ بمدرسته الذى كان « لاساميا » بطبعه وكان يصبغ كل محاضراته بالحقد على اليهود واعتبارهم أس البلاء (١) .

الثانى — كانت اللاسامية هى طريق هتلر للوصول الى توجيه الجماهير الى كراهية جماعة معينة ومن ثم سهولة جمعهم حوله .

ويقول بروفسور « كلاينبرج » ان العـالم الاجتماعى الأمريكى Sumner قد بين بأن شـعور « الدخول فى الجماعة Ingroup يزيد اذا ما كان هناك شعور بالخروج عن الجماعة (Outgroup) ولقد استخدم هتلر هذه الفكرة فى خلق « الجماعة » التى عرفها بأنها مجموعة الشعب الألمانى الآرى ... والخارجين عن الجماعة على انهم اليهود ونتج عن ذلك تدفق سيل « الداخلين » والتفافهم حوله (٢) .

---

(١) يعتبر Lichtenberger أن الدراسة الطويلة التى أجراها هتلر عن اليهود فى « كفاحى » لا تعدو أن تكون احدى المحاضرات التى سمعها من مدرس التاريخ المذكور بدليل ان هتلر لم يخف فى كتابه اعجابه بهذا المدرس وبآرائه العنصرية وبأنه كان يحفظ محـاضراته بمجرد سماعها وما زال معظمها عالقة بذهنه .

Lichtenberger, H. Dass Dritte Reich (Translated by Kappel Peiton) Oxford University press P. 1935 179.

(٢) مقال للبروفسور Otto Kleinberg أستاذ علم النفس بجامعـة كولومبيا اقرا UNESCO, The Third Reich, مرجع سابق صفحة ٨٦٩

ولقد عبر هتلر نفسه عن هذا بقوله « لشعب مثل الشعب الألمانى من الضرورى تحديد عدو واحد حتى يمكن تعبئة المشاعر ضده ثم السير جماعة اليه [1] .

ولقد تطورت دوافع اللاسامية النازية مع تطور الحزب وكفاحه . واذا كانت الدوافع السابقة تختفى وراء بدء المناداة باللاسامية فلقد كان غرض الحزب النازى من التمسك بها فى كفاحه من أجل السلطة ينحصر فيما يلى : —

أولا — استخدمت النازية شعار اللاسامية فى الهجوم على كل أعداء حركتها وحزبها واندفع مؤيدوها الى اطلاق كلمة « يهودى » أو من أصل يهودى أو واقع تحت تأثير اليهود ، على كل الأعداء . وتنيجة لذلك كانت جمهورية « فيمار » من فعل اليهود ، .. وأمريكا تحت سيطرة اليهود ، .. وستالين نصف يهودى ، .. والشيوعية لا ترمى الا الى السيطرة اليهودية العالمية ، .. كذلك الأحزاب الألمانية المناوئه .. فالحزب الاشتراكى الديمقراطى خاضع لتأثير اليهود ، والحزب الشيوعى حزبهم المختار ، وحزب الكنيسة الكاثوليكية يهادن اليهود ويستعطفهم .

ثانيا — بمقتضى « اللاسامية » دخلت النازية الى « الأسرة الألمانية » لتمس مشاعر الأمومة والزوجية .

ولقد بدأ هتلر هذا الاتجاه بوصف اليهودى بأنه « ذلك الشاب الأسود ذو الأنف الطويل الذى ينظر الى الفتاة الألمانية الشقراء ليعتدى عليها مستهدفا الحط من قدرها وتلويث سلالتها [2] . واندفع كتاب

---

(١) من خطبة القاها فى ميونيخ سنة ١٩٢٥ مرجع سابق صفحة ١٩٧ — Sales R, R. A. Hetler. My New Order

(٢) مرجع سابق صفحة ٣٩٢ — Hitler Mein Kampf.

النازى الى اتخاذ هذا المثل فى كتاباتهم وقصصهم ، وممن تخصصوا فى كتابة مثل هذه القصص للأطفال والكبار كاتب نازى اسـمه Julius) Streicher) وأشهر قصصه (Der Sturmer) وهى القصة التى أظهرت الشذوذ الجنسى لليهود ، واتجاههم الى الاعتداء على الفتيات الألمانيات الصغار .

ثالثا — كانت اللاسامية شعار الانتقام والارهاب . فلقد دار نشاط الفرق النازية المسلحة وهى الـ S. A. والـ S. S. نحو القيام بمظاهرات مسلحة كانت تنتهى بضحايا من اليهود وهذه المظاهرات كانت لا ترمى الى تنفيذ اللاسامية بقدر ما كانت مظهرا من مظاهر قوة الحزب كى يثبت أقدامه ويوجه الأنظار اليه .

أما بعد ان ولى النازى الحكم فلقد عمدوا الى تنفيـذ مبدئهم اللاسامى للقضاء على اليهود من ناحية وللتخلص من كل معارضيهم تحت ستار التخلص من النفوذ اليهودى من ناحية أخرى (١) .

ولعل أهم الحقائق التى نستطيع أن نخلص اليها من العرض السابق هى كون اللاسامية نظرية قديمة وان النازية قد اقتصرت على اعادة ترديدها ولم يكن لهتلر أو لأتباعه من النازى أن ينكروا هذه الحقيقة وان كانوا قد أجمعـوا عـلى أن « اللاسامية النازية » تختلف عن « لاسامية من قبل النازية » من ناحية الشكل والموضوع ..

فمن ناحية الشكل : بينما اقتصرت اللاسامية « الأولى » على بضعة عبارات تحذر من اليهود والاختلاط بهم فان النظرية النازية قد

---

(١) تفصيل ذلك يرد عند بحثنا للتخلص من المناوئين كأحد الأسس التى قامت عليها دولة الحكم المطلق وذلك فى الباب المقبل .

وضعت هيكلا كاملا للسامية واللاسامية يشرح مدلول كل منها والغرض منها ، ومن ناحية الموضوع : بينما ظلت اللاسامية تتخذ هيئة نداءات متفرقة فلقد حولتها النازية الى مبادىء سـياسية ودينية واجتماعية لابد منها — فى رايها — لاعادة بناء الدولة الألمانية (١) .

الى جانب الآراء اللاسامية التى ظهرت فى ألمانيا ، فلقد ظهر أيضا ما يقابلها من آراء ترمى الى نقد النظريات اللاسامية .

فلقد قال الفيلسوف الألمانى الكبير « هردر » (Herder) « أتمنى لو كان الاتجاه الى تقسيم البشرية الى عناصر ينحصر فى أغراض علمية فان المبالغة فى وضع حدود لهذه الأجناس والفصل بينها لن يؤدى الا الى الوصول للأمر الواقع وهو ان الأرض يسكنها شعوب ربط التاريخ بينها(٢) » .

ومن هؤلاء الكتاب أيضا من بحث فى اللاسامية ليؤيدها ، ثم اعترف بخطأ التفريق بين الأجناس أمثال (البروفسور (Blumenbach)) الذى كان قد قسم الأجناس الى خمسة أقسام فى كتابه الذى أصـدره عام ١٧٧٥ .. (Die Generis Humani Varietate) ، ثم عاد بعـد عشرين عاما من نشره لهذا الكتاب الى الاعتراف بأنه لا توجد اختلافات بين عناصر الانسانية سواء من ناحية اللون أو التكوين أو النشاط الى حد اعتباره ان كل الأجناس متصلة وانما تختلف عن بعضها فى الدرجة (٣) .

---

(١) Heiden Konrad History of National Socialism Princetin Mr. Mars London 1934 P. 62.

(٢) Herder, Ideas for the Philosophy of Mankind, (translated by Edgar Howler) Oxford 1949, P. 296.

(٣) المرجع السابق صفحة ٨٥٥ UNESCO.; The Third Reich.

كذلك كتب مؤسس الفلسفة الألمانية الحديثة (Alexander Von Humboldt) لينقد الافتراضات القائلة بوجود عناصر راقية وعناصر دنيئة للبشر وأكد ان كل المجموعات الانسانية متفقة فى درجة واحدة فى المطالبة بالحرية وليس لاحدى هذه المجمـوعات الحق فى الضغط أو اضطهاد أو استعباد المجموعة الأخرى (١) .

والى جانب هذه المجموعة من كبار الكتاب والفلاسفة الألمان ، تجد أن بعض كبار المنادين برفعة العنصر واللاسامية مثل « تشمبرلن » قد عاد للاعتراف بأن له أصدقاء من اليهود وانه يجد لذة فى العمـل مع اليهود الشرفاء والأذكياء (٢) .

ومن ذلك يتضح لنا ان الادعاء بأن الشعب الألمانى « لاسامى » بطبعه ونتيجة لتعاليم فلاسفته القدماء انما هو مبالغة ينكرها الواقع ، فالى جانب هذه المجموعة التى نادت باللاسامية وقفت مجموعة أخرى من كبار رجال الفكر فى ألمانيا لتنكر هذه النظرية وتنادى بعدم اعتبارها . فقط ولكى تكتسب النازية الصبغة الايديولوجية المطلوبة اتجه فلاسفتها الى اعتبار نظريتهم امتداد طبيعى للفلسفة الألمانية القديمة وعليه فلقد عظمت النازية كل من نادى بالنظريات العنصرية بل هناك ادعاء بأن بعض النازيين قد زوروا أقوالا واتجاهات لكبار الفلاسفة الألمان تثبت ميولهم اللاسامية وذلك كله ضمن محـاولات الايديولوجية النازية للتسرب الى أوساط الطبقة المثقفة فى ألمانيا (٣) .

---

(١) A. V. Humboldt, Cosmos, University of Humboldt, E Germany 1959 P. 473.

(٢) Chamberlain, H.S. Briefe 1882-1924 (translatrd by the German Institute for Public Science, Munich, 1957 P. 51.

(٣) المرجع السابق صفحة ٨٨٨ UNESCO.; The Third Reich.

ولم تقتصر النازية على أقوال زعمائها وآرائهم فى اليهود واتجاهاتهم اللاسامية وانما احتلت « اللاسامية » خمسة بنود من برنامج الحزب النازى الذى أعلن فى ٢٥ فبراير سنة ١٩٢٠ ، وهذه البنود هى : —

١ — قصر جنسية الدولة الألمانية على المواطنين الذين ينحدرون من دم ألمانى نظيف واستبعاد اليهود منها .

٢ — حرمان غير الألمان من حق الانتخاب .

٣ — معاملة المستبعدين من الجنسية بمقتضى قوانين الأجانب .

٤ — قصر وظائف الحكومة والأقاليم على مواطنى الدولة الألمان .

٥ — منع هجرة غير الألمان الى ألمانيا وابعاد كل من دخلوها بعد ٢ أغسطس سنة ١٩١٤ (١) .

ولقد طالب برنامج الحزب النازى بكل هـذا اعتمادا على ايمانه باللاسامية واعتبر ان الحكومات الألمانية المعاصرة مجرمة فى حق الشعب بتهاونها مع اليهود وان مثل هذه المطالب لو اتخذت شكل التشريعات لكانت أول أساس من أسس اعادة بناء الرايخ الألمانى الجديد (٢) .

٣ ـ اللاسامية فى الحكم النازى :

وحين أمكن للحزب النازى أن يصل الى الحكم عام ١٩٣٣ تحولت « اللاسامية » من مجرد نظرية أو مطلب الى حيز التشريع . فلم يكد ينقضى شهر على تولى هتلر الحكم حتى أصدرت الحكومة قانونا يجرم

(١) فسر هتلر هذا التاريخ بقوله : « انه يلاحظ تضخم عدد اليهود الذين دخلوا ألمانيا فى سنة ١٩١٤ منتهزين غفـلة حكومة الرايخ عنهم بالاستعداد للحرب » كفاحى صفحة ٢٠٩.
Martin Raymond, National Socialism Hitlerien Paris 1959 P. 89.

(٢) Feder Gotfrid, Der Programme der N.S.D.A.P.; P. 14-16.

تشغيل اليهود فى المدارس والجامعات . ولقد فسر القانون « بأن العنصر اليهودى قد عمد الى افساد الثقافة الألمانية وعمد الى حجب الحقـائق العظيمة فى التاريخ الألمانى عن الأجيال الألمانية الناشئة لذلك فسيكون المعلم أو المدرس أو الأستاذ من ذوى السلالة الألمانية النظيفة (١) .

وفى ١٥ مارس سنة ١٩٣٥ صدرت مجموعة أخـرى من القوانين اللاسامية تحت عنوان « قوانين نورمبرج لحمـاية العنصر » تقضى بحرمان اليهود من الانتماء الى الجنسية الألمانية واعتبارهم مواطنين من الدرجة الثانية . كذلك نصت هذه القوانين على تقييد حرية اليهود على النحو التالى : —

١ — منع الزواج بين اليهودى والفتاة الألمانية .

٢ — تحريم استخدام اليهودى لخادمة ألمانية يقل سـنها عن ٤٥ سنة .

٣ — ممنوع على اليهودى أن يستخدم الألوان الألمانية الوطنية وله فقط أن يستخدم الألوان اليهودية .

٤ — مخالفوا هذه القوانين يعاقبون بالحبس سـنة أو بغرامة أو باحدى العقوبتين (٢) .

والمتتبع لآراء هتلر فى كتابه « كفاحى » يستطيع أن يتبين أن أكثر مواد هذه القوانين قد جاءت تنفيذا مباشرا لأقوال هتلر فى «كفاحى»(٣).

---

(١) Reich Wilhelm, The Mass Psycology of Fascism, Emmerson New-York 1946, P. P. 209-217.

(٢) مرجع سابق صفحة ٦١ U.N.E.S.C.O. The Third Reich.

(٣) من أقوال هتلر فى « كفاحى » صفحة ٤٠٨ — ان الفتى اليهودى ينتظر الفتاة الألمانية لينقض عليها بقصد تلويث دمها ، وهذا يفسر قانون منع الزواج بين اليهودى والألمانية وعدم تشغيل الألمانيات فى بيوت اليهود.

ولقد عملت السلطات النازية فى المدن والقرى على مراقبة تصرفات اليهود ومحاولة عزلهم بممتلكاتهم عن بقية المواطنين الألمان . بل تفننت بعض المجالس المحلية فى اصدار تعليماتها الى المزارعين الى حد أن طالبت بمنع حيواناتهم من الاختلاط بحيوانات اليهود (١) .

وفى يناير سنة ١٩٣٨ صدرت مجموعة أخرى من اللوائح تستهدف اذلال اليهود الذين لا تمسسهم الاجراءات السابقة . ولقد ألزمت هذه اللوائح اليهودى « الذكر » بأن يتسمى باسم « اسرائيل » و « الأنثى » باسم « ساره » .. وأن يرتدى كل من كان من أصل يهودى علامة « النجمة » كى يسهل على المواطنين الألمان اجتنابه (٢) .

ومن هذه المجموعات من القوانين يتضح لنا ان الحكم النازى قد اتخذ من « اللاسامية » أساسا لاعادة تنظيم المجتمع الألمانى . ولقد تحقق للدولة عزل اليهود عن بقية أفراد الشعب وصبغهم بصبغة الأجنبى غير المرغوب فيه . ولما قامت الحرب عام ١٩٣٩ عمد الحكم النازى الى اتخاذ الخطوات النهائية للتخلص من يهود ألمانيا وذلك بالقبض عليهم وعلى من ثبت انتماؤه الى سلالتهم من الألمان وايداعهم معسكرات الاعتقال .

وعن « معسكرات الاعتقال » يقول « شيرر » انها قد ظهرت بظهور الحكم النازى فى ألمانيا . فمنذ عام ١٩٣٣ أقيم حوالى ٣٠ معسكرا استخدمها رجال الفرق العسكرية النازية « لضرب معتقليهم من المناوئين » ثم اعادتهم الى منازلهم كانذار لهم . ولما صدر قانون ٢٨ فبراير سنة ١٩٣٣ الذى أعطى هتلر كل ما يحتاجه الحكم المطلق

(١) المرجع السابق صفحة ٦١٨ U.N.E.S.C.O. The Third Rich.

(٢) المرجع السابق صفحة ٢٩٢ Murphy Raymlnd National Socialism.

من سلطات استثنائية خول للبوليس الألمانى — وكان يخضع لمنظمة الـ .S. S (١) . العسكرية النازية — الحق فى اجراء اعتقالات سميت بـ Shutz Haft أى « الحبس الوقائى » وكان المحبوسون يؤخذون — حتى لا يظهر عددهم — الى معسكرات الاعتقال . ولما أمكن للنازى تصفية جميع العناصر المناوئة بمقتضى مذابح يونية سنة ١٩٣٤ انتفت الفائدة من معسكرات الاعتقال الى حد ان وزير الداخلية النازى Frick قام باصدار تعليمات بالغاء « الحبس الوقائى » وتصفية المعسكرات ، ولكن قائد الـ .S. S المعروف « هملر » تمكن من اقناعه بضرورة استبقاء هذه المعسكرات كرمز لبث الرعب فى نفوس من تسول له نفسه معارضة النظام فى المستقبل (٢) .

ويستطرد « شيرر » فى كلامه عن تطور معسكرات الاعتقال ان ادارة هذه المعسكرات قد سلمت بعد ذلك الى الـ .S. S وقام على رعايتها كتيبة أطلقت على نفسها اسم « وحـدة رأس الميت » اختبر أعضاؤها من بين أقسى رجال الـ .S. S وأغلظهم . وقام الـ .S. S باقامة معسكرات اعتقـال جديدة كان من أشهرها معسكر Dachau بالقرب من ميونيخ ومعسكر Buchenwald بالقرب من فيمار ومعسكر Sachsenhausen بالقرب من برلين ومعسكر النساء فى Rosensbruck وبعد غزو ألمانيا للنمسا عام ١٩٣٨ بدأت حملات تعذيب اليهود وأنشىء مكتب لتهجير اليهود برئاسة أحد زعماء الـ .S. S ويدعى Heydrich

---

(١) الـ .S. S هى الفرقة النازية المسلحة المسماة Shutzstafel وسيرد العرض لها بالتفصيل فى الجزء الثانى من هذه الرسالة .

(٢) مرجع سابق صفحة ٢٧١ — ٢٧٣

Shirer, The Rise and fall of the Third Reich,

وكان هذا المكتب هو الذى يحدد مصير اليهود اما بطردهم خارج البلاد أو بايداعهم المعسكرات أو بابادتهم . ويبين « شيرر » Shirer ان محاكمات نورمبرج قد أثبتت مسئولية هذا المكتب فى القضاء على أربعة ملايين يهودى فى أوروبا وروسيا (1) .

ويهمنا ما أورده مستر Shirer بشأن معسكرات الاعتقال فى ابراز النقاط الآتية : —

١ — ان معسكرات الاعتقال قد مرت بمراحل ثلاثة :

الأولى — بدأت ببداية الحكم النازى وكانت تحت اشراف وزارة الداخلية واستمرت حتى أتمت الحكومة النازية القضاء على المعارضة عام ١٩٣٤ وهنا كانت معسكرات الاعتقال مخصصة للمقبوض عليهم بمقتضى قانون الحبس الوقائى ..

والثانية — من ١٩٣٤ حتى ١٩٣٨ وهنا كانت معسكرات الاعتقال تحت ادارة الـ S. S. حيث أعيد تنظيمها وبناء الجديد منها .

والمرحلة الثالثة — بعد الاستيلاء على النمسا عام ١٩٣٨ حيث بدأ رجال الـ S. S. فى القضاء على اليهود فى معسكرات الاعتقال .

---

(1) المرجع السابق صفحة ٣٥١ — Shirer لم يذكر مستر Shirer شيئا عما حدث فى هذه المعسكرات خلال الفترة من ١٩٣٤ — ١٩٣٨ والواقع ان اغلب المعلقين قد ذكروا ان معسكرات الاعتقال فى هذه الفترة قد خصصت لايواء اليهود والشيوعيين والفئة الأولى نتيجة لحملة التخلص من اليهود التى قام بها الـ S. S. والفئة الثانية نتيجة لحملة تطهير نقابات العمال من العناصر الشيوعية قبل اعادة تنظيمها وذلك كله خلال الفترة من ١٩٣٤ — ١٩٣٨ انظر :

Murphy : National Socia lism. مرجع سابق صفحة ٨١

A Bulloc : A. Hitler, a Study in Tyranny Bantain Books 1958 P. 181.

Kleneberg : The Third Reich. مرجع سابق صفحة ٣٦٧

٢ — ان معسكرات الاعتقال فى الفترة من ١٩٣٣ — ١٩٣٨ كانت لأغراض التأمين الداخلى ولم يلق اليها الألمان بالا ، أما بعد ١٩٣٨ فلقد تحولت الى معسكرات للتعذيب والابادة والتجارب على الانسانية وغير ذلك من الأشكال الوحشية التى اكتشفت عن هذه المعسكرات بعد الحـــرب .

٣ — ان اليهـــود كانوا بمقتضى الحملات اللاسامية — أحـــد العناصر — التى تحتويها معسكرات الاعتقال وليس هناك ما يدل على انها كانت مخصصة لهم . فالى جانب اليهود ضمت المعسكرات الشيوعيين والخصوم السياسيين والجواسيس وفى ابان الحرب أودع الأسرى من قوات الحلفاء هذه المعسكرات .

ومع ذلك فلقد كان ايداع اليهود معسكرات الاعتقال بمثابة آخر مظهر من مظاهر تنفيذ النازية للمبدأ اللاسامى .

ومن عرضنا للمبادىء العنصرية النازية نستطيع الخروج بالملاحظات الأخيرة الآتية : —

أولا — ان اللاسامية مكملة للدعوة النازية فى التفوق العنصرى .

ثانيا — ان اللاسامية قد قصد بها اليهود دون بقية الفئات السامية الأخـــرى .

ثالثا — ان النازية قد حاولت اضفاء الصبغة العلمية على مبادئها العنصرية .

أولا ــ اللاسامية مكملة للتفوق العنصرى :

ظهر لنا من العرض لكل من المبدأين ان هناك نوع من الارتباط بينهما : فالمنادى بالتفوق العنصرى لابد وأن يعرض لمهمة الحفاظ على

العنصر المتفوق ولا يتأتى هذا الحفاظ الا بالمناداة بعزل العناصر الرفيعة عن العناصر الدنيئة أو العكس .. هذا العزل الذى هو فى الواقع أساس لرفع شعار « اللاسامية » أى ان اللاسامية كانت « قبل ظهور النازية » لا تعدو أن تكون وسيلة للوصول الى الهدف من الابقاء على التفوق العنصرى . أما فى الدعوة النازية والحكم النازى فلقد تطورت اللاسامية لتصبح غاية الى جانب كونها وسيلة . لذلك فقد بينت الدعوة النازية ان اللاسامية هى الطريق الطبيعى لاعادة بعث القومية الألمانية الأصيلة وفسرت كل النكبات التى حاقت بألمانيا على انها من فعل السامية بقصد اضعاف الشعب الألمانى . وبعد الوصول الى الحكم فسر قادة النازى كثيرا من أعمالهم وسياستهم الخارجية بأنها ترمى الى القضاء على « السامية » ليس فقط فى ألمانيا بل وفى أوروبا كلها [1] .

واستغلت الدعاية النازية المبدأ اللاسامى لتهاجم كل خصومها . كذلك فسرت الحملات العسكرية التى قامت بها ألمانيا للاستيلاء على النمسا والمجر وتشيكوسلوفاكيا بأن القصد منها هو تخليص شعوب هذه البلدان من السيطرة اليهودية وقد يفسر هذا اتجاه الاحتلال النازى

---

(١) فى الاحتفال بمرور عام على تقلد هتلر الحكم فى ٣٠ يناير ١٩٣٩ خطب هتلر ليقول : فى هذا اليوم الذى سيظل خالدا ــ ليس للألمان فقط ولكن ــ فى التاريخ كله اريد ان اقول هذا : فى حياتى وأثناء كفاحنا كنت كثير التنبؤات وكانت تنبؤاتى تقابل من اليهود الألمان بالهزء والسخرية واليوم اعتقد ان ضحك اليهود قد رد الى نحورهم واليوم أتنبأ مرة أخرى لأقول انه اذا ما نجحت اليهودية العالمية فى جذب العالم الى الحرب فالنتيجة لن تكون بلشفة أوروبا ونجاح اليهودية العالمية ولكن القضاء التام على العنصر اليهودى فى أوروبا .

Sales R.R. A. Hitler, My New Order, مرجع سابق صفحة ٣١٩

لهذه البلاد الى البدء باعتقال اليهود وايداعهم المعسكرات وابادتهم بالجملة .

لذلك فانه يمكن القول بأنه اذا كان مفكرى اللاسامية قد اعتبروها طريقا لازما للوصول الى الحفاظ على العنصر فلقد كان الاتجاه النازى بعد عام ١٩٣٣ لا يرمى الى قصر اللاسامية على التفوق العنصرى فحسب بل تعدى ذلك الى اعتبار اللاسامية أحد أهداف السياسة الداخلية للحكم النازى من ناحية وحملات التوسع الاقليمى التى قامت بها ألمانيا بعد عام ١٩٣٨ من ناحية أخرى .

ثانيا ــ اللاسامية هى اللايهودية :

قلنا ان مفكرى اللاسامية اقتصروا دائما على اعتبار اليهود ممثلى العنصر السامى وعليه فلقد كانت « لاساميتهم » لا تعدو أن تكون « لايهودية » ولقد استمرت النازية فى السير على نفس المنوال ونصت قوانين العنصر التى صدرت أثناء الحكم النازى على أن المقصود بها هم اليهود بالذات . ولقد واجهت الدعاية النازية أثناء الحرب مشكلة تبرير « اللاسامية » خصوصا لشعوب بلدان الشرق الأوسط واليابان وهى الشعوب التى رأت الاستراتيجية العسكرية الألمانية أهمية مصادقتها كى تساعدها الأولى فى محاربة الاحتلال الانجليزى والفرنسى ، والثانية كحليفة لازمة لألمانيا وتحظى بمعاملة متساوية معها . وهنا أعادت الحكومة النازية تأكيدها بأن سياستها اللاسامية تستهدف اليهود فقط ، وفى ذلك قال أحد دعاة النازية Dr. Walter Gross :

« المفهوم ان هذه العناصر هى الأخرى دخيلة على الدماء الآرية ولكنها طبقا لثقافاتها وخصائصها تكون عناصر مقبولة وحميدة .. ودعنى

هنا أعطى مثلا لذلك بالقبائل العربية وبعض الشعوب التى تقوم على أسس عنصرية شرقية ومن صالح الأوروبيين فى نضالهم ضد اليهود أن يفهموا هذه الحقيقة وذلك لأن « اللاسامية » ليست موجهة الى كل الشعوب ذات اللسان اللاسامى ولكن ضد الشعوب اليهودية ذات الأصل الشرقى وهم الذين لفظتهم القبائل العربية وطردتهم خارج الأراضى العربية (١) .

لذلك فلم يخضع العرب أو رعاياهم الموجودين فى ألمانيا لقوانين العنصر . كذلك لم يخضع لها اليابانيون الذين سمح لهم بالتزاوج مع الألمان وذلك على أساس انهم « ذوى دماء نقية وروح وثابة خلاقة » (٢) .

ثالثا ــ هل كانت اللاسامية قائمة على أسس علمية :

كانت النازية تدعى الاعتماد على العلم كمؤيد لنظرياتها العنصرية ولقد شرع بعض العلماء الألمان تحت ضغط الحكومة النازية أو مسايرة لها وتقربا منها فى محاولة ايجـــاد الأسانيد العلمية للنظريات العنصرية النازية وشرعوا فى مهمة ربط اللاسامية بنظريات علم الوراثة وتاريخ الانسان ثم أعلن بعضهم ان ألمانيا النازية قد وضعت أساس علم جديد هو علم « صحة العنصر » Race Hygiene .

وهو العلم الذى يستهدف « المحافظة على النسل الصحيح النظيف بحيث تكون الدولة مسئولة عن ابعاد العناصر التى يمكن لها أن تلوث هذا النسل (٣) . وذهب بعض هؤلاء العلماء الى المطالبة بحق الدولة

---

(١) Weinreich Paul, Hitler's Professors, Dawens & Co London 1946 P.111

(٢) Gauch Hermann, Neur Grundlagen zur Rassenforschung, Berlin nationalverlag 1947 P. 62.

(٣) مرجع سابق صفحة ٨٦٠. U. N. E. S. C. O. The Third Rich.

فى بتر واستئصال العناصر الدخيلة وتعقيمها حتى يمكن ضمان وقاية العنصر الألمانى من التلوث أو الاندثار وفى هذا قال البروفسور الناز « مارتن شتاملر Martin Stammler » : « الابادة » و « الاختيار » هما حجر الأساس الذى تدور عليه تربية العنصر وصحته . والابادة هى التحطيم الحيوى للعناصر الدنيئة بواسطة التعقيم والاختيار هو القضاء على عدم الأصحاء وغير المرغوب فيهم »[١] .

ولقد كانت النظريات العنصرية النازية هدفا لنقد أساتذة علم الوراثة وتاريخها الانسان بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ومن أبرز الردود على هذه النظريات وأسانيدها ما أورده البروفسور AshlyMorgentau[٢] أستاذ علم النفس البشرى بجامعة كولومبيا وتتلخص آراءه فى أن الادعاء بأن اندماج عنصر رفيع بعنصر أدنى منه يولد ناتجا ضعيفا .. هو أمر يقبل الجدل .. والدليل على ذلك ان اندماج الحصان (كعنصر رفيع) بالحمار (كعنصر ضعيف) مثلا ينتج لنا (البغل) الذى يرث عن الحصان السرعة والقوة وعن الحمار الصبر وقوة الاحتمال .. وبهذه الصفات استطاع «البغل» أن يؤمن نفسه فى كل الأجواء التى يعيش فيها كل من الحصان والحمار .. بل وسعره يفوق فى بعض الأحيان سعر كل من والديه . واذا أخذنا الانسان مثلا فاننا نجد ان ناتج التزاوج المختلط بين الأبيض والأسود ينتج فى كثير من الأحيان النبوغ الذى يفتقر اليه العنصر الرفيع من العائلة أما كون الألمان ينتمون الى العنصر الآرى

---

(١) Meinecke Friedridk The German Catastrlophe (Translated by Sidney F. fay) Harvard Hniversity Press 1950 P. 80.

(٢) Morgentau Ashly The Fallacy of Race 2nd edition Randam House New-York 1947 P. 108-131.

الذى عزا اليه النازى القدرة والنبوغ والعظمة فانه — فى رأيه — يفتقر الى الدليل فها هم مؤرخو البشرية يثبتون ان نسبة الدم الآرى فى الشعب الألمانى لا تزيد على ١٣٪ بينما ترتفع هذه النسبة فى ايران مثلا الى ٣٨٪ وتتراوح بنسب أخرى تزيد على ألمانيا فى دول اسكندنافيا وانجلترا .. ولم يحدث أن نادت ايران — مع نسبة الآرية المرتفعة فيها — بمثل هـذه النظريات النازية العنصرية ورفض مورجانتا وفكرة (حبس العنصر) التى رمت اليها النازية فالمدنية قد قربت بلاد العالم من بعضها وعلى الأخص فى دولة مثل ألمانيا لها حدود واسعة مفتوحة وتقع فى قلب أوروبا ولا يمكن للقوانين الوضعية مهما بلغت صرامتها أن توقف الاتصال الطبيعى بين الأجناس والا اضطرت الدولة الى عزل نفسها عن العالم وما كانت ألمانيا لترحب بذلك بأى حال .

وأما الادعاء بأن اليهود عنصر محدد واضح المعالم فهو ادعاء مردود فتاريخ ليهود المسطر فى التوراة يوضح انهم منذ نشأتهم يندمجون فى العناصر الأخرى .. فلقد بدأوا بالقبائل العربية فالحيثية فالكينيتية ثم بالفرس . وفى القرن الثانى قبل الميلاد بدأوا فى الهجرة الى غرب أوروبا ومنطقة الراين ولما اضطهدتهم هـذه البلاد الأوروبية أثناء الحروب الصليبية هاجروا الى شرق أوروبا .. ومن تحركات اليهود هذه يتضح انهم قد اندمجوا مع أهالى هذه المناطق بالتزاوج والمعاشرة ولم يتميزوا عنهم الا فى الخضوع لدين معين . وان من نطلق عليهم اليوم اسم اليهود هم ناتج مختلف الاندماجات العنصرية ولا يخضعون لصفات معينة تميزهم كعنصر منفرد لا فرق فى ذلك بينهم وبين المسلمين والمسيحيين الذين لا يفرق بينهم الا الأديان

والصفات التى أبرزها هتلر لتميز اليهودى بأنه ذو شعر مجعد

أسود وأنف طويل وبشرة تميل الى السمرة لا يمكن اطلاقا الالتفات اليها حيث ان كثيرا من اليهود يتمتعون بصفات مختلفة عن هذا تماما ولا يمكن تمييز أغلبهم عن الأوروبيين والواقع ان لليهود « سمات » تختلف باختلاف نشأتهم الموروثة عن اندماجهم بالعناصر الأخرى وقلما يفترق اليهودى الذى من أصل عربى عن العرب أو الذى من أصل أوروبى عن الأوروبى أو الذى من أصل أسيوى عن الأسيوى .

ولقد كان بروفسور « مورجتاو » موفقا فى الرد على الأسس التى تعتمد عليها النظريات العنصرية النازية ، ولكنه بالرغم من وجاهة رأيه فانه لا يعدو أن يكون أحد الآراء التى لا تؤمن بالنظريات العنصرية والتى يقابلها آراء أخرى تؤمن بتقسيم العناصر البشرية وباختـــلاف درجاتها وبامكانه فصل أجزائها طبقا لتاريخها البشرى .

ولكنه بالرغم من حق الدولة فى معاملة رعاياها أو الجاليات التى تعيش فى أرضها ومهما كانت الدوافع لهذه المعاملة فانه لم يختلف اثنان فى استنكار المذابح وصور التعذيب التى ارتكبتها النازية فى معسكرات الاعتقال والابادة تحت شعار (اللاسامية) [1] . والدهشة من مثل هذه الاجراءات ليست وحدها كافية للتعليق عليها ولكن الرد يظل متسائلا : لماذا قامت النازية بتعذيب وقتل هذه الملايين ؟

ولقد اقتضت محاولتنا لايجاد جواب على هذا السؤال الاستفسار من كثيرين من الألمان الذين عاصروا الحرب وما زالوا يعطفون عـــلى

---

(١) تحرص حكومتا المانيـــا فى الشرق والغرب على الابقـــاء على معسكرات الاعتقال بالصورة التى تركها عليها العهد النازى بعد اندحاره وذلك كدليل على استنكار الشعب الألمانى للاسامية بوجه خاص والنازية بوجه عام .

النازية ويمكن اجمال آرائهم فى أسباب التعذيب والقتل التى ارتكبت فى معسكرات الاعتقال فيما يلى : —

١ — كانت معسكرات الاعتقال تحت ادارة رجال فرقة الحرس الخاص S. S. وهم الذين كانت تتوفر فيهم الشجاعة التامة وانكار الذات والخضوع الأعمى للأوامر وقد تكون هذه الجرائم مرجعها الرغبة فى تدريب هؤلاء الرجال على القسوة وانكار العاطفة .

٢ — هناك بعض قواد معسكرات الاعتقال « مثل قائد معسكر Dessau » مثلا الذى كان مصابا بالشذوذ الأمر الذى دفعه الى التفنن فى التعذيب والقتل سيما ولم تظهر قيادة الـ S. S. أية معارضة لذلك .

٣ — عمليات التعذيب والقتل جرت بشكل جماعى وعلى مستوى واسع فى السنوات الأخيرة من الحرب وقد يكون السبب فيها شعور قواد هذه المعسكرات بالحقد لما لاح فى الأفق من بداية الهزائم ولم يجدوا الا المسجونين ليصبوا عليهم نيران الحقد والانتقام .

٤ — عمليات القتل والحرق بالجملة قد يكون مرجعها التخلص من مسئولية الرقابة والتحفظ على المسجونين واطعامهم وكان التخلص منهم بالحرق يحل مشكلة الدفن وما يتبعه من احتمال انتشار الأمراض .

ومع وجاهة هذه الآراء فاننا — نعتقد حسب ما تجمع لدينا من معلومات — بأن عملية ابادة اليهود سواء فى معسكرات الاعتقال أو خارجها بالجملة لم تبدأ بالشكل الذى عرف عنها بعد الحرب الا فى أوائل عام ١٩٤٢ وحين بدأت الانكسارات العسكرية فى اللحاق بالجيوش الألمانية . وهنا لم يجد قادة معسكرات الاعتقال من يصبون عليه جام حقدهم وغضبهم الا المسجونين فى معسكرات الاعتقال وبدأت عمليات

تعذيبهم وقتلهم واحراقهم والظاهر ان الساسة النازيين فى برلين قد شجعوا هذا الاتجاه بدليل ما قيل نقلا عن « جوبلز » .

« اننا مضطلعون بالمسألة اليهودية الى حد اننا لا نستطيع التراجع وهذا أفضل اذ ان الشعب — الذى يحرق قواربه — لهو لقادر على الحرب والنضال بقدرة كاملة سيما وانه لا يستطيع التقهقر » (١) .

ولا يمكن أن تكون هذه الآراء الا محاولات لتفسير هذه الحوادث ولا تبررها بأى حال . واننا نعتقد بأنه اذا كانت للآراء النازية بشأن اليهود شيء من السند أو الوجاهة فلقد تكفلت معسكرات الاعتقال وما جرى فيها بازالة هذه الأسانيد وهدم النظرية بل ودمغت النازية بوصمة أبدية سطرها التاريخ لتظل عالقة بأذهان الأجيال القادمة .

---

(١) المرجع السابق صفحة ٣٥٨ ....Shirrer, The Rise and fall Of

الباب الثانى

النازية والتنظيم السياسى

اذا كانت المبادىء العنصرية قد كفلت للحركة النازية وحزبها خطأ ايديولوجيا ميزها عن الدعوات والأحزاب السياسية الأخرى فلقد اتسمت المبادىء السياسية النازية هى الأخرى بظاهرة أساسية هى الثورة على كل من المبادىء اليمينية والمبادىء اليسارية .

كانت أحزاب اليمين تشترك — على اختلاف مذاهبها — فى الدعوة للحفاظ على الدعائم الديموقراطية وجمهورية « فيمار » ودستورها الحديث (١) . وما كانت النازية — كدعوة تنادى بالقوة وتدعيم سلطان الدولة ومركزية السلطات — لتتفق مع اليمينيين فى موقفهم بالنسبة للجمهورية ودستورها الديمقراطى ، وانما اتجهت حسبما جاء على ألسنة دعاتها ، الى نبذ التعاليم الديموقراطية الغربية بوجه عام والتنديد بدستور « فيمار » بوجه خاص . فبالنسبة للتعاليم الديمقراطية الغربية كانت النازية تراها غير ملائمة للشعب الألمانى الذى عاش أمجد أيامه فى ظل القيصرية ، كذلك فلقد انتقدت النازية الديموقراطية الغربية

(١) كانت أهم الأحزاب اليمينية وقت ظهور النازية فى المانيا هى : الحزب الاشتراكى الديموقراطى (الحاكم) ، حزب الوسط المسيحى Cebtrum. والحزب الوطنى الليبرالى .

لأنها تساعد على امتزاج العنصر مما يفقد الشعب الألمانى خصائصه المجيدة الموروثة (٢) .

وكان الجناح اليسارى وحزبه الشيوعى هدفا لنقد النازية وهجومها سواء من ناحية المبدأ أو الهدف أو الأشخاص .. فمن ناحية المبدأ رأت النازية فى الماركسية مذهبا مستوردا غير ألمانى لا يعبر عن آمال الشعب الألمانى بقدر ما يعبر عن الأحلام التوسعية للاتحاد السوفييتى .. وبينما كانت الماركسية تهدف الى العـالمية كانت النازية تهدف الى الألمانية .. .. Germanism كذلك فلقد رأت النازية فى الشيوعية حلم اليهودية العالمية فى السيطرة على مقدرات الشعب الألمانى (١) .

وبمعارضة كل من المعسكرين السياسيين اليمنى واليسارى كان على النازية أن تختار طريقها وسط التيارات السياسية الألمانية المعارضة وفى محاولاتهم لوضع أسس التنظيم السياسى الجديد اتجه دعاة النازية الى البحث عن مفاهيم جديدة للفرد والمجتمع والدولة ..

فالفرد ، فى نظر النازية ، ليس نهاية فى حد ذاته وانما هو طريق لهذه النهاية ، ومع ذلك فكل ما طالبت به الدساتير الغربية من احترام لحرية الفرد ووعيه ومداركه انما هى مبادىء لم تغفلها الدعوة النازية

---

(1) Hunber Ennst, Verfassungsrecht des Grossdeutschen Reiches, nafion-alverlag Hamburg, 1939, P. 8.

(٢) قامت الماركسية اللينينية بالدعوة لسيادة الطبقة العاملة ونادت بمبدأ عالمية البروليتاريا الذى عرفه لينين بأنه وحدة الطبقة العاملة فى الدول الاستعمارية وشبه الاستعمارية من أجل الكفاح ضـــد سيطرة الراسمالية ومن هنا أصبحت العالمية أحد الشعارات التى رفعتهـــا الأحزاب الشيوعية الأوروبية ووقفت منه النازية موقف المعارضة .

Sabine, George A History of Political Theory 3d edition Holt & Rinehart New-York 1961 P. 841.

وان كانت قد وضعتها فى المرتبة الثانية بعد روح التضحية والبطولة وضرورة انكار الذات « فلو كانت الحكومة القائمة تمثل آمال الفرد فان الواجب يقتضيه بأن يعهد اليها بكل حقوقه السياسية »[1] .

وبالنسبة للشعب . فبينما تعتبر الديمقراطية الغربية ان الشعب مكون من العناصر التى تخضع لسلطان الدولة ، فان النازية تعتبر الشعب وحدة سياسية أساسية فى قيام الدولة[2] .. ثم وضعت النازية للمجتمع تخطيطا هرميا جديدا يبدأ من الشعب الذى يتنازل عن حقوقه السياسية للطبقة المختارة للحكم وهذه بدورها تضعها أمانة فى يد الزعيم .

---

(1) Corry & Abraham, Elements of Democratic Government, Oxford unevercity press, New-York, 1958. P. 61.

(2) المرجع السابق صفحة ٥٣ Huber, Verfassungsrecht ....

الفصل الأول

مبدأ الشعب العنصري

تدعو النازية فى « نظرتها الى العالم » Weltanschauung الى اقامة ما أسمته Volkstaat ، أى الدولة الشعبية ولقد رأى هتلر تعبير الدولة الشعبية مرادفا لتعبير النازية وفى ذلك قال :

« ان الغرض من الدولة الشعبية هو رعاية عناصرها الشعبية وتنمية ثقافاتها والمساعدة فى خلق الجمال والكرامة الانسانية العليا .. اننا كاريين تتخيل دولتنا على انها الكيان الحى لأعضاء مجتمعها العنصرى حيث لا تقوم فقط برعايتهم وانما تنمى قدراتهم الحيوية نحو الوصول الى الحرية العليا (١) .

ويتمشى قول هتلر هذا فيما قاله عن الـ Weltanschauung والذى يعنى ان الفرد العنصرى والمجتمع العنصرى هما الدعامتين الكفيلتين بقيام الدولة الشعبية .

وفى مفهوم المبدأ الشعبى قال Huber (٢) ان الديموقراطيات تنظر الى المبدأ الشعبى من الزاوية الخاطئة . فهى تبدأ بفكرة الدولة

---

(١) مرجع سابق صفحة ٤٦٩ .Hitler, Mein Kampf

(٢) أرنست هيوبر هو أحد كبار دعاة النازية ومشرعيها ولقد عهد اليه بمهمة ايجاد الأسانيد القانونية لدعوة النازية وفى بداية الحكم النازى قام هيوبر بمحاولة لصياغة دستور جديد للدولة النازية .

ووظائفها على أساس أن الشعب أحد العناصر التى تخضع لسلطانها . أما النازية فتبدأ (بالشعب) الذى هو الوحدة السياسية اللازمة لقيام الدولة .. ويسترسل « هيوبر » فى شرح العوامل التى تؤثر فى الشعب وهى : الأصل العنصرى والتربة والدين واللغة والتاريخ .. ويتكون الشعب السياسى من خصائصه الطبيعية المتشابهة .. والعنصر هو الأساس الطبيعى للشعب وبواسطة الشعب السياسى يكون المجتمع واعيا لتضامنه مناضلا لحقوقه . وهنا تبدأ « الوطنية » فى الانضمام الى صفات هذا الشعب [1] .

« ليس الشعب السياسى سلبيا وليس هـو الدهماء وليس أداة للحكومة التى تبغى الوصول الى الحكم .. والرايخ الجديد يعتمد على مبدأ العمل الحقيقى للشعب الذى يريد تقرير مصيره وهذا هو الشعب السياسى [2] .

ومن ذلك يتضح ان النازية قد ارتأت نشأة ما أسمته بالشعب السياسى هذا الشعب الذى تعتبره النازية أساسا للتنظيم السياسى هو الشعب الذى تجمعه أسس عنصرية واحدة بمعنى ان المدلول النازى للشعب الألمانى هو كل ما يقع داخل حدود ألمانيا من الأفراد الذين يتمتعون بالوعى العنصرى .

ولهذا فان كلمة « فولك » تعنى بها النازية أكثر من ترجمتها « وهى شعب » « فالفولك » هو الشعب العنصرى الذى ينشئه الفرد ويبقيه متمتعا بكل مقوماته وامكانياته العنصرية . وبواسطة التقاء أفراد الدم

(١) المرجع السابق صفحة ٣٢ .... Huber, Vervassungsrecht

(٢) المرجع السابق صفحة ٣٣ .... Huber,

الواحد ينشأ المجتمع العنصرى الذى هو أساس المفهوم النازى للشعب والعماد الذى تقام عليه الدولة الشعبية المنشودة (١) .

ومجتمع « الفولك » يربى أفراده على قيم جديدة تجعل الخدمة فى ظله والتضحية فى سبيله أقصى درجات الفخار بالنسبة للمواطن .. كذلك فان النازية تعترف بعدم تكافؤ الأفراد وترجع ذلك الى قدرة الفرد على حمل الخصائص العنصرية للشعب .. وبدرجات تفاوت الأفراد فى هذه الخاصة تتفاوت قيمهم فى المجتمع .. وفى المجتمع العنصرى يصنف الأفراد فى شكل هرمى يضع كلا منهم فى موضعه طبقا لحكم المجتمع عليه ، وفى أعلى الهرم يتربع الزعيم الذى يحمل كل القيم التى يعجز الأفراد عن حملها فرادى (٢) .

والتفـرقة التى أظهرها المبـدأ الشعبى النازى بين « الفولك » و « الشعب » تقود الى معانى سياسية عميقة أهمها :

١ — كون « الفولك » هو الشعب العنصرى فقط سلاح استطاع قادة النازى استخدامه للحد من نشاط كل من لا يتوفر فيهم شروط المواطن العنصرى ، وشمل هذا التعريف اليهود وأبناء الجاليات الأجنبية الذين يعيشون فى ألمانيا بالاضـافة الى أفراد الشعب المناوئين للنازية ودعوتها .

٢ — مبدأ « الفولك » النازى خلص دعاة النـازية من صعوبة التوفيق بين المفهوم الديموقراطى الغربى « للشعب » ورغبات النازية وقادتها .

---

(١) نفس المرجع صفحة ٣٩

(٢) Sabine George, A History of Political Theory 3rd Edition, Holt, Rinehart New-York 1961 P. 889.

فالديموقراطية الغـربية ترى فى الشعب صاحب السلطة السياسية الفعلية وبواسطة الانتخابات والاستفتاءات يستطيع الشعب التحكم فى قيادته ..

أما النازية فانها لا تقصر الحقوق السياسية على الجزء العنصرى من الشعب فقط وتحـرم الباقين منها فحسب ، بل ان نظـرة النازية للاستفتاءات الشعبية لا تزيد عن كونها مظهرا من مظاهر اعادة الثقة فى الزعيم ومبايعته .

٣ — لم يخرج مبدأ « الفولك » غير العنصريين من الشعب الألمانى فقط بل أخرج (الدهماء) كذلك ، ولقد أظهر هتلر عدم ايمانه بالدهماء فى قوله :

لقد ثبت ان الجـزء الأكبر من الأمة غير صالح من حيث الوعى السياسى .. فهذه الدهماء لا تظهر الا وراء المنتصر ودستورها الوحيد هو الخوف من التجديد والحقد على الرئاسات ولا تؤثر فيها الاعتبارات العلمية بقدر ما تملؤها مشاعر متعددة هى مزيج من العظمة والعنف والكره والتطرف .. الدهماء هى جزء من الأمة وكل ما تريده هو انتصار القوى واستسلام الضعيف بغير شروط (١) .

٤ — يعتبر المفهوم النازى للشعب أساسا لنظريتهم فى « الطبقة المختارة للحكم » فانه اذا كان الشعب بأكمله غير مؤهل للوعى السياسى الذى هو من خصائص المجمـوعة العنصرية فقط فان الحكم كذلك لا يستحقه الا أفراد معينون يتمتعون بصفات خاصة كالعنصرية والقدرة القيادية وثقة الزعيم .. الخ .

---

(١) مرجع سابق صفحة ٤٦٩ Hitler, Mein Kampf,

وفى مناقشة المفهوم النازى « للفولك » يهمنا العرض لمسائل ثلاث وهى : —

١ — التطور التاريخى لنظرية « الفولك » .

٢ — نظرية « الفولك » والمفهوم الغربى للفرد والمجتمع .

٣ — نظرية الفولك وحكم الأقلية .

١ ـ التطور التاريخى لنظرية « الفولك » :

لم تكن النازية أولى الدعوات الى مفهوم الشعب العنصرى وانما هذا الاتجاه ظل ثابت فى الفكر السياسى الألمانى القديم ..

فلقد كتب زعيم المدرسة التاريخية فى ألمانيا Johann G. Herder (١٧٤٤ — ١٨٠٣) فى مقدمة نظريته عن دولة الشعب العنصرى يقول :

« هناك قوة عنصرية حية لا أعلم متى نشأت ولا ماهية مقوماتها .. ولكننى موقن من وجودها لأنها تميز الوحدة العنصرية المتحركة من ظلام المادة الجامدة .. هذا ما أراه وهذا ما لا جدال فيه [١] .

ثم بين ان الحياة الانسانية قد اكتسبت خواصها الأصلية من قوانين الطبيعة وعلى ذلك فلقد عرف الوطنية على انها احدى نباتات الطبيعة وان الروح الوطنية هى أم « مختلف الثقافات على وجه الأرض » .

ولقد حاول الفيلسوف الألمانى Karl Sclegel (١٧٧٢ — ١٨١٣)

---

(١) Herder, Johann. G. Sammtliche werke (Supbon edition) Berlin, 1877-1913, vol III P. 269.

also quoted by Raymond Murphy in . National Socilism" , Washington, Washington, 1943 P. 7.

تفسير نظرية Herder وأضاف لتوضيحها ان أعلى مراحل الدولة احتوائها على شعب ينتمى الى عناصر قبلية واحدة [١] .

ثم كان Joseph Gorres أستاذ التاريخ بجامعة ميونيخ (١٧٧٦ — ١٨٤٨) أول من ربط « الشعب بالدم » فكانت نظريته عماد المفهوم النازى للشعب فيما بعد حيث قال :

« انه من الحقائق المعترف بها ان الشعب هو مؤسس التاريخ وانه لمن أعظم الأخطاء التى يرتكبها الشعب فى حق نفسه والأجيال التى تليه هى انه ينبذ خصائصه الوطنية .. لذلك فمن الضرورى أن يتكون وسط الأمة رأى عام حازم يعبر عن نفسه بمقتضى بيئته الوطنية [٢] .

ومن العرض لهذه الأقوال من كبار الفلاسفة الألمان نستطيع أن نلمس بوضوح ان الاتجاه النـازى لتقييم الكيـان السياسى للشعب لم يكن جديدا على الفكر السياسى الألمانى . فلقد اتجه هؤلاء الفلاسفة من البحث عن هذه المجموعة من أفراد الشعب التى تملك القـدرة السياسية كما رأى هيردر الى تمييز هذه المجموعة بالصفة العنصرية القبلية كما رأى شليجل الى مطالبة هذا الجزء العنصرى من الشعب بالخروج للتعبير عن نفسه بمقتضى بيئته الوطنيـة كما قال جورس . وبالاضافة الى تمشى هذه الاتجاهات الفكرية مع المفاهيم السياسية النازية فانه لمما يلفت النظر افتقار الفلسفة الألمانية للمفاهيم الديمقراطية

---

(١) Schlegel, Philosophische Vor lesungen .... 1804 - 1806 Vol; 11, P. 357, quoted by Fredrich Meinecke in "Weltburgertum und Nationalstaat" Minich 1928, P. 85.

(٢) Gorres Joseph, Uber der Fall Deutechland und seiner Wiedergebaut, Volume 1 P.125, Munchen, 1854.

الحــرية للشعب كوحــدة سياسية قادرة . ويقول الباحث الألمــانى E. Meinecke ان الظاهرة الملفتة فى الفكر السياسى الألمانى فى عصــور الانقسام أو فى ظل القيصرية ذلكم التمشى الظاهر مع أشكال الحكم المعاصر ، فلقد استطاع أصحاب النظريات الفلسفية الجديدة دائما تفسير نظرياتهم بما يضمن للحــكم الديكتاتورى أو الأرســتقراطى كيــانه ومقوماته وبهذا فسر مانيكه افتقار ميدان الفلسفة الألمانية لكل ما يفتح أذهان الشعب الى حقوقه السياسية المغتصبة بل وكل ما قد يدفعه الى الثورة السياسية (١) والتاريخ الألمانى ملىء بالشواهد التى تؤيد رأى لمانيكه ولعل أبرز هذه الشواهد ذلكم الموقف اللاثورى الذى وقفه زعيم الاصلاح الألمانى « مارتن لوثر » من ثورة الفلاحين المشــهورة عام ١٥٤٤ (٢) .

كذلك فان ما خرج به هؤلاء الفلاسفة الألمان من نظريات حــول الشعب العنصرى لا يتعرض لحقوق الشعب السياسية بقدر ما يرمى الى ابراز الكيان السياسى للفئة العنصرية منه .

٢ ــ نظرية « الفولك » والمفهوم الغربى للفرد والمجتمع :

من خصائص الشعب العنصرى الذى نادت به النازية تضحية الفرد فى سبيل المجموع وذلك على أساس ان أقصى غايات الفرد العنصرى

---

(١) Meinecke Friedrich The German Catastrophe (Travel by Sidney B.fay) Harvard University Press 1950 P. 42.

(٢) بتشجيع من تعاليم مارتن لوثر المتحررة الجديدة قام الفلاحون فى المانيا عام ١٥٤٤ بثورة على الاقطاع وامرائه فما كان من لوثر الا أن أعلن تأييده للأمراء وحقهم فى اخماد هذه الثورة ولقد لعبت هــذه الحادثة دورها فى قتل الروح الثورية فى المانيا للأجيال القادمة .

Dunlop, Hohn, A Short History of Germany, Harrap & Co Lhtd London. 1957 P. 42-46.

هو خدمة المجتمع العنصرى والموت فى سبيله . وعلى ذلك فلقد اعتبرت النازية الفرد وسيلة لا غاية . ولقد بنى هذا الرأى على أساس ان الغالبية العظمى من الأفراد لا تهتم بالمصلحة العامة وتشغلهم مقتضيات المعيشة اليومية .. ولا يمكن توقع ادراك هؤلاء الأفراد — كأفراد — للمسائل السياسية الكبرى أو مساهمتهم الفعلية فيها (١) .

ولقد اعتبر بروفسور Sabine ان الدعــوة النازية قد سارت على نهج التيار السياسى اللامنطقى Irrationalism ، وهــو التيــار الذى نادى باستبعاد المنطق من مفاهيم الحياة على أساس ان الحياة هى التى توجه المنطق لا ان المنطق هو الذى يوجهها . وعلى ذلك اتجهت النازية الى اعتبار ان المتحكم فى الشعب ليس العقل وانما هو الدم وان الرغبة والسعادة انما تكون مشاعر ثانوية بالمقارنة بالبطولة والتضحية والواجب والنظام (٢) .

ويسترسل Sabine فى شرح الفلسفة « اللامنطقية » مبينا انها كانت من أعمدة الفكر السياسى الأوروبى خلال القرن التاسع عشر وقام دعاة هذه الفلسفة وعلى رأسهم « نيتشه » و « شوبنهاور » بوضع نظرياتهم على أساس ان الحياة صعبة ومركبة ومتغيرة ولا يمكن فهمها . وان الطبيعة مليئة بقوى سوداء يعجز العلم عن فهمها .. لذلك فانه يجب الوصول الى عوامل جديدة — غير الأفراد — تعتمد عليها الثقافات والمدنية ، هذه العوامل تتركز فى المجتمع العنصرى الذى يضم الأفراد العنصريين ، وفى هذا المجتمع تنمحى ادراكية الفرد فى سبيل ادراكية

---

(١) مرجع سابق صفحة ٦٢

Cory & Abraham, Elements of Democratic Government,

(٢) مرجع سابق صفحة ٨٧٨ — ٨٨١

Sabine George, A History of Political Theory,

الشعب السياسى ولا يقوم الفرد الا ليحمل لواء البطولة أو انكار الذات أو التضحية وهى القيم الوحيدة التى تبقى للفرد فى المجتمع العنصرى الجديد . وأما عقيدة الشعب ككل سياسى فلقد اعتبرها دعاة اللامنطقية « رومانتيكية جاهلة » وقارنها « هيردر » بالتفكير الشعبى الأصيل الذى يبز — فى نظره — ادراكية عصر النهضة فى انجلترا وفرنسا . وأضاف نيتشه الى حجج « اللاادراكية » انه يجب اظهار قيم جديدة للفرد ليحل الاعتراف بالتفوق محل المساواة .. وأرستقراطية الرجل محل الديموقراطية .. والعمل الشاق محل الكرامة الانسانية .. والفخر محل التواضع المسيحى .. والحياة البطولية محل الوهن الطبيعى [1] . أما شوبنهاور وهو الذى اتصف بالفلسفة التشاؤمية فلقد بنى حجته على أساس ان الرغبات الفردية لا وجود لها فى هذا العالم والحياة الانسانية لا أمل فيها ومقابل منطق التاريخ أورد « شوبنهاور » منطق « النبوغ » على فرض ان الفنان أو القديس يسيطر على الارادة لا بواسطة توجيهها بل بواسطة انكارها ..

« ان أمل البشرية ليس فى التقدم بل فى الفناء .. فى العلم بأن النضال والاكتشاف وهم كبير .. وهذه الحقيقة يمكن الوصول اليها اما بواسطة الديانات الناسكة أو بواسطة التأمل اللاجنسى فى الجمال [2] .

ومن هذا الربط الذى أورده « سابين » بين نظرية « الفولك » النازية وآراء المدرسة اللامنطقية يهمنا الاشارة الى أن كلا منهما قد أغفل الاعتماد على شخصية الفرد المستقلة اللهم الا فى حالة واحدة وهى

---

(١) المرجع السابق صفحة ٨٨١ Sabine

(٢) فى مناقشة آراء اصحاب المدرسة « اللامنطقية » اقرأ أيضا :
Cory & Abraham, Elements of a Democratic Government, P. 82-91.

حالة « البطل أو الفنان أو القديس » .. وفيما عدا ذلك فان النظرية النازية ترمى الى افناء شخصية الفرد وعقليته فى المجتمع العنصرى .

وكانت أهم التعليقات التى أوردها أنصار الديمقراطية الغربية على مفهوم اللامنطقية والنازية للفرد والمجتمع ما يلى : —

أولا — فيما يتعلق بانكار الشخصية الفردية فان الديموقراطية الغربية القائمة على ارتضاء الشعب كله لا تتأتى الا باحترام شخصية الفرد كهدف وبالنسبة لما قيل من تعارض المصالح الفردية فان هـذه المصالح تتوحد حين يتجه الأفراد الى اختيار نظام الحكم القائم وان الفرد يمكنه التضحية بأفكاره الشخصية فقط اذا كان الغير قادرا على التعبير عنها (١) .

ثانيا — بالنسبة لانكار القدرة التعقلية للفرد ، فان الديمقراطية الغربية تعتمد على حق الفرد فى المناقشة والاقتناع والتفكير السليم ويقوم النظام البرلمانى والأحزاب الديمقراطية بتبصير وتوعية الفرد ضد أية محاولة تقوم بها الحكومة لخداعه أو الوصول الى رضائه عن غير عقليته ومنطقه . ولتنظيم قواعد المناقشة فى المجتمع الديمقراطى تعارف أفراده على نظام الأغلبية ورأى الأغلبية سارى على الجميع ويقبله حتى المعارض له بمقتضى ارتضائه للقاعدة من أساسها (٢) .

٣ ـ نظرية الفولك وحكم الأقلية :

بعد شرح المفهوم النازى لمجموعة الشعب العنصرى لم يكن عسيرا على دعاة النازى أن يعتبروا هذه النظرية أساسا لتدعيم الحكم النازى

---

(١) Hoover, Calvin. B Germany Enters The Third Reich Machmillan, New-York 1943 P. 21.

(٢) Meinecke Friedrick The German Catastrophe (Transl by sidney B. fay) Har vard University press 1951 P.29.

اقرأ كذلك Cory & Abraham المرجع السابق صفحة ٩٢

فطبقا للمفهوم الواضح لنظرية الفولك تمكنت النازية من تقسيم الشعب الى جزئين : الفئة العنصرية .. بقية الفئات .

فأما الفئة العنصرية فتتكون من مجموع الأفراد النازيين الذين ارتضوا تعاليم النازية وعملوا فى حزبها .. وهذه الفئة بالرغم من كونها أقلية الا أنها اعتبرت ممثلة للشعب .. وعلى هذا الأساس اعتبرت النازية حكمها ديمقراطيا سليما وذلك لكونه ممثلا لكل رغبـات « الشعب العنصرى » وبقدر انضمام أفراد الشعب واقبالهم على الحزب وأفكاره بقدر ما اتسعت القاعدة الشعبية للنازية .

وبالرغم من حقيقة كون الحكم النازى قد اعتمد فى شعبيته على الأقلية العنصرية التى تسانده فان هذه الأقلية ما كانت لتبدى رأيها فى السياسة من قريب أو من بعيد . وانما كانت النازية مؤمنة بمبدأ « هرمية الزعامة » فالقاعدة الشعبية تتنازل عن سلطاتها السياسية لمجموعة أقل من الأفراد وهؤلاء بدورهم الى مجموعة من القواد .. ثم الزعماء .. ثم الزعيم — ويدل هذا على حقيقة واضحة وهى ان الحكم النـازى لم يكن ليعبر لا عن رأى الشعب ولا حتى عن رأى المجموعة العنصرية النازية منه وانما عن آراء المجاميع العليا فى قيادته وحتى هؤلاء ما كانوا ليعلموا بالقرارات السياسية الهامة الا بعد اعلانها فى الصحف [١] .

أما الفئات الأخرى التى يتكون منها مجموع الشعب فلقد قامت النازية بالتفنن فى حرمانها من الحقوق السياسية . وفى هذا المجال صدرت القوانين العنصرية لتعتبر غير الألمـان عناصر دخيلة لا تتمتع بصفة المواطن . وحرمت السجون والأحكام القضائية رجال الأحزاب الألمانية المعارضة وزعمائهم من المشاركة فى الحياة السياسية . أما بقية الشعب

---

(١) Ebenstein William, Today's Isms, Prineton University, 1955 P. 88.

الذى بقى بعد هذه التصفية فلقد اكتفى بالسلبية وقنع الحكم النازى منه بهذا الموقف»[1] .

والخلاصة ان النازية قد دعت الى مبدأ الفولك كجزء من ايديولوجيتها العنصرية وكأساس من أسس قيام الرايخ العنصرى الذى تهدف اليه .

كذلك فلقد لعبت نظرية الفولك دورها فى تأكيد المبادىء العنصرية النازية من ناحية وكانت بمثابة القاعدة الشعبية التى ارتكزت عليها الدعوة النازية والحكم النازى من ناحية أخرى .

ولقد كان المظهر الواضح لنظرية الفولك انها أبرزت مجموعة عنصرية معينة من الشعب واختصتها بالحقوق السياسية مغفلة باقى الفئات كذلك فانها أظهرت عدم ايمانها بما أسماهم هتلر « الدهماء » وهم على حد قوله « أغلبية الشعب » .. وهنا يظهر التناقض بين الايديولوجية النازية فى القول وفى التطبيق حين تتذكر ان الدعوة النازية ظلت أكثر أيام كفاحها مرتكزة على أنصارها من هؤلاء « الغوغاء » الذين قام هتلر فى حقيقة الأمر على أكتافهم .

ولم تجد الدعوة النازية بعد وصول النازى الى الحكم مشقة فى تطبيق مبدأ الفولك بل واتخذت منه ذريعة للكبت السياسى والانفراد بالسلطة .. فان أغلبية الشعب ظلت محرومة من ابداء آرائها فى الحياة السياسية اللهم الا فى بعض الاستفتاءات التى كانت تجرى للأغراض الشكلية والدعاية الخارجية . وبمقتضى هرمية الزعامة ظلت حتى القاعدة الشعبية العنصرية بعيدة عن مستوى التشريع والتأثير فى العمل السياسى .

---

(١) نفس المرجع صفحة ٩٤

الفصل الثاني

مبدأ الطبقة المختارة للحكم

فى مكان وسط بين قاعدة الشعب العنصرى والزعيم طالبت النازية بوجود « طبقة مختارة للحكم » وتمثل هذه الطبقة همزة الوصل بين الزعيم والشعب ، فتحمل أوامره الى قاعدة التنظيم من ناحية وتدين له بالطاعة غير المشروطة من ناحية أخرى .

ويقوم مبدأ الطبقة المختارة للحكم على افتراض عدم قدرة الشعب بمجموعه على التفرغ للمسائل السياسية وأعباء الحكم مما يجعل من اللازم وجود طبقة ذات صفات معينة تؤهلها للقيادة السياسية لتقوم بأعباء العمل السياسى نيابة عن الشعب وبالاشتراك مع الزعيم . ولما كان مبدأ الطبقة المختارة بوصفه هـذا قريب الصـلة بمبادىء الحـكم الأرستقراطى الذى ساد ألمانيا فترة طويلة فانه لا يستغرب وجوده فى ظل الفكر السياسى الألمانى القديم . فلقد أيد المفكر السياسى الألمانى Keyslering (١٨٤٠ — ١٩٢١) نشـأة طبقة مميزة للحكم فقال :

« ان حكومة بواسطة الشعب لا ينتج عنها سوى استعباد الشعب وعدم مسئولية الحاكم ، وانه لمن الواجب أن نبحث داخل الأمة عن فئة ذات قيم كبيرة ليسند اليها الحكم ، أما ذوى القيم الضعيفة فلا يمكن أن يتخذو فى مسرح الحكم الا دورا ثانويا » (١) .

---

(١) مرجع سابق صفحة ٤٣

Quoted by Murphy National Socialism from : Keysle Paul Europe (Translated by Maurice Samuel) Patterson & Co: New York 1928. P.116.

وبين « كيسلرنج » ان ألمانيا لم تشهد عظمتها الا تحت الحكم الأرستقراطى والسبب فى ذلك — فى رأيه — ان شعبا ذا أصل تليد مثل الشعب الألمانى لا يمكن أن يحكمه الا طبقة من أصل نبيل .. ثم أبدى رأيه فى الطبقة التى تحكم بأنه لا يؤمن باعادة حكم الأمراء وانما يرى ألا تكون الطبقة الحاكمة الجديدة من ذوى الألقاب والشهادات ولكن من رتبة خاصة لأنواع مختلفة من الرجال بعيدين عن دهماء الشعب (1) .

ويتضح فى رأى كيسلرنج مغالطة واضحة ، فبينما يعتقد بأن هذه الطبقة لابد أن تتصف بالنبل والدم النبيل فانه يعارض عودة الأمراء الى قيادة هذه الطبقة .. واذا كان قد عارض اختيار الطبقة الجديدة من المتعلمين فانه قد اعترض أيضا على اختيارها من عامة الشعب .. وترك كيسلرنج مجال البحث دون أن يحدد المقصود من تعبيره « أنواع مختلفة من الرجال بعيدين عن مستوى دهماء الشعب » .

وقد يكون فى غموض هذا التعبير ما ساعد الدعوة النازية على الاستدلال به لوضع نظريتها فى الطبقة المختارة للحكم وهى النظرية التى أرادت بها النازية احلال الحزب النازى محل هذه الطبقة الأرستقراطية .

ولقد اعترفت الدعوة النازية بعدم قدرة الشعب على حكم نفسه فنادت بتقسيم فئاته الى : عنصرية وغير عنصرية كما سبق الاشارة فى مبدأ الشعب .

وفى نفس الوقت ارتأت النازية قيام طبقة مختارة فوق الشعب العنصرى وتحت الزعيم لتقوم بتوثيق الصلة بين الزعيم والشعب ولتكون فى نفس الوقت الأداة التى يتمكن بواسطتها « الفوهرر » من تحقيق أفكاره ولم تتردد النازية فى اختيار هذه الطبقة كثيرا وانما أعلن دعاتها

(1) نفس المرجع صفحة ١٢٠. Keyslering Eurore.

ان الطبقة المختارة للحكم لا يعبر عنها الا الحـزب النازى ورجاله لأن الحزب النازى طبقة مختارة وذلك على أساس كون أعضائه تتوفر فيهم صـفات معينـة حـددها الحـزب فى شروط عضـويته . وانه — بتنظيماته — لقادر على تمثيل القاعدة الشعبية العنصرية وآمالها وأفكارها السياسية .

ولقـد عبر Otto Gaueiler حـد دعاة النازى المتعصبين عن ذلك فقال :

« الحزب النازى كمجموعة سياسية من الشعب هو الذى يعبـر عن ارادته وهو الذي يحتوى على نخبة ممتازة من الشعب الألمانى اذ لا يسمح الا للصفوة بالانضمام اليه ؛ ويقف الحزب الى جانب الدولة كحارس لها وللسلطة التى استمدها من الشعب [1] .

وفى كتاب : Ernst Huber عن القـانون الدسـتورى للرايخ الألمانى الكبير قال عن الحزب النازى :

« ان الحزب لا يرغب فى استعباد الدولة ولكنه يعمل معها فى نفس الطريق وله وظيفتين كبيرتين الى جانب وظائفه التعليمية ...... فهـو الذى يؤكد بقاء الزعامة الوطنية وهو الذى يؤكد بقاء وحدة الشعب وهو الذى يعلم الشعب الادراك السياسى ويكون منه ارادة تتمشى ومقاصد الفوهرر » [2] .

وعرض Gottfried Neesse أحد كبار المشرعين فى العهـد

---

(١) مرجع سابق صفحة ٤١

Gaueiler Otto, Rechtseinrichtungen und Rachtsaufgaben der Bewegung. quoted by Raymond Murphy in "National Socialism"

Huber Ernst, Verfassungsrecht dos Grossdeutsches Reiches,

(٢) مرجع سابق صفحة ١١٣ .

النازى لوظيفة جديدة للحزب وهى على حد تعبيره « قيادة الشعب الألمانى نحو البناء العنصرى الذى يبدأ من الاعتراف باختلاف الأفراد من حيث الأخلاق والامكانيات دون أن يؤدى هذا الاختلاف الى انقسام الشعب الى معسكرين (١) .

ولقد قسم فريدريك الفريد بيك « F. A. Beck » أحد أساتذة الفلسفة بجامعة همبولت ز الشعب الى ثلاثة أقسام : ـــ

المؤيدون ..... و القادة ..... و الخلاقون

وبين أن واجب طبقة القادة (التى هى الحزب النازى) والتى يخرج منها الطبقة الخلاقة وهم الزعماء أن تقوم بتعليم طبقة المؤيدين (وهم الشعب) :

« كل عضو من أعضاء الشعب لابد وأن ينتمى الى طبقة المؤيدين .. وهؤلاء هم الواعين للقيم العنصرية والروحية والفكرية للشعب .. ولا تتطلب هذه المجموعة أية نشاط قيادى أو أخلاقى فى أعضائها وانما يفترض فيهم الاعتراف بالارادة الخلاقة والقيادية .. » .

« ويختار القادة من هؤلاء الذين يلمون بالحياة وقوانين المجتمع العنصرى والذين يضعون كل امكانيات حياتهم الشخصية فى خدمة تكوين مجتمع الحياة .

« ومن الطبقة المختارة للقيادة يظهر الأفراد الذين يتمتعون بقدرات سياسية خلاقة .. وهؤلاء الذين يثبتون بأفكارهم وعقولهم غير العادية قدرتهم على اعطاء المجتمع تعبيرات ناضجة شابة وخالدة .. وهنا تتحقق أنقى صور الانسانية السياسية (٢) .

---

(١) Neesse Gottfried Die National sozialutische Deutsche Arbeitspartie Versucheiner rechtsdeutung (Stuttgart 1935) P. 44.

(٢) Beck F.A.,Die Erzcehung im Dritten Reich,Dortmund,Breslau 1936P.37.

ومما ذكر عن تطور مبدأ الطبقة المختارة للحكم نستطيع أن نلمس الحقائق التالية :

أولا — اتفاق كل من فلاسفة ما قبل النازى ودعاة النازية ومؤيديها على حقيقة كون الشعب الألمانى غير كفء لحمل عبء العمل السياسى والاشتراك الفعلى فى حكم نفسه بنفسه .. وان عليه أن يعهد بهذه الأعباء الى طبقة مختارة تعلوه . وتتكون هذه الطبقة اما من النبلاء الأرستقراط ، كما كان الحال فى عهد الاقطاع والقيصرية أو من طبقة أعضاء الحزب الواحد كما نادت النازية .

ثانيا — اتفق مفكروا النازية وفلاسفة ما قبلها على الكفر بمبادىء سيادة الشعب وأرجعوا عدم قدرة الشعب على العمل السياسى الى عوامل مختلفة أهمها « ان حكومة الشعب لا تنجح الا فى استعباد الشعب» كما قال كيسلرنج « وان التاريخ البشرى من عمل القلة المختارة » فهى التى تملك البصيرة والشجاعة والارادة القوية للكفاح من أجل الجماهير وضد سطحيتهم وتلهمهم بالبصيرة والفكر وعليه فهى (أى هذه الأقلية المختارة) صاحبة الحق فى الحكم (كما قال جوبلز) [(١)] .

ثالثا — اعتبرت النازية حزبها بمثابة الطبقة المختارة المطلوبة وذلك على أساس ان أعضائه من الخيرة وان الحزب قادر على ايجاد الصلة بين الزعيم والشعب فيفسر تصرفات هذا الى ذاك وينقل رغبات الثانى الى الأول .

والى جانب ذلك فللحزب (كطبقة مختارة) أن يقوم بدوره التعليمى

---

(١) مرجع سابق صفحة ٦٨

Quoted by Cory & Abraham in Elements of Democratic Govermment,

للشعب ليرفع من مستواه السياسي والادراكى ويبث فيه الصفات المطلوبة من القاعدة الشعبية العنصرية .

رابعا — لم تحدد الدعوة النازية حقوق الطبقة المختارة للحكم قبل الزعيم وان كانت قد حددتها بالنسبة للشعب فلقد طالبت الدعوة النازية القاعـدة الشعبية بالولاء والطاعة لرجال الحـزب أما بالنسبة للزعيم فلم يظهر ما يشير الى قواعد اشتراك هذه الطبقة المختارة مع الزعيم فى الحكم .

وفيما يلى نعرض لبحث مبدأ « الطبقة المختارة للحكم » مقارنا بمبادىء الديمقراطية الغربية وأسباب الدعوة النازية اليه ثم مـدى تطبيقه أثناء الحكم النازى .

١ — نظرية الطبقة المختارة وديموقراطية الغرب :

فى تطور نظرية الطبقة المختارة للحكم يقول البروفسور William Ebenstin انها ترجع الى عهـد أفلاطون (١) . فهو الذى بدأ بالدعوة لقيام طبقة الحكام والفلاسفة لتحتكر سلطات الحكم ، ثم اعتبرها « اينشتاين » أحد المبادىء اللازمة لتبريرحكم الشمولية Totalitarianism ومن الطبيعى أن يتجه دعاة الحكم الشامل الى محاولة الربط بين مبادئه والمبادىء الديمقراطية المعترف بها وأن يبذلوا من الجهد ما يوصلهم الى تبرير مركزية السلطة والانفراد بالحكم .

ولم تكن نظرية الطبقة المختارة للحكم الا احدى المحاولات التى بذلها دعاة النازية لمحاولة افهام الشعب الألمانى بأن القيادة لحاكمة انما تتصرف بوحى من الطبقة المختارة للحكم التى ارتأى الشعب وجودها

---

(١) البروفسور William Ebenstein هو أستاذ العلوم السياسية بجامعة Wis comsin بالولايات المتحدة .

لتمثل آماله السياسية [1] . والمقارنة السريعة بين نظرية الطبقة المختارة وتعاليم الديمقراطية الغربية تظهر فروقا جوهرية من حيث : الشـــكل والموضوع والتطبيق .

فمن حيث الشكل : تفترض نظرية الطبقة المختارة امكانية انتقـــال سلطات الشعب السياسية الى طبقة معينة قادرة على التعبير عن رأيه والمشاركة مع الزعيم فى التخطيط لمصيره .. ولا يعنى هذا الا فرض الوصاية السياسية على الشعب وتقييد حرياته . وتقوم هذه الوصاية السياسية على اعتبار ان الشعب غير كفء للقيام بأعباء المشاركة فى الحكم وهو أمر تناقضه التعاليم الديمقراطية الغربية التى ترتكز على اعتبار ان الشعب هو مصدر السلطات . ومن الناحية الموضوعية : فبينما تقوم الديمقراطية الغربية على مبدأ المساواة أمام القانون وفى التصويت ، فان نظرية الطبقة المختارة تخلق التمييز السياسى وانكار حق الشعب فى مناقشة ثقته بنوابه فالتمييز السياسى ينشأ من تنصيب طبقة معينة على طبقة أخرى لا تدانيها فى الأهلية السياسية أو المساواة أمام القانون .. كذلك فان هذه الطبقة المختارة وهى تنزع من الشعب حقوقه السياسية فانها تنزع منه أيضا قدرته على اختيار أعضائها ومناقشتهم أو حجب الثقة عن غير الصالحين منهم أما من ناحية التطبيق : فانه بينما يقـــوم الشعب فى النظام الديمقراطى السليم باختيار نوابه البرلمانيين الذين يعاد انتخابهم كل فترة زمنية معينة حيث تتاح الفرصة للشعب لاختيار من يوليهم حق النيابة عنه والتحكم فى ثقته بهم فان الطبقة المختارة لا تستمد الثقة اللازمة لوجودها الا من الزعيم .

---

(1) Ebenstein William, Today's ISMS, Princeton University, 1955, P. 62.

٢ ـ لماذا دعت النازية الى مبدا الطبقة المختارة ؟

لم يدخل مبدأ الطبقة المختارة ضمن تعاليم النظرة النازية الى العالم (Welt anschaung) ولم ينادى به هتلر ضمن ما عرض له من المبادىء السياسية فى « كفاحى » وانما كانت طبقة المفسرين للنازية هى التى خرجت بمبدأ الطبقة المختارة للحكم ويرجع ذلك — فى اعتقادنا — للأسباب الآتية : —

(أ) ساعد مبدأ الطبقة المختارة للحكم الدعوة النازية على اعتبار نفسها وحزبها خلفاء النظام القيصرى القديم سواء خلال الرايخ الأول أم الرايخ الثانى ، وذلك ليكون الحكم النازى بمثابة الرايخ الثالث [١].

وعلى ذلك فلقد اتجهت النازية الى تشبيه تخطيطها السياسى الجديد بالتخطيط القيصرى .. فبالنسبة للشعب فلقد كان هو دائما الشعب القاصر عن الاشتراك فى السياسة .. ومقابل الطبقة الأرستقراطية من النبلاء ورجال الجيش الذين كانوا يحتكرون مناصب الدولة دعت النازية الى الطبقة المختارة ليحتل الحزب النازى مكان هـذه الطبقة ويحل أعضاؤها محل النبلاء فى هذه المناصب وليجلس الزعيم مكان القيصر أو الامبراطور غير المحدود السلطات وبهذا أرادت النازية أن تبشر بعودة العهود الزاهرة للقيصرية فى دولتها العنصرية الجديدة .

---

(١) تعنى كلمة « رايخ » الألمانية « الحكم » ولكن كعـادة النازية فى اعطاء تعبيراتها أكثر من معناها فلقد اصطلح النازى على اعتبار الرايخ مساوية لما نترجمـه بالدولة العظمى أو الكبرى وعلى ذلك فلم تعترف النازية خلال تاريخ ألمانيا الا (برايخين) اثنين وهما الرايخ الأول ـ الذى ظهر فى عهد الامبراطورية الرومانية المقدسة والرايخ الثانى الذى ظهر بفضل بسمارك فى عهد الامبراطور ويلهلم الثانى . اقرأ :

مرجع سابق صفحة ٤٨ .... W. Shirier The Rise and Fall of

(ب) يحل موضع الحزب (طبقة مختارة) فى مركز وسط بين الشعب والزعيم مشكلة الزعامة نفسها . فلا شك ان الزعيم (خصوصا اذا كان يحتل منصب رئيس الدولة كما كان الحال فى الحكم النازى) ليهمه أن يقوم الحزب بالدعاية له وبتفسير تصرفاته لدى الشعب — ومن ناحية أخرى فان ارادة الزعيم للحزب قد تكفيه مؤنة الاتصال بالشعب من وقت لآخر لشرح أهدافه .

٣ ــ الطبقة المختارة للحكم بين الايديولوجية والتطبيق :

لم تكن النازية سواء قبل وصولها الى الحكم أم بعده لتطبيق المعارضة أو المناقشة من الأحزاب الأخرى .. لذلك ولما كانت الطبقة المختارة للحكم لا تستطيع العمل الا فى جو ينفرد فيه الحزب النازى بالعمل السياسى فلقد اتجه هتلر فور وصوله الى الحكم الى تحقيق انفرادية الحزب النازى بالعمل السياسى فى ألمانيا .

ففى ١٤ يوليو سنة ١٩٣٣ صدر قانون الغاء الأحزاب السياسية واعتبار الحزب النازى هو الحزب الوحيد فى الدولة ونص القانون فيما يلى [١] : —

مادة أولى — تلغى الأحزاب والجماعات السياسية القائمة ولا يعاد تشكيلها الا بقرار من المستشارية .

مادة ثانية — يعاقب بالحبس مدة أقصاها ثلاث سنوات كل من يقوم باعادة تنظيم أى حزب أو جماعة سياسية دون الحصول على هذا الترخيص .

---

(١) Martin R, National Socialism Hitlerien, Penguin Paris, 1959 P. 45.

مادة ثالثة — يعتبر « الحزب الاشتراكى الوطنى الألمانى للعمال » الحزب السياسى الوحيد فى ألمانيا .

ومن ان هذا القانون قد صدر ضمن الاجراءات التى اتخذها هتلر فور وصوله للحكم لتحقيق انفراده بالسلطة الا أنه كان ضروريا لتحقيق مبدأ الحزب الواحد الذى نادت به النازية فى شكل مبدأ الطبقة المختارة للحكم .

هذا من ناحية التشريع ، أما من ناحية الواقع فمع ان الحزب قد تسلم مركزه كحلقة بين الشعب والفوهـــرر حسب التنظيم السياسى المنشود فلقد أثبتت الأحداث ان الحزب النازى قد أصبح ، بمرور الوقت وتزايد قوة هتلر بمثابة الدولاب المعطل الذى ما كان هتلر ليلجأ اليه الا لتنظيم المهرجانات الشعبية والدعاية للحكومة وللحصول على توقيعات الشعب على الاستفتاءات الشكلية التى كان يجريها للدعاية الخارجية وليظهر نفسه بمظهر الزعيم الشعبى [١] .

والخلاصة ان مبدأ الطبقة المختارة للحكم هو أحد مبادىء الدعوة النازية الذى يتمشى مع بعض الاتجاهات الفكرية التى سادت ألمانيا قبل النازية ولقد قصدت النازية من المناداة به — ضمن ما قصدت — صبغ أهداف ايديولوجيتها بما يشابه المبادىء السياسية التى سارت عليها ألمانيا فى العصور الامبراطورية والقيصرية ويعتبر مبدأ الطبقة المختارة أحد المبادىء الأساسية التى أسرعت الحكومة النازية بتنفيذها فور تقلدها الحكم ، وبذلك حققت انفراد الحزب النازى بالعمل السياسى .

---

(1) Riech W, The Mass Psycology of Fascism, Paul & Hamelton New-York 1946 P. 217.

ولعل من أقوى الردود على نظرية الطبقة المختارة ان أعضاء هذه الطبقة ، وقد رفعوا أنفسهم فوق مستوى الشعب ، لابد وأن تكون آراؤهم مستوحاة من واقع تفكيرهم المجرد ولا أثر فيها لرأى الشعب ، وكذلك فانهم اذا ما اتخذوا قرارات معينة فانهم بانكارهم حق الشعب فى مناقشتها لا يمكنهم التوصل الى معرفة أخطائهم [1] .

---

(١) مرجع سابق صفحة ٦٦
Corry & Abraham, Elements of Democratic Government.

الفصل الثالث

مبدأ الزعيم (الفوهرر)

الزعيم أو الفوهور، فى نظر الدعوة النازية، هو ذلكم الشخص الذى يعبر فى كل تصرفاته عن رغبات وآمال الشعب، الأمر الذى يحق له بمقتضاه أن يكون له من السلطات ما لا يخضع لرقابة أو حرج أو مناقشة .

ولمبدأ الزعيم وحقه فى القيادة المطلقة ظل فى التاريخ الألمانى وله كذلك مؤيدون بين فلاسفة ما قبل النازية من الألمان .

اولا — فيما قبل النازية :

بدأ فيلسوف ألمانيا ومؤرخها المشهور Johann Gottfried Fichtre (١٧٦٢ — ١٨١٤) بالنداء لحق الشعب الألمانى فى زعيم يكون له من القدرة ما يعيد للشعب الألمانى طبيعته التاريخية القاسية ومما يكفل له القدرة اللازمة لبناء الحكم العالمى .. وفى صفات هذا الزعيم المنشود قال فيشته :

« على الزعيم الذى طال انتظارنا له أن يعلم الشعب فنون القرصنة ولا يعاقب النهب والسرقة فانها لا تعدو أن تكون عملا مجيدا لا تخلو مبرراته من الحكمة .. وبواسطة هذا القائد نستطيع أن نغزو العالم (١) .

---

(١) Fichte J. G. Reder dn die Deutsche Nation, Berlin 1918 P. 254.

هذا الكتاب لفيشته ملىء بمثل هذه الأقوال الغريبة التى لا تتفق =

ثم بشر الفيلسوف الألمانى L. Gorres (١٧٦٠ — ١٨١١) بظهور زعيم ألمانى قوى يجبر الأمراء الألمان على اختياره والاخلاص له فى الحياة والموت [١] .

وآمن القائد الألمانى الفيلسوف Ferdinand Lassale (١٨٢٥ — ١٨٦٤) بالقيادة المفردة المطلقة فقال :

« يجب أن نجمع ارادتنا فى مطرقة واحدة ثم نضع هذه المطرقة فى يد رجل تثق بذكائه وأخلاقه ونيته الوطنية الطيبة ليتمكن من أن يضرب باسمنا » [٢] .

وعن طبيعة الشعب الألمانى بالنسبة لقائده عبر أحد دعاة النازية Oswald Spengler (١٨٨٠ — ١٩٣٦) بقوله : ان أهم طبائع الشعب الألمانى أن يخدم قائده ويتبعه ويظهر اخلاصه وايمانه به [٣] .

وحتى Walter Ratenau وهو أول وزير للخارجية فى جمهورية « فيمر » كان يؤيد الحكم المطلق فقال :

« يجب على الحكومة أن تكون مطلقة .. فكل الحكومات غير المطلقة ضعيفة ، ولا يعتبر الحكم المطلق والحكم الديمقراطى ندان

= ومكانة هذا المفكر السياسى الذى يعد أحد أعمدة الفلسفة الرومانتيكية الألمانية . . . ولعل السبب فى ذلك مما يبدو فى معظم القصص والكتب التى ألفها . انه متأثر الى حد الاعجاب بأساطير الغزو وفتوحات قبائل « التيتون » الألمانيــة بالاضافة الى كون العصر الذى عاش فيــه قد شهد بداية النهضة الأوروبية على يد الفتوحات والاستعمار مما حــدا بالفكر الرومانتيكى المعاصر الى اعتبار الغزو والغارة والاستعمار من أهم مقومات الدولة العظيمة .

(١) Gorres L, Gesammelte Schriften, Koln 1926 IV P. 449.

(٢) Lassale F, Gesame twerke, Leizig, 1899 vol 11 P. 334.

(٣) Siengler O, Der Untergang des Abend Landes, Munich, 1922 P. 139.

متقابلان بل ان كل منهما يصبح فعالا اذا اندمج فى الآخر ، فالحكومة المطلقة لا تنجح الا اذا كان لها سند ديمقراطى والديمقراطية لا تؤتى ثمارها الا اذا كانت لها قيادة أوتوقراطية (١) .

ثم كانت آراء Meoeller VonDen Bruck (١٨٦٠ — ١٩٤٣) أساسا للنظرية النازية التى نادت بمبدأ الفوهور ، فلقد ذكر فى كتابه الرايخ الألمانى الثالث :

« اذا كان عظماء ألمانيا وقوادها لم يعرفوا المبادىء الديموقراطية الحرية فلا يجب أن يتأثر شباب ألمانيا وجيلها الجديد بهذه المبادىء الجديدة وليسيروا على نفس النهج الذى حقق لألمانيا فى رايخيها : الأولى والثانى المجد والعظمة والسيادة » .

ثم قال : ان الشباب يريد قائدا يسير فى عربة النصر قائدا يعرف كيف يقود بالحزم وينفذ بسرعة لا كقواد الدول الديموقراطية الغربية الذين يستشيرون ويستحلفون ويتوددون (٢) .

وملخص هذه الأقوال ان هؤلاء المفكرين قد اتفقوا على قيام الحكم المطلق والقيادة المطلقة فى ألمانيا ، وان ازدهار هذا البلد وقوته مرهونة بمثل هذا النظام .

ولقد استغل معظم المعلقين الغربيين على النازية هذه الأقوال ليدللوا على استعداد الشعب الألمانى الطبيعى للانقياد الأعمى وراء القيـادة المفردة ورسوخ فكرة الايمان بالحكم الأوتوقراطى فى ألمانيا (٣) .

---

(١) Ratenau W, An Deutschlands Jugend, Berlin, 1918 P. 102.

(٢) Bruck Moller Von Der, Germany's Third Empire, English Translation by E. G. Loriner, Sanders & Hamilton LONDON, 1934, P. 123.

(٣) فى الجزء الثانى من هذا الكتاب وتحت عنوان « أسباب نجاح الحزب النازى فى الوصول الى الحكم » سنعرض لهذه الآراء ومناقشتها بالتفصيل .

ثانيا ــ تفسير النازية لمبدأ الزعيم :

لعل أدق التفسيرات لمبدأ الزعيم هو ما أورده الداعية النازى الكبير « هيوبر » Ernst Huber فى كتابه السابق الاشارة اليه عن القانون الدستورى للرايخ الكبير حيث قال : —

« وجد مبدأ الزعيم على أساس ان الارادة الحقيقية للشعب الألمانى لا يمكن أن تعبر عنها أصوات برلمانية أو استفتاءات شعبية .. ويجب التفريق بين الارادة المفروضة على الشعب بواسطة البرلمانات الديموقراطية التى لا تعكس الا صورة الصراع الطبقى ، وبين الارادة الحقيقية للشعب فى مبدأ لزعيم وهو الذى تتمثل فيه الارادة المجمعة للوحدة السياسية الحقيقية .. والزعيم هــو حامل ارادة الشعب ومستقل عن مختلف الجماعات والجمعيات ذات المصالح ولكنه مقيــد بالقوانين العرفية لشعبه ..

ويمكن للزعيم (الذى هو تعبير مجسم لآراء الشعب) أن يذهب فى بعض الأحيان ضد معتقدات بعض الأفراد وآرائهم اذا كان هؤلاء لا يسيرون معه الى مصير الشعب المرسوم .. فالزعيم الذى يشكل آمال الشعب وارادته يمثل وحدته السياسية ضد المصالح الفردية (١) .

ثم تحدث « هيوبر » عن سلطات الزعيم فقال :

« ومع ذلك فللزعيم سلطات محدودة فان ارادته ليست ارادة مفردة لشخص واحد ولكنها تمثل مجموعة ارادات الشعب بكل ما فيها من مواهب ومقاصد وعظمة وتاريخية (٢) .

---

(١) Huber Ernst, Verfassungsrecht des Grossdeutsches Riiches, Hamburg, 1939 P. 194.

(٢) المرجع السابق صفحة ١٩٦

وعن حق الزعيم فى اصدار القوانين قال « هيوبر » :

« تتمثل فى شخصية الزعيم مختلف القوانين الطبيعية الموروثة للشعب فهو الذى ينسقها ليضع عـلى نسجها القوانين الوضعية التى تحـدد النشاط الوطنى وتستهدف هذه القوانين المقاصد الكبرى للشعب »[1] .

ويستطرد هيوبر فى كلامه عن مبدأ الزعيم قائلا :

« ان مبدأ الفوهور لا يضارعه أو يماثله أى مبدأ فى الديموقراطيات الحالية ، كما انه لا يمثل أى معنى للقوة الغاشمة ، فان المبدأ يعتمد على مسئولية القائد كما انه يحتوى على مسئولية المتبوع واخلاصه لواجبه ولرسـالته ولا يمكن لأى مبدأ أن يحتـوى على مسئولية أكثر من هذه » [2] .

وعن مبدأ الفوهور والاستفتاءات الشعبية قال هيوبر :

« ان حقيقة كون ارادة الشعب مجسدة فى الفوهور لا تمنع احتمال قيام الفوهور بدعوة جميع أفراد الشعب الى استفتاءات عن موضوعات معينة .. ولا يعتبر ذلك تسليما من الفوهور لسلطاته الأساسية الى الناخبين ، فغرض الاستفتاء لا يتضمن أن يحل الشعب مكان الفوهور أو أن يحل قرارهم فى الاستفتاء محل قراره هو .. ولكن غرض الاستفتاء أن يعطى الشعب بأكمله فرصة اظهار التأييد الكامل لغرض من الأغراض التى أعلنها الزعيم .. والموافقة على قرار الفوهور تظهر بوضوح اذا ما كان الاستفتاء يتعلق بغرض تم تنفيذه عن مجرد اتجاه فى طريقه الى التحقيق [3] .

---

(١) المرجع السابق صفحة ٢٠٠

(٢) المرجع السابق صفحة ٢٠٦

(٣) المرجع السابق صفحة ٢٠٨

وفى كتابه عن « الحزب النازى .. محاولة للتفسير القانونى » فرق (Neesse) بين مبـدأ الزعامة النازية والزعامة الحكومية أو الادارية فى النظام الديموقراطى ، فقال :

« الزعامة لا تشبه الحكومة على انها أكبر جهاز فى الدولة تتج عن النظام الذى ارتأته لنفسها ولكنها تتلقى قانونيتها ووظائفها من الشعب .. والشعب لا يستطيع أن يعبر عن ارادته بواسـطة أصـوات الأغلبية بل بواسطة تجسد هذه الرغبات فى رجل واحد أو فى مجموعة من رجال » (١) .

وعن المقارنة مع الديموقراطية قال (Neesse) :

« الديموقراطية تقوم على مبدأ الجمع بين المحكومين والحكام فى شخصية الشعب .. وهذه الفكرة تتسم بالالية والسطحية اذا ما اتخذها الفرد أساسا لبناء نظرية مؤداها ان الشعب هو الحاكم وهو المحكوم أما المنطق الواقعى فهو الذى ينادى بالجمع بين شخصية الشعب وآماله فى رجل واحد فان معظم أفراد الشعب لن يستخدموا حقوقهم السياسية وكل ما يودونه هو أن يحكموا بالعدل .. والزعامة النازية لا تؤمن بقيمة محاولة ارضاء أغلبية الشعب . ولكن جهودها موجهة الى خدمة رفاهية الشعب حتى لو كانت الأغلبية لا توافق على آرائها » .

« ان الزعامة « مستمدة من الشعب ولكن تنفيذها يجب أن يتسم باطلاق يد الحاكم بحرية مطلقة » وذلك لأن الشعب الصحيح اذا استطاع أن يتخذ قرارات فيما يتعلق بالمسائل التى يعتمد عليها مصيره فان قراراته فى المسائل الصغيرة لابد وأن تتسم بالارتباك وعدم التأكد » (٢) .

---

(١) Neesse G. Die Nationalsozialistische Deutsche Arbeitspe, arti Versu- cheiner Rechtsdeutung Stuttgart, 1935, P. 44.

(٢) المرجع السابق صفحة ١٤٤ ـ ١٤٧

ثم ذهب بعض دعاة النازية الى حد اعتبار « الزعيم » معصوم من الخطأ على حد قول Robert Ley وكان أحد القواد المحليين للحزب النازى :

« الفوهور دائما على حق .. فالحق هو ما يخدم شعبنا والخطأ هو ما يسىء اليه وضميرنا لا يسمح الا بكل ما يسمح به هتلر » (١) .

ومن الأقوال السابقة التى فسرت بها الدعوة النازية مفهوما لمبدأ الزعيم يمكن أن تتبين انه سيرا على هدى من أيدوا الحكم المطلق فى ألمانيا من أئمة الفكر السياسى نادت النازية بمبدأ الزعيم . فلقد اشتركت الدعوة النازية مع الفكر السياسى القديم فى اظهار الكفر بالديموقراطية البرلمانية وفى ضرورة وجود زعيم جامع لسلطات الدولة ومعبر عن آمال الشعب . الا أنه بينما كان المفكرون الألمان القدماء يتجهون الى البحث عن الزعيم « فان الدعوة النازية وقد وجدته فى شخص « ادولف هتلر » قد عكفت على بحث المبررات اللازمة لصبغ السلطات المطلقة التى اكتسبها « الزعيم » وذلك فى محاولة للرد — حسب اعتقادنا — على الانتقادات التى وجهت الى نظام الحكم النازى من الداخل والخارج . ففيما يتعلق بالنقد الداخلى فان الدعوة النازية كانت تعتمد على اعتبار ان الزعيم ممثل للطبقة الواعية من الشعب لذلك فان قراراته قد استهدفت صالح المجموع وان اعترضت عليها الغالبية (٢) . وللرد على النقد الخارجى اتجه مؤيدوا النازية الى محاولة الربط بين سلطات الزعيم والديموقراطية الغربية أو نقد الأخيرة لاظهار مزايا نظام الزعيم المفرد .

---

(١) من مجلة Germany Speaks التى كانت تصدرها وزارة الدعاية الألمانية باللغة الانجليزية العدد السادس .Berlin Nationalverlag 1938 P. 31

(٢) مرجع سابق صفحة ٣٦ .Murphy. Raymond National Socialism

ولعل أهم الأسس التى قام عليها المبدأ النازى الزعيم أو الفوهور « هو أحقية هذا الزعيم فى الانفراد بالحكم لكونه مشخصا لرغبات الأمة وآمالها . ومنطق النقاش لا يمكن أن يقبل حقيقة كون فرد واحد معبرا عن رغبات المجموعة تعبيرا تلقائيا فاذا ما اعتبرنا طبيعة الفرد المتقلبة بفعل مختلف المؤثرات والاتجاهات النفسية بالاضافة الى قدرته المحدودة على التفكير والتقدير فاننا لا نعتقد بوجود هذا الفرد الذى بلغ فى تفانيه فى خدمة الشعب الى جانب قدرته ونبوغه ما ينصبه مجسدا لمجموع هذا الشعب .

ان دعاة النازية لم يعرضوا — الى جانب صفات التعظيم التى خصوا بها الزعيم — للطريق الواجب اتباعه لوصول « الزعيم » لمنصبه كجامع لسلطات الدولة وممثل للشعب وآماله . فالمعروف ان هتلر لم يصل الى الزعامة المفردة للدولة والشعب عن طريق الانتخاب ، حيث تولى الحكم فى يناير سنة ١٩٣٣ كرئيس لوزارة ائتلافية ضمن الحزب الوطنى وحزب الوسط المسيحى والحزب النازى الذى احتفظ لنفسه مع منصب الرئاسة بأقل المناصب الوزارية [١] .

أى ان الحزب النازى لم يكن حتى تقلد هتلر الحكم ممثلا للأغلبية الشعبية بالشكل الذى ينتج عنه افتراض هتلر زعيم الأغلبية ولما توفى رئيس الجمهورية « هندنبرج » فى يوليو سنة ١٩٣٤ قفز هتلر الى كرسى رئاسة الجمهورية وضمه اليه وأصبح منذ ذلك الوقت ملقبا « بالزعيم » و« مستشار الرايخ » واستمر على ذلك حتى نهاية الحرب العالمية الثانية

---

(١) تفاصيل الوصول الى الحكم واردة فى الجزء الثانى من هذا الكتاب

وازاء هذه الوقائع لا يمكن لنا الاتفاق مع دعاة النازية على افتراض ان الزعيم ادولف هتلر كان مجسد الآراء الشعب وآماله .

ثم ان رأى « هيوبر » سالف الاشارة اليه عن مفهوم النازية للاستفتاءات الشعبية ليثير المناقشة والتعليق فلقد ذكر « هيوبر » ان الفوهور مع سلطاته المطلقة يستطيع اجراء استفتاءات شعبية على أن يكون مفهومها لا يتعدى اعطاء الفرصة للشعب لتجديد مبايعته للزعيم والا تعني احلال قرار الشعب محل قرار الزعيم أو تنازله عن جزء من سلطاته للشعب . كذلك فلقد رأى هيوبر انه يحسن أن تكون الاستفتاءات لاحقة لقرار الفوهور المطلوب اختيار موافقة الشعب عليه لا سابقا عليه . والنتيجة الطبيعية التى تخرج بها من هـذه القيود التى فرضتها النازية على مبدأ الاستفتاء الشعبى هى أنها قد تعمدت اخراجه عن منطقة الديموقراطى السليم الى كونه مجرد مظاهرة سياسية مرتبة هدفها الدعاية الخارجية .

ولقد قام مبدأ « الزعيم » النازى ليناقض التعاليم الديمقراطية الغربية تماما . فلقد حرصت دساتير الغرب على مقاومة الانفرادية بكل صورها وذلك بالنص على الانتخاب الدورى لرئيس السلطة التنفيذية وبمبدأ فصل السلطات بينما كان المبدأ النازى « الزعيم » محبـذا للانفرادية ومغفلا حق الشعب فى الحكم على حكامه ومحاسبتهم (١) .

---

(١) اشتهر البارون مونتسيكيو الفرنسى بأنه أول من خرج بمبدأ فصل السلطات على أساس ان هذا الفصل هو الضمان الوحيد لعدم تسلط احداها على الأخرى ولمحاربة الحكم المطلق واهدار الحريات وعلى هدى تعاليم مونتسيكيو قامت دساتير الغرب على تقسيم السلطات وضرورة الفصل بينها .

أما مبدأ فصل السلطات فلم تعترف به النازية ودعاتها بدليل ان هتلر كان يشغل فى وقت واحد وظائف رئيس الدولة ورئيس حزبها السياسى الوحيد والرئيس الأعلى للجيش كما احتفظ لنفسه بحق نقض أحكام القضاء [1] .

ثالثا ــ تطبيق مبدا « الزعيم » :

من أبرز الملاحظات الملفتة لنظر الباحث ان النازية قد بدأت فى الدعوة لمبدأ « الزعيم » بعد وصول هتلر الى الحكم . أجل كان هتلر دائم الاشادة بالحكم المطلق منذ قيام الحزب النازى وفى « كفاحى » ولكن مبدأ الفوهور لم يرد سواء فى تعاليم « النظرة النازية الى العالم » أو ضمن برنامج هذا الحزب وقد يرجع السبب فى ذلك — فى اعتقادنا — الى انه لم يكن من الحكمة المناداة بأوتوقراطية الزعيم فى فترة الكفاح السياسى للدعوة وذلك لأن هتلر قد آل على نفسه بعد خروجه من السجن عام ١٩٢٥ أن يسير فى معركة التنافس البرلمانى بين الأحزاب ومثل هذا المبدأ كاف لاعطاء الأحزاب المنافسة ورقة رابحة وفرصة للهجوم على الحزب النازى وكشف أغراضه أمام الشعب . كذلك فانه بعد وصول النازية الى الحكم كان على دعاتها ايجاد المبررات لشكل الدولة المطلقة الجديدة ولقرارات هتلر التى اتسمت بالانفرادية فلم يجدوا خيرا من مبدأ الزعيم ليشرعوا له وليبنوا محاسنه وتمشية مع الفكر السياسى الألمانى القديم على النحو الذى عرضنا له .

Cory & Abraham Elements of a Democrtatic Hovermment. —
مرجع سابق صفحة ١٩٨

(١) مرجع سابق صفحة ٩٦ Murthy R. National Socialism.

ولقد اتضحت مظاهر تنفيذ مبدأ « الزعيم » فى القرارات التى أصدرها هتلر بعد وصوله الى الحكم وهى : —

أولا — القرار الصادر فى ٢٨ فبراير سنة ١٩٣٣ بتعطيل المواد ١١٤ و ١١٥ و ١١٧ و ١١٨ و ١٢٣ و ١٢٤ و ١٥٣ من دستور فيمار الصادر عام ١٩١٩ وكان نص هذه المواد بالترتيب متعلقا بعدم انتهاك الحرية الفردية واحترام قدسية المنازل ومراعاة سرية البريد والبرقيات والمواصلات التليفونية وحرية الكلام والنقاش وابداء الرأى وحرية تكوين الجمعيات السياسية وحرية الاجتماع السلمى وحق الملكية الفردية (١) .

ثانيا — فى ٢٤ مارس سنة ١٩٣٣ حصل هتلر على موافقة البرلمان على القانون التالى الذى خوله السلطات الاستثنائية : —

١ — يستطيع مجلس الوزراء أن يصدر القوانين دون اللجوء الى تصديق البرلمان .

٢ — يمكن لهذه القوانين أن تتحلل من الاجراءات الدستورية طالما انها لا تؤثر فى وضع البرلمان أو مجلس الوزراء أو مركز رئيس الجمهورية .

٣ — تعد هذه القوانين بواسطة مجلس الوزراء ويوقعها المستشار وتنشر فى الجريدة الرسمية .

٤ — المعاهدات التى يعقدها « الرايخ » لا تستلزم تصديق البرلمان (٢) .

---

(١) مرجع سابق صفحة ٦٣ Shirer The Rise & Fall of.

(٢) نص هذا القانون وارد فى الوثيقة المرفقة بكتاب : R. Murphy Natimal Socialism السالف الاشارة اليه صفحة ١٩٠

وبواسطة هذه القوانين بالاضافة الى ضم هتلر لاختصاصات رئيس الجمهورية عقب وفاته عام ١٩٣٤ تحققت له الزعامة المفردة لألمانيا . والذى يثير الانتباه هو انهذه القوانين التىعطلت الدستور الديموقراطى للدولة وسلمت مقاديرها الى يد هتلر المطلقة قد صدرت بالشكل الدستورى الذى يتطلبه هذا الدستور لتعديل القوانين وحصلت على الأغلبية اللازمة لاقرارها من البرلمان واعتمدها رئيس الجمهورية (١) .

هذه هى المبادىء الثلاثة التى قام عليها التنظيم السياسى الذى دعت اليه النازية ، ولقد اتخذ هذا التنظيم شكلا هرميا قاعدته مكونة من الشعب العنصرى القادر — فى نظر النازية — على تحمل أعباء العمل السياسى ثم الحزب النازى بوصفه الطبقة المختارة التى عينها الشعب فوقه لتكون همزة الوصل بينه وبين الزعيم . وعلى رأس هذا الهرم يقف الزعيم أو « الفوهرر » كصاحب الحق الأوحد فى سلطات الدولة ومقدراتها وفى آمال الشعب ومستقبله .

ويتولى هتلر الحكم فى يناير سنة ١٩٣٦ وايمانا منه بهذا التنظيم السياسى وأركانه فلقد سارع الى تحقيقه مزيلا كل العقبات التى اعترضت سبيله . ولم يحن منتصف عام ١٩٣٤ الا وأصبح هتلر السيد الأوحد للبلاد بعد القضاء على المعارضة وعلى الأحزاب وضم سلطات رئيس الجمهورية بعد وفاته (٢) . ويهمنا وفى ختام هذا الباب أن نعرض

---

(١) عللت الحكومة النازية هذه القوانين برغبتها فى القضاء على الحزب الشيوعى بعد حريق الريستستاج وكانت موافقة الأغلبية البرلمانية على هذه القوانين مشبعة بالعطف على اتجاهات الحكومة ضد الشيوعية أكثر من الخوف من الانفراد بالسلطة .
Clark. R.T. The fall of the German Republic Allan & Unwin London 1935P.116

(٢) تفصيل الانفراد بالحكم واردة فى الجزء الثانى من هذه الرسالة تحت عنوان « تحقيق الحكم المطلق » .

لمصير دستور فيمار الديمقراطية على يد الحكم النازى ثم الى التنظيم السياسى للدولة النازية وأخيرا لشكل الحكم النازى من بين الأشكال المعترف بها للحكومات الحديثة ،

اولا ـ الحكومة النازية ودستور فيمار :

فى ٣١ أغسطس سنة ١٩١٩ صدر دستور الجمهورية الألمانية الأولى عن الجمعية التأسيسية التى انتخبها الشعب والتى كانت تعقد اجتماعاتها فى مدينة فيمار (١) . ولقد أعد مواد هذا الدستور نخبة من كبار رجال القانون وأساتذة الجامعات فى ألمانيا وذلك على ضوء الدساتير الغربية وليحتوى على أحدث مبادىء القانون الدستورى حتى انه قيل « ان دستور فيمار كان أكثر الدساتير ديموقراطية فى القرن العشرين (٢) . فلقد أخذ الدستور الجديد فكرة الحكومة النيابية من انجلترا وفرنسا والسلطات الواسعة لرئيس الجمهورية من الولايات المتحدة ومبـدأ الاستفتاءات الشعبية من سويسرا وخرج محتويا على أهم مقومات الديموقراطية الغربية مثل سيادة الشعب صاحب السـلطة السياسية ومساواة الأفراد أمام القانون واحترام الحرية الشخصية وحرية الرأى والعقيدة وتأليف الجماعات كذلك أعطى الدستور رئيس الجمهورية سلطات استثنائية فى أحوال الضرورة وعلى العموم فلقد اتفق المعلقون على دستور فيمار بأنه فى ظله استطاع الألمانى أن يفخر بحريته المطلقة وبديموقراطية حكومته فى أحدث صورها (٣) .

---

(١) فيمار هى عاصمة اقليم ساكسون فى شمال شرق المانيا ولقـد اختيرت هذه المدينة التى اقترن بها الدستور الجديد بعد ذلك لبعدها عن مصادر القلاقل والاضطرابات التى انتشرت فى برلين عام ١٩١٩

مرجع سابق صفحة ٥٧ .Shirer W. The Rise and fall of Nazi Germany

(٢) نفس المرجع صفحة ٥٩ . (٣) نفس المرجع صفحة ٦١

وفى ظل دستور فيمار وصل هتلر لمنصب المستشارية وفى غمار اتجاهه الى تحقيق الحكم المطلق بادر الى تعطيل أهم مبادىء هذا الدستور بمقتضى القرارات التى حددت حرية المواطن وعطلت سلطات البرلمان وحققت للحزب النازى الانفراد بالحكم ولم يكتف دعاة النازية بتعطيل دستور فيمار وسلبه أهم مبادئه وانما اتجه بعضهم الى المناداة باصدار دستور نازى جديد للدولة وكان « أرنست هيوبر » أبرز من بحثوا هذا الأمر من بين دعاة النازية ففى كتابه عن « القانون الدستورى للرايخ الألمانى الكبير » انتقد « هيوبر » ضعف دستور فيمار لعدم احتوائه على أهم العناصر اللازمة لاقامة الرايخ الألمانى القوى مثل مبدأ الشعب العنصرى والحزب الواحد والزعيم صاحب السلطات المطلقة ثم بين « هيوبر » ان الحكومة النازية قد قامت بتصحيح هذا النقص بقوانينها الدستورية التى صدرت عام ١٩٣٣ ثم قال « هيوبر » « من الخطأ بعد صدور هذه القوانين اعتبار دستور فيمار قائما لأن الثورات من عادتها أن تحطم الدساتير السابقة ليحل محلها دساتير ثورية جديدة»(١). ثم اقترح دستورا جديدا لا يحتوى على « تعاليم ميتة » بل على « مبادىء حية » تحدد طبيعة النظام الدستورى الجديد على ألا تتسم بالجمود ولكنها — أى المبادىء — تظل فى حركة دائمة (٢) .

واقترح هيوبر أن يضم الدستور الجديد مبادىء النازية فى التنظيم السياسى وطالب بالغاء الانتخابات العامة والابقاء على الاستفتاءات ليكون هدفها الأوحد تجديد مبايعة الزعيم ورأى هيوبر الاستغناء عن

---

(١) Huber Ernst Verfassungsrecht des Grossdeutsches Reiches.
مرجع سابق صفحة ٩ و ١٠.

(٢) نفس المرجع صفحة ١٠

الريستستاج « مجلس النواب » حيث لم تعد له أية سلطات حاكمة وأيد قانون الغـاء الأحـزاب السياسية لأنه فى رأيه — يحقق دولة الحركة أو Bewegungsstaat وانه خطوة لتحقيق وحدة الحزب النازى والدولة ثم عرض الكاتب النازى لضرورة احتواء الدستور الجديد على مبادىء « النظرة النازية الى العالم » فيما يتعلق بالعنصر والتـربية والدين (١) .

الا انه ومع هذا التيار المطالب بالغاء دستور فيمار وانشاء دستور نازى جديد ومع ان قوانين عام ١٩٣٣ قد قضت عـلى أبرز المظاهر الديموقراطية لدستور فيمار فانه لم يثبت ان الحكومة النازية قد ألغت هذا الدستور واستبدلته بدستور جديد وبذلك بقى هيكل دسـتور فيمار أو ما تبقى من مبادئه ليستخدم كأداة من أدوات الدعاية النازية ولتستند اليه النازية لاظهار شرعية حكمها وديموقراطيته كلما عن لها ذلك .

ثانيا ــ التنظيم السياسى للدولة النازية :

كان « الزعيم » ممثل السلطة التشريعية ورئيس السلطة التنفيذية والمصدق « أو الناقض » لقرارات السلطة القضائية والقائد الأعلى للجيش الى جانب كونه زعيم الحزب السياسى الوحيد (٢) . ولعل هذه

(١) انظر جوانب « النظرة النازية الى العالم » فى مقدمة هذا الجزء.

(٢) اثر الانتخابات النازية التى قامت فى ١٢ نوفمبر ١٩٣٣ احتـل الحزب النازى ٩٢ ٪ من مقاعد البرلمان ثم ارتفعت هـــذه النسبة فى انتخابات عام ١٩٣٦ لتصل الى ٩٨,١ ٪ وبهذه النتائج أمكن اعتبار هتلر ممثل السلطة التشريعية على أساس كونه زعيم الحزب النـازى الذى يحتل مقاعد البرلمان اقرأ :

Ebenstein Williccm The Nazi State Farrar & Rinehart New-York 1943 P. 26.

المناصب التى شغلها هتلر لأبلغ دليل على امعان الحكومة النازية فى تطبيق مبدأ الزعيم ولقد ساعد هتلر على القيام بهذه المهام هيئات ادارية ثلاث كانت تعمل تحت اشرافه الشخصي وهى هيئة مستشارية الرايخ وهيئة مستشارية الرئاسة وهيئة مستشارية الحزب النازى . وكانت مهمة الأولى امداد الزعيم بكل المعلومات التى تتطلبها اصدار القرارات والتوقيع على القـوانين ومع استغناء هتلر التدريجى عن اجتماعات مجلس الوزراء بعد عام ١٩٣٤ زادت أهمية هذه الهيئة وأصبح رئيسها مسئولا عن دراسة مشروعات القوانين المقدمة من الوزارات والمصالح والهيئات وابداء الرأى فيها قبل عرضها على الزعيم وذلك فيما عدا قرارات القيادة العسكرية العليا ولقد وصل رئيس هذه الهيئة الى درجة وزير وأصبح عضوا فى الوزارة للشئون التشريعية عام ١٩٣٨ [١] . والهيئة الثانية كانت تلقب بمستشارية الرئاسة وانحصرت مهمتها فى رعاية واجبات الزعيم كرئيس للدولة فيما اختص بأمور البروتوكول والاحتفالات والشئون الدبلوماسية والعلاقات الخارجية كذلك كانت الهيئة المختصة بتسلم الشكاوى وطلبات العفو . وكان رئيسها بدرجة وزير ولكنه لم يكن عضـوا فى الوزارة [٢] . وأخـيرا كانت هيئة مستشارية الحزب النازى قائمة لمساعدة هتلر فى معالجة شئون الحزب النازى وأهم وظائفها ابداء الرأى فى تعيين كبار رجال الحكومة فى الداخل والخارج .

ولقد شغل Rudllf Hess منصب نائب « الزعيم » لشئون الحزب النازى وذلك منذ عام ١٩٣٦ وحتى فر الى انجلترا عام ١٩٤١ ولم يعين

---

(١) نفس المرجع صفحة ٢٤
(٢) نفس المرجع صفحة ٢٥

هتلر خلفا له الا أن مكتب « نائب الفوهرر » ظل قائما تحت اشراف Martin Borman وأهم اختصاصات نائب الفوهرر كانت متعلقة بمراقبة متعلقة بمراقبة تطور وحدة الحزب والدولة فى كافة الأمـور المتعلقة بالتشريعيات والادارة كذلك كان عليه مراقبة انتشار المبادىء النازية بين موظفى الحكومة وتطعيم أجهزتها برجال الحزب وكان نائب الفوهرر عضوا فى الوزارة وله حق مناقشة القوانين والاعتراض على ما لا يتفق وسياسة الحزب منها (١) .

أما مجلس الوزراء فلقد تكون فى العهد النازى من خمسة عشر وزيرا للوزارات الخارجية ، الداخلية ، الدعاية ، الطيران ، الخزانة ، العدل ، الاقتصاد ، التموين ، الزرعة ، العمل ، العلم ، التعليم وشئون الكنيسة ، المواصلات ، البريد ، التلغراف ، الغابات ، الامدادات الحربية ومن بين هـذه الوزارات كانت الدعاية والطيران وشئون الكنيسة والعلم والتعليم ؛ والامدادات الحربية وزارات جديدة أنشأها الحكم النازى . ولما تولى هتلر الحكم عام ١٩٣٣ لم تتعد المناصب النازية فى الوزارة منصبين هما وزير الطيران « جورنج » ووزير الداخلية « فريك » وبعد حوادث القضاء على المعارضة وقوانين الانفراد بالحكم لم يجد أعضاء الوزارة المثلين لحزبى الوطنى والوسـط المسيحى خـيرا من اعلان انضمامهم الى الحـزب النازى وذلك فيما عـدا نائب المستشار Von Pappen الذى عين سفيرا فى النمسا عام ١٩٣٤ واحتفظ هتلر بهؤلاء الوزراء — بعد التأكد من ولائهم — وخلع عليهم الوسـام

(١) المرجع السابق صفحة ٢٨ Ebenstein

الذهبى للحزب النازى فى ١٣ سبتمبر سنة ١٩٣٧ (١) وبذلك أصبح مجلس الوزراء مكونا من أعضـــاء يرتبطون بهتلر بعلاقتين : كونه رئيس الوزراء وكونه رئيس الحزب الذى ينتمون اليه وبمقتضى العلاقة الأولى كان يحق لمجلس الوزراء مناقشة القوانين والقرارات المعروضة عليه قبـــل الموافقة عليها اما لكون أعضاء المجلس ملتزمين بالطاعة العمياء لزعيم الحزب فان القرارات والقوانين لم تصدر الا طبقا للمشيئة الهتلرية سواء ما كان منها فى حضور مجلس الوزراء أو فى غيبته ومن هنا انتفت الحاجة تدريجيا من اجتماعات مجلس الوزراء وانفرد كل وزير — حسب علاقته بالزعيم — بالحصول على موافقته فى اصدار القرارات الخاصة بوزارته دون علم بقية الوزراء الأمر الذى أدى الى تضارب الاختصاصات بين الوزارات وعدم التنسيق بين أعمالها وهى نتيجة حتمية لمركزية السلطة والانفراد بالحكم (١) .

وفى ٣٠ أغسطس ســـنة ١٩٣٩ أنشىء المجلس الوزارى للدفاع برئاسة « هرمان جورنج » وبعضوية نائب الفوهرر لشئون الحـــزب Rudolph Hess ووزير الداخلية Frick ووزير الاقتصاد Funk ورئيس القيادة العليا للجيش Gen; Keitel ورئيس هيئة مستشارية الرايخ Lammers (٢) وكان جورنج مســـئولا عن تنفيـــذ برنامج السنوات الأربع للتنمية والاكتفاء الذاتى وهيس ممثلا للحزب أما فريك فلقد أعطى اختصاصات الاشراف التام على وزارات الداخلية والعدل

(١) المرجع السابق صفحة ٢٨ Eberstein The Nazi, State.

(٢) Meinecke Friedrick The German Catastrorhe (Translated by B. Fay) Harverd University Press 1951 P. 33 .

(٣) المرجع السابق صفحة ٤١ . Ebenstein.

والعلم وشئون الكنيسة والمكتب الوطنى للتخطيط بينما أشرف فانك على كافة المنشآت الاقتصادية التى لا تخضع لبرنامج الاكتفاء الذاتى أى انه يمكن القول بأن تشكيل هذا المجلس — باستثناء الشئون الخارجية والعسكرية — قد أعطاه حق الاشراف على أهم فروع النشاط فى الدولة ولقد زاد تغلغل هذا المجلس فى ادارة شئون البلاد مع انشغال هتلر بالمسائل العسكرية أثناء الحرب وأصبح — وعلى الأخص جورنج وفريك وكيتل — أعلى سلطة تنفيذية بعد « الفوهرر » فى البلاد (١) .

أما البرلمان فلقد أصبح جهازا معطلا نتيجة القضاء على الأحزاب ثم تنزيته نهائيا فى نهاية عام ١٩٣٣ فلقد حولت الحكومة نظام الانتخاب المباشر الى نظام للانتخاب بالقائمة أجريت على أساسه انتخابات ١٢ نوفمبر سنة ١٩٣٣ وأسفرت عن فوز « قائمة مرشحى الحكومة بـ ٩٢٪ من أصوات الناخبين . ثم ارتفعت هذه النسبة لتصل الى ٩٩٫٨٪ فى انتخابات عام ١٩٣٦ (٢) .

وكما حدث بالنسبة لمجلس الوزراء كان أعضاء البرلمان بصفتهم أعضاء فى الحزب النازى خاضعين للفوهرر بمقتضى مبدأ الزعيم . لذلك [illegible] البرلمان الألمانى [illegible] العهد النازى [illegible] (٢) هتلر سلطاته التشريعية [illegible] Ebenstein [illegible] البرلمان [illegible] ١٩٣٣ حتى [illegible]

---

(١) Ebenstein [illegible] ٨ المرجع السابق صفحة ٤٧ ان هؤلاء الثلاثة كانوا يكونون شبه مجلس داخل المجلس الوزارى للدفاع وبذلك أصبحوا المرجع الأساسى فى أهم قرارات السياسة الداخلية . [illegible] Harvard University Press 1951 p. 44 [illegible]

(٢) Ebenstein مرجع سابق صفحة ٤٦٩ U. N. E. S. C. O. The Third Reich.

١٩٤٣ ستة عشر جلسة وذلك فى المناسبات التى كان هتلر يرى فيها القاء الخطب وكانت جلساته تبدأ بتحية رئيس المجلس للزعيم وتقديمه الى النواب الذين كانوا يقابلون ذلك بالتهليل والهتاف والتصفيق . ثم يلقى « هتلر » خطابه الذى يقاطع بالاستحسان والتصفيق وتنتهى الجلسة بانتهاء هتلر من كلامه وبخروجه من قاعة البرلمان محاطا بمظاهر الحفاوة والتأييد [١] . وبمناسبة الكلام عن البرلمان النازى يحضرنا قول Ernst Hubre الذى وصفه مادحا « لا يشبه الريشتستاج النازى البرلمانات الأخرى وينفرد عنها فى مساعدة الزعيم لشق طريقه نحو تحقيق أهداف البلاد بدلا من عرقلة قراراته والبعد بها عن غايات الدولة العليا [٢] . وتتضح مدى حقيقة هذا الوصف اذا ما علمنا انه حتى فى برلمانات روسيا السوفيتية وايطاليا الفاشستية كان للنواب حق الكلام معبرين عن تأييدهم لسياسة الحكومة أما فى البرلمان النازى فلم يسمح للنواب الا بالتصفيق والهتاف الجماعى للتأييد .

ومما تقدم يتضح لنا ان الحكم النازى قد قام بتطبيق المبادىء السياسية لدعوته ولكنه بينما حظى مبدأ « الفولك » بأقل نصيب من

---

(١) يقول Ebenstein تأييدا لرأيه ان البرلمان قد عقد ثمان جلسات لسماع الخطب الهتلرية الآتية :

عام ١٩٣٤ بشأن القضاء على الشيوعية والمعاوضة وعام ١٩٣٥ بشأن اعلان نقض معاهدة فرساى وعام ١٩٣٦ بشأن نقض معاهدة لوكارنو وعام ١٩٢٨ بشأن ضم النمسا وعام ١٩٢٩ بشأن اعلان الحرب مع بولندا وعام ١٩٤٠ بشأن مطالبة انجلترا للاستسلام بعد فرنسا وعام ١٩٤١ بشأن اعلان الحرب مع الولايات المتحدة وعام ١٩٤٢ بشأن تبرير فشل الحملة العسكرية فى روسيا .

اقرأ Ebenstein المرجع السابق صفحة ٥٠

(٢) مرجع سابق صفحة ١١٦ Huber Verfassungsrecht...........

التطبيق فلقد حظى الحزب النازى بمرتبة « الطبقة المختارة للحكم » أما مبدأ الزعيم فلقد كان أوفر المبادىء السياسية النازية حظا اذ كان — بحق — عماد التنظيم السياسى للحكم النازى .

ثالثا ـ تعريف الحكم النازى :

اتجه المعلقون على « النازية » لمحاولة تعريف شكل الحكم النازى بخصائصه السالفة وتلخصت آرائهم فى اعتباره اما صورة من صور الحكم المطلق أو مثلا من أمثلة الديكتاتوريات الحديثة أو أحد أشكال الحكم الشامل .

ولقد ذهب Gory & Abraham الى اعتبار الحكم النازى صورة من صــور الحكم المطلق وبينا ان المعنى المفهوم من الحكم المطلق « هو تجميع السلطات فى أيد معدودة لا تستند فى قراراتها علىَ الجهاز الدستورى فى الدولة » (١) . ولم يكن « الحكم المطلق » صورة جديدة من صور الحكم انفردت بها ألمانيا النازية وانما يرجع تاريخه الى حكم الاقطاع فى أوروبا قبل الثورات التحررية بل وما زال البعض يدفع الحكومات التى تستأثر بسلطات الدولة بالاتجاه نحو الحكم المطلق حتى فى بعض الدول التى تسير على هدى الدساتير الديمقراطية (٢) . لذلك فاننا نعتقد بأن وصف الحكم النازى « بالحكم المطلق » انما يتسم بالسطحية ويعتبر أبسط ما يمكن أن يطلق عليه من الأوصاف .

---

(١) مرجع سابق صفحة ٩٢

Gory & Abraham Elements of a Democratic Government.

(٢) لعل الشاهد على ذلك هو حكم ديجول القائم فى فرنسا فبالرغم من تمتع هذا البلد بكل الخصائص الديموقراطية الا أن الملاحظ هو أن أهم القرارات التى تستهدف حل مشكلات فرنسا الحديثـــة أو ابراز كيانها فى المحيط الدولى تتسم بالديجولية البحتة .

ويغلب على المعلقين عن النازية الرأى فى اعتبار الحكم النازى مثلا من أمثلة الديكتاتورية الحديثة (١) . ويميل بعضهم الى قياس الديكتاتورية القائمة حاليا فى بعض البلاد بالتنظيم السياسى فى ألمانيا النازية الا أن وصف الحكم النازى بالديكتاتورية وان كان يتمتع عن الوصف الأول بشىء أكثر من التخصيص الا أنه يفتقر هو الآخر الى الدقة سيما وان الحكومة النازية قد حرصت على الابقاء على بعض المظاهر الديموقراطية ولو على سبيل الشكل فلقد استمر البرلمان الألمانى فى عقد جلساته ولم تلغ ألمانيا النازية دستور فيمار وان عطلت أهم مواده واستمر العمل بنظام الاستفتاء الشعبى وان فقد مقوماته الديموقراطية وكل هذه المظاهر لا تحرص الديكتاتورية الأصيلة على الابقاء عليها .

ولعل أدق ما صدر من أوصاف للحكم النازى هو الذى أورده Sabine حينما وصفه بأنه أحد أشكال الحكم الشامل للدولة Totalitarinism وبمقتضى هذا النظام تقوم الدولة بتوجيه مختلف أنواع النشاط الفردى والجماعى وتعبئته لمقاصد سياسية وعسكرية معينة (٢) . ويستطرد « سابين » بأن الحكومة الشاملة تتجه الى اطلاق يدها فى التشريع والتنفيذ والاقتصاد . ومثل هذه الحكومة — فى رأيه — لا تطيق المعارضة فتحل الأحزاب وتعيد تكوين الجماعات

---

(١) Ebenstein William Today's ISMS Princeton University 1955 P. 32.
Bulloc Allan Hitler: a study in Tyranny Bartam New-York 1956 P. 21.
Roper. Trevor The Last days of Hitler Berkley Medaillon New-York 1947 P. 14.
Shirrer William The Rise and Fall of The Third Reich.

(٢) مرجع سابق صفحة ٨٨٩ Sabine George History of Political Theory

والنقابات لتكون تحت اشرافها الكامل .. ولتطبيق « الشمولية » يعتمد الحاكم على مجموعة معينة من الأفراد المقربين وبتركهم فى خدمته دون تحديد لاختصاصاتهم [1] ولقد عبر هذا الوصف عن التنظيم السياسى للحكم النازى أبلغ تعبير اذ ان الحكومة النازية قد سلكت مختلف السبل التى قادتها الى « الشمولية » وحتى تضارب الاختصاصات السائدة فى دولة الحكم الشامل رآها « جوبلز » فى الحكم النازى حين قال :

« اننا نعيش فى دولة لم تحدد فيها اختصاصات الادارة ، لذلك فان سياستنا الداخلية تعانى من مشاكل التنظيم والادارة » [2] .

والواقع ان محاولة البحث وراء الصفة السياسية للحكم النازى تعرض الباحث لمناقشات وبحوث طويلة وذلك ليصل الى نتيجة لم يعترض عليها حتى دعـاة النازية أنفسهم فسواء كان الحـكم النازى مطلقا أو ديكتاتوريا أو شاملا فان دعاة النازية لم يبذلوا محاولات جـدية لتبرير ديموقراطية حكومتهم بل ولم يأبهوا للأوصاف اللاديموقراطية التى هاجمهم بها أعداء النظام النازى .

لذلك فان التعريف الواقعى للحـكم النازى فى رأينا هـو انه ذلكم النظام الذى ارتآه هتلر لضمان سيطرته الدائمة على الحكومة وسيطرة الحكومة على الشعب وان النتائج التى وصل اليها الحكم النازى فى مجالات الاقتصاد والسياسة الخارجية لتوضح بما لا يدع مجالا للشك بأن هذه الحكومة ما كانت لتحقق أهدافها الا فى ظل حكم الارادة المفردة .

---

(١) نفس المرجع صفحة ٨٩٠.

(٢) مرجع سابق صفحة ٢٩٨ . Quoted by Murphy National Socialism

الباب الثالث

النازية والدين المسيحي

تعرضت الدعوة النازية ضمن تعاليمها ، للدين ، ولقد ظهر ذلك صراحة فى « المفهوم النازى للعالم » وفى أقوال هتلر وآرائه ثم فى برنامج الحزب النازى .. بل وتعدت المبادىء النازية الدين فى محاولات بعض دعاتها الخروج بتعاليم أطلقوا عليها « دين الرايخ الجديد » .

ففى شرح « المفهوم النازى للعالم » قال هتلر :

« اننا نحترم حرية المعتقدات الدينية ومذاهبها ولكنه اذا اختلفت نظرتنا الى العالم مع المفاهيم الدينية للكنيسة فيجب على هذه الأخيرة أن تسير معنا فى دعوتنا الوطنية العنصرية » [1] .

ولا يتضح من هذه العبارات اتجاه النازية الى الدعوة — ضمن دعوتها — الى الاصلاح الدينى بقدر ما يفهم منها انها تحذير رجال الدين من التعرض للايديولوجية النازية وعلى الأخص ما كان منها متصلا بالعنصر والوطن والواقع ان عبارات هتلر فى « كفاحى » قد اتسمت بالاعتدال النسبى فيما يتعلق بالمعتقدات الدينية التى لم تحتل من نقده وهجومه ما احتلته المبادىء السياسية والوطنية والعنصرية السائدة فى ألمانيا فى ذلك الوقت اللهم الا هجومه اللاذع على ما أسماه بالمسيحية السياسية وعرفها باتجاه بعض رجال الكنيسة الكاثوليكية

---

(١) مرجع سابق صفحة ٤٥٢ Hitler, Mein Kapmf,

للاشتراك فى السياسة عن طريق تأييد الأحزاب الكاثوليكية ومؤازرتها .. عن هذه المسيحية السياسية « قال هتلر » :

« هؤلاء الذين يتخذون من مسوح الرهبنة ستارا لاخفاء مطامعهم الدنيوية للسطوة السياسية والسلطان انما يرتكبون أحط الجرائم فى حق الوطن والكنيسة » (١) .

ثم عاد هتلر ليؤكد بعد الدعوة النازية عن كيان التعاليم الدينية السائدة فقال :

« ترفض حركتنا بشدة أن تتخذ أى موقف فى أية مشكلات خارجة عن نطاق عملها السياسى ولا تشكل غرضا أساسيا من أغراض هذا العمل .. ولا تتخذ أغراض الحركة بأى حال شكل الاصلاح الدينى ولكنها تكمل نفسها لتكون شكلا جديدا للتنظيم القومى والسياسى لشعبنا » (٢) .

ولقد نصت المادة (٢٤) من برنامج الحزب النازى على ما يلى : —

« اننا نعترف بحرية العقائد الدينية فى الدولة ما دامت لا تهدد سلامة الدولة ولا تصطدم بالعادات الألمانية ومعنويات العنصر الألمانى .. والحزب النازى نفسه يمثل فكرة المسيحية الايجابية دون أن يرتبط فى ميدان العقيدة الدينية بأية كنيسة » (٣) .

من أقوال هتلر وبرنامج الحزب يتضح ان الدعوة النازية قد لخصت موقفها بالنسبة للدين فى النقاط الآتية : —

---

(١) المرجع السابق صفحة ٤٧٣ Hitler Mein Kapmf,

(٢) المرجع السابق صفحة ٥٨٣ Hitler Mein Kapmf,

(٣) المرجع السابق صفحة ٢٢ .

Feder Gottfreid, Dass Pregramme der Nsdap.

١ — الاعتراف بحرية العقائد الدينية بشرط عدم تعارضها مع العادات الألمانية ومعنويات العنصر الألمانى .. أما العادات الألمانية فقد يكون المقصود بها تلك التقاليد العسكرية الموروثة للشعب الألمانى واستعداده التقليدى للحرب والتضحية والفداء من واقع تاريخه وباعتباره من سلالة النورديكية أو الآرية . وأما معنويات العنصر الألمانى فمعناها الواضح هو مساندة الكنيسة للنظريات النازية العنصرية وعدم معارضتها بمعنى أن النازية قد تعهدت بمقتضى برنامج حزبها بعدم التعرض للكنيسة الكاثوليكية والبروتستانتية اذا ما قامتا بتأييد « النظرة النازية بمفهومها العنصرى » أو على الأقل ضمنت عدم معارضتها لها ..

٢ — الحزب النازى يمثل فكرة المسيحية الايجابية .. ولقد ظهر تعبير « المسيحية الايجابية » بدون تفسير محدد حتى وصول النازية الى الحكم حيث اتضحت معالم المسيحية الايجابية باجراءات الدولة للتقييد من حرية الكنيسة الكاثوليكية والبروتستانتية ومحاولة الربط بينهما فى كنيسة واحدة يطلق عليها اسم « كنيسة الرايخ » وتقوم تعاليمها على الربط بين المبادىء الدينية التقليدية وتعاليم النظرة النازية الى العالم .

ولقد وقفت الكنيستان الكاثوليكية والبروتستانتية من النازية وتعاليمها موقف الحذر حتى وصل الحزب الى الحكم وهنا اشتعلت الحرب واضحة بين الحزب النازى ومنظماته والحكومة من ناحية ورجال الكنيستين من ناحية أخرى .

وفى هذه الحرب استخدمت النازية وحكومتها كل وسائلها من مفاوضات وقمع واضطهاد وسجن وقتل لارغام رجال الكنيستين على

الخضوع لمبدأ ادارة الدولة لشئون الدين وانشاء كنيسة الدولة برئاسة « أسقف الرايخ » .

وفيما يلى نعرض للخلاف بين النازية وكل من هذين المذهبين المسيحيين وما وصلت اليه الحكومة النازية من نتائج لفرض سيطرتها على الكنائس وفى ختام هذا الباب سنحاول استخلاص الأسباب الحقيقية التى اختفت وراء هذا الصراع .

الفصل الأول

النازية والكنيسة الكاثوليكية

فى ١٣ مايو سنة ١٩٣٤ ظهر الاحصاء الأول للحكومة النازية معلنا الحقائق الآتية (1) : —

١ — ان تعداد الشعب الألمانى بلغ ٥٦ر٢٧٠ر٠٠٠ نسمة .

٢ — ان معتنقى الديانة المسيحية الكاثوليكية « بالمولد » بلغ عددهم ٨ر٢٦٠ر٣٥١ نسمة .

٣ — ان معتنقى الديانة المسيحية البروتستانتية (الافانجيلية) « بالمولد » بلغ عددهم ٤٢ر١٤٠ر٢١١ نسمة .

٤ — ان الزيادة النسبية فى عدد سكان ألمانيا قد وصلت الى حوالى نصف مليون نسمة سنويا .

ومن هذا الاحصاء يتضح لنا ان اتباع الكنيسة الكاثوليكية لم تزد نسبتهم عن حوالى ١٣٪ من عدد سكان الرايخ فى حين وصلت نسبة معتنقى المذهب البروتستانتى الى حوالى ٧٥٪ من مجموع السكان . أما الباقى ويبلغون حوالى ١٢٪ فلقد كانوا أقليات أجنبية من يهود وعرب وهنود ويابانيين وايرانيين وصينيين تعيش الى جانب مجموعة من الشعب الألمانى هم أولئك الذين لم يهتموا بالانخراط فى سلك التبعية لاحدى الكنائس المسيحية .

(1) مرجع سابق صفحة ٧٨ Dunlop John, Ashort History of Germany,

وتقودنا هذه النتيجة الى أن الكاثوليكية وأتباعها فى ألمانيا كانوا أقلية بالمقارنة بأنصار المذهب البروتستانتى وبالرغم من ذلك فلقد كان للكنيسة الكاثوليكية نفوذها وسلطانها بحيث أثرت على الحياة السياسية فى ألمانيا .. فى الوقت الذى لم تكن فيه للكنيسة البروتستانتية هـذه القوة والسلطان . ويرجع السبب فى ذلك الى عوامل كثيرة أهمها أن الأقلية الكاثوليكية كانت أكثر تنظيما وتتبع كنيسة واحدة هى كنيسة البابا فى روما ، بينما قسمت المذاهب والمشاحنات المذهب البروتستانتى الى كنائس متفرقة يناصب بعضها البعض العداء ولا تتمتع بوحـدة القيـادة (١) .

١ ـ مآخذ النازية على الكاثوليكية :

انحصر هجوم هتلر على الكاثوليكية فى « كفاحى » فى ثلاث نواح هى : فشل الكنيسة فى الاعتراف بالواجب العنصرى ، ثم عجز الكنيسة عن الاعتراف بالروح الوطنية ، وأخيرا اشتغال الكنيسة بالسياسة ، وعلى ألسنة دعاة النازية بعد هتلر أضيفت الى هذه المآخذ بنود جديدة تشمل الارساليات الدينية والبابوية ونوادى « الأحد » الكاثوليكية .

أ ـ الكاثوليكية والمبادىء العنصرية النازية :

بالرغم من عدم تعرض رجال الكنيسة الكاثوليكية للنازية ومبادئها الا انهم لم يتمكنوا من السكوت على تيارات التعصب العنصرية التى

---

(١) كانت أهم الكنائس البروتستانتية اثنتان هما :Baptist و Methodist ولم يكن اتباع هاتين الكنيستين ليتعدوا الـ ١٥٠،٠٠٠ نسمة بينما انقسم بقية البروتستانت فيما بينهم ليخضعوا الى حوالى ٢٨ كنيسة المرجع السابق صفحة ٢٣٥

Shirrer William, The Rise anf Fall of The Third Reich,

انتشرت فى ربوع الشعب الألمانى بفعل الدعاية النازية . وكانت الكاثوليكية فى هذا السبيل تتخذ موقف المعارضة من المبادىء النازية فى التفوق العنصرى واللاسامية مستندة فى ذلك الى تعاليم السيد المسيح التى تقضى بعدم التفريق بين الأجناس ومساواتها أمام الخالق .

ولهذا الموقف من الكنيسة الكاثوليكية قال هتلر :

« ان الكنيسة الكاثوليكية لتجرم فى حق الخالق اذ تحصر تعاليمها فى تنقية الروح .. وترك ممثل هذه الروح وهو الرجل حرا فى الانحدار بأصله وعنصره » (١) .

وقال روزنبرج :

« أولى بقساوسة الكاثوليك أن يؤدوا واجبهم الذى يعيشون من ايراده تجاه الأمة الألمانية وذلك بأن يبصروها بالقيم العنصرية التى تحفزنا للابقاء على مقوماتها الوطنية الفتية » (٢) .

وبالاضافة الى النظريات العنصرية النازية على وجه العموم فلقد ثار رجال الكنيسة الكاثوليكية وهاجموا ما ذهبت اليه النازية فى تبرير « التعقيم » كحل لمشكلة تلوث العنصر . فلقد كان من رأى النازية انه يحق للدولة أن تفرض التعقيم على غير الأصحاء أو ذوى النسل المختلط أو كل من ترى أن نسله قد يضير بالمجتمع ويشوب نقاء الأجيال القادمة وقد كانت تلك الدعوة — فى رأى رجال الدين — اخلالا بحقوق الخالق وتدخلا فى ملكوته وسلطانه لذلك قاومت الكنيسة الكاثوليكية الدعوة النازية وقام أساقفتها بتفنيد أسس مبادئها العنصرية .

(١) مرجع سابق صفحة ٤٥٥ Hitler, Mein Kamff,

(٢) مرجع سابق صفحة ١٦٧ A. Rosenberg, Der Mythus.........

ولتبرير نظريتهم والاحتجاج على موقف الكنيسة هذا قال جوبلز :

« كيف لا تعترف الكنيسة بالحقيقة الواضحة القائلة بأن التقـدم لا يرتجى من مجتمع تنهش فيه الأمراض العنصرية .. أو أمراض الجنس وشلل الأطفـال والعرج والعمى .. وكل هذا يحدث أمـام الكنيسة ولا تعترض عليه بل وتبارك الزيجات من هذه الأنواع فترتكب بذلك أكبر عرقلة فى تقدم الجنس الألمانى القوى [1] .

ب ـ الكنيسة والروح الوطنية النازية :

هاجمت النازية افتقار الكنيسة الكاثوليكية للروح الألمانية الوطنية وذلك فى أن الكنيسة تخضع لادارة روما وتدين بالولاء للبابا الذى هو آجنبى عن البلاد ، وان الكنيسة قد باركت معاهدة « فرساى » ولم تشترك أو تحث على أى عمل من أعمال مقاومة « الفضيحة » أو « المؤامرة » التى أمليت على ألمانيا ووقعها « الخونة » الألمان .

ولقد كانت النازية فخورة بكونها لسان الوطنية الألمانية الأصيلة التى تحارب المبادىء المستوردة وأى شكل من أشكال تدخل الغير فى شئون ألمانيا واعتبرت الكنيسة الكاثوليكية واتباعها ان هم الا دولة تخضع لسلطان الأجنبى وتقع داخل الدولة الألمانية ، ولا يمكن لها ما دامت واقعة تحت سلطان روما أن تتفهم أو تشارك فى المقتضيات الوطنية للبلاد ولقد عبر هتلر عن ذلك بقوله :

« ان القس الكاثوليكى لا يعمـل الا من وحى معدته التى اذا خوت فانها تطلب المزيد من الاعترافات للحصول على المال أو الهبات

---

(1) N. Gangulee, Mind and Face of Nazi Germany, London, 1942 P. 63.

أو القرابين ولا يعيش الا من وحى سيده القابع فى الفاتيكان فهو الذى يملك حاضره ومستقبله »[1] .

ومن أجل معاهدة « فرساى » كانت الكنيسة الكاثوليكية ضمن من هاجمتهم النازية ، فلقد قال جوبلز :

« .. وكانت الكنيسة مع المتآمرين .. بل اننا نعتبر وزرها فى ذلك أكثر من الباقين لأنها وهى تعلم مدى قسوة المعاهدة واذلالها للشعب الألمانى لم تقم حتى بمهمة التبصير باضرارها أو طلب الغفران للذين وقعوها بل هلل أساقفتها وكبروا للمعاهدة .. وبالطبع لم يكن تهليلهم ذلك الا بوحى من السيد « فى روما » [2] .

جـ ــ النازية والمسيحية السياسية :

فى « كفاحى » هاجم هتلر ما أسماه « الكاثوليكية السياسية » .. Politisher Katholicismus فقال :

« لا يمكن للمرء أن يتهاوى مع هؤلاء الاتهازيين الذين يتخذون من الدين وسيلة للوصول الى مكاسب سياسية .. أصحاب الأفواه الكاذبة الذين يرفعون من أصواتهم لا بقصد اظهار نياتهم فى الموت فى سبيل رسالتهم الدينية ولكن بقصد المتاجرة فى الكلام لتحسين مستوياتهم المادية . انهم مستعدون لخيانة معتقداتهم مقابل أى مكسب سياسى .. انهم مستعدون لتوقيع معاهدة مع الماركسيين وهم أعداء الدين مقابل عشر مقاعد فى البرلمان بل ويتحالفون مع الشيطان مقابل منصب « وزير بلا وزارة » [3] .

---

(١) Sales waul De Roussy: Hitler, My neq Order, Reynal & Hitchcock New York 1941 P. 73.

(٢) Heiden Monrad, A History of National Socialism, Harold Steamer London 1934, P. 116.

(٣) Hitler, Mein Kampf, p. 479.

ولقد قصد هتلر من كلامه هذا توجيه النقد لرجال الدين الكاثوليكى الذين يؤيدون الأحزاب السياسية (١) .

واذا كان هتلر لم يفصح عن حقيقة نقده مؤازرة رجال الكنيسة الكاثوليكية لبعض رجال الأحزاب الألمانية فلقد أعلنها روزنبرج علنا فى كتابه (Mythus) حين قال :

« لقد وضع حزب الوسط مطالب الدين قبل مطالب الأمة .. واذا ما اختلطت السياسة بالدين فان جسد الأمة ينفصل عن روحها » .. « وان اقامة حزب ينادى بمصالح الكنيسة لهو جريمة لأن أعضاءه يتسترون بالدين لاخفاء حقيقة مناوراتهم السياسية ومصالحهم المادية .. وواجب النازية أن تقنع الأجيال القادمة بخطورة هذه المحاولات واعتبارها أعظم خيانة فى حق الوطن » (٢) .

د ـ البابوية :

وبجانب نقد تبعية الكنيسة الكاثوليكية للسلطة البابوية الخارجية اتجه بعض دعاة النازية الى الهجوم على شخص البابا وعلى فكرة البابوية كاحدى معتقدات الكنيسة الكاثوليكية .

فلقد هاجم روزنبرج فى جريدة الحزب الرسمية Der Angriff

---

(١) كان حزب الوسط الكاثوليكى Center يضع فى مقدمة أهدافه خدمة الكنيسة لذلك فقد اتجه اغلب أساقفة الكاثوليك الى اظهار تأييدهم العلنى للحزب بل واشترك بعض الأساقفة فيه ودخل بعضهم البرلمان نوابا عنه .

اقرأ بحث Robert d'Harcourt أستاذ المعهد الكاثوليكى فى باريس : ـ مرجع سابق صفحة ٧٩٧ ـ ٨١١ U. N. E. S. C. O.: The Third Reich

(٢) المرجع السابق صفحة ١٦٥ A. Rosenberg, Der Mythus des.........

البابا Pius IX : واتهمه بأنه المسئول عما يحدث فى أوروبا من فساد خلقى وسياسى وقال :

« ان البابا لا يزيد عن كونه طبيب ساحر Whitch Doctor ومسيحية روما تتجه الى محو تعاليم المسيح الحقيقية واحلال سيطرة الكهنة والبابا محل شخص المسيح (١) .

هـ ــ الارساليات الكاثوليكية :

وهاجم روزنبرج فى كتابه (Mythus) فكرة بعثات التبشير الكاثوليكية وذلك من ناحيتين :

الأولى — انها تمثل فكرة « عالمية الكنيسة » وهى فكرة تناهضها النازية بمبدأ « ألمانية الكنيسة » .. وعالمية الكنيسة تعنى انتشار نفوذ الكنيسة الكاثوليكية خارج ألمانيا مع استمرارها فى الخضوع لسلطان البابا أى ان عالمية الكنيسة ترمى الى نشر الكاثوليكية خدمة للبابا ولفرط توسيع رقعة سلطانه .

« أما ألمانية الكنيسة » فتعنى — فى رأى روزنبرج — انفصال الكنيسة عن السلطان الخارجى وان يكون نشاطها الخارجى تابعا من وحى خدمة الدولة الألمانية وأهدافها .

والناحية الثانية — ان مجهودات رجال التبشير نفسها التى ترمى الى التغلغل فى الشعوب الافريقية « الهمجية » لتعليمها ورفع مستوياتها الاجتماعية والدينية عمل — فى رأى روزنبرج — لا طائل من ورائه لسببين أولهما ان هذه الشعوب قد كتب عليها التأخر والاستعمار .. والعمل على رفع مستواها قد يدفعها الى مقاومة السادة البيض ..

---

(١) المرجع السابق صفحة ٦٧٣ Unesco. The Third Reich,

والثانى ان هؤلاء المبعوثين الدينيين يتركون مجال العمل الوطنى فى بلادهم وهى أكثر احتياجا لنشاطهم من هـذه البـلدان الافريقية المتأخرة (١) .

وعلاوة على هذه المآخذ فقد انتقدت النازية نوادى « الأحـد » الكاثوليكية اذ هى فى نظرها تفسد عقول الشباب وتقصى تفكيرهم عن واجباتهم الوطنية ولم تقتصر الدعوة النازية على مؤاخذة الكنيسة الكاثوليكية وانتقادها بل عمدت منظمات الشباب النازية الى التشهير بأخلاق الأساقفة مستغلة بعض القصص عن انحراف بعضهم أو تمتع البعض الآخر بالمتع الدنيوية وراء وعظهم وكتمانهم .

ولقد شجع هتلر نفسه هذا الاتجاه على التشهير وذلك بقوله .. « حتى فى أيام الصبا فى فيينا كنا نتنـدر بمعاكسة موكب الراهبات الصغيرات وكانت واحدة على الأقل تبتسم لنا » (٢) ..

٢ ـ الصدام بين النازية والكنيسة الكاثوليكية :

بالرغم من ان النازية قد أوردت — على ألسنة دعاتها — هـذه الانتقادات السالفة للكنيسة وذلك منذ قيام الدعوة (كما جاء على لسان هتلر) فى « كفاحى » فان الكنيسة الكاثوليكية لم تبدأ فى اتخاذ موقف ايجابى تجاه النازية الا بعد ان اشتد ساعد الحزب وأصبح يتخذ مركز الصدارة بين الأحزاب السياسية الألمانية .

وهنا كان لابد للكنيسة أن تقرر موقفها بالنسبة للدعوة النازية

---

(١) المرجع السابق صفحة ٢٦١ .

Quoted by Konrad Heiden, A History of National Socialism,

(٢) Roper Trevor. H. R. Hitler's Table Talks 1944-1947 Weidenfeld and Nicolson. London 1953 P. 68.

وهل تسير فى ركابها مغفلة أسس تعاليمها الدينية أم تقاومها فتخاطر بعداء الحزب النازى خصوصا اذا ما قدر له الوصول الى الحكم .. ؟

ويبين المؤرخون ان أول موقف ايجابى اتخذته الكنيسة الكاثوليكية من الدعوة النازية قد جاء فى صورة الرد على استفسار أحد أساقفة الأقاليم من الكنيسة المركزية عن الموقف الذى يتخذه من أنصار النازية . ففى سبتمبر سنة ١٩٣٠ طلب أحد صغار الرهبان فى مقاطعة Hesse من كبير أساقفة الكنيسة المركزية تعليمات محددة عن موقفه حيال المشكلات الآتية [١] :

١ — هل يستطيع الكاثوليكى المؤمن الانضمام الى حزب هتلر ؟

٢ — هل يسمح القس الكاثوليكى لأعضاء الحزب النازى بالاشتراك فى قداساته ؟

٣ — هل يستطيع الكاثوليكى العضو فى الحزب أن يمنح الغفران ؟

ولقد رد كبير الأساقفة على كل هذه الأسئلة بالنفى ..

وفى فبراير سنة ١٩٣١ اجتمع مجلس أساقفة بافاريا الكاثوليك وأعلنوا استنكارهم للمبادىء النازية للأسباب الآتية : —

١ — المبادىء العنصرية تنصب العنصر فوق الدين .

٢ — تنكر النازية تعاليم التوراة ووصايا موسى .

٣ — لا تقر النازية وصاية البابا فى روما على الكاثوليك .

٤ — تنادى النازية بمشروع اقامة كنيسة ألمانية وطنية .

واختتم المجلس قراره باعتبار النازية « لا تمت » الى مسيحية المسيح بأية صلة [٢] .

---

(١) D'Harcourt Robert, National Socialism and the Cathoio Church in Germany, Socalverlag Zurich, 1941 P. 18.

(٢) المرجع السابق صفحة ٤٣ D'Harcourt, National Socialism.

ولقد استمر الجدل اللفظى بين دعاة النازية والكنيسة الكاثوليكية طيلة السنوات الثلاث السابقة لوصول الحزب النازى الى الحكم . ولما تقلد هتلر الحكم بدأت مرحلة جديدة من مراحل هذا النزاع حيث كان على النازية اما أن تطبق آراءها فى الدين أو أن تهادن رجاله .

ففى ١١ مارس عام ١٩٣٣ خطب « جورنج » فى مدينة اسن Essen ليشرح برنامج الحزب فقال :

« انه يرى فى علم جمهورية فيمار ثلاثة شعارات « للعالمية » التى يجب القضاء عليها :

العالمية السوداء وهى الكاثوليكية الرومانية ، والعالمية الحمراء وهى الشيوعية ، والعالمية الصفراء وهى المادية اليهودية [١] .

وفى الفترة بين ٢٠ — ٢٣ يونيو سنة ١٩٣٣ بدأ رجال « الجستابو » فى حملات اعتقال كبار الأساقفة الكاثوليك وحكم على بعضهم بالسجن بتهمة القيام بنشاط معاد للدولة . وفى ١ يولية أغلق الجستابو المنظمات الكاثوليكية للشباب وقبض على رجال قياداتها . ولقد حصر مراسل جريدة التيمس اللندية عدد الكاثوليك الذين اعتقلتهم السلطات النازية حتى أول يولية ١٩٣٣ بـ ٣٠٠٠ر٣ كاثوليكى [٢] .

وبالرغم من هذه الاجراءات التى استهدفت القضاء على المعارضة الكاثوليكية للنازية وتمهيد السبيل لتنفيذ مخططات الحكومة نحو اقامة الكنيسة الألمانية الوطنية والضغط على رجال الدين لحثهم على مسايرة المبادىء النازية العنصرية بالرغم من ذلك فلقد لعب هتلر دور السياسى

---

(١) المرجع السابق صفحة ٨١

Quoted by N. Gangulee, Mind & Face of Nazi Germany,

(٢) مرجع سابق صفحة ٨٠٤ Unesco. The Third Reich,

المحترف بالنسبة للكاثوليكية سواء فى الداخل أم فى الخارج . ففى خطابه الذى ألقاه فى الريشستاج فى ٢٣ مارس سنة ١٩٣٣ لم يهاجم الكنيسة بل كان معتدلا بالنسبة لها ولاتباعها حين قال :

« ان الحكومة الوطنية تجد فى الديانتين المسيحيتين عناصر الحفاظ على روح الشعب الألمانى .. وتحترم الاتفاقات المعقودة بين الكنيسة والمقاطعات [1] وتقرر الحكومة عدم التدخل فى شئون هذه الكنائس » .. « اننا نعتبر القوى الروحية للكنيسة ضرورية لانتفاضة الشعب الألمانى ونطمع فى تحسين علاقاتنا مع البحر المقدس » [2] ..

وقد يخفف من هذه الدهشة لصدور هذه الكلمات من هتلر انها قد وردت ضمن خطابه المشهور فى « الرايشستاج » والذى كان يطلب فيه للحكومة سلطات استثنائية وكان الحصول على هـذه السلطات مسألة حيوية بالنسبة للحكومة النازية ولقدرتها على تحقيق مخططاتها فى الداخل والخارج . لذلك ولضمان الحصول على أكبر عدد ممكن من أصوات أعضاء البرلمان من الأحزاب المختلفة بما فيهم الحزب الكاثوليكى فقد اتجه هتلر الى الاعتدال فى كلماته بشأن الكنيسة .

وكان هذا أول تصريح رسمى لهتلر عن نوايا حكومته بالنسبة لحرية المعتقدات الدينية فى داخل ألمانيا . أما فيما يتعلق بعلاقات ألمانيا الخارجية مع دولة الفاتيكان راعية الكنيسة الكاثوليكية فلقد قامت الحكومة الألمانية بتوقيع اتفاقية Concordat مع مندوب البابا فى

---

(١) كانت هناك اتفاقات تقليدية بين الكنيسة فى روما وبعض الكنائس فى مقاطعات بروسيا وبافاريا وبادن ..

(٢) المقصود بالبحر المقدس « الفاتيكان » اقرأ نص الخطاب فى Sales: Adolf Hitler: My New Order.. مرجع سابق صفحة ٥٩٢

٨ يوليو سنة ١٩٣٣ وتضمنت هذه الاتفاقية تعهد الحكومة الألمانية بعدم التعرض للكنيسة الكاثوليكية الألمانية فى مجالات نشاطها التى تتعلق بالدين وتربية النشء مقابل انصراف الكنيسة ورجالها لتأدية وظائفهم الدينية ومساعدة الحكومة فى سياستها الوطنية (١) .

وفى تعقيبه على الاتفاقية قال هتلر :

« تعتبر هـذه الاتفاقيـة كافية لضـمان اخلاص معتنقى الديانة الـكاثوليكية الذين نرجو أن يتمكنوا فى المسـتقبل وبدون تحفظ من خدمة الدولة الألمانية النازية » (٢) .

وبعد توقيع المعاهدة أعلن هتلر على الفور . رفع الحظر المفروض على كل الجماعات الكاثوليكية المعترف بها فى الاتفاقية وتحرير القساوسة الكاثوليك من مختلف أنواع الضغط ومساعدتهم فى تأدية أعمالهم .

ومن مقارنة تعليقات المسئولين فى الحكومة النازية وحزبها مـع تصرفات هتلر سواء فى خطابه فى الريشستاج أم فى المحالفة التى عقدها مع الفاتيكان يتضح لنا التناقض الجوهرى .. فلقد استمر دعاة النازية فى مواصلة حـرب المبادىء مع الكنيسة الكاثوليكية وانتهزوا فرصة وجود هتلر على رأس الحكومة الجديدة ليستعدوا لانهاء حرب الكنيسة لمصلحتهم وفى ذلك استخدم جورنج البوليس السياسى كما استعان هملر برجال الـ S. S. فى محاولات لاسكات الأصوات المعارضة التى تنبعث من الكنيسة الكاثوليكية . وفى نفس الوقت ظهر هتلر بمظهر السياسى الذى يستطيع اغتنام الفرص والاستفادة من الظروف ولو أدى ذلك

---

(١) المرجع السابق صفحة ٨١٢ Unesco. The Third Reich,

(٢) Beales A.C., The Catholic Church and International Order, Oxford University Press, London, 1941. P. 61.

الى بعض التنازلات المبدئية والواقع ان هذا التناقض لم يستمر طويلا بل بدت مظاهر وحدة النازية حكومة وحزبا ودعوة تجاه الكاثوليكية فور الانتهاء من اجراءات التصديق على محالفة الفاتيكان فى ٢٠ يوليو سنة ١٩٣٣ .

ففى ٢٢ يوليو سنة ١٩٣٣ أصدرت الحكومة قانون التعقيم الذى يقضى بحق السلطات الصحية فى الدولة بالقيام بتعقيم كل من يخشى على نسله من مظاهر الضعف والمرض وذلك « حفاظا على مستقبل الأجيال القادمة فى ألمانيا وضمانا للتحكم فى نقاوة العنصر الألمانى »[1] . وقد كان هذا القانون بمثابة أول تحد من الحكومة للمعتقدات الدينية .

ورغبة من رجال الكنيسة الكاثوليكية فى المحافظة على أسس المعاهدة والسلام مع الحكومة لم يصدر عنهم أى تعقيب معارض لهذا القانون وبذلك تمكن هتلر من اضافة مظهر جديد من مظاهر قدرته على اغتنام الفرص وهى القدرة التى كانت من دواعى نجاحه كسياسى وكقائد .

وبعد قانون التعقيم ظهرت اتجاهات الحكومة علنا للضغط على الكنيسة وتقييد نشاطها . بالرغم من ان الاتفاق الذى عقده هتلر مع

---

(١) لم نتعرض لقانون التعقيم فى بحث المبادىء العنصرية وتنفيذها لان القانون كان موجها كما جاء فى مقدمته — لمقاومة وراثة الامراض الجنسية والعقلية بصفة اساسية اما استخدام القانون لتعذيب اليهود بحجة تنقية العنصر فلم يثبت ذلك — طبقا لمحاضر محاكمات نورمبرج — الا فى بداية الحرب العالمية الثانية وذلك ضمن الاجراءات العنيفة التى اتخذت للتنكيل بهم فى معسكرات الاعتقال اقرأ حيثيات الحكم الذى أصدرته محكمة نورمبرج العسكرية فى ١٩٤٦/٣/١٨ ضد Hans Frank فى :

Trial of the Major War Criminals Before the International Military Tribanal

Vol. II.

U. S. Government Printing Offcie 1951-1952 Vol 29 P.P. 380-1.

الفاتيكان قد نص على حرية الكنيسة فى الاستمرار فى سياستها نحو تربية الشباب وتثقيفهم دينيــا الا ان الحــكومة أنشأت فى سبتمبر سنة ١٩٣٢ منظمة شباب هتلر وجعلت ضمن أغراضها الاشراف عــلى تنشئة الأجيال الجديدة وتوعيتهم السياسية والدينية ولكى يفسح لها المجال قامت الحكومة باغلاق المنظمات الدينية للشباب وضمها الى المنظمة الجديدة (١) . وللتعليق على هذا القرار قال هتلر فى فرانكفورت فى ٩ ديسمبر سنة ١٩٣٣ .

« اننا نعلن ان منظمات الشــباب الألمانية التى ليست من تنظيمنا ولا تقوم على مبادئنا قد فقدت أسباب وجودها ويجب أن تنتهى وتحل نفسها لتترك المجال متسعا « لشباب هتلر » (٢) .

ولم يقتصر الأمر على منظمات الشباب فقط ولكن الحكومة حظرت صدور الصحافة الدينية واعتبرت كل من يطالب بصحافة دينية معاديا لوحدة الشعب (٣). وفى ٢٤ يناير سنة ١٩٣٤ عين الفرد روزنبرج مؤلف « خرافة القرن العشرين » وكبير الدعاة النازيين فى منصب رئيس الادارة التعليمية والثقافية لألمانيا وهو منصب كان يتبع المستشار مباشرة . وفور تقلده هذا المنصب أعلنت الحكومة الحرب على الكنيسة الكاثوليكية ورجالها وبدأت اجراءات حرمان رجال الكنيسة من حقوقهم ســواء

---

(١) المرجع السابق صفحة ٧١

D'Harcout, National Socialism and the Catholic Church in Germany.

(٢) المرجع السابق صفحة ٤٢

Gangulee, The Mind and Face of Nazi Germany.

(٣) فى ٢ سبتمبر سنة ١٩٣٣ صدر قانون تنظيم الصحافة الذى اغلق الصحف الشيوعية والحزبية والدينية واقتصرت الصحف الصادرة على تلك الواقعة تحت ادارة وزارة الاعلام اقرأ نص القانون فى Murphg. R. National Socialism. مرجع سابق صفحة ١٧٩

بتعريضهم للاعتقالات أو اتهام بعضهم بتهريب النقد اذا ما رغبوا فى السفر الى الفاتيكان كذلك فلقد أصــدر وزير المالية قرارا باخضاع مصروفات الكنيسة وايراداتها للتفتيش والرقابة [1] .

وبعد فهذه لمحة عن الاجراءات التى اتبعتها الحكومة النازية لتطبيق مبادئها الدينية فيما يتعلق بالكنيسة الكاثوليكية .. وبمقارنة مبادىء النازية فيما يتعلق بالكاثوليكية بما تم تنفيــذه منها عند وصــول الحزب النازى للحكم فانه يمكننا استخلاص النتائج الآتية :

١ — أخذت النازية على الكنيسة الكاثوليكية اغفالها لأهمية العنصر ولم تتمكن الحــكومة النــازية من الوصــول الى تعضــيد الكنيسة الكاثوليكية للمبــادىء العنصرية وان كانت الأخيرة قد اضطرت تحت وطأة الظروف الى ايقاف الهجــوم على هذه المبادىء والقوانين التى صدرت لتطبيقها مثل قوانين اليهود وقانون التعقيم .

٢ — العلاقة بين الكنيسة الكاثوليكية والفاتيكان لم تتمكن النازية من فصمها بل اضطرت الى الاتجاه الى عقد اتفاق مع البابا لتنظيم هذه العلاقة .

٣ — ايقاف تدخل رجال الكنيسة الكاثوليكية فى السياسة ، ولقد تمكنت الحكومة النازية من ذلك لا عن طريق موجه الى رجال الكنيسة فحسب بل بواسطة شل أجهزة المعارضة السياسية وأحزابها فى ألمانيا بعد وصول النازى الى الحكم بأشهر قليلة .

٤ — فيما يتعلق بمبدأ المسيحية الايجابية واقامة كنيسة ألمانيــة وطنية فان الحكومة النازية لم تعتمد فى تحقيق هذا المبدأ على الكنيسة الكاثوليكية بقــدر ما عولت على الكنائس البروتستانتية وهى التى

---

(١) المرجع السابق صفحة ٨١٦ Unesco. The Third Reich,

اتجهت اليها جهود الحكومة النازية لمحاولة توحيدها فى ظل الكنيسة المسيحية الألمانية الوطنية .. أما الكنيسة الكاثوليكية فالظاهر ان وضعها سواء بالنسبة للفاتيكان أو لتعصب قادتها ووحدة صفوفها لم يسمح لمبدأ الكنيسة الوطنية بالتسلل اليها .

٥ — بالنسبة للنشاط التعليمى للكنيسة الكاثوليكية فى الداخل والخارج فلقد تمكنت الحكومة النازية من شل هذا النشاط وتعطيل أجهزته فنوادى « الأحد » ومنظمات الشباب الكاثوليك لم تتمكن من البقاء أمام منظمات « شباب هتلر » والارساليات الخارجية خضعت لرعاية الدولة وتوجيهها وكان على المرشح للارسالية أن يمر باختبارات علمية ودينيـــة ووطنية بالغة الصعوبة وبعدها ينظر فى مسألة الســـماح له بالخروج (١) .

وعلى العموم فلقد أثبت المؤرخون ان الكنيسة الكاثوليكية كانت أثبت الكنائس قدرة على مكافحة أغراض الحكومة النازية لذلك فلقد كان رجالها مكونين لأكبر نسبة من رجال الدين الذين اعتقلتهم السلطات النازية أو تعرضوا لبطشها وارهابها (٢) .

---

(١) المرجع السابق صفحة ٩١ . D'Harcourt, N. S. & Catholic Church

(٢) نفس المرجع صفحة ١٣١ D'Harcourt, N. S. & Catholic Church.

الفصل الثانى

النازية والبروتستانتية

على حين لم تتمكن الحكومة النازية من النيل من الكنيسة الكاثوليكية بأكثر من تقييد نشاطها واغلاق نواديها وارهاب أساقفتها .. فلقد كان لها مع البروتستانتية شأن آخر حيث تمكنت من استغلال الفرقة والتنافس بين الكنيستين من ناحية وتمزق وحدة القائمين على أمور البروتستانتية من ناحية أخرى لتنفذ بين صفوف هذه الأخيرة داعية الى اقامة كنيسة الدولة لتعمل وفق سياستها ومخططاتها ولتنادى بالمبادىء النازية من فوق منابرها .

ولم تكن هجمات الدعاة النازيين على البروتستانتية بأقل من تلك التى شنوها على الكاثوليكية بل وكانت التهم الموجهة الى الكنيستين فى معظم الأحوال مشتركة .. فلقد كانت الكنائس البروتستانتية فى نظر النازية ترتكب هى الأخرى أكبر الأخطاء فى حق الوطن باغفالها التبشير بالقيم العنصرية . وكان دعاة « المسيحية الايجابية » من النازيين يبشرون بأن مذهبهم قد جمع محاسن كل المذاهب الدينية الكاثوليكية والبروتستانتية وحقق فى الوقت نفسه ما عجزت الكنيستان عن تحقيقه وهو رفع القيم الوطنية . وفى ذلك قال الفرد روزنبرج :

« اننا نعتبر اليوم ان الكنائس الرومانية والبروتستانتية تنتمى الى المسيحية السلبية ، ولا تتجاوب تعاليمها مع أرواحنا ، وتشكل حجر

عشرة فى سبيل تمدد القوى العنصرية النورديكية .. هذه الكنائس يجب أن تتجه الى مسيحيتنا الايجابية .. والى هذه الغاية تتجه مجهوداتنا فى الوقت الحاضر » [1] .

ولكن الواقع ان النازية ترفقت بالبروتستانتية على نقيض ما فعلت مع الكاثوليكية وقد يرجع ذلك الى ان البروتستانتية ومعتنقيها يشكلون حسب الاحصائية المشار اليها حوالى ٧٥٪ من مجموع سكان ألمانيا سكان ألمانيا ولم يكن فى وسع الدعوة النازية أو حتى الحكومة النازية أن تقف على النقيض من ارادة السواد الأعظم من الشعب فى عداء ظاهر للمذهب البروتستانتى .

وكان أهم أسباب حقد النازية على الكاثوليكية وهو تأييدها لبعض الأحزاب السياسية منتفيا بالنسبة للكنيسة البروتستانتية التى لم يظهر تأثيرها والواضح على المسرح السياسى ثم ان الكنيسة الكاثوليكية كانت تتسم بالوحـدة وتضم أنصارها — الى حد كبير تحت سقف واحد مما أشعر النازية بخطرها على كيانها بعكس الحال فى الكنيسة البروتستانتية التى كانت منقسـمة الى أكثر من ٢٨ كنيسة تختلف فيما بينها على تفسير الدعوة البروتستانتية ولا تجمعها قيادة واحدة .

وسواء صدقت كل هذه التفسيرات أو بعضها فان الملاحظ خصوصا بعد تولى النازى الحكم ان مجهودات السلطات الحكومية فيما يتعلق بمحاولة تأكيد سلطان الدولة فى الميدان الدينى قد ظهرت فى المحيط البروتستانتى بشكل واضح . ولقد شهدت الشهور القليلة التى سبقت وصول النازى الى الحكم أول مظاهر الصدام بين النازية والكنائس

---

(١) المرجع السابق صفحة ٥٨

A. Rosenberg, Der Mythus des 21 Jahrhunderts,

البروتستانتية .. أما بعد وصـــول النازى الى الحكم فى ٣٠ ينـــاير سنة ١٩٣٣ فلقد عكفت الحكومة النازية بحق على وضع مخطط ثابت لتحقيق أهدافها الدينية واتخـــذت من الكنائس البروتستانتية مجالها لتنفيذ هذه الأهداف :

ولقد تمثلت مطالب النازية بالنسبة للكنائس البروتستانتية فى انشاء منصب « أسقف الرايخ » تكون له السلطات الممنوحة للبابا فى الكنيسة الكاثوليكية واقامة كنيسة واحـــدة للرايخ تضم مجمـــوعة الكنائس البروتستانتية الاقليمية وتطـــوير تعاليم البروتستانتية لتشمل تعاليم « النظرة النازية للعالم » (١) Weltanschaung .

ولقد ظهرت هذه المطالب أول ما ظهرت فى المظاهرة التى قام بها أنصار النازية فى معركة انتخابات عام ١٩٣٢ حين دخلوا احدى الكنائس البروتستانتية فى برلين ليقدموا هذه المطالب الى أسقف الكنيسة باسم « جماعة المسيحية الايجابية للشعب الألمانى » (٢) . وبعد وصول هتلر الى الحكم بدأت السلطات الحكومية فى محاولة تنفيذ هذه المطالب. وفيما يلى ملخص للمحاولات التى بذلت فى هذا الشأن :

١ ــ اسقفية الرايخ :

كأول محاولة من قبل الحكومة النازية لتنظيم شئون الكنائس البروتستانتية أصدر هتلر فى ٣٠ مارس ١٩٣٣ قرارا بتعيين Ludwing Muller الذى كان يشغل منصب أسقف الجيش فى منصب « مساعد

---

(1) Birger, Forell, National Socialism and Protestantism, Hordon Prange "American Council for Public Affairs" Was hing ton 1944. P. 13.

(٢) نفس المرجع صفحة ٣١ Birger Forell, P. 31.

الفوهرر لشـــئون الكنيسة البروتستانتية وذلك توطئة لترشيحه لشغل منصب « أسقف الرايخ » Reich Bishop [1] .

وفى ٢ أبريل سنة ١٩٣٣ أعلنت الحكومة عن اجراء انتخابات لمنصب أسقف الرايخ ودعت الكنائس البروتستانتية الى الاتفاق على تقديم مرشحيها لهذا المنصب فقام أغلبها بترشيح الأسقف Fridrich Bodelsch-wing فى الوقت الذى رشح فيه « المسيحيين الألمان » من النازيين « موللر » لهذا المنصب . ولقد ظهر اجمـــاع الكنائس البروتستانتية المحلية على تأييد « بودلشوينج » لدرجة اضطرت معها الحكومة النازية الى التدخل لحماية مرشحها « موللر » وقامت السلطات الحكومية بالاجراءات الآتية : —

١ — حل مجالس ادارة أغلب الكنائس البروتستانتية المحلية .

٢ — تعيين أحـــد دعاة النازية ويدعى Dr. Jager فى منصب مستشار الدولة لأهم الكنائس البروتستانتية وأكبرها وهى كنيسة Prussian Union وذلك للقيام بالضغط اللازم عليها لحصول « موللر » على الأغلبية اللازمة لتوليه منصب أسقف الرايخ .

٣ — قامت حمـــلة اعتقـــالات واضـــطهاد للمناصرين للأسقف « بودلشوينج » .

ولقد أثرت هذه الاجراءات فى الانتخابات بصورة فعالة مما أدى الى تخلى بودلشوينج عن الترشيح وانتهى الأمر الى اقرار الكنائس البروتستانتية لانتخاب « موللر » أسقفا للرايخ .

وبالوصول الى ذلك تمكنت النازية من تحقيق أولى أهدافها الدينية بالنسبة للبروتستانتية وأهمها وهو اقامة سلطة دينية عليا للكنائس

(١) نفس المرجع السابق صفحة ٤٢

البروتستانتية تعمل بوحى من الحكومة . على ان مهمة « موللر » الأولى وهى توحيد الكنائس البروتستانتية والوصول بها الى فكرة الكنيسة الواحدة أو كنيسة الرايخ ، كانت أمرا بالغ الصعوبة خصوصا بعد نشوء المعارضة البروتستانتية المنظمة للاتجاهات النازية مما اضطره الى ترك منصبه عام ١٩٣٥ كما سيتضح فيما يلى .

٢ ـ كنيسة الرايخ :

ولقد كانت الحكومة النازية ترمى من وراء هذه الكنيسة وانشائها الى أكثر من غرض .. فمن الناحية الدينية يمكن لكنيسة واحدة خاضعة لتوجيهات الحكومة أن توحد بين المذاهب البروتستانتية المتفرقة ، ومن الناحية السياسية فان كنيسة الرايخ يمكنها دائما الدعوة لصالح الحكومة بين أفراد الشعب وشرح مقاصدها وسياستها بالشكل الذى يتمشى مع التعاليم الدينية . وبالاضافة الى هذه الأسباب فان الكنيسة الواحدة تحقق مبدأ هرمية الزعامة الذى اعتمد التنظيم السياسى للدولة النازية عليه . كذلك فان الكنيسة البروتستانتية الواحدة التى تشرف على ٧٥٪ من عدد سكان ألمانيا يمكنها أن تواجه النفوذ السياسى والدينى للكنيسة الكاثوليكية ورئاستها فى الفاتيكان بما يضمن للحكومة النازية القضاء على سلطانها .

وبعد الوصول الى انشاء منصب « أسقف الرايخ » كان لابد للحكومة من البدء فى القيام باجراءات اقامة الكنيسة الواحدة . ففى ٢٣ يوليو سنة ١٩٣٣ أعلنت الحكومة عن استفتاء للشعب الألمانى بشأن اقامة « كنيسة الرايخ » وحدد للاستفتاء يوم ٢٩ يوليو . وفى صباح هذا اليوم خطب هتلر فى الراديو مؤيدا انشاء الكنيسة الواحدة وفى

أثناء الاستفتاء قام جماعة « المسيحيين الألمان » من النازيين بالضغط على الناخبين بمساعدة البوليس السرى والـ S. S. انتهت نتيجة الاستفتاء الى اعلان موافقة ثلثى الشعب البروتستانتى على مبدأ الكنيسة الواحدة (١) .

٣ ـ تطوير تعاليم البروتستانتية :

وكان الهدف الأخير للحكومة النازية لتطبيق مبادئها الدينية هو تطوير تعاليم البروتستانتية لتشمل مبادىء هتلر التى أوردها فى Waltanschaung.

وأهم ما يهدف اليه هذا التطوير هو الوصول الى اعتبار المبادىء العنصرية جزءا من الرسالة البروتستانتية . بل لقد ذهب المتطرفين من أنصار الحكومة الى الدعوة لظهور ديانة ثالثة تجمع نصوص النظرة النازية للعالم(٢) .

والظاهر ان هتلر كان يبارك هذا الاتجاه ويعمل على تدعيمه بدليل قيامه فى نفس العام بتعيين « الفرد روزنبرج » مؤسس الثورة على المبادىء الدينية المعاصرة وصاحب كتاب « خرافة القرن العشرين » السالف الاشارة اليه فى منصب مدير منظمة الثقافة الألمانية داخل الحزب النازى .. وكان أول ما قام به روزنبرج بعد توليه هذا المنصب هو

---

(١) نفس المرجع السابق صفحة ٦١

(٢) فى بداية عام ١٩٣٥ ظهرت مجموعة من المتطرفين النازيين ليكونوا جماعة أطلقوا عليها حركة الايمان الألمانى Deutsche Glaubenbewegung برئاسة البروفسور Wilhelm Hauer وهو أستاذ للديانات بجامعة ليبزج .. ولقد بنت هذه الجماعة دعوتها على أساس أن المسيحية المطبقة فى الكنيستين البروتستانتية والكاثوليكية بعيدة عن « الايمان الالمانى الأصيل الذى يرتكز على حقوق العنصر . »
نفس المرجع صفحة ٦٥

اعلان تأييده للحركة الدينية الجديدة فى خطاب نشرته الصحف النازية وقال فيه :

« يمكننا أن نسير بالدين الجـديد الى حد اعتبار ادولف هتلر مؤسسه وصاحب دعوته .. فاننا لا نؤمن الا به ولن نسير الا عـلى خطاه » (١) .

ومما سبق يتضح لنا ان الدعوة النازية سـواء فى « نظرتها الى العالم » أو برنامج الحزب أو على ألسنة دعاتها لم تتجه الى البروتستانتية بمطالب محددة كما كان الحال مع الكاثوليكية ولكن البروتستانتية نالت قسطها من النقد نظرا لاغفالها أهمية المبادىء العنصرية . ولما اشتد ساعد النازية وحزبها بعد عام ١٩٣٠ بدأت الكنائس البروتستانتية فى الوقوع تحت وطأة المظاهرات النازية التى طالبت بالكنيسة الواحدة والأسقف الواحد والدين الواحد . ولما وليت النازية الحكم اتخذت من سلطات الدولة عونا لتنفيذ هذه المطالب ..

ففيما يتعلق بالأسقف الواحد تمكنت الحكومة — كما رأينا — من تنصيب « موللر » فى منصب « أسقف الرايخ » . واتجه موللـر الى محاولة جمع الكنائس الاقليمية تحت سيطرته فى الوقت الذى نزع فيه عن الكنيسة البروتستانتية سلطة الاشراف على الشباب ومنظماته وأصدر فور تعيينه قرارا بادماجها فى منظمات الشباب النازية (٢) .

---

(١) Ganglee, The Mind & Face of Nazi Germany.
المرجع السابق صفحة ٨١ . مقتبسة عن جريدة Volkischer Beobachter النازية الصادرة بتاريخ ٣٠ ابريل ١٩٣٥

(٢) بلغ عدد افراد منظمات الشباب البروتستانتية هـذه حوالى ٨٠٠ر٠٠٠ وكانت الكنائس تتولى الاشراف على تعليمهم وثقافتهم الدينية سواء فى مدارس تخضع لاشرافها أم فى نوادى الأحد أو خلافه .
انظر Birger Forell المرجع السابق صفحة ٦٣

ونظرا للمعارضة المنظمة التي واجهت « موللر » في محاولته لاخضاع قساوسة البروتستانت وكنائسهم له ولسياسته المؤيدة للحكومة فلقد اضطر في نهاية عام ١٩٣٥ الى التخلي عن منصبه وبدلا من تعيين من يخلفه اتجهت الحكومة الى محاولة تحطيم المعارضة عن طريق آخر وهو تعيين Dr. Kerrl أستاذ الفلسفة الدينية بجامعة ليبزج في منصب وزير دولة لشئون الكنيسة البروتستانتية وهو الذي انحصرت مجهوداته في محاولة اتمام ما عجز الأسقف السابق عنه . وحتى الوزير الجديد لم يثبت انه استطاع الوصول الى نتائج ايجابية في هذا الشأن وأن تمكن من تقسيم جناح المعارضة كما سيتضح فيما بعد .

ولقد واجهت الحكومة النازية بالنسبة لمبادئها العنصرية والدينية معارضة بروستانتية منظمة وقف على رأس قيادتها القس الألماني المشهور Niemuller [1] .. ولقد بدأ هذا القس معارضته للنازية منذ قيامها وعلى الأخص مبادئها العنصرية . ولما حاولت الحكومة تنصيب Ludwig Moeller أسقفا للرايخ كان Niemuller على رأس المجموعة التي أيدت منافسة Bodelschwing ، ولما فشلت جهود المعارضة لوقف تعيين « موللر » أسقفا كما سبق البيان اتجه « نيموللر » الى تكوين جبهة من بعض رجال الدين باسم « اتحاد الأساقفة البروتستانت » لمعارضة النازية وتدخل حكومتها في شئون الكنيسة البروتستانتية وفي

---

(١) لهذا القس تاريخ وطني مشهور فلقد كان قائدا لاحدى الغواصات في الحرب الأولى ثم احترف الدين وتدرج في مناصبه حتى وصل الى منصب في كنيسة Mehlem في برلين عام ١٩٣٠

اقرأ كتاب عباس محمود العقاد « النازية والأديان » القاهرة ١٩٤١ صفحة ٨

نوفمبر سنة ١٩٣٣ اجتمعت هذه الجبهة فى مؤتمر شعبى عقد فى صالة Sportpalest فى برلين .. وفى هذا الاجتماع قال « نيموللر » :

اننا نرى ان شعبنا الألمانى مهدد بخطر قاتل فى شكل تعاليم دينية جديدة تقضى بالغاء تعاليم الانجيل الأساسية .

وقرر المجتمعون اعلان مناهضتهم للنازية وسياسة الحكومة لتنزيه الكنائس Nazification of Chrches [(١)] ، وفى ٢٣ ينـاير سنة ١٩٣٤ حين عقد الأسقف موللر اجتماعا لكبار قسس الكنائس البروتستانتية لحل الخلافات بينهم والاتجاه بهم الى طريق الوحدة تحت زعامة كنيسة الرايخ الموحـدة .. حضر الجناح المعارض بقيادة « نيموللر » هـذا الاجتماع وطالب الأسقف بالاستقالة . وفى ٢٥ يناير طلب هتلر الاجتماع بالجبهة المعارضة وبأسقف الرايخ وحضروا الاجتماع فيما عدا Niemuller ولقد استغل هتلر عـدم وجـوده فى الهجوم عليه وعلى شخصه تارة وبالتهديد تارة أخرى حتى اضطر المجتمعون الى عدولهم عن طلب استقالة الأسقف « موللر » [(٢)] . ومع ذلك فلقد استمر جناح المعارضة فى نشاطه حتى بعد استقالة الأسقف موللر فى نهاية عام ١٩٣٥ وفى يوليو سنة ١٩٣٥ بدأ Dr. Kerrl الوزير النازى مهمته فى محاولة القضاء

---

(١) Deuel Wallace, People under Hitler• Borten & Hrlem New York, 1943 P. 88.

(٢) فى رواية اجمع عليها المعلقون ان جورنج أخبر هتلر فى هـذا الاجتماع بأنه قد سجل لنيموللر حديثا تليفونيا يسب فيـه الحـكومة ورئيس الجمهورية هندنبرج ولقد انتهز هتلر هذه الفرصة ليسب ويهدد الأساقفة المجتمعين بل واستغل هذا التسجيل ليقنع هندنبرج برأيه فى التشدد مع رجال الدين

اقرأ Shirrer المرجع السابق صفحة ٢٣٧

على هذه المعارضة ، وفى سبيل الوصول الى نتائج ايجابية فى هـذا الشأن قسم المعارضة الى معسكرين : معسكر المتطرفين بقيادة Niemuller ومعسكر المعتدلين بقيادة قس يدعى Meiser ، وبـدأ نشاطه باستمالة الفريق الثانى وتمكن من جمعهم تحت لوائه بالاضافة الى مجموعة من رجال الدين البروتستانت رأت الاتجاه الى الحياد وأثرت عدم اغضاب الحكومة ومن كل هؤلاء كون الوزير Kerrl لجنة لبحث وسائل اعادة النظام الى الكنيسة وذلك على أساس قبول أعضائها مبدأ وصـاية الدولة على الكنيسة .. ولم يكن الجناح المتطرف أو قائده ممثلين فى هذه اللجنة التى أنهت أعمالها عام ١٩٣٧ دون الوصول الى نتيجة ايجابية .

وفى مايو سنة ١٩٣٧ تقدم أعضاء الجناح الراديكالى البروتستانت الموالى لنيمولر بمذكرة الى هتلر استنكروا فيها أساليب الحـكومة وسياستها « اللامسيحية » وكذلك أبدوا استياءهم لتطبيق اللاسامية وما أسموه اضطهاد الحكومة لعقول المواطنين .. ومعسكرات الاعتقال والجستابو .. ووقع على العريضة ٨٠ أسقفا أشهرهم « نيمولر » .. وكانت النتيجة أن تعرض الموقعون على العريضة لحملات من الاعتقال والسجن .. بل وقتل بعضهم مثل Dr. Weiseler أما (نيمولر) فقد أودع السجن ثم معسكرات الاعتقال الذى لم يتركه حتى تم تحريره مع غيره على يد الحلفاء عام ١٩٤٤ (١) .

---

(١) قصـة كفاح Niemuller مشهورة فى المانيا ويدرسها طلبـة المدارس والمعاهد وظهرت فى اكثر من فيـلم سينمائى المانى .. واهم مصدر لوقائعها هو كتاب نيمولر نفسه تحت عنوان (Befreiung) الذى نشر فى برلين عام ١٩٥٢ وصدر منه حتى عام ١٩٦٢ ــ ٤١ طبعـة ــ ويشغل نيمولر الآن منصب كبير اساقفة كنيسـة برلين الغربيـة البروتستانتية .

لذلك فانه يمكن القول بأن النازية لم تتمكن من تحقيق أهدافها فيما يتعلق بالبروتستانتية الا بالقوة وبعد القبض على زعماء المعارضة من القساوسة البروتستانت عام ١٩٣٧ والدليل على قدرة هذه المعارضة وقوتها انها تمكنت من الوقوف ضد أسقف الرايخ « موللر » واضطرته الى ترك منصبه عام ١٩٣٥ كذلك فان خليفته فى مهمة تنظيم شئون الكنيسة البروتستانتيـة لصالح الحكومة Kerrl الذى قام بتأليف فئة لهذا الغرض أعلنت هى الأخرى فشلها عام ١٩٣٧ .

والواقع ان فشل الحكومة النازية فى تحقيق وحدة الكنائس البروتستانتية لا يرجع الى ضعفها أو قوة المعارضة لها بقدر ما يرجع الى تشعب الكنائس البروتساتنية نفسها وعدم جدية أية محاولة سواء من جانب الحكومة الألمانية أم من جانب قادة الكنائس أنفسهم لتقريب وجهات نظرهم والجلوس على مائدة واحدة صحيح ان «نيموللر» وأتباعه قد سببوا للحكومة كثيرا من الازعاج وفضحوا سياستها فى السر والعلن ولكن هل كان نيموللر يمثل رواد البروتستانتية أو حتى غالبيتهم وفى هذا المجال لا يمكننا اغفال حقيقة أثبتها التاريخ وهى انه اذا كان نيموللر وجماعته التى كان قوامها حوالى ٢٠٠ قس قد أمكنهم التصدى للحكومة حينئذ فان الحكومة النازية كانت تخضع لسلطانها حوالى ١٢٠٠ قسا بروتستانتيا قاموا كلهم بمباركة تصرفاتها ومبادئها العنصرية فى كنائسهم ولم يظهروا حتى نهاية الحرب العالمية الثانية أية معارضة للسياسة النازية (١) .

---

(١) اقرأ :

Snyder Louis, The Tragedy of a People, Harrwburg, New York 1952 P. 234

ويتميز هذا الكتاب بالجرأة فى وصف الشعب الألمانى أثناء حكم هتلر =

من العرض السابق لتطور النزاع بين ايديولوجية النازية والتعاليم الدينية المعاصرة فى ألمانيا يتضح للباحث الحقائق الآتية :

١ — تطور النزاع مع الكاثوليكية والبروتستانتية مع تطور الدعوة النازية ونمو قدرتها على مواجهة الجماهير فعند نشأة الدعوة النازية لم يفكر مؤسسوها فى التعرض للدين أو لرجاله . ثم بدأ هتلر فى « كفاحى » الهجوم على المسيحية السياسية واشتغال رجال الكنيسة الكاثوليكية بالدين . وفى برنامج الحزب أوضحت المادة ٢٨ ان أعضاء الحزب سيعتنقون المسيحية الايجابية . ثم كانت آراء روزنبرج فى الهجوم الشامل على الدين ورجاله ما عرض لها فى كتابه : « خرافة القرن العشرين » وفى عام ١٩٣٠ حينما شعر الحزب النازى بقرب وصوله الى أهدافه فى الحكم بدأت منظمات الحزب فى شن الحرب على الكنائس ورجالها ابتغاء ايقاف معارضتهم للنازية ومبادئها ولما ولى هتلر الحكم فى نهاية عام ١٩٣٢ شهد عام ١٩٣٣ وما بعده اتجاه الحكومة الى تصفية الاتجاهات الدينية المعارضة .

وتقودنا هذه الحقيقة الى نتيجة هامة مؤداها ان النزاع مع رجال الدين وكنائسهم لم يكن أصلا ضمن أهداف الدعوة النازية وانما أوضحت فترة كفاح النازية من أجل الحكم معالم هذا النزاع وضرورته .

٢ — ان نقد النازية للمذاهب المسيحية السائدة ارتكز فى أساسه على كون هذه التعاليم المسيحية لا تعترف بالمبادىء العنصرية النازية وهى

= ويرد على القائلين بأن هتلر قد لقى معارضة من غالبية الشعب ويقول الكاتب : « لا ينبغى على الذين ينبشون باحثين عن البطولات التى وقفها أفراد قلائل فى ظروف معينة امام هتلر أن ينسوا جحافل المؤيدين الذين تكون منهم جيش النازية بل وقام على اكتافهم » .

نفس المرجع صفحة ١٢

التى شكلت الاطار الذى ميز الدعوة النازية وكانت أبرز شعاراتها وفى سبيل الكفاح من أجل هذه المبادىء دفعت الدعوة النازية كل من وقف فى طريق هذه المبادىء أو عارضها .

ولم يكن أمام الكنائس الكاثوليكية والبروتستانية الا أن تقف احدى المواقف الثلاثة الآتية :

اما أن تعارض النازية ومبادئها العنصرية علنا أو أن تتجنب موقف المعارضة وتقف على الحياد أو أن تؤيد هذه المبادىء [1] .

والثابت من تاريخ ألمانيا النازية ان تيار المعارضة الدينية للمبادىء العنصرية قد استمر باجماع كافة الكنائس الألمانية حتى عام ١٩٣٣ [2] . وهنا وبعد أن اتضح تصميم الحكومة النازية على تصفية المعارضة الدينية ورجالها نشأت فكرة المهادنة خصوصا من رجال الكنيسة الكاثوليكية بعد أن أعطاهم الأمان ذاك الاتفاق الذى عقدته النازية مع الفاتيكان ليباشروا سلطاتهم بشرط عدم التعرض للحكومة .

أما موقف التأييد للحكومة النازية وسياستها الدينية فانه لم يثبت على الكنيسة الكاثوليكية أو رجالها اشتراكهم فى أى مظهر من مظاهر التأييد للنازية سواء قبل الوصول الى الحكم أم بعده .

ولكن الحال قد اختلف بالنسبة للكنائس البروتستانتية فلقد كانت الغالبية مهادنة والأغلبية المعارضة يقابلها أقلية مؤيدة سايرت الحكومة النازية فى اجراءاتها للاصلاح الدينى [3] ومن بين هذه المجموعة المؤيدة

---

(١) المرجع السابق صفحة ٨١ Snyder Louis, The Tragedy of a People

(٢) المرجع السابق صفحة ٢٣٩

Shirrer, The Rise & Fall of the Third Reich,

(٣) قال شيبرر ان المعارضة للنازية من الكنائس البروتستانتية التى بلغ عددها ٣٠ كنيسة قد اقتصرت على أساقفة كنيسة Methodist =

للحكومة النازية خرجت التفسيرات الدينية لنظريات العنصر والتعقيم وشرعية الحرب وكل ما اتفق مع أهداف الحكومة فى مسايرة الدين لسياسة الدولة .

٣ — المتتبع للسياسة النازية تجاه كل من الكاثوليكية والبروتستانتية يلاحظ اختلافا كبيرا فى النظرة النازية الى كل منهما فلقد بدأت النازية فى الهجوم على الكنيسة الكاثوليكية فى السنوات الأولى لقيام الدعوة كما هو ثابت فى « كفاحى » و « النظرة النازية الى العالم » وبرنامج الحزب النازى . أما الكنيسة البروتستانتية فلم تبدأ النازية فى التعرض لها الا قبيل وصول هتلر الى الحكم .

كذلك اختلف أسلوب النقد فبينما كان النقد للكاثوليكية منصبا على كونها تشتغل بالسياسة وتفتقر الى الوطنية الألمانية الى جانب اغفالها لأهمية العنصر فان البروتستانتية لم تهاجم الا من زاوية العنصر فقط .

٤ — ان تعاليم « المسيحية الايجابية » التى نادت بها النازية لم تظهر معالمها الا أثناء الحكم النازى ، فان برنامج الحزب النازى لم يشرحها ولم يفهم من أقوال الدعاة النازيين أكثر من انها المسيحية التى تراعى الاعتبارات العنصرية وحتى وصول النازية بهتلر الى الحكم عام ١٩٣٣ كانت فكرة المسيحية الايجابية قد مرت بالأطوار الآتية :

(أ) كان روزنبرج أول من حدد معالم المسيحية الايجابية وذلك فى خطاب ألقاه فى جامعة ميونيخ فى ١٣ سبتمبر سنة ١٩٣٣ حين قال :

= الموجودة مقاطعة Saxon الألمانية وحتى هذه الكنيسة قد اختلفت أساقفتها فيما بينهم بالنسبة لموقفها من الحكومة النازية وخرجت منها مجموعة المعارضة بقيادة الأسقف Niemuller .

مرجع سابق صفحة ٢٣٨ Shirrer, The Rise and Fall of the Third Reich

« ان مسيحيتنا الايجابية تطالب بتوحيد الكنائس والاشراف عليها وبأن يقوم أساقفة الكنيسة الجديدة بشرح مزايا « النظرة النازية الى الدولة وخطورة التهاون فى العنصر وبتعليم الشعب مزايا التضحية والفداء فى سبيل الرايخ الكبير » [1] .

(ب) فى عام ١٩٣٠ وقبل وصول النازى الى الحكم قام الحزب النازى بتكوين جماعة أسماهم « المسيحيين الألمان » مهمتهم تنظيم المناهضة الدينية لمعارضى النازية من رجال الدين . وبعد الوصول الى الحكم قامت هذه الجماعة بتأييد الدولة فى اجراءاتها لانتخاب أسقف للرايخ وفى تصفية المعارضة الدينية ثم قامت هذه الجماعة فى نهاية عام ١٩٣٣ بالدعوة للديانة المسيحية الايجابية على اعتبار ان الهدف منها هو اعتبار هتلر النبى المسيحى الجديد [2] .

(جـ) استولى أنصار جماعة المسيحيين الألمان على بعض الكنائس البروتستانتية فى برلين وليبزج وميونخ وتركوا فيها بعض أنصارهم من رجال الدين ليبشروا بتعاليم المسيحية الايجابية على النحو الذى لم يخرج على الحدود التى أوردها روزنبرج فيما سبق بالاضافة الى شرح أهداف النظام الجديد والايمان بقدرة الزعيم .

---

(١) مرجع سابق صفحة ٢٣٨
Gangulee, The Mind anf Face of Nazi Germany.

(٢) من زعماء هذه الحركة Dr. F. Ley الذى كان قسا بروتستانتيا وآمن بالنازية وشغل منصب مستشار الحزب النازى للشئون الدينية أثناء فترة الكفاح ودكتور Ley هو مؤسس حركة «المسيحيين الألمان» التى قامت لتناهض المعارض المسماة المسيحيين المؤمنين والتى كان من زعمائها الأسقف « نيمولر » . فى تفاصيل قصة المسيحيين الألمان وكفاحهم اقرأ كتاب :
Dr. F.Ley, Wir Glauben.. Nationalverlag Frankfurt/Main, 1935.

(د) وبعد حركة الاعتقالات التى أطاحت بزعماء المعارضة البروتستانتية للنازية عام ١٩٣٧ خلا الجو للمسيحيين الألمان واتجهت غالبية الكنائس البروتستانتية الى النزول على مطالبهم فى تعديل المراسيم الدينية وخطب الآحاد على النحو الذى ارتأته الحكومة [١] .

وبعد هذه الملاحظات التى لخصت المظاهر المميزة للمبادىء الدينية النازية .. بقى أن نعرض فى ختام هذا البحث لحقيقة النظرة النازية الى الدين والمقاصد التى استهدفتها من وراء مبادئها الدينية :

كان لابد للايديولوجية النازية وهى تستهدف الانتشار وجمع الأنصار من ابداء رأيها فى التعاليم الدينية السائدة فى ألمانيا . ولكنها رأت فى نفس الوقت عدم التورط فى اتخاذ موقف حاسم محدد يبين حقيقة اتجاهاتها الدينية قبل أن يتمكن زعماؤها من توطيد مراكزهم والوصول الى مقاليد السلطة . وهنا بدأت الحرب السافرة بين الحكومة ورجال الدين أو بمعنى أدق بين الحكومة ومجموعة المعارضين لسياستها من رجال الدين .

ولم تكن هذه الحرب معتمدة على المناهضة الايديولوجية بقدر ما استخدمت فيها وسائل البطش والارهاب اذ أن النازية لم تهتم فى ذلك باخفاء نواياها وراء الحجج والمنطق بقدر ما اتجهت بأجهزتها للقضاء على كافة أنواع المعارضة لمبادئها وسياستها .

---

(١) المراسيم الدينية اصبحت خاضعة لاذن البوليس السياسى ولا تتم الا بحضور مندوب الحكومة وبذا تمكنت الحكومة النازية من منع خصومها السياسيين من ارتياد الكنائس ومباشرة حقوقهم الدينية فيها. اما خطب الآحاد فكانت خاضعة لاشراف الحزب النازى وتدور فى الغالب حول امتداح الحكومة وسياستها والدعوة للولاء للفوهرر ومقاصده .

المرجع السابق صفحة ١٢٠ Snydee Louis The Tragedy of A People.

ومن هنا نستطيع القول بأن النزاع الدينى بين النازية والكنائس قد مر بالمرحلتين الآتيتين : مرحلة النزاع الاديولوجى ومرحلة فرض سيطرة الدولة على الكنائس .

وتبدأ المرحلة الأولى ببداية الدعوة النازية عام ١٩١٩ وتنتهى عند وصول هتلر الى الحكم فى أوائل عام ١٩٣٣ . وفى هذه المرحلة اهتم دعاة النازية بترتيب ايديولوجيتهم واظهار اتجاهاتها فى مختلف الأمور . وفيما يتعلق بالدين ورجاله اكتفت الايديولوجية النازية بتوجيه النقد الى الكاثوليكية لاشتغال بعض رجالها بالسياسة وتبعيتها الى الفاتيكان . والى الكاثوليكية والبروتستانتية معا لاغفالهما أهمية النظريات العنصرية .

أما المسيحية الايجابية التى وردت فى برنامج الحزب فلم تكن لتعنى أكثر من ان النازية تؤمن بالمسيحية وبالعنصر معا وان هذه المسيحية الايجابية ليست دينا جديدا بقدر ما هى اصلاح دينى يكمل « النقص » الظاهر فى التعاليم الدينية المعاصرة .

أما بعد وصول النازى الى الحكم فلقد تحول النزاع العقائدى الى نزاع بين سيطرة الحكومة على الكنيسة ومقاومة بعض رجالها لذلك الاتجاه . وتمكنت الحكومة أخيرا من القضاء على المعارضة الدينية وأصبح الطريق خاليا أمام الايديولوجية النازية العنصرية لفرض مبادئها بالقوة .

ومن كل ذلك نستطيع أن نخرج بنتيجة مؤداها ان النازية قد اتخذت من مبادئها الدينية وسيلة لا غاية . فان شعارات النقد الذى وجهته النازية الى التعاليم المسيحية السائدة فى ألمانيا لم يكن القصد منها الدين أو الاصلاح الدينى بقدر ما استهدف الدعاية للدعوة الجديدة . وما كانت هذه الدعوة الجديدة ليمكن وصفها بالوطنية اذا لم تكن عنيفة فى

مناهضتها لكل ما يقيد الوطنية المتطرفة .. ولم تكن لتصف بالقـوة مالم تتعرض بشجاعة الى مختلف الأوضاع السائدة بما فيها الأوضاع الدينية .. وعلى أساس انها حركة وطنية قوية تمكنت النازية من شق طريقها على مسرح السياسة الألمانية حتى كراسى الحكم .

والدليل على ان النازية لم تعن بمبادئها الدينية أكثر من الوصول عن طريقها الى تحقيق أغراضها فى السيطرة والانفراد بالحكم ان دعاة النازية لم يأبهوا بالمسيحية وتعاليمها على الاطلاق . فلقد هاجموا السيد المسيح — على حد قول الأستاذ العقاد — على أساس كونه من السلالة السامية التى ناهضتها النازية ولم يكن ليسعهم أن يجمعوا بين التشهير بالسامية وتحطيم المسيحية ، ومن لم يعب المسيحية من دعاة النازية حاول نسب المسيح الى الآريين مدللا على ذلك بوصف شكله الذى يتفق وأوصاف الآرية .. « أما موقف النازية من الكنيسة فلا يزيد على كونه موقف من يريد اخضاعها له ولتعاليمه فاذا ما رفضت الكنيسة الخضوع فان النازية تشن عليها حربا سياسية واجتماعية عقـائدية أما موقفها من الآداب التى جاء بها المسيح فانه أى المسيح ينادى بالرحمة والرحمة مناهضة للصفات الآرية التى بشرت بها النازية والتى ترتكز على القوة والبطش والسطوة والشجاعة » (١) .

(١) اقرأ العرض الرائع الذى اورده الأستاذ عباس محمود العقـاد فى سلسلة محاضراته عن النازية والأديان التى صدرت فى القـاهرة عام ١٩٤١ وخصوصا الصفحات من ٨ الى ١١

الباب الرابع

النازية والاشتراكية

تدعو النازية الى الاشتراكية بمقتضى اسمها ودعوتها وبرنامج حزبها فالنازية هى ترجمة للتعبير الألمانى المختصر « الوطنية الاشتراكية الألمانية للعمال » ؛ ولقد أخذت الدعوة النازية خطا اشتراكيا يبشر بالتحرر من سلطان رأس المال ورفع مستوى معيشة الطبقة العاملة والحفاظ على مصالح الطبقة دون المتوسطة من أصحاب الحرف والفنون كذلك فقد أورد برنامج الحزب الذى ظهر فى فبراير عام ١٩٢٠ ست مواد تدعو الى الاصلاح الزراعى وتأميم المنشآت الاقتصادية الكبيرة وتأمين العمال ضد المرض والشيخوخة الى جانب الاهتمام بالصناعة وعمالها .

ومن يتتبع تطور الحزب النازى يلاحظ تمسك قادته ومؤسسيه بالاشتراكية منذ اليوم الأول لقيامه . ثم دخل هتلر الحزب وسعى لقيادته وفى الوقت نفسه أدخل أفكاره الوطنية المتطرفة لتحتل مكانا بارزا فى الاطار الايديولوجى للحزب . ومن هنا أصبحت الايديولوجية النازية ذات شقين : الشق الاشتراكي الموجود منذ التأسيس والشق الوطنى المتطرف الجديد الذى أدخله هتلر . وبوصول هتلر الى زعامة الحزب اتخذت مبادئه الوطنية مكان الصدارة فى الايديولوجية النازية وأصبح النشاط البرلمانى للحزب يدور من حولها لما ثبت من قدرتها على اجتذاب الجماهير أكثر من المبادىء الاشتراكية (١) .

(١) مرجع سابق صفحة ١٨ Heiden, A History of National Socialism.

ولقد اعتمد الكيان الاشتراكى للحزب النازي ودعوته بادىء ذى بدء على الاتجاه الفكرى الذى ظهر فى ألمانيا عقب الحرب العالمية الأولى والذى أفاض معتنقوه فى شرح مضار المدنية الحديثة وعصر الآلة وضرورة تدخل الحكومة فى الميدان الاقتصادى لتحفظ للعمال وأصحاب الحرف الصغيرة مكانهم اللائق فى المجتمع [1] والظاهر ان Alfred Rosenberg الداعية المعروف قد سار على نفس المنوال حينما قال :

« ان دولة الشعب العنصرية هى وحدها الكفيلة بمواجهة المضار الناجمة عن المجتمع الصناعى الحديث وذلك بواسطة التضامن العنصرى لأفراد مجتمعها وهو التضامن القائم على المساواة وازالة الفوارق بين الطبقات » [2] .

وعلى نهج روزنبرج سار دعاة النازية الآخرون مثل Robert Ley [3] الذى قال :

« ان حل مشاكل المجتمع الصناعى رهين باقامة دولة الشعب العنصرية التى تقوم على أسس تعاونية وتكون فى يدها القدرة على ادارة أجهزة الاقتصاد فتنظم البنوك والانتاج وتحدد الأجور لكى تكفل للعوامل الضالة فى الأمة وسائل عيشها وبقائها .. هذه العوامل التى تتكون من العامل محدود الأجر والمزارع الصغير والتاجر الصغير والفنان [4] .

---

(١) تفصيل هذا الاتجاه وربطه بالتيارات الفكرية التشاؤمية التى تتولد فى العادة بعد الحروب الكبيرة موجود بكتاب Vermeil Edmond; Doctrines de la Revolution Allemande, Sorlat Paris 1946. P. 44-48.

(٢) مرجع سابق صفحة ٣١ Rosenberg, Der Mythus des 20......

(٣) شغل R. Ley منصب قائد منظمات العمال النازية اثناء الحكم النازى

(٤) مرجع سابق صفحة ٦٣

Gangulee The Mind and Face of Nazi Germany.

ومن هنا انبثقت الاشتراكية النازية واتجه دعاتها الى نقد النظام الاقتصادى لجمهورية فيمار ليثبتوا ان المشاكل الاقتصادية للجمهورية لابد لها من حل جذرى يعتمد على اعادة توزيع الدخول ورعاية العمال وأصحاب الموارد المحدودة وازالة الفوارق بين الطبقات وفى هذا المعنى يقول هتلر :

« ان النازية ترجمة لكل ما يعتمل فى صدورنا نحن أفراد الطبقة العاملة من مشاكل يتعرض لها كفاحنا من أجل لقمة العيش . ولن يتأتى للحكومات الحاضرة أن تحل الأزمات التى نواجهها ما دام العامل عاملا والأجير أجيرا وصاحب رأس المال مستغلا والطبقة الكادحة ترزح تحت نير البطالة والطرد التعسفى .. اننا أيها السادة لا نرضى بأنصاف الحلول ولا بالشعارات الكاذبة وانما نقولها بصراحة وعلى الملأ ان أزماتنا الاقتصادية لا يمكن حلها الا اذا توارى مجتمع الطبقات ليحل محله مجتمعنا الألمانى العنصرى العامل .. الا اذا زالت الدولة البورجوازية لتخلفها دولة الشعب العنصرية [1] .

وفى مجال الدعوة الاشتراكية نادت النازية بمعارضة سيطرة رأس المال وبالاصلاح الزراعى وبحماية الطبقة المتوسطة وبالتمسك بحقوق الملكية الفردية وعند خروجها بهذه المبادىء راعت الدعوة النازية أن تكون متميزة عن الاشتراكية الماركسية التى ناهضتها مما حقق لها اكتساب الأنصار من مختلف الطبقات العاملة فى الدولة وعندما ولى هتلر الحكم حظيت هذه المبادىء الاشتراكية بأقل نصيب من عناية الحكومة التى وضعت التسليح واقتصادياته فى مقدمة البرنامج الاقتصادى الذى عكفت على تنفيذه بمساعدة الرأسمالية الألمانية .

---

(١) من خطاب لهتلر فى ميونيخ فى ١٣ اكتوبر عام ١٩٢١

Sales Raul de Kossy Hitler: My New Ordsr مرجع سابق صفحة ٩٨

الفصل الأول

اشتراكية الدعوة النازية

بالرغم من كون الاشتراكية — كما قلنا — مكونة لأحد القسمين الرئيسيين فى الدعوة النازية الا انها لم تحظ سواء من ناحية عناية دعاة النازية أو مجهودات القائمين على أجهزة دعايتها بنفس المعاملة التى لقيتها المبادىء الوطنية .

فان النازية لم تخرج بايديولوجية اشتراكية تستند على البراهين أو المنطق ولم تتميز بالقدرة على جــذب الجماهير مثل ايديولوجيتها الوطنية التى اتسمت بالجرأة والتجديد والتطرف الى الحد الذى حقق للنازية جماهير الاتباع . ويستطيع المطلع على تطورات النازية أن يرجع ذلك الى أسباب رئيسية ثلاث هى : موقف النازية من كل من الشيوعية والرأسمالية وعدم تفهم هتلر للاقتصاد ومبادئه .

أولا ـ موقف النازية من الشيوعية :

شب الحزب النازى فى وقت كان فيه الحزب الشيوعى الألمانى أقوى الأحزاب الشيوعية خارج الاتحاد السوفييتى ولقد بلغ من حسن تنظيم هذا الحزب وقوته ان اعتبر قادة الشيوعية الروسية ان ألمانيا ستكون الدولة الشيوعية الثانية (١) .

---

(١) فى خطاب ألقاه لينين فى عيد أول مايو سنة ١٩١٩ قال : دعونا نحيى اخوتنا فى الجهاد أعضاء الحزب الشيوعى الألمانى الذى عاصروا =

ويقول هتلر فى كتابه « كفاحى » انه قد كفر بالشيوعية وحزبها لما وجدهم يتركون المشكلات الوطنية فى سبيل تنفيذ تعليمات الشيوعية العالمية [1] ولما قدر لهتلر دخول الحزب النازى وتزعمه كان عليه وعلى قادة الحزب أن يتخذوا قرارا فى تحديد مدلول دعوتهم .. اما أن تكون هذه الدعوة مسايرة للدعوات الحزبية المعاصرة .. واما أن تتسم بكل ما هو جديد قادر على شق الطريق بين الجماهير . ولم يتردد هتلر فى اختيار الطريق الثانى معتمدا على ما كان يؤمن به من الأفكار الوطنية المتطرفة وما لبثت هذه الأفكار أن تحولت الى شعارات رفعتها النازية ونزلت بها الى المعركة الجماهيرية وكان على هتلر أن يختار بين مسايرة الحزب الشيوعى ومهادنته على الأقل أثناء السنوات الأولى لحزبه وبين اعلان الحرب عليه وعلى مبادئه وقد اتخذ هتلر أهم قرار له أثره فى حياة الحزب وهو مناهضة الشيوعية واشتراكيتها وحزبها وقادتها وتصميم الحزب النازى على شق طريقه بالقوة وسط نفوذ هذا الحزب [2] .

ومن ثم فقد تولدت بين الحزبين حرب الشعارات التى سادها الحـــزب الشيوعى بايديولوجيته الاشتراكية وبرز فيها الحزب النازى بمبادئه

= ثورتنا وارتضوا العمل بمبادئنا وان كنا اليوم نحييهم من فوق المنبر السوفييتى الشيوعى فلن يمر وقت طويل حتى يردون لنا التحية من فوق منابرهم ... »

من مجموعة خطب لينين التى جمعتها جامعة هومبولت بالمانيـــا الشرقية واصدرتها باللغات الألمانية والانجليزية والفرنسية ونشرتها دار النشر الجامعة فى ألمانيا الشرقية ببرلين عام ١٩٥٨ Deuteche Akademische Verlag الجزء الرابع صفحة ١١٩

(١) مرجع سابق صفحة ٦٥ Hitler, Mein Kampf,

(٢) Bullock Allan, Hitler-A Study in Tyranny, P. 28 Bantam Books New York 1958 P. 319.

الوطنية . ولم يكن من السهل على قادة الحزب النازى ودعاته أن يواجهوا الحزب الشيوعى فى ميدان الاشتراكية فما كان منهم الا أن اتجهوا الى تجريح هذه الشعارات ومقابلتها بالمبادىء الوطنية المتطرفة بدلا من بذل الجهود لتقوية دعائم الاشتراكية النازية .

ثانيا ـ موقف النازية من الراسمالية الألمانية :

نجح الموقف الذى اتخذه هتلر حيال الحزب الشيوعى فى حصوله على مزيد من التأييد والمعاونة من رجال الأعمال الألمان الذين كانوا يقفون من الحزب الشيوعى موقف الحذر والخشية والترقب . والواقع ان مساندة رجال الأعمال للحركة النازية كان مرجعها لأسباب رئيسية ثلاث هى :

موقف النازية من الشيوعية ، واعجاب بعض رجال الأعمال بالمبادىء الوطنية النازية ، وتبشير النازية باعادة بناء ألمانيا وجيشها والقضاء على الأزمات الاقتصادية .

والسبب الأول واضح لا يحتاج الى تفسير ويصدق عليه المثل القائل أولى بصداقتى من عادى عدوى ثم ان المبـــادىء الوطنية النازية قد وجدت من بين جمهور المصفقين لها بعض أصحاب رؤوس الأموال من الألمان الذين انهالت على الحزب تبرعاتهم وكانت لهم اليد الطولى فى نموه ودفع قدرته على التقدم (١) . وفى هذا المجال سرد المؤرخ السياسى البروفسور T.L. Jarmanh قصة السيدة الثرية التى أعجبت بهتلر منذ الأيام الأولى لكفاحه فوهبت حركته كل أموالها (٢) .

(١) Thyseen Franz, I Paid Hitler, Farrar&Reinhart, New York,1943P.13-15

(٢) Jarmann T. L. The Rise and Fall of Nazi Germany, London, New York University Press 1956 P. 29.

وكانت النازية تدعو الى اعادة تسليح ألمانيا وبناء قوتها وتدعيم اقتصادها وهذه الأمور الثلاثة تساير اتجاهات رأس المال الألمانى الذى يستطيع فى ظلها أن يحقق التقدم لدرجة تفوق قدرته « أى رأس المال » على العمل فى ظل سياسة معتدلة مثل سياسات حكومات « فيمار » التى كانت واقعة تحت تأثير القوى الأجنبية وتحرص على تنفيذ ملتزمات « فرساى » تجاه الجيش الألمانى وتسليحه .

اذن فقد تمكنت النازية من الحصول على تأييد بعض كبار رجال الأعمال وأصحاب رؤوس الأموال وعلى الأخص أولئك الذين يشرفون على قطاعى الحديد والصلب والكيماويات وهما عصب الصناعة فى ألمانيا . وأصبح ذلك نصرا كبيرا للنازية ودعاتها مما دعا قادتها الى السير فى اطار من تأمين هذا التأييد والابقاء عليه . وفى سبيل ذلك لم يهتم قادة الحزب بالخروج بايديولوجية اشتراكية منظمة بقدر ما ركزوا مجهوداتهم فى الهجوم على الشيوعية العالمية وأحزابها .

ثالثا ــ عدم تفهم هتلر للاقتصاد ومبادئه :

لم تكن لهتلر ثقافة تؤهله للخوض فى ميادين السياسة والاقتصاد وكل ما كان عنده لا يزيد على مبادىء وطنية جريئة وقدرة عالية على اقناع الجماهير بواسطة الخطابة ومقدرة فائقة على انتهاز الفرص .. وبواسطة هذه المميزات الثلاثة فى شخصية هتلر تمكن من قيادة حزبه والتقدم به فى معترك السياسة ثم الوصول الى حكم ألمانيا [1] .

---

(١) أجمع كل المعلقين على شخصية هتلر ان هذه الصفات هى أبرز خصائصه ان لم تكن كلها ومع اعتبار الظروف الداخلية والخارجية لألمانيا فى ذلك فلقد كانت شخصية هتلر هى العامل الأول فى انتصارات النازية حتى الوصول الى الحكم نعود الى العرض التحليلى لشخصية هتلر فى الجزء الثانى من هذا الكتاب .

ولم يكن هتلر من المثقفين أو قارىء الكتب السياسية والاقتصادية وانما وهذا هو إعترافه فى « كفاحى » لم تزد الكتب التى أثرت فيه على كتب التاريخ التى كان يدرسها فى المدرسة الثانوية على يد « أستاذه الوطنى الكبير » وبعض الأشعار الوطنية لجوته وبعض ما قرأ له من آراء فاجنر وتشمبرلن وجوتفريد فيدر [1] علــى أن هــذه القراءات لم تؤثر الا فى آرائه السياســية أما الاقتصاد والمبادىء الاشتراكية فلم يحظيا من ثقافة هتلر بمكان ملحوظ والدليل على ذلك خلو كتابه « كفاحى » من المناقشات الاقتصادية وتعمده البعد عن الخوض فيها فى خطاباته ولما وصل الى الحكم ترك ميدان الاقتصاد لرجال مدربين من أمثال « الدكتور شاخت » ليعمل فيه على تحقيق أهداف الحكم النازى دون مساس بالمبادىء أو فى الأسلوب أو حتى مناقشة النتائج . ولقد سبق أن بينــا ان الدعوة النازية قد ســارت خلف هتلر ومعتقداته ولما لم تكن للمسائل الاقتصادية ظل كبير على آراء هتلر فقد يكون هذا سببا من أسباب عدم عناية دعاة النازية بها أو الاهتمام بصياغة مذهبية اشتراكية واضحة اكتفاء منهم ومن قائدهم — كما ســبق أن بينا — بالمذهبية العنصرية والسياسية والوطنية .

هذه هى الأسباب الثلاثة التى نعتقد انها قد أثرت على الايديولوجية الاشتراكية النازية وأضعفت من قدرتها بالنسبة للمبــادىء الوطنية والعنصرية .

بقى أن نعرض فى هذا الفصل لماهية الاشتراكية النازية حسبما ظهرت فى برنامج الحزب النازى وضمن أقوال دعاة النازية ..

التزمت الدعوة النازية مناهضة الاشتراكية الشيوعية وحزبها من

(1) A. Hitler, Mein Kamph, P. 61.

ناحية ورفع الشعارات الاشتراكية المعتدلة من ناحية أخرى . فمن حيث الاشتراكية الشيوعية حاول دعاة النازية اظهار عيوبها والفجوات التى تردت فيها الايديولوجية الماركسية االلينينية وخطورة إستيراد هـذه المبادىء فى ألمانيا بوجه خاص أما الشعارات الاشتراكية التى رفعتها النازية فلم تكن أكثر من مبادىء عامة تفتقر الى عناصر الايديولوجية الصحيحة .

ففيما يتعلق بالنظرية الاشتراكية « الماركسية » اتجه بعض دعـاة النازية أمثال Moeller Van Deh Bruck الى تفنيـد أهم أسسها لاظهار نقط الضعف فيها وكشف أغراضها الحقيقية للشعب الألمانى [(١)] ففى مقدمة الجزء الذى خصصه لبحث الاشتراكية النازية أوضح « فان دن بروك » ان لكل شعب الحق فى اختيار اشتراكيته التى تتبع من خصائصه .. فهذه الخصائص هى التى تعطيه الحق فى اختبـار نوع الاشتراكية التى يرغب فيها دون انسـياق أعمى لتقليد اشـتراكيات الشعوب الأخرى [(٢)] . ثم تكلم عن الاشتراكية النازية وحدد أهم أسس التفرقة بينها وبين الاشتراكية الشيوعية وذلك فى النقاط الآتية :

١ — بينما تهدف الشيوعية الى « عالمية البروليتاريا » فان النازية جهدها على وطنية البروليتاريا « فهذه الطبقة الأساسية فى المجتمع اذا ما فتحت عقولها على التشبع بالوطنية الألمانية الحقيقية لأصبحت قادرة

---

(١) تخصص « موللر فان دن بروك » فى التبشير بالفلسفة النـازية مثل روزنبرج وفيدر وتشمبرلن .. ولقد كان يعمل مدرسـا للتاريخ بجامعة ليبزج ومن أهم مؤلفاته التى يجب الاعتماد عليها فى بحث الدعوة النازية كتابه (الرايخ الثالث) Bruck Moeller Van Den, Das Dritte Reich,
Deutsche Nationalverlag Hamburg, 1934 P. 83.

(٢) Burck, Das Dritte Reich, P. 93.

على الاحتفاظ بالقيم الاشتراكية ولن تتبع الا القادة الذين يرسمون بوطنيتهم واخلاصهم مستقبل الدولة لتخليصها من المذلة والعار » (١) .

٢ — بينما تزيد الشيوعية من لهيب وحدة الصراع الطبقى وتراه ضرورة يحتمها التاريخ ، ترى النازية مثل هذا الصراع والافراط فى الايمان به اجرام فى حق الدولة فنحو الغايات العليا للدولة يجب أن تتجمع جهود الطبقات على مختلف المستويات لا أن تختلف أو تتفرق « .. واعتبر فان دن بروك أن بث التفرقة بين أفراد الشعب الألمانى ان هى الا عملية تخريب .. Sabotage نعوق الدولة عن تحقيق أمانيها الوطنية » (٢) .

٣ — اذا كانت الاشتراكية الشيوعية توجه همها الى قيادة نقابات العمال وتوجيهها لأغراضها فان الاشتراكية النازية لا تؤمن بهذه النقابات وترى فيها أدوات فى خدمة اليهودية العالمية ورأى فان دين بروك ان التاريخ قد أثبت بأن هذه النقابات لا تعمل الا لتهديد الاقتصاد القومى ولا تفيد الا مستغليها .

وملخص النقد الذى وجهه فان دن بروك الى الاشتراكية الشيوعية هو كونها تدعو الى العالمية وانها تزيد من لهيب الصراع الطبقى وبأنها تعتمد على نقابات العمال التى لا تعمل بوحى من خدمة الصالح الوطنى العام . وبالاضافة الى هذه الانتقادات الموضوعية للاشتراكية الشيوعية فلقد اتجه دعاة النازية الى الهجوم عليها وعلى حزبها من حيث كونها مبادىء دخيلة مستوردة من اختراع اليهودية العالمية بقصد السيطرة على العالم . وعلى هـذا النحو سار هتلر فى « كفاحى » حين قال « ان الشيوعية

---

(١) Bruck, Das Dritte Reich, P. 87.

(٢) Bruck, Das Dritte Reich, P. 89.

واشتراكيتها تمثلان تهديدا خارجيا لوطننا واننا اذا ما تخلصنا منهـا فسنلاحقها حتى موسكو [1] . وبعد حريق الريشستاج الألمانى عام ١٩٣٤ قال هتلر فى خطابه الى الأمة الألمانية « اذا كانت ثورتنا الوطنية قد قضت على الرؤوس الشيوعية العميلة فسنبدأ من اليوم فى القضاء على أذنابها وعملائها »[2] . وأغلب أقوال هتلر وخطاباته تدمغ الماركسية الألمانية بالعمل ضد سلامة الدولة الألمانية ولمصلحة الأجنبى .. وأبرز هذه الأقوال ما ورد فى « كفاحى » .

« ان الاشتراكية العالمية هى ايديولوجية اليهودية العالمية التى تحاول بها السيطرة على الطبقة العاملة لتمكن من التحكم فى اقتصاديات الدول الصناعية من ناحية ولتقضى على نزعاتها الوطنية من ناحية أخرى[3] .

هذه هى أهم ما وجهته النازية الى الاشتراكية الشيوعية من انتقادات استهدفت تجريح مبادئها واظهارها أمام الشعب الألمانى بمظهر المبادىء الدخيلة التى لا ترعى الا مصالح مستغليها وبجانب هذا الهجوم عـلى الاشتراكية الشيوعية كان على النازية أن تحدد برنامجها الاشتراكى الذى يجمع ما بين رسالة لاشتراكية المعتدلة والمبادىء الوطنية المستقاة من طبيعة الشعب الألمانى . وسواء ظهرت المبادىء الاشتراكية النازية فى أقوال دعاتها أو فى برنامج الحزب النازى فلقد انحصرت فيما يلى : —

أولا — معارضة سيطرة رأس المال .

ثانيا — الاصلاح الزراعى .

ثالثا — حماية الطبقة المتوسطة .

رابعا — التمسك بحقوق الملكية الفردية .

---

(١) مرجع سابق صفحة ١١٥ — Hitler, Mein Kampf

(٢) مرجع سابق صفحة ٤١٩ — Sales : Hitler, My New Order,

(٣) مرجع سابق صفحة ٣٩٠ — Hitler, Mein Kamrf,

اولا – معارضة سيطرة راس المال :

كتب « جوتفريد فيدر » يوضح حكمة الدعوة النازية فى معارضة سيطرة رأس المال فقال : ان رأس المال مرتبط باستقلال الدولة وعظمتها لذلك فوظيفته لا يجب أن تتعدى خدمة هذه الدولة لا السيطرة عليها (١).

ولقد فرق هتلر بين نوعين من رأس المال هما :

— رأس المال المنتج Shaffendes Kapital وهو ناتج العمل لخدمة الدولة ومواطنيها .

— رأس المال المستغل Raffendes Kapital وهو ناتج الاستغلال أو التبديد .

والنوع الأول توازره النازية وتشجعه .. أما النوع الثانى فتحاربه وتنذر بالقضاء عليه (٢) .

ولم يضع هتلر معيارا آخر للتفرقة بين هذين النوعين من رأس المال وهو الأمر الذى يضعنا أمام أحد احتمالين :

اما انه قصد برأس المال المنتج ذلكم الذى يخضع لتوجيه الحكومة ويسير على سياستها بغض النظر عن دافع الربح وقصد برأس المال المستغل ذلكم الناتج من عمليات الاقراض والرهن بعيدا عن حقل المصالح الوطنية وأما أنه أراد ترك هذا التقسيم دون ما معيار واضح بقصد عدم اغضاب أصحاب رؤوس الأموال الذين سايروا الحركة النازية ومولوها .

---

(١) جوتفريد فيدر هو احد مؤسسى الحزب النازى ومن وقع على عاتقه وضع بنود برنامج الحزب النازى .

مرجع سابق صفحة ٥٣ Feder, G Das Programme Der Nsdap.

(٢) مرجع سابق صفحة ٢٦٣ Hitler, Mein Kampf,

وللقضاء على وسائل استغلال رأس المال بشر « روزنبرج » بالغاء الفوائد على القروض من البنوك وأن يقتصر عمل هذه الأجهزة فى مختلف أوجه نشاطها على كونها آلة من آلات تنمية الاقتصاد القومى [1] .

كذلك فرق روزنبرج بين رأس المال الوطنى والاقتصاد الوطنى . فعلى حين طالب بتأميم الاقتصاد الوطنى فانه لم يتعرض لرأس المال الوطنى [2] . وقد يكون السبب فى ذلك ان رأس المال الوطنى هو مجموعة الملكيات الفردية التى ارتأت النازية عدم التعرض لها على أساس ان مساهمتها فى الاقتصاد الوطنى خير من مصادرتها محاولة منها لكسب أصحاب رؤوس الأموال من ناحية ولتوضيح الخط الفاصل بين الاشتراكية النازية والاشتراكية الشيوعية من ناحية أخرى .

ولم يشر برنامج الحزب النازى الذى ظهر عام ١٩٢٠ الى النص صراحة على محاربة الرأسمالية المستغلة وأن كانت الفقرتان ١١ و ١٣ منه تقودان الى هذا المعنى . فلقد نصت الفقرة (١١) من برنامج الحزب النازى على « الغاء ومصادرة الدخول غير المكتسبة بالعمل » ولقد فسر وجوتفريد فيدر واضع البرنامج هذا النص بقوله : اننا لا نقصد غير الحث على مداومة العمل لصالح الوطن » [3] . ثم قسم الدخول الى ثلاثة أقسام هى : دخول موظفى الدولة دخول أصحاب الأعمال العاملين : دخول أصحاب الأعمال الخاملين : وشرح النوع الأول والثانى بأنها الدخول الناتجة عن التشغيل الادارى والصناعى والتجارى بما يحقق أبواب العمل والرزق أمام العمال والدخول الخاملة هى التى لا يبذل

(١) مرجع سابق صفحة ٨٦ Rosenberg, Der Mythus..................

(٢) مرجع سابق صفحة ٩٢ Rosenberg, Der Mythus..................

(٣) مرجع سابق صفحة ٦٣ Feder Dass Pragramme ....

أصحابها آية مجهودات لتنميتها عن طريق الانتاج وانما يكتسبون عن طريق اقراضها بأسعار الفائدة المرتفعة أو يكتنزونها وهـذه الدخول الخاملة فى رأى فيدر — هى الواجب القضاء عليها لأنها تشكل مختلف أنواع الاستغلال من ناحية ولأن أصحابها لا يعملون بوحى من المصالح القومية من ناحية أخرى (١) .

ولقد شارك هتلر فى هذا الرأى حينما قال : ان المـادة (١١) من البرنامج موضوعة لمناهضة أولئك الذين يكتسبون من وراء تكديس المال ولا يعنيهم الصالح الوطنى والاقتصاد القومى (٢) .

أما المادة (١٣) من البرنامج فلقد نصت على « المطالبة » بتأميم كل المنشآت الاقتصادية التى أصبحت Trust (٣) . وتعنى هذه المادة صراحة محاربة التكتلات الاحتكارية الاقتصادية التى كانت تتحكم فى الأسعار وفى العمال ولكن « فيدر » لم يتعرض لشرحها . كذلك فلقد تجنب هتلر اعادة تلاوتها أو تكرارها فى خطبه (٤) .

والملاحظ عن نصوص المادتين ١١ و ١٣ سالفتى الذكر الاتجاه الى السلبية فى النص والتفسير فلقد اقتصرتا فى الغالب على المناهضة والتحريم

(١) مرجع سابق صفحة ١٠٩ Feder, Dass Programme

(٢) مرجع سابق صفحة ٢٩٩ Hitler, Mein Kampf,

(٣) « الترست » هو أحد أشكال الاتحادات الرأسمالية التى تضم أصحاب رؤوس الأموال المشتغلة فى النواحى المتجانسة من فروع النشاط الاقتصادى بقصد التحكم فى الأسعار وسوق العمال واسعار الفائدة بما يضمن عدم الاضرار بالمصالح المشتركة لأعضائها .

(٤) يقول Konrad Heiden ان هتلر كان معارضا هذه المادة منذ البداية ولكنه اضطر الى ايرادها بالبرنامج لارضاء النزعات الاشتراكية فى الحزب النازى .

اقرأ كتابه السابق الاشارة اليه صفحة ١٩٥
A History of National Socialism.

والمصادرة مغفلة اظهار النواحى الايجابية التى رأت الدعوة الاشتراكية النازية الاستناد اليها فى مطالبها ولم يهتم دعاة النازية بتفسير المـواد الاشتراكية فى برنامج الحزب وتبيان خطوط دعوتهم المقابلة لمناهضة سيطرة رأس المال ومصادرة الدخـول غير المكتسبة بالعمـل وتأميم المنشآت الكبيرة بل وصدرت عن هتلر تفسيرات لا تعنى الا تخفيف حدة هذه الشعارات وجديتها مما حولها عن طريق الثورة الاشتراكية الى ميدان المنافسة السياسية .

ولقد جاءت الدعوة النازية فى معارضة سيطرة رأس المال مسايرة للدعوة الشيوعية التى رفعت نفس الشعار الا انه بينما رأت الشيوعية مناهضة رأس المال ومستغليه كانت النازية معارضة لمستغلى رأس المال فقط . ولقد ساير هذا التفسير اتجاهات الدعوة النازية وقام بخدمة أهم أغراضها .. فبمقتضاه ربطت النازية بين اليهودية ورأس المال المستغل واعتبرتها الطبقة الواجب القضاء عليها لتطهير رأس المال الوطنى ولضمان عودته الى خدمة أغراضه القومية .

ثانيا ــ الاصلاح الزراعى :

نصت المادة (١٧) من البرنامج على : نطالب باصلاح زراعى ملائم لمطالبنا القومية واصدار قانون يسمح بمصادرة أراضى المنافع العامة دون تعويض والغاء الفوائد على القروض الزراعية [١] .

---

(١) نصوص برنامج الحزب الواردة فى هـــذا البحث مستقاة من المصدرين الآتيين

المرجع السابق صفحة من ١٩/٣٣ Feder, Dass Programme;

المرجع السابق صفحات ٢٢٢ ــ ٢٢٦ Murphy Raymand, National Socialism;

أى أن الدعوة النازية فى الاصلاح الزراعى قد تحددت بمطالب أربعة هى ، الاصلاح الزراعى الملائم ، المصادرة دون تعويض ، الغاء الفوائد على القروض الزراعية ، منع تبديد الأرض . وقبل العرض لهذه المطالب لابد وأن نسوق موجزا للوضع الزراعى فى ألمانيا ..

بلغت مساحة الأراضى القابلة للزراعة فى ألمانيا عام ١٩١٩ حوالى ٤٢ مليون اكر [1] . وكانت هذه الأراضى موزعة بين اقطاعيات كبيرة فى الشرق ومزارع صغيرة فى الغرب والجنوب . أما اقطاعيات الشرق فلقد تراوحت مساحة كل منها بين ٢٠٠٠ الى ١٠٠،٠٠٠ (اكر) وكانت تمتلكها طبقة النبلاء وسلالاتهم وكبار قواد الجيش أما الملكيات الصغيرة والتى تراوحت مساحاتها بين ١٠٠ الى ١٠٠٠ (اكر) فكان يمتلكها رجال الصناعة والتجارة . وبينما تخصص أصحاب الملكيات الكبيرة فى الاشراف على ممتلكاتهم وادارتها فلقد كانت الملكيات الصغيرة يعوزها الادارة والاشراف والتفرغ . والظاهرة الملفتة فى النظام الزراعى لألمانيا قبل الحرب العالمية الثانية هى عدم تهافت أفراد الطبقة المتوسطة وصغار الزراع على امتلاك الأرض وتوسيع نطاق ملكياتهم بقدر ما اتجه أغلبهم الى تصفية أراضيهم بالبيع للملاك الكبار والنزوح الى المدن للاشتغال بالصناعة والتجارة [2] .

وتقودنا هذه النظرة العاجلة للوضع الزراعى فى ألمانيا الى نتيجة هامة

---

(١) الاكر فدان تقريبا .

(٢) عن الوضع الزراعى فى المانيا ومصدر هذه الاحصاءات اقرأ كتاب أستاذ الاقتصاد الزراعى بجامعة Munchen الفرد شيلينج Schilling Alfred, An Introduction to the German Agricultural Economy Translated by Friedrick Miland, Drowly & Peters London, 1954 P. 16-30.

مؤداها ان الملكية الزراعية كانت مستقرة ولم يعان المشتغلون بالزراعة سواء كانوا ملاكا أم مزارعين أم فلاحين من المشكلات ما يقتضى من الأحزاب السياسية أن تطالب برعايتهم أو المطالبة باصلاح زراعى لرفع مستواهم . كذلك فان تركز الملكية الزراعية فى أيدى النبلاء وكبار رجال الجيش كان أمرا يتفق وتقاليد الشعب الألمانى التى طبع عليها منذ القدم ولا يستحب السواد الأعظم منه أن تشمله يد التعديل [1] .

واذا كانت هذه الظروف قد جعلت الأحزاب السياسية الألمانية اليمينية وحكوماتها محجمة عن التعرض للملكية الزراعية فان الحزب النازى وهو المطالب بالعودة الى التقاليد الألمانية الأصيلة والحريص على استرضاء النبلاء وقواد الجيش ما كان له هو بالذات أن يطالب بالاصلاح الزراعى . والواقع ان « الاصلاح الزراعى » قد جاء فى برنامج الحزب دون توضيح لمقاصده . كذلك فلقد أغفل كل من هتلر وجوتفريد العرض له مما يدفعنا الى الاعتقاد بأن الفقرة الأولى من المادة (١٧) سالفة الذكر قد جاءت اما لارضاء التيار الاشتراكى فى الحزب النازى أو لمناهضة الحزب الشيوعى الذى نادى — ضمن دعوته — بمصادرة الأراضى الزراعية [2] . أى ان الحزب النازى لا يمكن — فى نظرنا — أن يكون قد قصد المطالبة بتحديد الملكية الزراعية وذلك لظروف الحزب وسياسته التى رسمها لكفاحه وفى الوقت نفسه فاننا نعتقد ان الحزب النازى وهو المطالب بالدولة المركزية المطلقة السلطات لابد وأن يكون قد عنى

---

(١) هذه الطبقات تمتعت بالسطوة والسلطان خلال عصور الامبراطورية ولم يضعف تأثيرها على مجريات السياسة أثناء حكومة فيمار .

(٢) Vermeil Edmond, L'Allemagne Essai d'Explication Gallimard Paris 1945, P. 92.

بالاصلاح الوارد فى برنامجه حق الدولة فى توجيه السياسة الزراعية واشراف عليها وذلك لخـدمة الاقتصاد الموجه للأهـداف السياسية والعسكرية .

والفقرة الثانية من المادة (١٧) من برنامج الحزب نصت على المطالبة بحق الدولة فى مصادرة الأراضى الزراعية دون تعويض ولقد قام هتلر بشرح المقصود من هذه الفقرة بما يلى :

« يجب أن نرد على التفسير الخاطىء الذى يعلنه خصومنا للمادة (١٧) من برنامجنا . فلما كان الحـزب يؤيد حق الملـكية الفـردية فمن الواضح ان تعبير (مصادرة دون تعويض) انما يخضع للقوانين الشرعية للمصادرة [١] .

وفى خطاب آخر قال هتلر :

« ان الأراضى التى تدخل ضمن مطالبة الحزب فى المصادرة محددة فى الحالات الآتية : اذا كانت الأرض قد وضع عليها اليد بطرق غير شرعية واذا كانت تدار بقصد لا يتمشى مع الصالح » .

وختم تصريحه بأن المقصود من هـذه المادة هو محاربة الشركات اليهودية التى تستغل الأراضى الزراعية وتعمل على تبديدها [٢] .

وتوضح هذه التفسيرات خشية هتلر ودعوته من وقع نصـوص المادة (١٧) من برنامج الحزب النازى على الدوائر الرأسمالية وملاك الأراضى الزراعية وكان عدم تحديد المقصود بالاصلاح الزراعى لم يكن

---

(١) من خطاب القاه فى ١٣ ابريل ١٩٢٨ ــ مرجع سابق صفحة ٣٢٩
Sales: Hitler, My New Order.

(٢) من خطاب القاه فى ٢٦ يونيو سنة ١٩٢٩ ــ مرجع سابق ص ٣٤٥
Sales: Hitler, My New Order.

كافيا لطمأنة هذه الفئات مما دفع هتلر الى شرح الجانب الخطير من هذه المادة وهو حق الدولة فى المصادرة دون تعويض بما لا يخفف من وقعه فحسب بل وينفى عن الحزب النازى أية اتجاهات لتغيير النظام الزراعى السائد فى ألمانيا والقوانين المنظمة له .

أما منع تبديد الأراضى الزراعية والغاء الفوائد عـلى القروض الزراعية فلا تعنى أكثر مما ورد على لسان هتلر بأن المقصود منها هو محاربة الشركات اليهودية التى تستغل الأراضى الزراعية وتعمل على تبديدها . ولما كانت البنوك وأسواق المال واقراضه واقعة تحت النفوذ اليهودى فى ألمانيا فلقد طالبت الدعوة النازية بالغاء الفوائد على هذه القروض لمنع استغلالها كما أورد هتلر فى « كفاحى » لنزع ملكية الأراضى الزراعية لصالح المرابين اليهود [1] .

ومما تقدم يتضح لنا عدم جدية الدعوة النازية فى المطالبة بالاصلاح الزراعى فبدلا من النص صراحة عـلى اعادة توزيع الأراضى الزراعية وتوسيع رقعة الملكية الزراعية ربطت المادة ١٧ من برنامج الحزب بين الاصلاح الزراعى وحق الدولة فى مصادرة الأراضى والغاء الفوائد على القروض الزراعية فى غير تحديد واضح واستهدفت تفسيرات دعـاة النازية تخفيف وطأة هذه المطالب أكثر من تفسيرها ولعل حرص النازية على ارضاء طبقة كبار الملاك الزراعيين وخصوصا من أمدها بالعون منهم بالاضافة الى ضعف النزعة الاشتراكية الهتلرية لمن أهم الأسباب التى لم يلق من أجلها شعار الاصلاح الزراعى العناية الواجبة من الدعـوة النازية ومن الحكم النازى كما سيتضح لنا فى الفصل القادم .

---

(١) مرجع سابق صفحة ٤١٤ Hitler, Mein Kampf,

ثالثا ــ حماية الطبقة المتوسطة :

كان من دواعى الفخر لهتلر كونه وحزبه من أبناء الطبقة المتوسطة ولقد كرر هتلر هذه الحقيقة فى كتابه « كفاحى » فى أكثر من مناسبة للتدليل على وطنيته حيث قال : —

« ان الوطنية لا تنبع الا من رجال ذاقوا مرارة العيش فى ظل الحرمان أو ضغط صاحب العمل أو ابتزاز المستغل أو سطوة المستعمر... وحينئذ لا تجد طبقتنا المتوسطة الوطنية أملا فى العيش الا بتغيير أسس النظام البورجوازى واقامة الوطنية العمالية » (١) .

كذلك استخدم هتلر انتماءه الى الطبقة المتوسطة فى اعتبار حركته ممثلة لآمال الشعب حين قال :

« اذا صح تقسيم مجتمعنا الى طبقات ثلاثة : فان الطبقة الدنيا لا تعرف أمامها ولا تستطيع أن تغير من مصيرها . بينما الطبقة العليا غارقة فى مظاهر الجاه ومشاركة الحكام غنائمهم وسلطانهم .. أما الطبقة المتوسطة وهى غالبية الشعب فواجبها التاريخى أن تقوم بتوجيه الطبقة الدنيا وتحاسب الطبقة العليا » (٢) .

ولما كانت النازية كما بين هتلر حركة الطبقة المتوسطة الوطنية فلقد طالبت بحماية المصالح الاقتصادية لأفراد هذه الطبقة فالصانع الصغير لابد من حمايته أمام منافسة المصانع الكبيرة .. وأرباب الحرف اليدوية لابد لهم من ضمانات حيال استغلال تاجر الجملة والموظف الحكومى الصغير لابد وأن يرتفع بدخله ومستوى معيشته .. كانت هذه هى الوعود التى بشرت بها النازية أفراد الطبقة المتوسطة . ولقد جاء بعض

---

(١) مرجع سابق صفحة ١٠٩ Hitler, Mein Kampf,

(٢) نفس المرجع صفحة ٢١٩ Hitier: Mein Kampf,

هذه الوعود فى برنامج الحزب الذى نصت المادة ١٦ منه على : نطالب بانشاء وتنمية طبقة متوسطة قوية وتأميم أرباح تجار الجملة والغاء الفوائد على قروضهم لصغار التجار وأن تعطى الدولة الى التجار الصغار عنايتها (١) . والمعنى الواضح لهذا النص هو ان وسيلة تدعيم الطبقة المتوسطة هى فى القضاء على تجار الجملة واستغلالهم لصغار التجار.

ومالم يرد فى برنامج الحزب خاصا بالدعوة وحماية الطبقة المتوسطة ورد على ألسنة دعاة النازية الذين نادوا بحماية الدولة لأصحاب الحرف وصغار الصناع والمطالبة باعطاء الحكومة لهم حصصا فى العطاءات والتوريدات (٢) .

أما الموظفون فلقد وعدتهم النازية برفع الدخول وبالغاء جزاءات العمل وتأمين معاشاتهم لهم ولورثتهم من بعدهم . ولقد جاء هذا الوعد على لسان جوتفريد فيدر مشرع الحركة حين قال « لا يمكن لنا أن ننسى هؤلاء المتشرفين بخدمة الحكومة والحاملين للواء رعاية مصالحنا من صغار الموظفين والى هؤلاء توجه النازية نداءها بالكفاح من أجل مجتمع أفضل لأمتهم ولمستقبلهم ولضمان الحياة لهم ولأسرهم (٣) .

ولقد كان النص الوارد فى برنامج الحزب النازى بشأن رعاية الطبقة المتوسطة ظاهرا ومرتكزا على أسس واضحة بالرغم من التعارض الذى ظهر فيما يتعلق بتجار الجملة (٤) . وكان من الطبيعى أن يشتد اقبال

---

(١) من برنامج الحزب النازى الوارد بكتاب « جوتفريد فيدر »
Feder, Dass Programme der NSDAP P. 20.

(٢) مرجع سابق صفحة ٥٦٤ U.N.E.S.C.O. The Third Reich.

(٣) نفس المرجع صفحة ٥٦٤ UNESCO. The Third Reich.

(٤) بينما كانت المادة (١٦) المشار اليها تطالب بمصادرة أرباح تجار الجملة وأوردت المادة (١٤) من نفس البرنامج بالمطالبة باقتسام هذه الأرباح

أبناء الطبقة المتوسطة على تقبل الدعوة النازية لدعوتها بشأنهم فحسب بل ولدواعى أخرى لخصها الأستاذ William Ebensteih قائلا :

« كان أفراد الطبقة المتوسطة يخشون الانضمام الى طبقة البروليتاريا وخصوصا الموظفين وأرباب الحرف وصغار الزراع منهم . فالموظفون لم يرضوا لأنفسهم وهم خريجى الجامعات والمعاهد أن يشتركوا مع العمال فى جبهة واحدة . وأرباب الحرف وصغار الزراع كانوا غير مؤمنين بوعود الاشتراكية الشيوعية من ناحية ولا بالضمانات التى هيأتها لهم نقاباتهم المهنية من جهة أخرى .. ولما جاءت النازية وعرضت علـى كل من هؤلاء حلا لمشكلاته بالاضافة الى قوة مبادئها الوطنية لقيت الترحيب والتأييد من أفراد الطبقة المتوسطة فى ألمانيا » (١) .

رابعا ـ التمسك بحقوق الملكية الفردية :

ومن وحى التمييز بين الحركة الاشتراكية « النازية » والحـركة الاشتراكية « الشيوعية » دافعت النازية عن حق الملكية الفردية وتقاليد الوراثة ولقد جاءت هذه الضمانات بالشروط الآتية التى أوضحها برنامج الحزب النازى وهى أن تكون هذه الملكية ناتجة عن دخول مكتسبة بالعمل (مادة ١١ من البرنامج) والا تكون ناتجة عن استغلال أو تبديد فى الملكيات الزراعية (مادة ١٧ من البرنامج) والا تكون الملكية لأجنبى عن البلاد كما يفهم من المادتين (٥ ؛ ٨ من البرنامج).

أما هؤلاء الذين يتمتعون بالملكية الخاصة التى لا تتوفر فيها هذه الشروط فللدولة الحق فى مصادرة أموالهم دون تعويض (٢) .

---

(١) William Ebenstein, Today's ISMS Princeton University 1955 P.57

(٢) مرجع سابق صفحة ٥٨٣ UNESCO. The Third Reich,

ولقد عبر هتلر عن هذا الاتجاه فى احدى خطبه قائلا :

« العيش فى الرايخ لأبناء الرايخ من الألمان الوطنيين . والى هؤلاء أقول : ان المستقبل لكم والغد يبتسم اليكم .. أما غيرهم من المستغلين الذين عاشوا على دماء هذا الشعب ونتيجة استغلاله فاليهم أقول : ان الرايخ الثالث لن يحميكم أو ممتلكاتكم أو مستقبلكم وسنعمل على رد أموالكم الى أصحابها الشرعيين » (١) .

وفى حق الملكية الفردية قال « جوتفريد فيدر » :

« الملكية الفردية كالماء والهواء والغذاء للمواطن لا حياة له بدونها وحرمانه من هذا الحق قضاء على الدافع المحرك لنشاطه .. وبدون هذا الدافع يتحول المرء الى آلة صماء .. لذلك ولكى نحفظ للفرد العنصرى فاعليته ونشاطه فلقد أمناه على ملكيته بشرط عدم تعارضها مع قوانين الدولة أو سياستها العنصرية » (٢) .

أى ان ملكية الفردية كانت حقا للأفراد بمقتضى الدعوة النازية بالشروط التى بينها هتلر والتى استثنت اليهود والأجانب وتلك التى أوضحها فيدر والتى استثنت غير العنصريين من التمتع بهذا الحق . وبخروج اليهود والأجانب ومن أطلقت عليهم النازية اسم « غير العنصرين » فان دائرة الملكية الفردية حسب مبادىء النازية — قد ضاقت بمن يستحقونها ولذلك فانه يمكن القول بأن القيود التى فرضتها الدعوة النازية على حرية الملكية الفردية لتقترب من حد المنع أكثر مما تقترب من حد الاباحة .

---

(١) من خطاب له فى ازنبروك بجنوب ألمانيا فى ١٦ مارس ١٩٢٩ .
مرجع سابق صفحة ١٨٤ Sales: Adolf Hitler, My New Order,

(٢) مرجع سابق صفحة ١٢٣ . Feder, Dass Programme der NASDAP

بمناهضة الشيوعية العالمية وسيطرة رأس المال والمطالبة بالاصلاح الزراعي وحماية الطبقة المتوسطة واباحة الملكية الفردية .. رسمت النازية الخطوط العريضة لمبادئها الاشتراكية . والملاحظة الأولى على هذه المبادىء تتمثل في السطحية الظاهرة التي عالجت بها النازية عناصر دعوتها الاشتراكية فمن بين العناصر السالفة اهتمت النازية بابراز الفروق بين اشتراكيتها والاشتراكية الشيوعية التي ناهضتها وفي هذا المجال لاحظنا السلبية التي واجهت بها النازية الشعارات الشيوعية وعدم تمكنها من الخروج بمبادىء اشتراكية منظمة محددة لتواجه به الايديولوجية (الماركسية) بل اقتصر همها في معظم الأحوال على تجريحها لافتقارها الى العناصر الألمانية والوطنية ثم استهدفت بمبادىء معارضة سيطرة رأس المال واباحة الملكية الفردية تطهير البلاد من اليهود ونفوذهم أكثر من أي شيء آخر أما مبدأ الاصلاح الزراعي فلقد افتقر الى المناداة بتحديد الملكية وبذلك فقد عنصره الاشتراكي الفعال . وكانت مبادىء حماية الطبقة المتوسطة مجرد نداءات تستهدف جمع الأنصار .

واذا كانت المبادىء الاشتراكية للدعوة النازية قد جاءت بهذا القدر من قلة التعمق ومن الافتقار الى مقومات الايديولوجية السليمة فلقد اتسمت السياسة الاقتصادية للحكومة النازية بكل ما يحويه النظام الرأسمالي من مظاهر بددت حتى تلك الخيوط الاشتراكية الدقيقة التي رسمتها الدعوة النازية كما سيتضح لنا في الفصل التالي .

الفصل الثانى

اشتراكية الحكم النازى

تولى هتلر مسئولية ألمانيا والحالة الاقتصادية فيها تسير من سيء الى أسوأ ففى ديسمبر عام ١٩٣٢ بلغ عدد العاطلين عن العمل حوالى ٦ مليون عامل نظرا لانخفاض حجم المشروعات واتجاه المصانع الى ضغط المصروفات وتحديد الإنتاج .

كذلك ومما أدى الى احجام الرأسماليين عن التوسع والنشاط ان سعر الفائدة فى البنوك التجارية كان مرتفعا ووصل فى عام ١٩٣٢ الى حوالى ١٠٪ وذلك نظرا لقلة الودائع لعدم توفر الثقة بين المدخرين فى أعقاب الأزمة الاقتصادية العالمية . كما ان صادرات ألمانيا الرئيسية من الفحم والصلب والمصنوعات المعدنية والكيمائية والبصرية قد تأثرت بالحواجز الجمركية التى فرضتها أغلب دول أوروبا لتوازن مدفوعاتها بعد الأزمة الاقتصادية العالمية فانخفض حجم الصادرات عام ١٩٣٣ بمقدار ٤٣٪ عن الحجم الذى وصلت اليه فى عام ١٩٢٨ كذلك فان خزانة الدولة كانت منهكة بفضل زيادة المصروفات مع قلة الايرادات خصوصا وان المتحصل من الضرائب قد نقص عام ١٩٣٣ بنسبة حوالى ٢٢٪ عنه عام ١٩٢٨ وذلك نظرا لتعدد حالات الافلاس بين الممولين الذين لم يتمكنوا من موازنة مشروعاتهم بعد الأزمة العالمية (١) .

(1) Edenstein William, The Nazi Srate, Ferrer & Renchart new Yrik, 1934 P. 43.

والى جانب تأثير الأزمة الاقتصادية العالمية فان عـدم الاستقرار السياسى فى ألمانيا كان عاملا رئيسيا لتدهور الأحوال الاقتصادية فمنذ ظهور الأزمة الاقتصادية فى أوائل عام ١٩٣٠ حتى تولى هتلر الحكم فى نهاية عام ١٩٣٢ شهدت ألمانيا خمسة وزارات ائتلافية حاولت كل منها البقاء فى الحكم للوصول الى الاستقرار اللازم لحل المشكلات الاقتصادية ولكنها كانت دائما تصطدم بعمليتين رئيستين أولاهما صعوبة الحصول على الأغلبية البرلمانية نظرا لتزايد قوة المعارضة اليسارية من الحـزب الشيوعى ولرفض الحزب النازى التعاون معها مما أدى الى قصر أجل هذه الوزارات وعدم استمرار أى منها لمواجهة الأزمات الاقتصادية .

ثم تولى هتلر الحكم وحصلت حكومته المتآلفة مع الحزب الوطنى والحزب المسيحى على الأغلبية البرلمانية المطلوبة . ولم يكن هتلر يهدف الى القضاء على الأزمة الاقتصادية فحسب بل كانت له مرام أبعد من ذلك أهمها الوصول باقتصاديات البلاد الى الحد اللازم لسرعة تسليح الجيش والاستعداد للحرب لذلك فان دراسة اقتصاديات الدولة النازية لتظهر لنا البراعة الفائقة فى حل المشكلات الاقتصادية وفى تحويل الدولة المنهكة الى دولة صناعية حربية وصلت عام ١٩٣٨ الى حد الاعتماد الكلى على مواردها فى سد احتياجات شعبها وفى اقامة أكبر جيش عرفته أوروبا فى ذلك الوقت :

وكان هتلر يهدف الى غايات محددة يريد الوصول باقتصاديات البلاد اليها — كما قلنا — وفى أسرع وقت .. وكانت هذه الغايات هى علاج الأزمة الاقتصادية والتوجيه الاقتصادى وتسليح الجيش والاكتفاء الذاتى والى جانب هذه الأهداف الأربعة الرئيسية حاولت الحكومة النازية

تنفيذ مبادىء دعـوتها الاشتراكية فيما يختص بكافة فروع النشاط الاقتصادى مثل الصناعة والزراعة والتجارة والعمالة .

وستلاحظ عقب عرضنا لهذه النواحى الاقتصادية مـدى اصرار الحكومة النازية على تنفيذ مخططها الاشتراكى فى سبيل الوصول الى الأهداف الهتلرية الرئيسية وأخيرا ؛ وعلى ضوء هذا كله سنستطيع تقرير ماهية النظام الاقتصادى للدولة النازية وهل كان اشتراكيا . كما جاء فى دعوتها أم رأسماليا لدوافع سرعة تحقيق الأهداف .. أم كان هذا النظام مرتجلا يميل مرة ناحية الاشتراكية وأخرى تجاه الرأسمالية فى غير تحديد مؤكد .

الأهداف الاقتصادية للحكومة النازية :

بالرغم من أن هتلر لم يكن رئيسا لوزارة نازية خالصة وبالرغم من وقوف الأحزاب المتآلفة معه موقف الحذر منه والترقب فلقد أمكن لهتلر فى خلال عام واحد أن يصل بنظام الحكم الى تحقيق هدف النازية فى الزعامة المطلقة غير المسئولية [1] .

ولقد نجم عن ذلك مركزية الادارة والتصرف فى شـئون الدولة السياسية والعسكرية والاقتصادية طبقا للمشيئة الهتلرية الفردية المطلقة ولتحقيق ما ارتآه من أهداف سياسية أهمها سرعة اعداد الجيش القادر على اعادة قيام الرايخ الألمانى القوى . وبدافع من سيطرة الحكومة على مقدرات البلاد اقتضى الأمر توجيه الاقتصاد وتدخل الحكومة فى جميع أفرع النشاط الاقتصادية وذلك للتخطيط بقصد سرعة بلوغ الأهداف ولما كان التخطيط بمفرده غير كاف لحل الأزمات الاقتصادية التى ورثتها

---

(١) تفاصيل الانفراد بالحكم بالجزء الثانى من الكتاب ..

الحكومة النازية فلقد عهد هتلر الى كبار الاقتصاديين الألمان أمثال دكتور شاخت ليعيد الى البلاد الاستقرار الاقتصادي . وبعد الوصول الى كل من التوجيه والاستقرار الاقتصـــادى اتجهت البلاد بكل طاقتها تجاه تسليح واعادة بناء الجيش القوى وحتى يستطيع هذا الجيش الاستمرار فى الحرب تحت مختلف الظروف كان على الحكومة أن تخطط لنظام الاكتفاء الذاتى الذى يعين الشعب عـــلى تحمل أى حصار اقتصادى مرتقب .

أولا ـ التوجيه الاقتصادى :

« التوجيه الاقتصادى هو أحد المبادىء الاقتصادية الواجب تطبيقها فى أية دولة تتجه نحـــو الاشتراكية وكلما توسعت الدولة فى التوجيه الاقتصادى ارتفعت درجة اشتراكيتها حتى اذا ما وصلت الى التأميم الكامل لمواردها ونشاط أفرادها وأصبحت المالكة الوحيدة لكل وسائل الانتاج والمصب الوحيد للأنشطة والمجهودات فانه يمكنها حينئذ أن تخطط لتقدمها الاقتصادى فى اطار من الاشتراكية المطلقة .

ولقـــد أخذت النازية بمبدأ التوجيه الاقتصادى ؛ ففى أول مارس ســـنة ١٩٣٤ صدر قرار بانشاء معهـــد للتوجيه الاقتصادى برئاسة Franz Thysson الرأسمالى الألمانى المعروف [1] . ولقد بين Thyssen أن مهمة هذا المعهد كانت منحصرة فى رسم التخطيط الاقتصادى للدولة

(١) فرانز تايسن هو أول كبار الراسماليين الذين اتصلوا بهتلر فى أيام كفاحه وقام بتمويل الحزب وكان واسطته فى الحصول على تأييـــد كبار رجال الأعمال ومساعدتهم منذ عام ١٩٣٠ ثم اختلف معه وهاجر الى امريكا عام ١٩٤٢ حيث عرض لعلاقاته مع هتلر فى كتابه المشار اليـــه فى الصفحة المقبلة .

وتنظيم الصناعة والتجـارة فيها بما يضمن تحقيق الأهداف الرئيسية وأهمها توفير الأموال اللازمة للتسلح وذكر Thyssen ان مجلس ادارة هذا المعهد كان يضم أربعة من كبار رجال الأعمال واثنين من مدرسى الاقتصاد واثنين من كبار أعضاء الحزب النازى » . وكان هذا المجلس بمتناقضاته وعدم تحديد وظيفته أو الالتفات الى توصياته مقضى عليه بالفشل منذ انشائه ولم يبق منه الا دار للمحاضرات يتولى ادارتها الحزب النازى وأعضاؤه ويجتمع فيها أصحاب الندوات الخاصة »(1) .

ولا يعنى ما قرره Thyssen من فشل معهد التخطيط الاقتصادى ان الحكومة قد استبعدت مبدأ التخطيط أو التوجيه الاقتصادى ولكنه يدل على ان سلطة هذا التخطيط قد خرجت عن نطاق هذا العهد . والواقع ان كبار دعاة النازية قد اتجهوا منذ الوصول الى الحكم الى محاولات للتنظيم الاقتصادى انتهت باقرار هتلر لمشروع انشاء المنظمة الاقتصادية Wirtschaftsorganisation التى خطط لها كل من روزنبرج وفيدر وكان الأول يشغل وظيفة مستشار الحزب للشئون الايديولوجية ؛ والثـانى ألحقه هتلر للعمل كوكيل لوزارة الاقتصاد (2) .

ولقد مر انشاء هـذه المنظمة الاقتصادية بمرحلتين : الأولى هى صدور قانون فى ١٥ يوليو سنة ١٩٣٣ الذى فرض على أصحاب المصانع والمتاجر انشاء اتحادات اجبارية بين ذوى الانتاج المتشابه فيما بينهم واعداد قوائم بهذه الاتحادات الجديدة وتقديمها الى وزارة الاقتصاد

(1) Thyssen Franz, I Paid Hitler, Farrar & Renhart, New York 1947 P.28.

(2) فى عام ١٩٣٤ وصل جونفريد فيدر مؤلف برنامج الحزب النازى الى وظيفة وكيل وزارة الاقتصاد ولكنه لم يبق فى منصـبه طويلا حتى تمكن دكتور شاخت من اقصائه عن منصبه عام ١٩٣٥ اقرأ :

مرجع سابق صفحة ٤٠٦ .Shirrer The Rise and fall of The Third Reich

للترخيص لهم بمزاولة أعمالهم . أما المرحلة الثانية وهى الأساسية فى تكوين هذه المؤسسة الاقتصادية فكانت بصدور قوانين ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٣٤ التى فرضت على كل المنشئات أو المصانع أو المحال ذات الطابع الاقتصادى أن تتخذ مكانها فى منظمة تتكون من جناحين : الجناح الأفقى ويشمل المجموعات المتحدة حسب قرار ١٥ يوليو سنة ١٩٣٣ السابق ذكره والتى تشمل الصناعة والحرف والتجارة والبنوك والتأمين والطاقة والمواصلات .. وكل هذه الأنشطة تكون وحدة متحدة قائمة بذاتها لها رئيس معين بواسطة الحكومة ومجلس ادارة يمثل المصالح المنضمة . أما الجناح الرأسى فلقد شمل مجموعة الغرف الاقتصادية التى تتولى الاشراف على نشاط كل من هذه القطاعات مثل غرفة الصناعة والحرف والبنوك والتأمين وغيرها . وتعمل هذه الغرف تحت الادارة الحكومية مباشرة ورئيسها أحد موظفى الحكومة يساعده عضوان أحدهما معين بواسطة الحزب النازى والآخر منتخب (١) .

والجناحان السالف ذكرهما : جناح المؤسسات وجناح الغرف كانا شقى المنظمة الاقتصادية أو « منظمة الاقتصاد الموحد » كما أطلق عليها بعد ذلك وتلخصت أهدافها فى تنسيق أهداف النشاط الإقتصادى وسياسة الحكومة وتنمية الطاقات الانتاجية فى الدول عن طريق انشاء وتنفيذ برامج التخطيط وتوزيع المواد الأولية والبضائع المستوردة على أصحاب المصانع والمتاجر ، وكانت السلطة العليا فىمنظمة الاقتصادالموحد هى مجلس رؤساء الاتحادات والغرف برئاسة وزير الاقتصاد . الا أن المطلع على التطورات الاقتصادية أثناء الحكم النازى يلمس قصور سلطة هذه المنظمة الاقتصادية وعدم الاعتماد عليها فى تخطيط السياسة

(١) مرجع سابق صفحة ٥٥٩ UNESCO. The Third Reich,

الاقتصادية والدليل على ذلك ان الدكتور شاخت قد حصل من الفوهرر على سلطات مطلقة فى الميدان الاقتصادى وكان فى الغالب لا يعتمد فى تصرفاته الا على شخصه ومجموعة المستشارين الذين جمعهم حوله من كبار أصحاب الأعمال والمصانع (١) . كذلك كان قرار تكوين مجلس ادارة مشروع السنوات الأربع للاكتفاء الذاتى الذى اختص بالاشراف التام على ميدان الاقتصاد والمواد الأولية فيما بعد لهو دليل آخر على عدم جدية الاعتماد على منظمة الاقتصاد الموحد خصوصا وان مجلس ادارة المشروع لم يضم الا بعض العسكريين والمستشارين الاقتصاديين من كبار أصحاب المصانع . وقد تكون منظمة الاقتصاد الموحد قد نجحت فى تخطيط الميـدان الاقتصادى والاشراف عـلى أصحاب المصالح الاقتصادية الا أن الثابت ان قرارات التوجيه أو التخطيط الاقتصادى لم تكن لتصدر الا عن دكتور شاخت ولما ترك هذا الوزارة عام ١٩٣٨ خلفه فى الديكتاتورية الاقتصادية هرمان جورنج .. هذا فيما عـدا ما كان هتلر يصدره بنفسه من قرارات تتسم بالشخصية والانفرادية (٢) .

والمظهر الثالث للتوجيه الاقتصادى فى العهد النازى — وهو أقوى المظاهر — تمثل فى مجلس تنفيـذ برنامج السنوات الأربع للاكتفاء الذاتى وهو المجلس سالف الذكر الذى تكون برئاسة جورنج ليسير باقتصاديات البلاد الموجهة تجاه الكفاية الذاتية لألمانيا ولتعيش على مواردها بعيدة عن الأسواق العالمية وسيطرتها . وان النتائج التى توصل اليها هذا المجلس وأهمها تمكن العلم الألمانى من سد الثغرة فى امكانيات البلاد الطبيعية ومواردها ، هذه النتائج التى سيأتى الكلام عنها بالتفصيل

(١) نفس المرجع صفحة ٥٦٢ — UNESCO. The Third Reich.

(٢) مرجع سابق صفحة ٢٨٦ — Shirser. , The Rise and fall.

عند عرضنا « الاكتفاء الذاتى » لكفيلة بالتدليل لا على نجاح هـذا المجلس فحسب بل وسياسة التوجيه الاقتصادى التى اتبعتها ألمانيا فى ظله .

ثانيا ـ علاج الأزمة الاقتصادية :

فى اجتماع عقده هتلر فى مقر المستشارية الألمانية وضم كبار رجال الأعمـال والمستشارين الاقتصاديين غداة توليه الحكم فى ٣٠ ينـاير سنة ١٩٣٣ لبحث وسائل علاج الأزمة الاقتصادية اتفق المجتمعون على أمور ثلاثة هى : القضاء على البطالة فى العمال الصناعيين وتحرير الأراضى الزراعية من الديون والرهونات وحل مشكلة التجارة الخارجية (١) .

وللقضاء على البطالة قررت الحكومة النازية التوسع فى المشروعات العمرانية غير المنتجة مثل انشاء الطرق البرية والكبارى وشبكات المياه والمجارى والمطارات وخلافه (٢) . هـذا بالاضافة الى البدء فى اقامة مشروعات التسليح . وهنا ظهرت المشكلة الأساسية وهى تمويل هذه المشروعات ، فما كانت ميزانية الدولة المنهكة عام ١٩٣٤ لتسمح بذلك كما ان هتلر لم يكن من سياسته الالتجاء الى القروض الخارجية . كذلك فان رفع الضرائب من شأنه أن يؤدى الى عكس النتائج المرجوة من هذه

---

(١) مرجع سابق صفحة ٣١٦ . Vermeil : P'allemajne rasai d'Explication

(٢) من أهم المشروعات التى تمت على يد الحكومة النازية واشتهرت بعدها هى شبكة الخطوط البرية المسماة Autobahn ، وهى التى ربطت جميع مدن المانيا بطرق تتسم بالاتساع والنظافة والتنظيم ... ولعبت هذه الطرق دورا حيويا استراتيجيا فى التحركات العسـكرية البرية الألمانية أثناء الحرب .

المشروعات .. ولم تحل هذه المشكلة الا على يد الدكتور شاخت الذى أولاه هتلر وزارة الاقتصاد فى نهاية عام ١٩٣٤ [١] .

فلقد رأى دكتور شاخت ان تمويل هذه المشروعات لا يمكن أن يتم الا عن طريق التمويل الداخلى فقامت الحكومة باصدار سندات أطلق عليها اختصاراً Mefo مدتها ثلاثة أشهر زادت بعد ذلك الى خمس سنوات وعرضت على الاكتتاب العام بفائدة ٥٪ بضمان الحكومة . وبمقتضى هذا الضمان ولأن البنك المركزى أبدى استعداده لخصمها اذا ما قدمت اليه بعد ثلاثة أشهر من انتهاء أجلها فلقد أقبل الشعب عليها . كذلك اشترتها البنوك التجارية وكان لصاحبها الحق فى تداولها بالبيع والشراء . ولقد نجحت هذه السندات فى حصول الحكومة على مبالغ طائلة قدرت عام ١٩٣٨ أى بعد انتهاء أجل السندات بحوالى ١٢ مليار مارك [٢] .

ولقد عادت هذه السندات على الاقتصاد الألمانى بفوائد جوهرية فلقد أمكن عن طريقها استغلال السوق النقدى والمدخرات الى أقصى طاقة ولم تؤثر على الأسعار لسببين هما انها كانت تصدر بكميات معقولة ومواعيد منتظمة والسبب الثانى ان أكثر هذه السندات احتفظت بها البنوك التجارية ولم تضطر الى خصمها فى البنك المركزى . وتتضح

(١) دكتور شاخت هو الاقتصادى الألمانى المشهور الذى أظهر نبوغا فى معالجة اقتصاديات المانيا النازية لدرجة اعتباره أحد المسئولين عن توجيه ألمانيا للحرب ومثل أمام محاكم نورمبرج العسكرية بعد الحرب بهذه التهمة ولا زال اغلب المعلقين على النازية مصرين على اتهامه بذلك .
اقرأ كتاب Shirrer المرجع السابق صفحة ٢٦١

(٢) Martin Raymond, Le National Socialisme Hitlerien une Dictature Populaire, paris, 1950 P. 68.

معالم النبوغ فى هذه الطريقة للتمويل التى يمكن تلخيصها فى انها قد أدت الى استيلاء الحكومة على المدخرات من البنوك مقابل اذونات حكومية قابلة للدفع بعد خمس سنوات .

ولقد حلت المبالغ المحصلة من هذه السندات مشكلة التمويل فاندفعت الحكومة لتنفيذ سياستها فى القضاء على البطالة وبداية التسلح . ولقد كانت البطالة متفشية فى ألمانيا بشكل ظاهر حيث اعتبرت ألمانيا الدولة الثانية بعد الولايات المتحدة الأمريكية فى عدد المتعطلين تليهما انجلترا ثم فرنسا [1] ؛ ولم تكن حكومات ما قبل النازية قادرة على حل هذه الأزمة بطريقة فجائية علما بأن المبالغ التى كانت مرصودة لحلها بلغت ١٦٠ مليون (فى حكومة بروتنج عام ١٩٣٠) و ٤٥٠ مليون (فى عهد باين عام ١٩٣١) و ٥٠ مليون جنيه (فى عهد شليشر عام ١٩٣٢) . أما الحكومة النازية فلقد أمكنها أن تهبط بعدد العاطلين من ٦ مليون عام ١٩٣٢ الى ٣ر٧ مليون فى يناير ١٩٣٤ ثم الى ٢ر٩ مليون فى يناير ١٩٣٥ — واستمرت البطالة فى تناقصها حتى بلغ عدد المتعطلين عام ١٩٣٨ حوالى ربع مليون عامل . والى جانب العمل فى المشروعات العامة غير الانتاجية ساهمت المصانع الحربية والخدمة العسكرية الاجبارية فى نقص عدد المتعطلين [2] .

هذا بشأن عمال الصناعة والقضاء على البطالة المتفشية فيهم اثر الأزمة الاقتصادية العالمية — أما بشأن الزراعة فلقد كانت الاقطاعيات

---

(١) مرجع سابق صفحة ٧١ Martin Raymond, Le National Socialisme Hitlerien une Dictature Populaire,

(٢) مرجع سابق صفحة ٤٥٩ Unesco. The Third Reich,

الزراعية المركزة والشرق والتى كانت تشكل أكثر من ٨٥٪ من مجموع الأراضى القابلة للزراعة فى ألمانيا تعانى من الديون والرهون التى قدرتها وزارة Bruhning عام ١٩٢٨ بما يلى : —

٧٥٠٫٠٠٠ هكتار مرهونة بقيمة تقدر بحوالى ١٥٠٪ من ثمنها .

١٫٥٠٠٫٠٠٠ هكتار مرهونة بقيمة تقدر بحوالى ١٠٠٪ من ثمنها .

وبلغت الديون على الأراضى الزراعية عام ١٩٣٠ — ٢ مليار مارك(١).

ولحل أزمة الأرض الزراعية اتجهت حكومات ما قبل النازية الى برامج لمساعدة الزراع على الوفاء بديونهم وأطلق على هذه البرامج Osthilfe أو مساعدة الشرق .. ومن هذه البرامج اتجاه الحكومات فى بعض الأحيان الى شراء بعض هذه الأراضى من الدائنين وتقسيمها بين العمال الصناعيين العاطلين (٢) .

الا أن هذا العلاج لم يأت بأية نتيجة حيث ان الأزمة الزراعية كانت ذات شقين :

أولهما الديون الزراعية والثانى انخفاض المواد الزراعية . ولقد اتجهت الحكومة النازية الى علاج الأزمة على هذين لأساسين ففيما يختص بالديون الزراعية التى بلغت فى بداية حكم النازى عام ١٩٣٣ حوالى ٨ مليار مارك صدر قرار بتحديد فوائدها بـ ٤٫٥٪ خصص منها ١٪ للدولة . ثم حررت الحكومة المدينين الزراعيين نهائيا من هذه الديون بشرائها ودفع أثمانها بسندات على الدولة بفوائد قدرها متراوح بين ٠٫٥٪ الى ٥٪ كل عام . ومقابل ذلك كان على ملاك الأرض المدينين

---

(١) مرجع سابق صفحة ٤٥ Martin R, Ae National Socialisme.

(٢) Belomeyer Karl Deutsche Bauermacht Berlin Akademische Verlag 1938 P. 19.

أن يدفعوا للحكومة اما نقدا أو عينا قيمة ديونهم خالية من الفوائد ومقسطة على عشرين عاما [1] . ولقد أثرت هذه السياسة فى عودة الثقة بين الملاك الزراعيين وتحررهم من استغلال الدائنين ، سواء كانوا أفرادا أم كانوا بنوكا تجارية الى الأبد .

وفيما يختص بالأسعار الزراعية فلقد صدر قانون فى ١٣ سبتمبر عام ١٩٣٣ بانشاء اتحاد المنتجين الزراعيين Reichsnahrstand يضم ملاك الأرض والجمعيات التعاونية الزراعية وأصحاب الحرف الزراعية والتجار الزراعيين الموزعين . وكان من أهم سلطات هذا الاتحاد تحديد أسعار البيع والشراء والتسويق . ولما كان هذا الاتحاد يضم كلا من المنتج والمسوق والتاجر فلقد كانت الأسعار الزراعية التى حددها مريحة للجميع .

الا ان نظام تحديد أسعار المنتجات الزراعية وقد نجح فى رفعها بما يضمن رفاهية الفلاح ومالك الأرض فقد ينجم عنه التضحية بالمستهلك حيث ارتفعت أسعار المنتجات الزراعية الألمانية فيما بين ١٩٣٣ ونهاية ١٩٣٤ حوالى ٢٥٪ عن مثيلاتها فى الأسواق الأوروبية الأخرى واستمرت هذه الأسعار فى الارتفاع حتى بلغت أسعار الحبوب واللحوم والبيض حوالى ثلاثة أضعاف أسعارها فى الدانمارك عام ١٩٣٨ . كذلك نتج عن ارتفاع أسعار المنتجات الزراعية زيادة دخول المشتغلين بها بحوالى ٥٠٪ عام ١٩٣٦ عنها عام ١٩٣٢ واحتل الانتاج الزراعى عام ١٩٣٦ — ٩ر٦٪ بعد أن كان حوالى ٨ر٢٪ من الدخل القومى عام ١٩٣٢ [2] .

وبقدر نجاح الحكومة النازية فى حل أزمة البطالة بين العمال

---

(١) المرجع السابق صفحة ٢٣٩ Ebenstein The Nazi State.

(٢) المرجع السابق صفحة ٦٦ Martin R, Ae National

الصناعيين بفضل سياسة الدكتور شاخت فلقد تمكن Dr. Walter Darré وزير زراعتها من تحقيق الرواج الزراعى وحل مشكلات الزراعة على النحو السالف ولقد علق على ذلك بقوله :

« لقد تمكنا من انتزاع الفلاح من براثن الرأسمالية المستغلة وأحللنا السعر الجماعى محل السعر الحر » (١) .

أما التجارة فلم تلق من الحكومة نفس الرعاية التى لقيتها الصناعة والزراعة فلقد نتج عن سياسة التوجيه الاقتصادى وانشاء منظمة الاقتصاد الموحد التى كانت المصدر الرئيسى لامداد التجار بالبضائع ان انتفت عوامل المنافسة الحرة وأصبح الكسب محددا بمقدار الحصص المسموح بها من البضائع لكل تاجر وقدرته على اكتنازها للتلاعب بأسعارها . وللحد من ارتفاع أسعار الحاجيات المعيشية التى ارتفعت عام ١٩٣٦ حوالى ٧ر١١١٪ عنها عام ١٩٣٣ أصدرت الحكومة قرارا بتثبيت الأسعار فى ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٣٦ ؛ ولكن ذلك لم يؤد الا الى انتشار تجارة السوق السوداء التى تفشت فى ألمانيا رغم ما اتخذته السلطات من اجراءات لمقاومتها حتى انه قد قيل ان السوق السوداء قد أصبحت وعلى الأخص خلال سنوات الحرب المكان الوحيد لقضاء الحاجيات المعيشية (٢) .

ولقد كانت التجارة الخارجية ذات قيمة حيوية للاقتصاد الألمانى الذى جبل على انتاج أكثر من حاجة البلاد ليتمكن من استيراد ما يحتاجه من المواد الأولية والزراعية . وازاء الأزمة الاقتصادية العالمية هبطت

---

(١) مقتبسة عن Unesco The Third Reich المرجع السابق صفحة ٤٨٢.

(٢) مرجع سابق صفحة ٢٥٦

Shirrer W, The Rise and Fall of The Third Reich,

التجارة الخارجية لألمانيا الى حوالى الربع عما كانت عليه عام ١٩٢٩ . ولكن هـذا الانخفاض قد حدث فى الصـادرات والواردات بنسب متساوية بحيث لم يؤثر على ميزان مدفوعاتها بشـكل ملحوظ [1] .

ولما وليت الحكومة النازية الحكم نجم عن سياستها فى انشاء الطرق وبرامج التسليح زيادة ملحوظة فى الواردات عن الصادرات لسبب ظاهر هو ان ألمانيا لم تتمكن من تصدير انتاج هذه المشروعات فى الوقت الذى زادت فيه القوة الشرائية لزيادة العمالة وارتفع الطلب على السـلع الاستهلاكية مما دفع الحكومة الى مضاعفة وارداتها خلال السـنوات الثلاث الأولى من الحكم النازى . ولقد نتج عن كثرة الواردات وقلة الصادرات نزوح الذهب من ألمانيا الى الخارج وبالرغم من قرار الحكومة بفرض الرقابة على النقد ومراقبة تداول العملات الأجنبية وصل رصيد البنـك المركزى الألمانى من الذهب عـام ١٩٣٤ الى ما لا يزيد على ٥ر١٪ من قيمة النقد المتداول .

وقد عالجت الحكومة النازية مشكلة التجارة الخارجية بالوسيلتين التاليتين :

١ — صدر قانون ٩ يونيو سنة ١٩٣٣ بتجميد الديون الخارجية وتحويلها الى دين عام على الدولة فى حساب مجمد تصدر عليه الدولة اذونات بضمانها ولكى يتفادى دائنو ألمانيا الخارجيون خسارتهم اضطروا الى استخدام هذه الاذونات فى شراء سلع ألمانية .

٢ — الغاء الاتفاقيات التجارية الحرة التى كانت ألمانيا قد عقدتها قبل الحكم النازى واستبدلها دكتور « شاخت » باتفاقات مقاصـة Clearing للمبادلة لا تستخدم فيها عملات قابلة للتحويل .

---

(١) المرجع السـابق صفحة ٧١ R. Martin, Le National

وبعد ، فهذه هى الخطوات التى اتبعتها الحكومة النازية لعلاج الأزمة الاقتصادية سواء فى ميدان الصناعة أم التجارة أم الزراعة ولقد تميزت هذه الخطوات بالجرأة والفاعلية والمقدرة وكانت نتائجها مدعاة لفخر الدعوة النازية ودعاتها الذين استشهدوا بنجاح الحكومة فى هذا الميدان ليدللوا على قدرة النازية وزعيمها ورجالها على مواجهة الصعاب وازالة العقبات عن طريق النهضة الألمانية الجديدة .

ولا يمكن أن ننسى ان الجرأة والفاعلية والمقدرة لم تكن من صفات قادة النازية فى معالجتهم للشئون الاقتصادية بقدر ما تركزت فى مجهودات شخص واحد هو الدكتور « شاخت » .. هذا الرجل الذى تحايل على الأساليب العتيقة فى معالجة الأزمات الاقتصادية وكان أسلوبه سواء فى التمويل الداخلى أم فى تجميده الديون الخارجية أم فى اتفاقات الدفع Clearing مدرسة فى الاقتصاد التطبيقى اتبعتها كثير من الدول بعد الحرب .

ثالثا ـ اقتصاديات التسليح :

لم تكن المشكلات الاقتصادية التى واجهت الحكومة النازية لتظهر بهذه القوة أو أن يكون علاجها بهذه الجرأة والمقدرة لولا ان هتلر كان قد أصر منذ اليوم الأول لتوليه الحكم على اضافة مشكلة جديدة للمشكلات الاقتصادية القائمة الا وهى ايجاد الوسائل المادية الكفيلة بانشاء جيش ألمانى قوى . لذلك فلقد غدت مصروفات التسليح عبئا جديدا على الاقتصاد الألمانى بل ان أى من القرارات الاقتصادية التى استهدفت حل الأزمة الاقتصادية ما كانت لتقنع هتلر لولا انها قد عالجت فى نفس الوقت مشكلة التسليح . ولقد كانت هذه الظاهرة سببا كى يطلق

المعقلون على النازية على اقتصادياتها تعبير « اقتصاديات التسلح » (١) Wehrwirstchaft.

ولم يكن توجيه الاقتصاد لخدمة الأغراض الحربية فكرة نازية جديدة وانما سبقتها فى ذلك دولة بروسيا خلال القرنين السابع والثامن عشر حيث كانت تخصص حوالى $\frac{5}{7}$ ميزانيتها لمقابلة مصروفات تسليح الجيش بل ولم يكن الاقتصاد فى نظر قادة بروسيا أداة لرفاهية الشعب بقدر ما كان مصدرا لتعزيز القوة الحربية (٢) .

ولقد سارت الحكومة النازية على نفس المنوال منذ توليها حكم ألمانيا وفى ذلك يقول أحد القادة العسكريين الأمريكان : ان التاريخ لن يعرف الا بضعة أمثلة لدولة وجهت اقتصادها وقت السلم تجاه مقتضيات الحرب مثل ألمانيا التى عمدت الى ذلك خلال فترة ما بين الحربين (٣) .

ولقد وقع عبء اقتصاديات التسليح — هى الأخرى — على الدكتور شاخت الذى قدم فى يوليو سنة ١٩٣٤ الى هتلر مذكرة بين فيها ان وزارته قد أخذت على عاتقها تنفيذ برامج التسلح (٤) . وكانت سياسة هتلر تقضى بأن يكون التسليح فى الخفاء حتى يحين الوقت المناسب الذى يتمكن فيه من مواجهة العالم بالأمر الواقع . لذلك فلقد استخدمت أرصدة الـ Mefo فى تمويل التسلح كذلك اتجه جزء من العمال العاطلين للعمل بالمصانع الحربية . ولما كانت أرصدة سندات التمويل

(١) المرجع السابق صفحة ٢٥٩ W. Shirrer,

(٢) المرجع السابق صفحة ٢٥٩ W. Shirrer,

(٣) Thopas George, Maj. General, Basic Facts of German War and Armament Economy, Departpent of State Washington D.C. 1959, P. 59.

(٣) المرجع السابق صفحة ٢٦١ Shirrer,

الداخلى Mefo هـــذه لا تظهر الا فى حسابات البنك المركزى ولأن توزيع العمال بالمصانع كان عملا من الأعمال الداخلية التي لم تثر الاتنباه فإن العالم قد ظل حتى ١٦ مارس سنة ١٩٣٥ فى جهل تام عن اتجاه ألمانيا الى التسلح . وحينئذ فقط أعلن هتـــلر عن تكوين جيش ألمانى من ٣٦ فرقة .

وبعد هذا الاعلان بدأت ألمانيا فى تسلحها العلنى فأنشأ هتلر فى ١ مايو ســـنة ١٩٣٥ المجلس الاقتصادى العســـكرى برئاسة جورنج وعضوية الوزراء المختصين وبعض قادة الجيش وبعض كبـــار رجال الصناعة أمثـــال فريدريك كروب وكان على هـــذا المجلس أن يخطط للمستلزمات الحربية (١) .

ويرى أكثر المعلقين على النازية وعلى رأسهم « شيرر » ان مسئولية اقتصاد التسليح انما تقع على رأس دكتور شاخت لذلك فلقد اعتبروه واحدا من المسئولين عن الحرب العالمية الثانية . والواقع ان الادعاء بفضل شاخت على التسلح واضح خصوصا وهو الذى حل مشكلة التمويل بل وأرسل الى هتلر فى ١٦ مارس سنة ١٩٣٥ مذكرة يعلن فيها « ان مصادرة أموال اليهود والاستيلاء على ديون الأجانب المجمدة قد ساعدت على تمويل مشروعات التسلح » .. وختم المذكرة بقوله : « وعليه فانه يمكن القول بأن تسليحنا قد مولته أرصدة أعدائنا السياسيين » (٢) الا أن التاريخ ومحاكمات نورمبرج قد أثبتت ان شاخت لم يكن أكثر من عالم اقتصادى يطلب اليه حل المشكلة فيعمد الى ذلك دون ما مسئولية شخصية له فى نتائجها . كذلك فان التسليح فى حد ذاته قد أثر على

---

(١) Thomas George, Maj. Genereal, Basic Facts of Geruan War and Armament Economy, Department of State Washington D.C. 1959, P. 61.

(٢) المرجع السابق صفحة ٢٦٠. Shirrer, The Rise & Fall.

اقتصاديات ألمانيا وساهم فى دعمها .. فالى جانب كونه قد استخدم جزءا كبيرا من العاطلين فانه قد حل مشكلة التصدير وخصوصا لانتاج مصانع الفحم والحديد والصلب والسيارات ، فان هذه المنتجات وهى عماد الصناعة الألمانية لم تجد لدى الدول الأجنبية بعد الأزمة العالمية أى باب مفتوح مما اضطر المشرفين عليها وهم عماد رجال الصناعة والأعمال الألمان الى الوقوف أمام أحد أمرين : فاما أن يضيقوا من محيط أعمالهم وانتاجهم أو أن يشاركوا الحكومة فى سياسة التسلح .. وبهذا كانت سياسة التسلح بمثابة الانقاذ لهذه الصناعات الكبيرة مما دعا كبار رجال الصناعة الى مشاركة الحكومة وتأييدها فى برامج التسلح . لذلك فاننا نشارك دكتور شاخت قوله أمام محكمة نورمبرج : « لقد ساعدنا على التسلح لانقاذ الاقتصاد الألمانى وقوت الشعب ولم يكن فى مقدورنا نحن رجال الاقتصاد أكثر من ذلك ولسنا من أعلن الحرب أو شارك فى أية سياسة عدوانية » [1] .

ولقد قلنا ان اقتصاد التسلح قد مر بمرحلتين هما مرحلة الاستعداد السرى وهى التى أفاد فى تمويلها سندات الحكومة Mefo ، وذلك فى الفترة من ١٩٣٣ الى ١٩٣٥ والمرحلة الثانية كانت مرحلة التسلح العلنى التى عهد فيها بالاشراف على اقتصاديات الحرب الى المجلس الاقتصادى العسكرى والواقع أن هناك مرحلة ثالثة اتجهت خلالها الدولة لتوجيه كافة امكانياتها لخدمة التخطيط الاقتصادى الحربى . ولقد بدأت هذه الفترة منذ عام ١٩٣٧ ففى يوليو من ذلك العام صدر قرار بتشكيل مجلس ادارة برنامج السنوات الأربع للاكتفاء الذاتى برئاسة هرمان جورنج وكان الهدف من هذا المشروع هو الوصول بالبلاد فى مدى أربع سنوات الى

(1) Gilbert G.M. Nuremberg Diary, Peterson New York, 1947 P. 207.

الاكتفاء الاقتصادى الذاتى وأعطى جورنج سلطات استثنائية للاشراف على اقتصاديات البلاد من أهمها توزيع المواد الأولية على المصانع والمتاجر بما يضمن تنفيذ البرنامج مع اعطاء الأولوية للصناعات الحربية كما ان المجلس المذكور أنيط به الاشراف على النقد وتحديد الأسعار [1] .

ولقد كان الهدف من هذا البرنامج الاستغناء عن حاجة ألمانيا الى السوق العالمى وايجاد البدائل لأهم الواردات الصناعية والزراعية والاستهلاكية وعلى حين أفاد أصحاب الخبرة الاقتصادية فى تسيير عجلة الاقتصاد الألمانى فان علماء ألمانيا الكيمائيين والصناعيين قد تمكنوا فى ظل هذا البرنامج من اخراج البدائل لأغلب السلع التى تعتمد ألمانيا على استيرادها .. فمن منتجات الفحم أمكن استخراج البترول الصناعى ومن بقايا البترول أمكن الحصول على ما يشبه الزبدة الصناعية ومن الفاصوليا المحمصة حصلت الكيمياء الألمانية على بديل للبن ثم اخترع المطاط الصناعى ؛ وألواح الصلب من أردأ أنواع خامات الحديد التى أمكن استخراجها من الأراضى الألمانية .. الى غير ذلك من المنتجات التى

---

(١) أعضاء هـذا المجلس لم يعلن عنهم الا انهم فى الغالب كانوا من العسكريين والاقتصاديين وبعض رجال الاعمال على غرار المجلس الاقتصادى العسكرى .

والملاحظ فى أن قرار انشاء برنامج السنوات الأربع للاكتفاء الذاتى لم يلغ المجلس الاقتصادى العسكرى بل أخذ أهم اختصاصاته ويقال أن السبب الرئيسى فى انشائه كان الخلاف الذى وقع بين هتلر وشاخت والذى ترك الأخير بمقتضاه الوزارة فى منتصف عام ١٩٣٧ وعند ذلك أعطيت كافة السلطات الاقتصادية العليا لجورنج ومن بينها الاشراف على هذا البرنامج .

مرجع سابق صفحة ٦٨ .Ebenstein, The Nazi State

أمكن فيها للعلم الألمانى أن يبرز ويجند هو الآخر طاقته لخدمة مقتضيات الحرب (١) .

ولعبت سياسة الاكتفاء الذاتى هذه دورا مزدوجا فى خدمة الدولة الألمانية فبواسطتها أمكن تأمين الجهة الداخلية ضد المجاعة والاضطرابات نتيجة اغلاق الأسواق الخارجية .. كذلك فبعد نجاح هـذه السياسة أمكن توجيه جهاز الصادرات الألمانية بأكمله لخدمة مقتضيات التسلح .

وبعد فلقد كان غـلاج الأزمة الاقتصادية والتوجيه الاقتصـادى واقتصاد التسليح وسياسة الاكتفاء الذاتى هى المظاهر الأساسية للسياسة الاقتصادية التى اتبعتها الحكومة النازية .

مدى تطبيق الحكومة النازية لمبادئها الاشتراكية :

من ثنـايا المظاهر الأساسية لاقتصاديات الحكومة النازية لا يمكن للباحث أن يشتم اصرارها على السير فى الخط الاشتراكى الذى رسمته لها دعوتها الحزبية .

أجل لقد ظهرت بوادر الاشتراكية فى بعض المناسبات واتسمت بها بعض التصرفات ولكن الحقيقة التى يخرج بها الباحث للاقتصاد النازى انه قد خلا من التخطيط الاشتراكى .

ولقد حاول دعاة النازية تطبيق الاشتراكية فور وصول الحزب الى الحكم ولكن محاولاتهم كانت غير مجدية أمام اصرار هتلر على تنفيذ مخططه للوصول الى توجيه عوامل الاقتصاد وجوانبه لخدمة سياسة التسلح والاكتفاء الذاتى . فبرنامج الحزب الذى احتوى عـلى تأميم

(١) George Thomas Basic Facts of German War and Armament Economy, Department of State Washington D. C. 1959 P. 92.

الاتحادات الصناعية ومقاسمة أرباح تجار الجملة والاصـلاح الزراعى والقضاء على فوائد القروض لم يكتب له التطبيق فى عهـد الحكومة النـازية . وشهدت الفترة ما بين تولى الحـزب الحـكم فى ديسمبر سنة ١٩٣٢ حتى تولى شاخت وزارة الاقتصاد فى منتصف عام ١٩٣٤ محاولات من كبـار الدعاة الاشتراكيين النازيين للتخطيط الاشتراكى واتخذت هذه المحاولات المظاهر الآتية :

١ — فى الشهور الأولى من عام ١٩٣٣ تقدم بعض أعضاء الحزب من الاشتراكيين المتعصبين الى هتلر باقتراح اعلان الاشتراكية فى البـلاد والاستيلاء الفورى عـلى كافة المنشئات التجارية والصناعية لادارتها بواسطة الدولة أو الحزب .. ولكن هتلر رفض الفكرة وأقصى معظم هؤلاء عن منـاصبهم فى الحـزب وأحل محلهم بعض رجال الأعمال المحافظين (١) .

٢ — فور تعيين « جوتفريد فيدر » مؤسس برنامج الحزب النازى فى وظيفة وكيل وزارة الاقتصاد اتجه الى التخطيط الاشتراكى وقـدم تقريرا الى هتلر دعا فيه الى القضاء على الرأسمالية واعادة تنظيم الاقتصاد على أساس من الاشتراكية تحت اشراف الحكومة .. ولكن هتلر لم يلتفت اليه وكان أول عمل لدكتور شاخت بعد تقلده وزارة الاقتصاد أن استغنى عن خدمات فيدر (٢) .

٣ — وفى أول أبريل سنة ١٩٣٣ اقترح أحد مستشارى هتلر وكان يدعى Dr. Wagher حل اتحاد الصناعات الألمانية وتطهيره من استغلال رؤسائه Kastle & Krupp ، وذلك توطئة لغل أيدى كبـار رجال

(١) المرجع السابق صفحة ٢٦١ .Shirrer

(٢) نفس المرجع والصـفحة

الصناعة واستبدالهم برجال الحزب النازى ولكن ما ان حل منتصف يونيو من نفس العام حتى كان هتلر قد أصدر قرارا بتعيين . Knupp رئيسا لاتحاد الصناعات الحديثة و Kastle رئيسا لاتحاد الصناعات الكيمائية بينما كان Thyssen مديرا لمعهد التخطيط (1) . بل ان Dr. Wagner نفسه الذى قـدم هذا الاقتراح استغنى عن خـدماته وحل محله مستشار آخر باسم (2) Wilhelm Keppler ، ولقد انتهت محاولات تطبيق الاشتراكية تماما فور وصول دكتور شاخت الى وزارة الاقتصاد وتمتعه بالسلطات الاستثنائية لسرعة تنفيذ أهداف الحكومة وفى أثناء توليه الأمور الاقتصادية والمالية فيما بين عام ١٩٣٤ ؛ ١٩٣٧ لم تظهر الاشتراكية فى مجالات الاقتصاد المختلفة وانما كانت كل تصرفات دكتور شاخت وقراراته تتسم برعاية الرأسمالية وبالاعتماد على كبار رجال الأعمال .. فطريقة التمويل الداخلى التى ابتدعها لم تكن لتنجح لولا أن ساهم فيها كبار رجال الأعمال والبنوك التى يشرف بعضهم عليها وفى قرار الحكومة بتجميد الدين حرص شاخت على أن يعطى الدائن الداخلى فائدة قدرها ٥٪ سنويا بينما كان الدائن الخارجى لا يستطيع الا أن يشترى سندات الديون ليستخدمها فى تمويل وارداته من ألمانيا .
وفى سياسة التسلح اعتمد شاخت على رجال الأعمـال ووضع بعضهم فى المجلس الاقتصادى العسكرى وكانت سياسة التسلح ذاتها مسايرة تماما لأهداف الرأسمالية الألمانية .

---

(١) كروب وكاستل وثايسن كانوا ملوك الصناعة فى ألمانيا فالأول كان يتربع على عرش الحديد والصلب والثـانى على الصناعات الكيماوية والأصباغ والثالث على الصناعات المعدنية والكهربية .

(٢) المرجع السابق صفحة ٥٧٢ U.N.E.S.C.O. The Third Reich.

أما بعد شاخت عام ١٩٣٧ فلم تكن ظروف ألمانيا السياسية تسمح لها بأى تخطيط اقتصادى جديد وانما سارت البلاد فى اطار الرأسمالية الموجهة من الحكومة لخدمة أغراض التسلح والاكتفاء الذاتى حتى بداية الحرب .

واذا كانت هذه هى أهم التطورات التى مرت بها محاولات تنفيـذ الاشتراكية أثنـاء الحكم النازى فالى أى مصير اتجهت مبادىء هذه الاشتراكية التى نصت عليها الدعوة وبرنامج الحزب ؟

فيما يتعلق برأس المال والقضاء على سيطرته ظل هتلر على رأيه بشأن تقسيمه الى رأس مال مستغل ورأس مال وطنى واعتبر أصحاب رؤوس الأموال كلهم من الوطنيين فيما عدا اليهود منهم الذين صادرت الدولة ممتلكاتهم وأموالهم . أما كبار رجال الصناعة فلم تمس الحكومة النازية نشاطهم أو ممتلكاتهم بأى قيد . أجل اختلف مجال نشاطهم من الرأسمالية الحرة الى الرأسمالية المقيدة بتوجيه الدولة التى كانت تحدد لهم طبيعة الانتاج والأسعار وارتفعت عليهم الضرائب .. ولكن بالرغم من ذلك كانت الرأسمالية الألمانية تحصل عـلى المكاسب فالصناعات الكبيرة والمشرفين على برامج التسلح ومصانعهم ارتفعت الفوائد التى حصلوا عليها من ٢٪ قبل النازية الى حوالى ٦٫٣٪ عام ١٩٣٨ (١) .

أما صغار الرأسماليين وأصحاب الحرف من أفراد الطبقة المتوسطة وهم الذين عنى برنامج الحزب النازى بالمطالبة بتحسين أحوالهم فقد وجدوا أنفسهم أثناء الحكم النازى مضطرين الى العمـل كاجراء فى الصناعات الكبيرة . وفى أكتوبر سنة ١٩٣٧ صـدر قانون بحل كل المنشئات الاقتصادية ذات الرأسمال الذى يقل عن ٤٠٫٠٠٠ دولار ومنع

(١) المرجع السابق صفحة ٢٦٢ Shirrer,

اقامة منشئات جديدة برأسمال يقل عن ٢٠٠٠،٠٠٠ دولار . ولقد أثر هذا القانون فى القضاء على حوالى خمس أصحاب المنشئات والمتـاجر الصغيرة [١] .

والمادة الثالثة عشرة من برنامج الحزب التى طالبت بتأميم الاتحادات الصناعية الكبيرة مثل الترست والكارتل قد قوضها قانون ١٥ يولية سنة ١٩٣٣ الذى فرض على المنشئات الاقتصادية الاتحاد فيما بينها وشجع الترست والكارتل .

والاصلاح الزراعى الذى نادت به الدعـوة النازية لم يكتب له التحقيق ففى يولية عام ١٩٣٣ وعـد Walter Darré وزير الزراعة أصحاب المقاطعات الكبيرة بعدم المساس بملكياتهم ما داموا قادرين على تمويلها . وفى ٢٩ سبتمبر ١٩٣٧ صدر قانون توارث الاقطاعيات لينص على عدم تفتيتها واستمرار المالك وعائلته فى الافادة منها بحيث لا يقل ما يمتلكه كل منهم بالميراث عن ١٢٥ كتار . أما ادارة الاقطاعية فتكون من نصيب الابن الأكبر أو الابن أو زوج أكبر البنـات [٢] . أى ان الحكومة النازية قد ساعدت على بقاء الاقطاع وحمايته ولم يصدر عنها حتى عام ١٩٤٣ إلا قرارات أكدت سلطان الاقطاع الزراعى وهيأت له أفضل الظروف وأحسن الأسعار [٣] .

ومما تقدم يتضح ان الحكومة النازية لم تحقق الثورة الاشتراكية التى نادت به دعوتها ويرجع ذلك الى أسباب كثيرة هى بترتيب أهميتها :

---

(١) مرجع سابق صفحة ٢٦٢.

Shirrer, The Rise and Fall of The Third Reich.

(٢) مرجع سابق صفحة ٣٠١ ـ ٣٠٢

U. N. E. S. C. O. The Third Reich.

(٣) مرجع سابق صفحة ٢٤١.

Ebenstein The Nazi State.

ان المبادىء الاشتراكية للدعوة لم تتضح فى شكل ايديولوجى منظم فمع الاصرار على نقـد الاشتراكية الشيوعية لم تتخذ الايديولوجية الاشتراكية خطا واضحا مميزا بل خضعت لتفسيرات مختلفة تتسم بالتناقض من دعاة النازية وكبار زعمائها .. ففى الوقت الذى اعترف فيه الداعية النازى موللر فان دون بروك بأن الاشـتراكية كيان لا يمكن تحديده وقابل للنمو فلقد رأى أوسوالد سبنجلر ان الاشتراكية النازية ستكون مأخوذة عن اشتراكية بروسيا فى عهد فريدريك الأكبر التى حددت لكل فرد مكانه وواجبه فى الخطة التى وضعتها الدولة أو الأسرة الحاكمة (١) .

كذلك فالمبادىء الرئيسية للاشتراكية النازية التى ظهرت فى برنامج الحزب كانت معرضة للتقلب والنقد فى تفسيرات كبار القادة النازيين لها كما اتضح من تفسير هتلر للاصلاح الزراعى والمصادرة دون تعويض . ولم يتحدث برنامج الحزب عن العمال مع انهم هدف أى نظام اشتراكى . أى ان مرونة الاشتراكية النازية وعدم تحديدها أفسح المجال أمـام الحكومة النازية لتنتقى منها ما يتفق وسياستها ولتنبذ منها ما لا تراه فى غير ما اعتماد على كيان اشتراكى ايديولوجى واضح المعالم .

وقد تكون ظروف الوضع الاقتصادى والسياسى لألمانيا عام ١٩٣٢ مما دفع بالحركة النازية بعيدا عن حقل التطبيق الاشتراكى . فلقد كانت الأحوال الداخلية تحتم على القائمين بأمر الدولة العناية حل الأزمـة الاقتصادية بالاضافة الى اصرار هتلر على فورية التسليح . ولم يكن ليتأتى له المضى فى هذه السياسة فى ظل اشتراكية غير محددة . فالأزمة الاقتصادية ونتيجتها المفجعة فى ازدياد البطالة ما كان لها من حل سريع

(١) مرجع سابق صفحة ٣٨٢ Unesco. The Third Reich,

الا بانشاء المشروعات وتمويلها داخليا خصوصا وان الحكومة لم تكن لتملك بمفردها تمويل هذه المشروعات كذلك فان التسلح وسرعة البدء به كان يقتضى التعاون مع الرأسمالية الألمانية فى نطاق من السرية والتكتم . ولو ان الحكومة قامت بمفردها لظهرت نواياها على العالم فى وقت مبكر كانت القوى الأجنبية الأخرى قادرة فيه على هدم هذه الخطط .

ثم ان وجود « دكتور شاخت » على رأس الجهاز الاقتصادى للدولة النازية وقدرته على حل المشاكل الاقتصادية بمساعدة الرأسمالية الألمانية لما أضعف من كيان النزعة الاشتراكية النـازية . فلقد كان شاخت — وما زال — مؤمنا بحل المشاكل الاقتصادية فى ظل النظام الرأسمالى الموجه . ويوم أن وعد هتلر بتحقيق أهدافه فى القضـاء على الأزمة والتسلح أخذ شاخت من هتلر السلطات الاستثنائية التى تجعله قادرا على التصرف المطلق فى توجيه اقتصاديات البلاد وباعطائه هذه السلطات قطع هتلر الخيط الذى يربطه بتنفيذ الاشتراكية وأعطى حكومته وآمالها الى النظام الرأسمالى وذلك على أساس من اشراف الحكومة عـلى الاقتصاد وقدرته دائما على سرعة تغيير ما لا يراه مناسبا (١) .

ومن هذه الأسباب أيضا ضعف الكفايات الاقتصادية بين قادة النازية فلم يكن من بينهم من له تجربة شاخت أو امكانياته أو قدرته أو صلاته الطيبة برجال الأعمال الذين أولوه ثقتهم وكانت هذه الثقة أساسا لنجاح المشروعات الاقتصادية والحربية كذلك فلقد لعب عامل الوقت دوره فى عدم تنفيذ المبادىء الاشتراكية اذ ان اقامة ثورة اشتراكية فى البلاد يحتاج الى وقت للدراسة والتنفيذ وعـودة الثقة بين أفراد

---

(١) مرجع سابق صفحة ١٦٢ Thysse, I Paid Hitler,

المجتمع وما كان هتلر ليستطيع اضاعة مثل هذا الوقت قبل تنفيذ مخططه السياسى والعسكرى .

واذا كانت الحكومة النازية قد حادت عن الطريق الاشتراكى فى سياستها الاقتصادية فما هو الطابع الاقتصادى للحكم النازى ؟ وهل يمكن القــول بأن ألمانيا قد عاشت تحت الحكم النازى فى ظل نظام اقتصادى تغلب عليه الرأسمالية أم الاشتراكية ؟

لا يمكن الادعاء بأن ألمانيا تحت الحكم النازى قد عاشت فى ظل الرأسمالية المطلقة وان كانت هناك شواهد لذلك فالنظام الرأسمالى الذى عرفته ألمانيا قبل النازية قد تغيرت معالمه .. فالبنوك التى كانت خاضعة لسلطة أصحاب رؤوس الأموال أصبحت فى عهد النازية خاضعة لسياسة الحكومة والفوائد على رأس المال المستثمر لم تعد خاضــعة لتقلبات السوق النقدى الحر وانما تحددت الفوائد وأسعارها بواسطة الحكومة . والاستيراد والتصدير أصبح عملا حكوميا بحتا يحتاج اتمام احدى عملياته الى مراحل بيروقراطية متعددة [1] . أى ان النظام الرأسمالى الحر قد اختفى فى ظل النازية ليحل محــله نظام التوجيه الاقتصادى وما تبعه من الادارة الحكومية المباشرة لفروع الاقتصاد .

ومع ذلك فكل الشواهد تؤكد تواطؤ الرأسمالية الألمانية مــع الحكومة لتنفيذ سياستها .. والأمثلة على هذا التواطؤ كثيرة وتبدأ منذ اليوم الأول لتولى النازية الحكم بل تسبقه الى أيام كفاح الحزب للوصول

(١) قال دكتور Funk الذى خلف دكتور شاخت فى وزارة الاقتصاد عام ١٩٣٧ « كل عملية تجارية خارجية كانت تقتضى أكثر من ٤٠٠٠ عملية تحويل كان كل من هذه العمليات يحتاج الى ملء أكثر من خمس استمارات ومرتبط بتسع موافقات قبل اتمامه »
مرجع سابق صفحة ٢٦١ .Shirrer,

الى الحكم فلولا تبرعات كبار رجال الأعمال منذ نشأة الحزب النازى لما تمكن هذا الحزب من الصمود على مسرح السياسة الحزبية [1] .

ومن باب رد الجميل وبدافع من الرغبة فى سرعة تحقيق أهداف الدولة النازية ومن واقع حقد النازية على الشيوعية وأساليبها كانت تصرفات هتلر تتسم بمجاملة الرأسمالية الألمانية وبتهيئة الفرص المناسبة لها كى تعمل فى خدمة الدولة .

ولعل أبرز الأمثلة على سياسة هتلر نحو الرأسمالية هذه ما فعلته الحكومة النازية بالعمال .. فبعد القرار الذى أصدرته بحل نقابات العمال فى ١١ يناير سنة ١٩٣٣ أمعنت الحكومة فى اتخاذ كافة الوسائل الكفيلة بالقضاء على الكيان العمالى وتحويل العامل الى أداة طيعة فى يد صاحب العمل . وفى سبيل ذلك صدرت القوانين النازية التالية : —

١ — قانون ٢٤ أكتوبر ١٩٣٤ أنشأ جبهة العمل لتحل محل نقابات العمال الملغاة ولا يقتصر أعضاء هذه الجبهة على العمال فقط بل انضم لها الأجراء وأصحاب العمل وأصحاب الحرف . ولم يكن غاية الجبهة حماية أعضائها بقدر ما استهدفت حثهم على العمل المتواصل لخلق « المجتمع المنتج فى الدولة » ولم تكن الجبهة مستقلة بل عدت احدى منظمات الحزب النازى وخاضعة لادارته واشرافه [2] .

٢ — وفى يناير ١٩٣٤ صدر ميثاق العمل الوطنى الذى من شأنه أن يجعل صاحب العمل السيد غير المنازع لا تتدخل فى شئونه الا الدولة . والمادة الثانية من هذا الميثاق تنص على ان قائد الوحدة الانتاجية هو

---

(١) دور الراسمالية الالمانية فى نجاح الحزب النازى للوصول الى الحكم يرد بالتفصيل فى الجزء الثانى من هذه الرسالة .

(٢) المرجع السابق صفحة ٢٦٣، Shirrer,

المسئول الوحيد عن اصدار القرارات التى تخص عماله ومؤسسته . كذلك نص على واجب العمال نحو الاخلاص وطاعة مديريهم .. بالاضافة الى توصيات بمضاعفة الجهد للعمل [1] .

٣ — فى فبراير سنة ١٩٣٥ ظهر نظام « كتاب العمل » الهدف منه منع انتقال العمال من صناعات الى أخرى ومراقبة تحركاتهم فلقد فرض القانون على كل عامل أن يحتفظ بكتاب مدون فيه كل نشاطه وخبراته بتوقيع صاحب العمل ومنع القانون تشغيل العمال بدون تقديمهم للكتاب . ومعنى ذلك ان صاحب العمل أمكنه أن يضغط على عماله بعدم تركهم العمل بواسطة الامتناع عن تسليمهم كتاب العمل المشار اليه والذى بدونه لا يمكنهم الالتحاق بأية صناعة أخرى لكسب عيشهم منها .

٤ — فى ٢٢ يونيو ١٩٣٨ صدر قانون السخرة العمالية يقضى بأن يعمل كل عامل فى المكان الذى خصصته له الدولة ومعاقبة الممتنعين عن ذلك بالسجن والغرامة . ولكن مقابل ذلك منعت الحكومة الفصل التعسفى بدون موافقة مكتب العمل الحكومى .

هذه هى القوانين التى لم تحد من حرية العمال فحسب بل واقتضت منهم العمل تحت مختلف الظروف التى يفرضها عليهم صاحب العمل أو الدولة وبالاضافة الى ذلك كانت سياسة الأجور التى اتبعتها الدولة تقضى كما قال هتلر بعدم السماح برفع الأجور بل برفع الدخول بواسطة زيادة العمل .. وعليه فلقد هبطت الأجور الصناعية كما يتضح من الاحصائية التالية :

عام ١٩٣٢ ٢٠ر٤ سنت أمريكى فى الساعة أى ما يعادل ٨٧ مليما تقريبا

عام ١٩٣٦ ١٩ر٥ سنت أمريكى فى الساعة أى ما يعادل ٨٣ مليما تقريبا

---

(١) المرجع السابق صفحة ٢٦٣ Shirrer,

عام ١٩٣٨ ٠ر١٣ سنت أمريكي فى الساعة أى ما يعادل ٥٥ مليما تقريبا لذلك وبالرغم من زيادة الدخول نتيجة للقضاء على البطالة فلقد هبط نصيب أجور العمال من الدخل القومى من ٩ر٥٦٪ عام ١٩٣٢ الى ٦ر٥٣٪ عام ١٩٣٨ . هذا فى الوقت الذى ارتفعت فيه دخول أصحاب الأعمال من ٤ر١٧٪ عام ١٩٣٢ الى ٦ر٢٦٪ عام ١٩٣٨ (١) .

والخلاصة التى نأخذها من هذا كله انه لولا سياسة التوجيه الاقتصادى وتدخل الدولة فى الاقتصاد ابتغاء تحقيق الأهداف السياسية والعسكرية لولا ذلك فقط لكان النظام الاقتصادى فى ألمانيا النازية مثلا من أمثلة الرأسمالية الصارخة حيث لم يستفد من التوجيه الاقتصادى الا أصحاب رؤوس الأموال والدولة أما العاملون وهم قوام الاشتراكية وهى التى قامت لرعايتهم فلم يكن لهم ولا لاشتراكيتهم فى النظام الاقتصادى النازى أى أثر .

---

(١) الاحصائية مأخوذة من كتاب Ebenstein سالف الاشارة اليه صفحة ٢١٩ والتحويل الى النقد المصرى ثم على أساس السعر الرسمى الحالى وهو ٣ر٢ دولار للجنيه .

الباب الخامس

مبادئ السياسة الخارجية

اذا كانت النازية لم توفر الجهــود اللازمة للخروج بايديولوجية اشتراكية منظمة فلقد اعتمدت فى نجاحها — فى المقام الأول — على مبادئها الوطنية ولقد لخص هتلر مبادئه الوطنية فى كلمتين هما : « الدم والتربة » والمقصود بالدم هو اعادة تطهير الدم الألمانى والحفاظ على عناصر انتمائه الى الدم الآرى وتطهيره من الاندماج فى العناصر الأخرى التى تقل عنه فى الخصائص والرفعة ومن ثم فلقد نادت النازية بمبادئها العنصرية . أما التربة فلقد كانت حجـر الزاوية فى مبادىء السياسة الخارجية ومنها تفرعت مبادىء النازية الثلاث : المجال الحيوى ووحدة الألمان وتحطيم القيود التى فرضتها على ألمانيا معاهدة فرساى . والصلة بين هذه المبادىء والسياسات الثلاث وعنصر التربية لخصها هتلر نفسه بقـوله :

« اننا نطالب بتربة ألمانية واسعة يرفرف عليها علم الاستقلال السياسى وحرية العمل داخل أراضينا » [1] .

ولقد قصد هتلر بالتربة الواسعة هدف النظرية النازية من المطالبة بالمجال الحيوى أو Lebensraum ، وبالألمانية اعادة وحدة الألمان فى

---

(١) من خطاب له بميونيخ يوم ١١ اغسطس ١٩٢٢
مرجع سابق صفحة ١٨٦ Sales, Raul Hitler: My New Order.

ظل الرايخ الجديد .. وبالاستقلال السياسى القضاء على القيود التى فرضتها معاهدة فرساى على حرية ألمانيا فى التسلح وفى تنظيم اقتصادياتها وفى السياسة الخارجية .

ولما خرج برنامج الحزب النازى فى ٢٤ فبراير عام ١٩٢٠ احتوى على مقاصد النازية من السياسة الخارجية فى مواده الثلاثة الأولى وهى :

١ — المطالبة بوحدة العنصر الألمانى لقيام « ألمانيا الكبيرة » على أساس من حق تقرير المصير الذى تتمتع به الأمم .

٢ — المطالبة بتساوى حقوق الشعب الألمانى بالشعوب الأخرى والغاء معاهدات الصلح فرساى وسان جرمان .

٣ — المطالبة بأرض ومستعمرات لاستيعاب الفائض من سكاننا ولامداد شعبنا بقوته الضرورى [1] .

ولقد استمرت الدعوة النازية منذ قيامها فى المطالبة بهذه المبادىء فى السياسة الخارجية باصرار وبدون انقطاع لدرجة ان كل الخطب التى ألقاها هتلر فى الفترة ما بين ظهور النازية ووصولها الى الحكم (١٩١٩ — ١٩٣٠) كانت الأجزاء الرئيسية فيها مخصصة للتنديد بمعاهدة فرساى والمطالبة بتكوين الرايخ الكبير وبمجال حيوى لتمدد الشعب الألمانى[2] . وشكلت مبادىء السياسة الخارجية النازية العنصر الفعال فى الدعوة الألمانية ، واليها وبالاضافة الى المبادىء العنصرية يرجع الفضل فى تمكن هذه الدعوة من شق طريقها بين الجماهير وفى تمكن الحزب النازى من احتلال مركز اليمين المتطرف على مسرح السياسة الحزبية

---

(١) مرجع سابق صفحة ١٨ Feder G. Dass Progrmm Der Nsdap.

(٢) مرجع سابق صفحة ١١

Sales R.de Roussy Adolf Hitler: My New Order.

الألمانية خلال فترة كفاحه للوصول الى الحكم . بل ان مبادىء السياسة الخارجية قد تمكنت من جمع الأنصار من مختلف طبقات الشعب حول الدعوة النازية وأخصها بالذكر طبقة العسكريين الذين أطربهم وأرضى كبرياءهم المناداة بالتخلص من معاهدة فرساى وطبقة كبار رجال الأعمال الذين سعدوا بسماع دعوة النازية الى التوسع والاستعمار . ولقد كان لهاتين الطبقتين على تقدم الحزب النازى ووصوله الى الحكم فضل كبير (١) .

ولما وليت النازية الحكم فى يناير سنة ١٩٣٣ اتجهت الحكومة الى تنفيذ مبادئها فى السياسة الخارجية بمنتهى الدقة والحذر . فلقد عمدت الى التسلح السرى خلال الأعوام من بداية عام ١٩٣٣ حتى ١٦ مارس سنة ١٩٣٥ حينما أعلن عن تكوين جيش ألمانى مكون من ٣٦ فرقة وهنا كان هتلر مستعدا لالغاء القيود العسكرية التى فرضتها على ألمانيا معاهدة فرساى توطئة لالغاء تقيد ألمانيا بالمعاهدة نهائيا . ولقد تقبلت الدول الأجنبية وبخاصة انجلترا هذا العمل على انه أمر واقع وبدأت فى مفاوضة هتلر للموافقة على برنامج موحد لتخفيض التسلح فى أوروبا .

أما وحدة الألمان فلم تتمكن النازية من تحقيقها بالوسائل السلمية مما دعاها الى ضم النمسا واقليم السوديت وغزو تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٣٨ ثم بولندا عام ١٩٣٩ الأمر الذى أشعل نيران الحرب العالمية الثانية .

كذلك فالمجال الحيوى الذى ارتأت النازية تحقيقه بالتوسع شرقا

---

(١) فى عرضنا للعوامل التى ساعدت على وصول الحزب النازى الى الحكم فى الجزء الثانى من هذه الرسالة سنعرض لهذه الأمور بالتفصيل.

وعلى حساب الأراضى الروسية فان الحكومة النازية لم تتوصل اليه الا خلال الحرب العالمية الثانية .

ومن هنا تتبين اصرار الحكومة النازية على تنفيذ مبادئها فى السياسة الخارجية حتى ولو اضطرها ذلك كما حدث الى الدخول فى حرب ضد معظم دول العالم .

وفى هذا الباب سنعرض لمبادىء السياسة الخارجية للدعوة النازية والى الأصل الذى ارتكزت عليه من خلال الفكر السياسى لما قبل النازية ثم لما اتخذته الحكومة النازية من اجراءات لتنفيذها حتى قيام الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ .

الفصل الأول

إلغاء معاهدة فرساى

عاصر ظهور الحزب النازى فى ألمانيا عام ١٩١٩ موجة عاتية من الفوضى السياسية عمت البلاد بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى والتوقيع على معاهدة فرساى فلم تشهد ألمانيا فى تاريخها ذلكم السخط العارم الذى انبعث من جماهير الشعب خلال الفترة منذ التوقيع على الهدنة فى سبتمبر ١٩١٨ حتى موافقة حكومة فيمار على نصوص معاهدة فرسان فى ٢٤ يونيو سنة ١٩١٩ فلقد انتشرت الجماعات السياسية التى انضم بعضها الى حركات اليسار لينادى بالثورة الاشتراكية الشيوعية وقلب نظام الحكم .. وانضم البعض الآخر الى جماعة العسكريين الذين طالبوا بعدم التوقيع على المعاهدة وباستئناف الحرب ثم نددوا بالحكومة القائمة اثر موافقتها على المعاهدة وطالبوا بمحاكمة موقعيها (١) . وسواء أكانت هذه التيارات السياسية الداخلية قد اتجهت الى اليسار أم الى اليمين فلقد اشتركت كلها فى الاعراب عن سخطها على الحكومة وعدم الثقة بها ولا بنظامها الديموقراطى الجديد .

ووسط هذه التيارات السياسية اتخذت النازية موقفها المستند على التنديد بمعاهدة فرساى واعتبارها سبة فى جبين الشعب الألمانى . واستند

---

(١) مرجع سابق صفحة ١٧٨

Shirrer, The Rise and Fall of The Third Reich,

هتلر على قدرته فى التأثير على الجماهير الساخطة على المعاهدة فى تأكيد مركزه كقائد للحركة النازية من ناحية ولاكتساب جمهـور المؤيدين للحركة من ناحية أخرى . ولقد كانت آراء هتلر فى معاهدة فرسـاى تنحصر فى عدم موافقته على مبدأ الهدنة التى مكنت الجبهة الغربية من ادعاء الانتصار وصياغة معاهدة هدفها وصم ألمانيا بالهزيمة وعلى موقف الحكومة الألمانية التى اضطرت الى التوقيع على المعاهدة وأسمى أعضاءها بمجرمى فرساى وطالب الشعب بالقصاص منهم .

وفيما يلى سنتناول العرض لهذه المعاهدة ولنصوصها فى ايجاز ثم للدعوة النازية فى الغائها والخطوات التى اتخذها هتلر للتحرر منها :

اولا ــ معاهدة فرساى :

فى سبتمبر سنة ١٩١٨ واذ تمكنت جيوش الحلفاء من دخول بلغاريا والسيطرة على أراضى الامبراطوريتين العثمانية والنمساوية المجرية بدت للجيوش الألمانية معالم النهاية وأصبح على قادتها الاختيار بين التقهقر داخل الأراضى الألمانية والسماح للجيوش المنتصرة بدخولها وبين طلب وقف القتال ومفاوضة الحلفاء . ولما اختار هؤلاء القادة الرأى الأخير أوعزوا الى حكومتهم فطلبت من الرئيس الأمريكى « ويلسـون » التوسط لوقف القتال واعلان الهدنة ولكن ويلسون اشترط انهاء حكم الهوهنزلون فى ألمانيا مما اضطر « القيصر » الى التنازل عن العرش وترك البلاد مع أسرته ثم أعلن تغيير نظام الحكم وولدت الجمهـورية الألمانية الأولى فى ٩ نوفمبر سنة ١٩١٨ [١] . ووافق الحلفاء على اعلان

---

(١) مرجع سابق صفحة ٣٠٩

Shirrer The Rise and Fall of The Third Reich.

الهدنة وعكفوا على اعداد خصوص معاهدة تستهدف انهاء حالة الحرب وفرض العقوبات على المنهزمين .

وفى قصر فرساى بباريس اشترك كل من رئيس وزراء فرنسا « كلمنصو » ورئيس وزراء بريطانيا « لويد جورج » ورئيس الولايات المتحدة الأمريكية « ويلسون » فى اعداد نصوص المعاهدة الجديدة . ولم يكن اتفاق هؤلاء الثلاثة بالأمر اليسير اذ اصطدمت مثالية « ويلسون » الذى رأى أن تكون المعاهدة طريقا لتنظيم العلاقات الدولية فى ظل « عصبة الأمم » بواقعية « كلمنصو » و « جورج » اللذان وجدا فى هذه المعاهدة فرصة للانتقام من ألمانيا واستنزاف مواردها وحرمانها من مستعمراتها لضمان عدم تهديدها المستقبل للسلام . وفى النهاية وبعد مناقشات دامت قرابة الأربع شهور أعلنت نصوص المعاهدة فى برلين فى ٧ مايو سنة ١٩١٩ (١) .

ولقد اختص الجزء الأول من المعاهدة بانشاء عصبة الأمم واختصاصاتها أما الجزء الثانى فلقد نص على العقوبات الاقليمية التى فرضت على ألمانيا وهى تسليم « الالزاس » الى فرنسا واقليم Eupen Malmedy لبلجيكا ومقاطعة Posen والممر الى بولندا وضم مقاطعة Haltschin الى تشيكوسلوفاكيا وجزء من شمال Schlesswing بعد الاستفتاء الى الدانمارك و Memel الى لتوانيا وعلى استفتاء فى سيليزيا لضم نصف شرقها الى بولندا وتسليم « دانزج » ليكون مدينة حرة تحت السيادة البولندية ؛ والجزء الثانى من المعاهدة اشتمل على النصوص العسكرية المفروضة على ألمانيا وهى الغاء الخدمة العسكرية

---

(١) Chapbers, Frank: The age of Conflict (1914-1943) 3rd edition Harcour Bruce New York 1962 P. 378.

الاجبـارية وتخفيض القـوات المسلحة الألمانيـة الى ما لا يزيد على ١٠٠٠٠٠ جندى ومنع انتاجها للطائرات الحربية والدبابات أو الغواصات أو المدافع الثقيلة والزامها بتدمير مصانعها الحـربية واحتلال الحلفاء لاقليم الراين لمدة خمسة عشر عاما ؛ وتدويل اقليم السار ليجرى عليه الاستفتاء بعد خمسة عشر عاما على أن تستغل فرنسا ثروته الفحمية وتدويل الممرات البحرية الألمانية ؛ كذلك نصت معاهدة فرساى على حرمان ألمانيا من مستعمراتها لتكون تحت وصاية عصبة الأمم ؛ كذلك أقرت مبدأ التعويضات على أن يترك تقريرها للجنة مختصة فيما بعد[1].

ولقد أثارت هذه المعاهدة فور اعلان نصوصها موجة من الاستياء العـارم لدى مختلف الأوساط الألمانيـة لا لقسوة نصوصها فحسب بل وللمعاملة المهينة التى لقيها الوفد الألمانى فى فرساى . فخلال المحادثات التى جرت لصياغة هذه المعاهدة لم يسمح لمثلى ألمانيا بالحضور . فقط وبعد الانتهاء منها أرسل فى طلبهم ووصل وزير خارجيتها Count von Rantzau الى باريس فى ٢٩ أبريل سنة ١٩١٩ واستدعاه « كلمنصو » ليسلمه نصوص المعاهدة وليعطيه مهلة مدتها ثلاث أسـابيع لتدوين ملاحظاته عليها كتابة مع التنبيه عليه بعدم عقـد المؤتمرات الصحفية أو الادلاء بأية تصريحات أو تعليقات للصحافة من باريس ؛ ولكن ذلك لم يمنع « راتزاو » من التعليق على المعاهدة قائلا :

« اننا نعترف بهزيمتنا بعد تدمير السلاح العسكرى الألمانى واننا لمدركين لمظاهر الغضب والحقد المحيطة بنا فى باريس ولكننا مطالبون

(1) The World's Great Events an Indexed History of the World From Earliest Times to The Present Day Collier & Son Company New York 1938.
النصوص السابقة ملخصة من هـــذا المرجع فى الصفحـــات من ٢٤٧ — ٣٠١

بالاعتراف منفردين بجريمة الحرب » ومثل هذا القول اذا صدر منى ليعتبر كذبا فاتنى لا أنفى عن ألمانيا مسئولية الحرب ولكننا نرفض أن تعتبر ألمانيا المسئولة الوحيدة عن الحرب (١) .

ولما نشرت الصحف الألمانية نصوص المعاهدة قامت الاضطرابات ونظمت الهيئات والجماعات على مختلف مذاهبهم السياسية الاضرابات لاعلان السخط على المعاهدة ومطالبة الحكومة برفض التوقيع عليها . كذلك شاركت الحكومة الألمانية نفس الشعور اذ صرح رئيس جمهوريتها المؤقت Friedrick Ebert في ٩ مايو سنة ١٩١٩ بأن نصوص فرساى غير محتملة وغير ممكنة التحقيق . وفى الجمعية التأسيسية التى خصصت جلسة غـير عادية فى ١٠ مايو لمناقشة نصوص المعاهدة اتجهت غالبية الأعضاء الى رفض المعاهدة واستمر هذا التيار الثائر فى ألمانيا ضـد معاهدة فرساى حتى ١١ يونيو سنة ١٩١٩ حينما أعطى الحلفاء الى الحكومة الألمانية انذارا اما بتوقيع المعاهدة قبل ٢٤ يونيو أو نقض الهدنة وقيام الحلفاء باتخاذ الوسائل الكفيلة بفرض شروطهم . وفى سبيل اتخاذ قرارها استشارت الحكومة الألمانية قوادها العسكريين فأجمعوا على ان احتمالات الانتصار بعد نقض الهدنة ضعيفة أمام احتمالات دخول جيوش الحلفاء الأراضى الألمانية (٢) . لذلك فلم يكن أمـام الحكومة الألمانية الا حث أعضاء الجمعية التأسيسية على قبول المعاهدة

---

(١) Theimer Walter & Campel Peter Encyclopaedia of World Politics Faber & Feber L.T.D. London P. 416.

(٢) فى هذا المجال قال هندنبرج ان نجاح عملياتنا العسكرية بعـد انتهاء الهدنة أمر مشكوك فيه ولكننى كجندى لابد لى من الشعور بأنه من الأفضل ان نموت كلنا بشرف على أن نقبل هذا السـلام الناضج المهين (المرجع السابق صفحة ٥٨) (Shirrer The Rise and Fall).

وأبلغت موافقة ألمانيا الرسمية عليها الى الحلفاء فى صباح اليوم المحدد لانتهاء أجل الانذار ٢٤ يونيو سنة ١٩١٩ وفى ١٠ يوليو صدقت الجمعية التأسيسية فى فيمار عليها وأصبحت سارية المفعول .

ولقد كانت معاهدة فرساى مثارا لتعليقات كبار القادة والمؤرخين السياسيين منذ التوقيع عليها حتى الآن . ولعله من أهم مظاهر عدم الرضاء عنها ما كان متمثلا فى رفض الكونجرس الأمريكى التصديق عليها بالرغم من اشتراك الرئيس ويلسون فى صياغتها والتوقيع عليها بالأحرف الأولى فى باريس [١] . كذلك ومن أشهر التعليقات التى انتقدت معاهدة فرساى ما أورده سير ونستون تشرشل فى مذكراته حيث قال عن شروطها الاقتصادية :

"The Economic clauses of The Treaty Were malignant and Silly to an extent that made them abviously futile.[٢]

أما فى ألمانيا فلقد كان تأثير معاهدة فرساى بالغا اذ أصابت الكيان الديمقراطى الجديد لألمانيا وأثرت فى اقتصادها وساهمت فى بروز الحركات الوطنية المتطرفة . فلقد كان من حظ جمهورية فيمار انها ولدت مع معاهدة فرساى فى عام واحد الأمر الذى أضعف من ثقة الشعب بها وبنظامها الديموقراطى الجديد . أما اقتصاد ألمانيا فلقد تأثر نتيجة الدمار الذى ألحقته بها الحرب من ناحية وبما فرضته فرساى من تعويضات

---

(١) يعتبر كبار المعلقين الامريكيين هذا الحدث بمثابة احد الأدلة على عراقة الديمقراطية الامريكية لرفض ممثلى الشعب الانسياق وراء تصرفات رئيس السلطة التنفيذية .

Sarkissian A.O. Studies in Diplopatic History Longmans London 1961 P. 331-348.

(٢) Churchill. Sir Winston Memoirs of The Second World War Houghton Mifflin Coupany Boston 1959 P. 5.

واستقطاع لبعض الأراضى الألمانية والمستعمرات من ناحية أخرى [1] .

كذلك كان السخط العارم الذى أظهره الشعب الألمانى تجاه معاهدة فرساى مجالا لظهور الحركات الوطنية المتطرفة مما أدى الى عدم استقرار الحكومة المركزية وتعريضها لسلسلة من الانقلابات الداخلية [2] .

ثانيا ـ الدعوة النازية لالغاء المعاهدة :

المطلع على كتاب هتلر « كفاحى » يلاحظ ان كلمة فرساى قد احتلت النصيب الأوفر من الموضوعات التى أثارها هتلر لابداء رأيه فى كل ما يتعلق بسياسة ألمانيا الداخلية والخارجية ، فلقد هاجم هتلر نظام الحكم والحزب الاشتراكى القائم عليه لسبب رئيسى هو ان ذلك الحزب هو الذى وقع معاهدة فرساى . كذلك اتخذ هتلر من فرساى ســلاحا للتشهير بالحزب الشيوعى « الذى أوعز لاتباعه فى أشد أوقات الأزمة عــام ١٩١٨ بالاضراب وكان ذلك عامــلا من عوامل اضعاف الجبهة الحربية » [3] . ثم هاجم أيضا اليهودية بسبب فرساى وجعلها مسئولة عن فرض الذل على الشعب الألمانى باعتبارها الوحيدة التى يهمها القضاء على الجنس الألمانى الذى يهدد مستقبلها [4] .

أما فيما يختص بالسياسة الخارجية فلقد أعلن هتلر فى كل المناسبات التى تعرض لها فى كتابه بأنه لا مستقبل لألمانيا فى ظل سياسة خارجية قوية الا بعد القضاء على معاهدة فرساى .

---

(١) يرد تفصيل مدى تأثر اقتصاد المانيا بمعاهدة فرساى عنــد عرضنا لأثر العوامل الاقتصادية فى نجاح الحزب النازى للوصــول الى الحكم صفحة ٣٩٥ و ٣٩٦ من هذه الرسالة

(٢) عن هذه الانقلابات اقرأ صفحة ٣١٩ من الرسالة

(٣) المرجع السابق صفحة ٩٨ Hitler, mein Kampf.

(٤) المرجع السابق صفحة ١٤١ Hitler, mein Kampf.

ومن كلمات هتلر بشأن فرساى يتضح انه عارضها فى موضعين « هما التوقيع » على المعاهدة و « نصوص » المعاهدة .. فبشأن التوقيع على المعاهدة لم يكن من رأى هتلر قبول ألمانيا للتوقيع على المعاهدة ولا حتى لجوئها الى طلب الهدنة ولقد استغل هتلر صفته كمحارب فى معارك الحرب العالمية ليبين قدرته على الحديث فى استراتيجية الحرب وقال :

« لم ينهزم الجيش الألمانى ولم يكن طلب الهدنة بالعمل العسكرى الموفق وذلك لأن الانكسار الحربى ضرورة لاعادة تنظيم الصفوف لا الى فقدان الثقة ورفع راية التسليم .. فكم من المواقع الحربية تمكن فيها المنهزم من التحول الى منتصر » (١) .

« هل نسى مدعوا الانتصار من الحلفاء اننا أوقفنا القتال خارج الحدود الألمانية وانهم لم يستطيعوا ازاحتنا الى داخل حدودنا » (٢) .

ومن كلمات هتلر هذه وتكراره الظاهر لها فى « كفاحى » تتضح لنا حقيقة هامة هى انه لم يكن على علم تام بدقائق الاستراتيجية العسكرية والا لالتمس للقادة العسكريين العذر فى ايقاف القتال لعدم تمكين الجيوش المتحالفة المنتصرة من الدخول الى الأراضى الألمانية . ولهتلر عذره فى هذا وخصوصا لأن معلوماته العسكرية لم تكن لتتعدى وقت تحرير « كفاحى » عام ١٩٢٤ معلومات جندى فى الجيش برتبة « جاويش » والظاهر ان كلماته بشأن التنديد بالهدنة وبالظروف التى أدت الى عقد اتفاقية فرساى وان لم يتقبلها المنطق العسكرى المدرب — فلقد أتت آكلها فى النفوس الألمانية الحائرة الساخطة المتذمرة وتمكنت من اشعارها بعلائم القوة والانتصار بدلا من الذلة والهزيمة وتمكن

(١) نفس المرجع صفحة ٩١ .A. Hitler: Mein Kampf

(٢) نفس المرجع صفحة ٩٢ .A. Hitler: Mein Kampf

شعار « لم تنهزم » من التسلل الى نفوس مختلف الطبقات الألمانيـة ليوصل اليها الدعوة النازية الجديدة [1] .

أما اتفاقية فرساى فى حد ذاتها فلقد انتقدها هتلر فى كل مادة من موادها وتلخصت أهم انتقاداته فيما يلى :

١ — الاحتجاج على فصل شرق بروسيا « اقليم بوزنان » وضمه الى بولندا ؛ وفى ذلك قال هتلر « ألم تكن هذه المنطقة مرتعا للدماء الألمانية خلال التاريخ ؟ كذلك فلقد بين هتلر بصراحة ان وجود بولندا نفسه لا يتفق ووجود ألمانيا القوية ولا يمكن لأى فرد ألمانى أن يقبل السكوت على أراضيه المقتطعة الى الأبد » [2] .

٢ — كذلك فلقد احتج عـلى اقتطـاع « الالزاس » واللورين و « السار » من ألمانيا وخرج هتلر من الاحتجاج على هذا التصرف بالتساؤل متعجبا « أين مبدأ تقرير المصير الذى أعلنته عصبة الأمم ولماذا لم تؤخذ آراء شعوب هذه المناطق فى هذا السلخ أو الضم » [3] .

٣ — أما التعويضات فلقد ألهبها هتلر نقدا من أساسها حيث قال ان أساس التعويضات وجود منتصر ومهزوم ولم تسفر الحرب العالمية لا عن منتصر أو مهزوم لذلك فلا أساس للمطالبة بالتعويضات خصوصا

---

(١) كانت معاهدة فرساى من اسباب نجاح للدعوة النـازية لذلك فستعود الى مناقشـة اثرها على الشعب الألمانى واستغلال النازية لها فى الجزء الثانى من هذا الكتاب ٠

(٢) « كفاحى » المرجع السـابق صفحة ٢٨٣

(٣) « كفاحى » المرجع السـابق صفحة ٣١٥

وان ألمانيا نفسها قد لحق بها من الخسائر ما قد يزيد عما لحق ببعض الدول المطالبة بالتعويض (١) .

٤ — رفض هتلر معاهدة فرساى من حيث شروطها العسكرية « اذا كنا قد وقعنا ضحية الخيانة والتزمنا بما لا نقبله ولا نرضاه فانه ليست هناك من قوة تستطيع أن تفرض علينا استمرارنا فى هـذه المذلة .. سنستعيد أرضنا وحقوقنا ونبنى جيشنا وستكون ألمانيا جديرة بدماء أبطالها الذين اغتالتهم يد الخيانة (٢) .

ثالثا ـ نقض الحكم النازى لنصوص معاهدة فرساى :

لما ولى هتلر الحكم فى يناير سنة ١٩٣٣ لم ينس تعهداته بشأن الغاء معاهدة فرساى بل ان تصرفات هتلر بعد توليه الحكم لتثبت انه لم تلهه مشكلاته السياسية الداخلية ولا مشكلات تنظيم حزبه أو الانفراد بالحكم .. فلم يلهه ذلك عن بدء العمل السريع لتحلل ألمانيا من نصوص وقيود معاهدة فرساى . وفى سبيل تحقيق هذا الهدف اتجهت الحكومة الى التسلح وعبأ الجهاز الاقتصادى المبالغ اللازمة لهذا التسلح على النحو السالف الاشارة اليه فى الباب السابق . ومر تسليح لجيش بمرحلة سرية تلتها المرحلة العلنية . فلقد بدأت سياسة التسلح السرى — على حد قول شيرر — منذ تولى هتلر الحكم واستمرت حتى عام ١٩٣٥ لتبدأ ألمانيا فى مواجهة العالم بالأمر الواقع وبأنها قد حادت عن نصوص فرساى بشأن الجيش والتسلح . فلقد بدأ هتلر فى تقوية الجيش منـذ توليه الحـكم وكانت تعليماته أن يصـل أعضاء الجيش العامل من

---

(١) كفاحى المرجع السابق صفحة ٣١٨

(٢) مرجع سابق صفحة ٢٦

Sales: Ranl de Rousy Adolf Hitler, My New Order,

١٠٠٫٠٠٠ كما حددت فرساى الى ٣٠٠٫٠٠٠ فى أكتوبر سنة ١٩٣٤ (١).
وكانت البحرية تبنى مدمرتين كبيرتين حمولة كل منها ٢٦ ألف طن (أى ١٦٫٠٠٠) أعلى مما حددته معاهدة فرساى بالاضافة الى تجميع قطع الغواصات اللازمة لاعداد ثمانين غواصة مقاتلة (٢) . وكانت خطة تنمية البحرية الألمانية تحتاج الى اعتمادات ضخمة فطلب هتلر من الحزب النازى تدبيرها من أموال جبهة العمال وتم اعتماد مبلغ ١٥٠ مليون مارك لهذا الغرض قدمها Dr Ley رئيس جبهة العمال النازية الى الحكومة وذلك بحجة ان استثمارها فى الأغراض الحربية سيعود بالفائدة على العمال أيضا (١) .

واهتم جورنج « وزير الطيران المدنى » بخطة بناء القوات الجوية وتمت عملية تدريب ٢٠٠ طيار للأغراض الحربية فى مايو سنة ١٩٣٥ ووعد جورنج بتخريج مثل هذا العدد سنويا ابتداء من ذلك التاريخ .

ويقول « شيرر » ان الزائر لمنطقة الرين والروهر عام ١٩٣٤ كان فى امكانه ملاحظة انشغال المصانع بالعمل ليل نهار من أجل برامج التسلح وعلى الأخص فى مصانع Krupp للصلب و I. G. Farben للأصباغ والكيماويات ولقد شهر كروب نفسه بذلك حين قال عام ١٩٤٢ :

---

(١) المرجع السابق صفحة ٢٨١

Shirrer The Rise and fall of The Third Riech.

(٢) يقول شيرر « ان حكومات ماقبل النازية كانت تبنى بعض الغواصات سرا فى ترسانات هولندا واسبانيا ثم نقلت أجزاء هذه الغواصات لتجمع فى المانيا وفى أوائل عام ١٩٣٥ طلب قائد البحرية الالمانية من هتلر الاذن له بتجميعها فوعده بذلك وتمت عملية تجهيز هذه الغواصات مع أوائل عام ١٩٣٦ .

(نفس المرجع صفحة ٢٨٥)

(٣) نفس المرجع صفحة ٢٨٦

« ان الأجزاء الأساسية فى التسليح قد أعدت منذ عام ١٩٣٦ وقطع الدبابات منذ عام ١٩٣٤ والمدافع التى استخدمت عام ١٩٣٩ بدىء فى انتاجها عام ١٩٣٣ » (١) .

أما الصناعات الكيماوية التى سبق أن أنقذت ألمانيا من الهلاك أثناء الحرب العالمية الأولى حينما انقطعت عنها أسمدة النتروجين الواردة من شيلى فتمكنت من صنع النتروجين من الهواء .. فلقد تطورت هذه الصناعات على يد الحكومة النازية وتمكنت من امداد ألمانيا بالمادتين الاستراتيجيتين اللتين لا يمكن للحرب الحديثة الاستغناء عنهما وهما الجازولين والمطاط وكلاهما تم انتاجه من الفحم النباتى الذى تمتلىء به الأراضى الألمانية .

ومع بداية عام ١٩٣٥ انتهت فترة التسلح السرى وبدأت الحقيقة تتضح للحلفاء الذين تقبلوها دون نقاش ؛ وبدأت بريطانيا وفرنسا فى السعى لضم ألمانيا وبعض الدول الشرقية مثل رومانيا وبولندا وتشيكوسلوفاكيا الى اتفاق Locarno ؛ وفى سبيل ضم ألمانيا الى هذا الاتفاق تعهدت بريطانيا وفرنسا بتقديم الضمانات الكافية لعدم تعرضها للعدوان (٢) .

ولقد كان تصرف الحلفاء الغربيين ازاء تسلح هتلر بمثابة أول بادرة دولية مشجعة له على المضى فى سياسية القضاء على فرساى ؛ ففى ١٠ فبراير سنة ١٩٣٥ أعلن جورنج فى مقابلة له مع كل من سفيرى بريطانيا وفرنسا ان ألمانيا لا تعترف بالقيود العسكرية لمعاهدة فرساى وبأنها قد أصبحت

(١) شيرر : المرجع السابق صفحة ٢٨٥

(٢) مرجع سابق صفحة ٣٠٩

Jarmann. L. The Rise and fall of Nazi Germany.

تمتلك سلاحا بحريا وسلاحا جويا وطلب من السفيرين ابلاغ حكومتيهما بذلك موجها النصح اليهما بأن يقوم موقعوا معاهدة فرساى باصدار بلاغ مشترك بالغائها . وفى ١٦ مارس سنة ١٩٣٥ أصدر هتلر قرارا بمد الخدمة العسكرية الى عامين وبأن يكون الجيش الألمانى مكونا من ١٢ فرقة و ٣٦ وحدة « حوالى نصف مليون رجل » وذلك حتى نهاية عام ١٩٣٦ [1] . وكان عدم تحرك الحلفاء ازاء هذا التحدى بمثابة أول انتصار حققته الدبلوماسية النازية . وفى ١٧ مارس سنة ١٩٣٥ احتفلت ألمانيا حكومة وشعبا بعودة الجيش الألمانى وخطب هتلر ليعلن للشعب والجيش عودة العزة والفخار وانقضاء عهد الذلة والانكسار ويبين فى نفس الوقت استعداد حكومته للتفاهم بشأن الغاء بقية بنود اتفاقية فرساى وذلك مقابل دخول بلاده فى اتفاق جماعى لنزع السلاح [2] .

ولقد كان رد الفعل الوحيد الذى ظهر من الحلفاء هو اجتماع بريطانيا وفرنسا وايطاليا فى ١١ أبريل سنة ١٩٣٥ ليعلنوا اتهام ألمانيا بخرق المعاهدات الدولية وليؤكد المجتمعون ضمانهم لاستقلال النمسا واخلاصهم لمعاهدة لوكارنو . ولكن انجلترا كانت جادة فى البحث عن وسيلة للتفاهم مع هتلر . ففى ١٠ مايو اجتمع Sir John Simon وزير خارجيتها بهتلر فى برلين وانتهى الاجتماع بالموافقة على اقتراح هتلر بتحديد السلاح البحرى الألمانى بما لا يزيد على ٣٥ فى المائة من حمولة الأسطول البريطانى . وسعدت بريطانيا بهذا الاتفاق فى الوقت الذى استاءت فيه فرنسا وايطاليا لعدم استشارتهما خصوصا وهما دولتان بحريتان . وكان الاقتراح الهتلرى موفقا بل خطوة دبلوماسية

---

(١) مرجع سابق صفحة ٣١٩ Bulloc Hitler: a Study in Tyranny.

(٢) مرجع سابق صفحة ٤٦٢ Unesco.; The Third Reich,

ناجحة اذ أكد موافقة بريطانيا علـى تسليح ألمانيا وكذلك بث بذور الانقسام فى المعسكر الغربى بدليل ان فرنسا قد عمدت بعد اعلان هذا الاتفاق الى عقد حلف مشترك مع روسيا فى ٣٠ مايو ١٩٣٥ [1] .

وبهذا نجح هتلر فى طعن معاهدة فرساى فى أهم بنودها وهو تسليح الجيش الألمانى وبدلا من أن تقوم دول فرساى بمنعه أو ايقافه ظهر عجزها عن الاتيان بأى عمل ايجابى بل ونجح هتلر فى الحصول على تأييد بريطانيا — غير الصريح — لسياسته العسكرية مقابل التعهـد بتحديد قوة ألمانيا البحرية وهو التعهد الذى قبلته بريطانيا على علاته غير أخذه فى اعتبارها احتمال سخرية هتلر به ونقضه له منـذ يوم الاتفاق عليه .

وبعد نجاح تجربة التسلح اتجه هتلر الى طعن فرساى فى قلبها للمرة الثانية وذلك بدخول الجيش الألمانى منطقة الراين المنزوعة السلاح ؛ ففى ١١ مايو ١٩٣٥ كان القائد العام للجيش الألمانى قد أعطى أوامره السرية للأسلحة الثلاثة بالاستعداد لعملية عسكرية على نهر الراين وترك تحديد موعد البدء لأوامر الفوهرر ولكن عملية غزو المنطقة منزوعة السلاح فى الراين لم تبدأ حتى ١ مارس سنة ١٩٣٦ أى بعد عام تقريبا من بدء الاستعداد [2] . وفى ٢ مارس سنة ١٩٣٦ تحركت الجيوش واحتلت منطقة الراين فى سرعة ودون أن تلقى أية مقاومة من الجيش الفرنسى

---

(١) مرجع سابق صفحة ٢٠٥

Shirrer The Rise and Fall of The Third Reich,

(٢) يقول شيرر ان هتلر انتظر هذه الفترة من اجل التأكد عما اذا كانت الجمعية الوطنية الفرنسية ستصـــدق على المعـــاهدة الفرنسية الروسية أم لا ولما صودق عليها فى ١ مارس تحركت القوات العسكرية الألمانية لاحتلال الراين فى ٢ مارس سنة ١٩٣٦ .

اقرأ شيرر المرجع السابق صفحة ٢٩٢

المرابط غرب نهر الراين . ويقول المؤرخون ان قرار احتلال الراين كان أصعب قرار اتخذه هتلر فلقد كان معناه الدخول فى عداء سافر مع فرنسا قد تكون من نتائجه الاشتباك العسكرى مع الجيش الفرنسى فى وقت لم يكن فيه الجيش الألمانى مستعدا للحرب تماما [1] . ولقد قرر هتلر المغامرة بناء على شعوره الشخصى باستغلال عنصر المفاجأة والسرعة لمواجهة فرنسا بعدها بالأمر الواقع مستغلا فى ذلك الخلاف القائم بينها وبين انجلترا مما يحول دون اتخاذهما معا قرارا مشتركا ضد القوات الألمانية وفعلا لم تمد بريطانيا يدها لمساعدة فرنسا للقيام بأى عمل مشترك فى الراين .

وبعد نقض فرساى فى أهم شروطها وهى التسليح واحتلال الراين لم يبق فى المعاهدة الا بنود التعويضات واستقطاع الأراضى الألمانية .. أما التعويضات فلقد كانت حكومات ما قبل النازية قد عالجتها ولم تواجه الحكومة النازية من أمرها الا بضعة أرصدة لدائنين خارجيين قامت الحكومة تجميدها بمقتضى قرار ٩ يونيو سنة ١٩٣٣ وأصدرت مقابلها سندات على الدولة بفوائد تدفع بالعملات المحلية ويمكن استخدامها فى الاستيراد من ألمانيا [2] . أما الأراضى التى استقطعت لصالح فرنسا

---

(١) يقول شيرر ان مذكرات قائد الجيش الالمانى Blomberg تقول « ... فى حالة الاشتباك العسكرى مع الجيش الفرنسى كانت أوامره للجيش الألمانى تقتضى بالانسحاب المنظم » .

اقرأ شيرر المرجع السابق صفحة ٢٩٣

(٢) حتى عام ١٩٢٨ كانت الحكومات الألمانية دفعت من التعويضات ما قيمته ٧ر٥١ بليون مارك ذهب ولم يبق مستحقا عليها فى ١٠ ينـاير سنة ١٩٣٣ أكثر من بضعة ملايين أمكن للحكومة النازية بمقتضى القرار المذكور ضمهم الى الدين الخارجى العام .

اقرأ Lutge Froedrich, Deutschland Vor Der Macht National verlag Munchen 1941 P. 117.

وبلجيكا والدانمرك وبولندا فان الاستراتيجية الهتلرية لم تر فى استعادتها أمرا يسوجب العجلة خصوصا وانه ما كان ليستهدف استعادة الأراضى المقتطعة فقط بل والدول التى ضمت اليها هذه الأراضى أيضا . الأمر الذى اقتضى اتمام الاستعداد العسكرى لخوض معركة التوسع المصيرية . وعليه فان هتلر لم يتمكن من استعادة هذه الأراضى الا بالحرب .. وحتى مطلع عام ١٩٤٢ كانت فرنسا وبلجيكا والدانمرك وبولندا تقع كلها داخل فلك دولة الرايخ الهتلرى .

الفصل الثاني

نظرية المجال الحيوى

LEBENSRAUM

يقضى مبدأ المجال الحيوى فى جوهره بحق الدولة فى التوسع اذا كانت مساحتها تضيق بعدد سكانها ، وكان من رأى الدعوة النازية أن تطالب ألمانيا الكبيرة ، بعد توحيد العنصر الألمانى واعادة المغتربين الى وطنهم ؛ بمستعمرات وأراضى جديدة كى يكتمل لها مظاهر القوة العالمية من ناحية ولكى يتمكن العنصر الألمانى من استعادة تاريخه القديم فى استعمار الشعوب وتطعيمها بالقوى الخلاقة الجديدة من ناحية أخرى .

ولم تكن النازية أول من دعت الى الاستعمار فى ألمانيا وانما زخر التاريخ الألمانى بالمنادين بالاستعمار والجاه والسلطان خصوصا وان ألمانيا كانت حتى أوائل القرن العشرين فى ذيل قائمة الدول الأوروبية ذات المستعمرات الإفريقية والأسيوية (١) .

---

(١) يقول كيسلرنج ان عدم حصول المانيا على مستعمرات وان جاء نتيجة تأخر وحدتها وانشغالها بالانقسامات الداخلية حتى نهاية القرن التاسع عشر الا انه قد اعطى الفرصة لقادتها للتقرب من الحركات القومية فى البلدان المستعمرة والحصول على تأييد قادتها ضد المستعمرين الغربيين .

Keyslering, Europe Maurice Samuel- New York, 1928. P. 316

فعقب الحــروب النابوليونية فى أوائل القرن التاســع عشر قال Prof. Ernst Arndt الذى كان أستاذا بجامعة ليبزيج .

« ان الراين نهر ألمانيا وليس حدودها .. والعنصر الألمانى هو الوريث الوحيد لأراضى هولندا والدانمارك والسويد وانجلترا واسكتلندا »(١).

ودعــا الاقتصادى الألمانى المعروف Fredrick List الى امتلاك الأرض الجديدة وقال : لماذا ننظر الى المستعمرات وما وراء البحار ما دمنا نرى فى حدودنا الجنوبية الشرقية أراضى يمكن أن نلقى اليها بالفائض من سكاننا » (٢) .

وقبيل الحرب العالمية الأولى كانت حمى الاستعمار متأججة فى جميع أوساط الفكر فى ألمانيا وشجع على انتشارها الانتصارات التى حققها بسمارك على القوى صاحبة المستعمرات من ناحية وتأييد الطبقة الحاكمة لتيار الاستعمار من ناحية أخرى حتى انه فى عام ١٨٩٤ تألفت أول رابطة ألمانية لبث الدعوة للاستعمار ومناشدة الألمان فى جميع بقاع الأرض بالعــودة الى وطنهم والتجمع لمعــركة الاستعمار (٣) وكان من أكثر المتحمسين لهــذه الرابطة القــائد الألمانى الفيلسوف Geh. Fredrich Bernhardı الذى كتب عام ١٩١٢ يقول :

« لقد تعرفنا فى أنفسنا على قدرتنا فى الاشتراك فى تطور الانسانية ومعرفتنا بهذه الحقيقة تفرض علينا تنمية طاقاتنا الفكرية والأخلاقية الى أقصى حد ممكن وأن يفتح العالم أبوابه للعمل الألمانى والمثالية

---

(١) نفس المرجع صفحة ٢١٨

(٢) List Lredrich, Ackervervassung und die Auswanderang, Berlin, 1928 Vol. IV P. 399.

(٣) مرجع سابق صفحة ٢٨٩ Murphy Raymound, National Socialism.

الألمانية . ولكى نستطيع أن نفى بهذه الالتزامات يجب أن يكون عملنا الثقافى مؤيدا بقوة سياسية متزايدة .... قوة يعبر عنها توسعنا فى الإمتلاك الاستعمارى وتوسيع مجال تجارتنا الخارجية وبهذا نستطيع زيادة نفوذ الجرمانية فى كل بقاع الأرض (١) .

وحتى بعد هزيمة ألمانيا فى الحرب الأولى لم تنقطع الدعوة الى الاستعمار فلقد قال « كيسلرنج » ان على ألمانيا أن تستمر فى تأكيد مكانتها كشعب وكأمة وانها لجريمة أن تتخلى ألمانيا عن حقوقها المشروعة فى التوسع بدون نضال (٢) .

وأهم ما نلاحظه على هذه الأقوال السابقة أنها قد جاءت متأخرة اذ أن الفكر السياسى الأوروبى قد سبق ألمانيا فى هذا المضمار منذ أواخر القرن السادس عشر وكان تأخر ألمانيا عن ركب الإستعمار مدعاة لأن يتجه مفكروها السياسيون الى اضافة أسباب جديدة للدعوة الاستعمارية وهى عظمة العنصر الألمانى وقوة الثقافة الألمانية وذلك كدوافع لطلب ألمانيا المشاركة فى ركب الاستعمار . ولقد كانت الدعوة الى الاستعمار فى ألمانيا سببا من أسباب اندفاعها للحصول على المستعمرات بقوة السلاح وذلك حينما زج امبراطورها بنفسه فى الحرب العالمية الأولى على أمل أن تتمكن بلاده بعد انتصارها على الدول الغربية من الحصول على نصيب فى مستعمراتها . ولكن هزيمة ألمانيا فى الحرب الأولى لم تفقدها حقها فى المطالبة بمستعمرات خارجية فحسب بل واقتطع من أراضيها أجزاء ضمت الى الدول المنتصرة .

ولقد جاءت النازية بمبدأ الاستعمار ضمن دعوتها ولكن فى قالب

---

(١) مرجع سابق صفحة ١٨ Muphy. R.; National Socialism.

(٢) مرجع سابق صفحة ١٣٤ Keyslering, Europe.

جديد فلقد اعتمدت نظرتها الى العالم (Weltanschaung) على العنصر ومن رسالة العنصر كما قال هتلر « الحصول على الأرض الجديدة التى تسمح بايواء الفائض من سكان الرايخ وتضمن لألمانيا مركزها كقوة عالمية :

« ان واجب السياسة الخارجية فى الدولة العنصرية هو الحفاظ على مستقبل العنصر بخلق علاقة صحيحة بين عدد السكان وحجم التربة [1] .

ورأى هتلر ان هذا شرطا أساسيا فى نمو الدولة وفى وصولها الى مراتب القوة الدولية وقارن هتلر بين موقف ألمانيا وموقف الدول الاستعمارية فقال « ان بريطانيا تمتلك حوالى خمس العالم والجزر البريطانية كلها لا تشكل عاصمة للامبراطورية البريطانية الواسعة كذلك فهناك دول كبرى حققت شرط المساحة والسكان منها الولايات المتحدة روسيا والصين [2] .

ولم تكن النازية أول من طالبت بالمجال الحيوى لتنظيم العلاقة بين السكان والتربة وانما كانت هذه النظرية من أعمدة النظريات التى نادت بها مدرسة جغرافية السياسة Geopolitics التى أسسها العالم الجغرافى السويدى F. Ratzel ١٨٧٩ [3] . ومن أبرز أساتذة هذه المدرسة

---

(١) مرجع سابق Hitler, Mein Kappf, P. 623-629.

(٢) نفس المرجع صفحة ٦٣١

(٣) تقوم هذه المدرسة على دراسة اهمية العوامل الجغرافية فى تقدير الخطط السياسية والعسكرية والدولية ولقد نمت هذه المدرسة فى القرن العشرين على يد بعض العلماء مثل :

Mackinder, Pierson البريطانيين ، Vallaux, Fairgrieue, Demagneon الفرنسيين ، Aduiral Maham, Bareoks Adans الأمريكان، Hausehoufer الالمانى وهو الذى عكف على دراسة نظريات جغرافية السياسة وبخاصة مايهم ألمانيا =

الذين تخصصوا فى تبرير الاستعمار والدعوة اليه كمجال حيوى لتمدد الشعوب العالمان الجغرافيان Halford Mackihder البريطانى Karl Hauskoufer الألمانى فبينما كان كلاهما يؤيد مبدأ التوسع ويشرح مقتضياته فان ماكيندر كان متأثرا بنظريته عن الأرض والمنافذ البحرية ولقد لخص البروفسور Sabine هذه النظرية بأن ماكيندر اعتبر أوروبا وآسيا وافريقيا بمثابة جزيرة العالم World Island أما الجزر الأخرى الملحقة بهذه القارات فلقد أطلق عليها تعبير « الجزر التابعة » "Satelite" وبين ماكيندر ان جزيرة العالم وهى « قلب اليابسة » "Heartland" وأهم مناطقها الاستراتيجية هى المنطقة الممتدة من نهر الفولجا الى سيبيريا ومن المحيط « الأركتيكى » الى الهملايا وعصب هذه المنطقة فى نظر ماكيندر هى أوروبا الشرقية وألمانيا والنمسا وخرج من هذه الاقتراحات نتيجة هامة مؤداها ان من يحكم أوروبا الشرقية يسيطر على قلب اليابسة ومن يسيطر على قلب اليابسة يستطيع أن يتحكم فى جزيرة العالم ويحكم العالم واشترط ماكيندر لامكانية السيطرة البرية على قلب اليابسة أن تكون الدولة العظمى « بريطانيا » ذات قوة بحرية هائلة [1] . أما Hausehoufer الألمانى فلقد أجرى دراسات على الطاقات السياسية والاجتماعية والاقتصادية لدول العالم وخرج من دراساته بنتيجة مؤداها ان مستقبل الدولة رهين بتوسعها تجاه المجالات الحيوية لشعبها وبشأن ألمانيا بالذات اشترط هاوسهوفر

= منها وذلك فى معهد جغرافية السياسة الذى أنشأه فى ميونيخ عام ١٩٣٣ .

مرجع سابق صفحة ١٨١

Themier Walter & Compbell Peter Encyclupedio of World Politeis.

(١) مرجع سابق صفحة ١٩١ Sabine History of Political Theory.

وجود الحكم العسكرى المركزى فيها كى تتمكن من تحقيق توسعها الحيوى [1] .

ولعله من دلائل تأثر النازية بجغرافية السياسة وعلمائها ان نداء هتلر بالتوسع ناحية أوروبا الشرقية قد جاء متمشيا مع نظريات « ماكيندر » وحتى المحالفة الألمانية الروسية التى عقدت عام ١٩٣٩ قد جاءت متفقة مع ما ارتآه « هاوسهوفر » من ضرورة التحالف الألمانى الروسى كطريق للسيطرة الألمانية على أوروبا [2] .

ومما سبق يتضح لنا مقدار تأثر النازية بأقوال دعاة الاستعمار من المؤرخين والاقتصاديين والساسة وأصحاب مدرسة الـ Geopolitcis أى ان نظرية المجال الحيوى النازية ان هى الا وسيلة لتبرير الاستعمار وان أضافت الى دوافعه الاقتصادية والسياسية والعسكرية والدينية المعروفة دافعا جديدا لخصه هتلر بقيام العنصر الجرمانى بنشر ثقافته واستخدام أهالى البقاع المستعمرة كأدوات لخدمة الرايخ الكبير [3] . أى ان الجديد الذى أوردته هذه النظرية النازية هو اضافة العنصرية الى نظريات الاستعمار ليصبح الاستعمار النازى المرتقب محققا للأهداف العنصرية للدعوة النازية أيضا ولقد حـذر هتلر من اختلاط المستعمر الألمانى بشعوبه المستعمرة مبينا ان هذا الاختلاط كان أحـد الأسباب الرئيسية لاضمحلال الامبراطوريات العريقة وقال « كانت امبراطورية المغول العظيمة مثلا تستخدم أهل المستعمرات وتنشر بينهم ثقافتها الى

---

(1) Cohen Saul Geography and Palictics in a World Divided. Randam House New York 1963 P .49.

(2) المرجع السابق صفحة ٥١

Cohen Geography and Politics in a world Dideded.

(3) مرجع سابق صفحة ٤١٩ Hitler Mein Kappf.

أن سمح السيد للمســـود بالحرية والمساواة وامتزج به ولم تتهاوى امبراطورية المغول ذوى الدماء الآرية القوية الا اثر اندماج أفرادها بالعناصر السامية من البلاد المحتلة [1] .

هذه هى المعانى التى أوردها هتلر فى شرحه لنظرية المجال الحيوى ولكن الملاحظ أن برنامج الحزب النازى قد اقتصر فى مادته الثالثة على طلب المستعمرات لتغذية مواطنى الرايخ ولاستقرار الفائض من سكانه[2]. أى ان الاستعمار العنصرى الذى بشر به هتلر لم يرد ضمن هذا البرنامج. وفى قصره لأهداف المجال الحيوى فى حصول لشعب على غذائه تصدير الفائض من السكان ساير برنامج الحزب النازى الدعوات الاستعمارية الأوروبية وان جاء متخلفا عنها ببضعة قرون ؛ كذلك فان البرنامج لم يفسر طريقة النازية فى الحصول على المستعمرات خصوصا وانه أعلن عام ١٩٢٠ وفى وقت كان العالم فيه قد انتهى من توزيع المستعمرات وباتت الدول الاستعمارية الكبرى وطيدة القدم فى مستعمراتها دون منازع .

ولقد عرض هتلر الى ابعاد التوسع الاستعمارى حينما رأى ان توسع ألمانيا لتحقيق مجالها الحيوى يرتكز على أساسين هما :

معارضة الرأى المطالب بعودة ألمانيا الى حدودها عام ١٩١٤ وضرورة التوسع الألمانى فى أوروبا وليس فيما وراء البحار .

فلقد هاجم هتلر المطالبين بعودة الحـــدود الألمانية لما كانت عليه علم ١٩١٤ وقال :

« ان حدود ألمانيا لم تكن حدودا أملاها المنطق أو راعت قدرات هذا الشعب الجغرافية والعسكرية . كذلك فانها لم تكن ناتجة عن الدراسة

---

(١) نرجع سابق صفحة ٥٢١ Hitler Mein Kappf.

(٢) مرجع سابق صفحة ٣٨ Feder Gattfried Dass Pragrapme der Nsdap

والتخطيط وانما فرضتها على ألمانيا ظروفها وطبيعة نضالها في السياسة العالمية .. ان هذه الحدود وضعت بطريق المصادفة » (١) .

ثم هاجم هتلر المنادين بهذه النظرية وقال :

« ان السادة أعضاء الحزب الاشتراكي الديمقراطي الذين ينادون بهذا الرأي لمنافقون لأنهم بأنفسهم الذين وقعوا على تأييدهم للحدود الجديدة التي رسمتها فرساي .. انهم لا يعنون ما ينادون به ولا تعدوا آراؤهم هذه أن تكون دردشة بارات » (٢) .

كذلك فلقد رأى هتلر « ان النضال من أجل عودة الحدود القديمة لن يبرره دماء المناضلين من أجله علاوة على ان سلامة ألمانيا بعد الدروس التي اكتسبتها خـلال الحـروب الماضية تقتضي تغيير حدود ١٩١٤ « فلن تقصر هذه الحدود المسافة بين ألمانيا وبريطانيا ولن توصلنا الى عظمة الولايات المتحدة ولن تنتقص من نفوذ فرنسا ولن يؤدي العودة اليها الا استمرار تدفق الدماء الألمانية الى خارج ألمانيا لتبحث عن الرزق بحيث لن نجد في الوقت المناسب الرجال القادرين على بعث ألمانيـا الجديدة » (٣) .

كذلك فلقد بين هتلر في « خطاباته » ان حدود عام ١٩١٤ لن تفي بمقومات الرايخ الألماني المرتقب خصوصا اذا ما عاد المغتربون وتأسست الدولة القوية التي ستخطط لمستقبل ألمانيا حتى مائة عام (٤) .

---

(١) Hitler, Mein Kampf, P. 636.

(٢) Hitler, Mein Kampf, P. 635.

(٣) Hitler, Mein Kampf, P. 632.

(٤) من أقوال هتلر في هذا الخصوص ان مساحة ألمانيا عام ١٩١٤ لم تكف لايواء ستين مليونا فما بالنا بعد مائة عام حيث يصل الشعب الالماني الى ١٠٠ مليون ؟

Sales R.D. Rousay Hitler, My New Order, مرجع سابق صفحة ٤١٩

ومن الأقوال السابقة يتضح ان هتلر قد وصل الى حد التطرف حينما طالب عام ١٩٢٤ وألمانيا ترزح تحت نير فرساى وضغط الحلفاء والتعويضات بحدود ألمانية جديدة تفوق حدودها عام ١٩١٤ قبل الحرب . ومطالب هتلر هذه مستندة الى أسس واضحة هى مراعاة تضخم السكان وايجاد العيش والمأوى اللازمين للحد من هجرة الألمان الى خارج حدود ألمانيا وللوصول الى دولة الرايخ القوية المنيعة بعد تأكيد حدودها الجديدة مع جيرانها .. الا ان السبيل لتحقيق ذلك قد سقط من كلمات هتلر خصوصا وان الوقت الذى قيلت فيه قد جعل هذه الكلمات تتخذ طابع الخرافة والرجم المتفائل بالغيب .

وفى « كفاحى » خرج هتلر بنظرة جديدة الى مرمى التوسع الألمانى فبدلا من المناداة بالمستعمرات نادى هتلر بالتوسع فى أوروبا « لماذا ينظر الى اقتناء المستعمرات فى آسيا وأفريقيا وهناك فى أوروبا دول تزيد أرضها عن حاجة سكانها مثل روسيا .. اننا اذا فكرنا فى الأرض اللازمة لمجالنا الحيوى لا يمكن أن نفكر الا فى الأراضى الروسية والأراضى المتاخمة لنا »[٢] .

ولقد علل هتلر نظريته فى التوسع على حساب أراضى الاتحاد السوفييتى بالأسباب الآتية :

١ — « ان تكوين الامبراطورية الروسية لم يرجع الى قدرة شعبها السلافى بقدر ما يرجع الى المجهودات الخلاقة لمن اندمج فى هذا العنصر من الألمان . أما اليوم فقد حل اليهود محل الألمان فى محاولتهم لخلق الامبراطورية الروسية الجديدة ومن المستحيل على الشعب الروسى السلافى الضعيف أن يقضى بمفرده على الحكم اليهودى المتربع عليه ومن

(١) مرجع سابق صفحة ٦٣٣ Hitler, Mein Kampf,

المستحيل كذلك على اليهودية أن تحتفظ بمكانتها طويلا فى روسيا لأن العنصر اليهودى محطم بطبعه وغير ميال الى البناء والتعمير لذلك فان هناك فى الشرق امبراطورية قابلة للاضمحلال ولقد اختارنا القدر لتتم على أيدينا نهاية الحكم اليهودى الذى ستنتهى معه روسيا كدولة » (١) .

٢ — هناك عوامل أساسية تمنع الحكم الوطنى فى ألمانيا من مهادنة روسيا أهمها فى رأى هتلر :

(أ) عدم امكان الثقة فى حكام روسيا البلشفيين الذين حكموا بالغش والحزبية وسفك الدماء .

(ب) روسيا صاحبة المبدأ الشيوعى القابل للتصدير والذى لا يمكن للشعب الألمانى أن يقبله أو يهادنه .

(جـ) أى حلف مع روسيا ضعيف من الناحية العسكرية لعدم وجود حدود مشتركة من ناحية ولأن ألمانيا ستكون الخاسرة فيه اذا ستضطر الى الحرب على أرضها .

٣ — ان الأراضى الروسية متسعة بالنسبة لعـدد سكانها الذين لم يستطيعوا حتى الآن — فى رأيه — الافادة من كل أراضيهم أو حتى تعميرها (٢) .

وبالاضافة الى هـذه الأسباب التى استند اليها هتلر فى دعوته لاستعمار الأراضى الروسـية فى الشرق فهناك دافع أملته عليه وعلى الحزب النازى ظروف الصراع مع الحزب الشيوعى فى ألمانيا فعلى حين استهدف هذا الحزب الأخير الوصول الى تحويل ألمانيا الى النظـام الشيوعى الموالى للوطن الأم روسيا . فلقد نادت النازية بالقضاء على

---

(١) نفس المرجع صفحة ٦٣٧

(٢) مرجع السابق الصفحات من ٦٥٢ — ٦٧١ Hitler, Mein Kampf,

الشيوعية لا فى ألمانيا فقط بل فى مهدها وعاصمتها روسيا وذلك بتحقيق مبدأ التوسع شرقا والقضاء على الدولة الروسية .

والذى يلفت النظر فى مطالب النازية نحو التوسع على حساب الأراضى الروسية ان هذه المطالبة لا تستند على الأسس الجغرافية والسياسية والعسكرية اللازمة لقيامها .. فالمطالبة بتوسع دولة على حساب دولة أخرى يقتضى جغرافيا أن تكون للدولتين حدود مشتركة بينما لا تشترك ألمانيا وروسيا فى حدود مشتركة وتفصل بينهما بولندا . كذلك فلقد أثبت تاريخ أوروبا ان انجلترا لا يمكن أن تترك دولة أوروبية للتوسع فى أوروبا عن طريق دولة أخرى مخافة نشوء قوة مركزية أوروبية تهدد المركز الدولى لبريطانيا ومستعمراتها فلماذا لم يدخل هتلر عامل موقف القوى الأوروبية فى اتجاهاته لرسم سياسة التوسع شرقا ومن الناحية العسكرية ألم يتعظ هتلر من فشل الحملات الأوروبية وآخرها حملة نابوليون على روسيا ؟ والذى نعتقده ان هتلر لم يحسب لبولندا حسابا وذلك لقوله : ليس هناك مكان لبولندا فى الرايخ الكبير » [١] .

ولم يحسب — فى تفكيره — للقوى الأوروبية حسابا لاحتمال تحالفه مع بريطانيا والحصول على موافقتها للقضاء على رأس الشيوعية العالمية [٢] . أما النواحى العسكرية فلقد كان هتلر على ثقة من قدرة الجيش الألمانى فى الوصول الى مالم يصل اليه نابليون .

---

(١) مرجع سابق صفحة Hitler, Mein Kampf P. 581.

(٢) اعترف هتلر نفسه بهذه الحقيقة وبأن انجلترا قد عمدت منذ اتمامها لحلة التوسع الاستعمارى والربط بينها وبين المستعمرات على الحرب على وجود اما فراغ سياسى فى أوروبا أو وجود دولتين كبيرتين =

ولقد أسند هتلر الحاجة الماسة الى المجال الحيوى الى أسس سياسية واقتصادية واجتماعية وعنصرية :

فالأسس السياسية تنحصر فى ان ألمانيا قد شاركت امبراطوريات الاستعمار مثل بريطانيا عمليات الاستكشاف وان معاهدة فرساى قد أرغمت الشعب على التسليم بمستعمراته الأمر الذى يفرض على قادة ألمانيا الجديدة استردادها والبحث عن مجالات حيوية أخرى .

والأسس الاقتصادية ترتكز على ان ألمانيا تضطر الى استيراد أكثر موادها المعيشية من الخارج لذلك فهى تعتمد على التجارة الخارجية اعتمادا حيويا مما يضطرها الى الانتاج أكثر من حاجتها من المواد التى يحتاجها السوق العالمى فى سبيل الحصـــول على حاجاتها الضرورية . ووجود المستعمرات يعتبر حلا لهذه المشكلة اذ منها يمكن الحصول على السلع الزراعية واليها يتجه الفائض من المنتجات الصناعية الألمانية .

والأسس العنصرية تنحصر فى أن شـــعبا عنصريا حـــرر نفسه من الاندماج فى العناصر الدنيئة وبنى لنفسه مجدا كبيرا لابد له من شعوب

= أوروبيتين متنازعتين حتى تكون لها السيطرة على أوروبا وحتى لا تنشأ فيها قوة مركزية تهدد مصالحها وسيطرتها العالمية .. لذلك فى راى هتلر لا ترى بريطانيا القضاء التام لفرنسا على ألمانيا ولا العكس كما يتضح من الحروب التى قامت بها كل منهما ضد الاخرى وموقف انجلترا فى كل منها . فلقد وقفت انجلترا ضد التوسع النابليونى فى أوروبا وكان بسمارك حريصا على عدم الاشتباك مع بريطانيا فانهى عملياته الحربية فى فرساى وفى الحرب الاولى عمدت بريطانيا الى الحد من الأطماع القيصرية وكل هذا يؤكد ــ كما راى هتلر ــ أهميـــة التحالف مع بريطانيا قبل العمل على تنفيذ سياسة ألمانيا الخارجية .

Hitler, Mein Kampf, المرجع السابق صفحة ٥٧١

يحكمها ويستغلها لمصلحته وينتزع منها الاعتراف بمجده التالد [1] .

وكل هذه دوافع الاستعمار التقليدية التى جاءت فى كتابات وأقوال كل من فسروا الحركة الاستعمارية الأوروبية .. ولقد سار هتلر على نفس المنوال بعد أن أضاف الى النظرية الاستعمارية التقليدية عنصرين جديدين أولهما : الاستعمار العنصرى ، وثانيهما : التوسع فى أوروبا وليس فيما وراء البحار .

بقى علينا أن نتساءل الى أى حد تمكن هتلر من تنفيذ مخططاته فى المجال الحيوى أثناء الحكم النازى ؟

فى ٨ مارس ١٩٣٨ احتلت الجيوش الألمانية النمسا دون مقاومة وفى ٨ مايو ١٩٣٨ دخلت الجيوش الألمانية منطقة السوديت التابعة لتشيكوسلوفاكيا فى مارس سنة ١٩٣٩ غزت ألمانيا تشيكوسلوفاكيا واحتلتها وفى ١٢ أغسطس سنة ١٩٣٩ عقدت محالفة عدم اعتداء بين ألمانيا وروسيا وفى أول سبتمبر سنة ١٩٣٩ غزت ألمانيا بولندا وفى ٣ سبتمبر سنة ١٩٣٩ أعلنت انجلترا وفرنسا الحرب على ألمانيا وفى ٢٢ يونيو ١٩٤١ وبعد الاستيلاء على هولندا والنرويج والدانمارك وبلجيكا ولوكسمبرج اتجهت الجيوش الألمانية لغزو الأراضى الروسية [2] .

---

(١) مرجع سابق صفحة ١٨ ــ ٢٠

Murphy, R. National Socialism, Washington 1943,

(٢) فى العرض القادم لتحقيق وحدة الشعوب الالمانية سيرد تفصيل عمليات التوسع السلمية التى بدأت بضم النمسا وانتهت بنشوب الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ وذلك اساس ان هذه العمليات قد تمت ــ حسب ادعاءات الحكومة النازية ــ لتحقيق الوحدة بين المانيا والاقليات الالمانية فى الدول الاوروبية الاخرى ولم يكن القصد منها تحقيق الاطماع الاستعمارية .

ومن هذا التسلسل التاريخي للعمليات التوسعية التى قامت بها الحكومة النازية يتضح ان ألمانيا قد اتجهت فى توسعها أولا الى الجنوب ثم الى الشرق ثم الى الشمال ثم الى روسيا فى الشرق .. أى ان التوسع الذى نادى به هتلر لم يبدأ تنفيذه الا بعد توسيع الحدود الألمانية لتشمل النمسا وتشيكوسلوفاكيا وهولنـدا والنرويج والدانمارك وبلجيـكا ولوكسمبرج وبولندا . كذلك فانه يسترعى النظر فى هذا التطور الموجز ان هتلر قد عقد محالفة مع روسيا قبل هجومه عـلى بولندا بيومين والسبب الواضح لذلك هو الحصول على عدم تدخل روسيا فى حملته ضـد بولندا . ولقد تمت العمليات التوسعية الألمانيـة ضـد النمسا وتشيكوسلوفاكيا دون تدخل القوى الغربية وفى سبتمبر سـنة ١٩٣٨ عقدت معاهدة ميونيخ ولكنه لم ينقض عام ونصف على هذه المعاهدة حتى قام هتلر بتمزيقها واتجه الى غزو بولندا مما أشعل نيران الحرب العالمية الثانية .

لذلك فاننا نستطيع أن نقـول ان السياسة التوسعية الهتلرية قد جاءت تنفيذا لما سبق أن أعلنه فى « كفاحى » فى نطاق القارة الأوروبية كذلك تحققت نبوءة هتلر بغزو روسيا مع اختلاف فى التقدير اذ انه بين فى « كفاحى » ان غزو روسيا لا يمكن أن يتم الا بعد عقد المحالفة البريطانية الألمانية .. وقد يكون فشل هتلر فى عقد هذه المحالفة سببا فى تأخير حملته على روسيا الى عام ١٩٤٢ والى اضطراره الى عقد معاهدة عدم الاعتداء معها عام ١٩٣٩ ليضمن حيادها للتفرغ للحرب مع بريطانيا وفرنسا .. ولكن الأمر الغريب هو ان هتلر مع اعترافه فى « كفاحى » بخطأ الحرب فى جبهتين فقد عمد الى فتح الجبهة الثانية فى روسـيا ولم يكن هناك من أسباب تضطره الى ذلك سوى خطئه فى التقـدير

ومغالاته فى تقدير قوته بالاضافة الى خمر النصر الذى ظلت ألمانيـة ترتشفه أربع سنوات كاملة (١) .

ولقد أظهر لنا العرض لدعوة النازية الى المجال الحيوى معالم النزعة الألمانية الى الاستعمار هذه النزعة التى وان بدأت فى الظهور متأخرة عن مثيلاتها فى الدول الأوروبية الأخرى — الا أنها قد اتسمت بالعنفه والتصميم الى الحد الذى دفع بألمانيا الى خوض حربين عالميتين فمع تعدد الأسباب المباشرة التى أدت الى تشوب هذين الحربين فلقد خاضتهما ألمانيا على أمل أن تعوض ما فاتها من غنائم الاستعمار .

ان عقدة الاستعمار قد ظلت تلاحق ألمانيا منذ أن كشفت الثـورة الصناعية عن امكانياتها الاقتصادية . ولم يكن أمامها للوصول الى فرض كيانها كقـوة دولية ذات مستعمرات الا محـاربة الدول الاستعمارية الأخرى . ومع وحدة الهدف التى جمعت كل من القيصر وهتلر فلم يكن اختلافهما الا فى وسيلة تحقيق الحلم الاستعمارى الألمانى حيث طمع الأول فى مستعمرات ما وراء البحار ومخلفات الامبراطورية النمساوية المجرية بينما آثر الثانى تحقيق الامبراطورية الألمانية داخل أوروبا . وأمام تكاتف الحـلفاء وهم أصـحاب الامبراطوريات الاستعمارية ومناصريهم وأتباعهم تحطم الحلم الاستعمارى الألمانى فى المرتين .. ولكن هل تلاشت عقدة الاستعمار فى ألمانيا أم انها ستظهر الى عالم ما بعـد الحرب العالمية الثانية فى شكل جديد ؟ هذا ما سيحدثنا به التاريخ القريب .

---

(١) فى كفاحى قال هتلر :
ان حدود المانيا المتسعة ووقوعها وسط اوروبا يقتضى من قادتها العسكريين الحرص على توجيه غزواتهم الى عدو واحـــد اما الحرب فى جبهتين او اكثر فهو خطأ استراتيجى يحسن تجنبه .
Hitler: Mein Kampf. مرجع سابق صفحة ٤٦٩

الفصل الثالث

وحدة الشعوب الألمانية

PAN GERMANISMUS

ترجع حركة المطالبة بوحدة الشعوب الألمانية — فى رأى المؤرخين — الى عام ١٨٩١ حينما قامت فى ألمانيا « جمعية الألمان العالمية » التى تحولت عام ١٨٩٤ الى « جمعية الوحدة الألمانية » . ولقد قامت هذه الجمعية بالدعوة الى التوسع الاستعمارى لألمانيا وتحقيق وحدة الشعوب الألمانية فى دولة ألمانية قوية ؛ وانتقدت موقف بسمارك الذى أمكنه تأسيس الدولة الألمانية الموحدة عام ١٨٧٠ وانتزاع اعتراف القــوى العالمية بها « ولكنه ضحى فى سبيل ذلك بأمل الشعوب الألمانية التى تعيش فى كنف الدول الأوروبية الأخرى فى الانضمام ببلادهم الى الرايخ الألمانى الموحد » (١) .

وقبيل الحرب العالمية الأولى أعلن القيصر الألمانى ولهلم الثانى ان بلاده ستقف الى جــوار الامبراطورية النمساوية المجــرية فى مختلف الظروف التى تمر بها وذلك خدمة لقضية الوحدة الألمانية (٢) .

وبعد الحرب تحطم أمل الألمان فى الوحدة بل واقتطعت من ألمانيا

---

(١) مرجع سابق صفحة ٢٨٩ Murphy, R. National Socialism,

(٢) قال القيصر اذا كانت الامبراطورية النمساوية نهبـــا لأطماع الغرب فان مصلحة شئونها الألمانية تقتضى منا الوقوف الى جانبها حتى اذا ما انتصرنا أمكننا تحقيق أمل هذه الشعوب فى الوحدة الألمانيـة .

مرجع سابق صفحة ١١٢ Dunlop, J.K. Ashort History of Germany,

نفسها أجزاء جديدة ضمت بشعوبها الألمانية الى فرنسا وبلجيكا وهولندا والدانمارك وبولندا . ثم ظهر هتلر ودعوته النازية فى أعقاب الحرب عام ١٩١٩ ولقد كان هتلر متأثرا بمبدأ وحدة الشعوب الألمانية لأكثر من سبب فلقد كانت طبيعة نشأته فى النمسا وفى بلدة Braunau الواقعة على الحدود النمساوية الألمانية دافعا من دوافع مطالبته بوحدة النمسا وألمانيا كما قال فى أول صفحات كفاحى .

« اننى أعتقد ان القدر قد اختار بلدة Braunau لتكون مسقط رأسى فهى بلدة صغيرة على حدود الدولتين الألمانيتين اللتين تعتبر الوحدة بينهما واجبا أساسيا من واجبات الأجيال القادمة » (١) .

وفى نفس الصفحة قال هتلر :

« يجب على النمسا الألمانية أن تعود الى الوطن الأم « ألمانيا » لا لأسباب اقتصادية فحسب ولكن حتى لو كان ذلك ضارا باقتصاديات البلدين .

كذلك طالب هتلر بوحدة النمسا مع ألمانيا لأسباب سياسية واستراتيجية وعنصرية ومن أهم الأسباب السياسية التى ذكرها فى « كفاحى » ان هذه الوحدة ستحقق وحدة الحكم ووحدة الهدف بين الدولتين المتجاورتين مما يزيد من قوة الدولة الموحدة وهيبتها وجعلها صاحبة الرأى فى السياسة الأوروبية ؛ ومن الأسباب الاستراتيجية ان توسيع حدود ألمانيا حتى جبال الألب لما يساعد على تأمين حدودها الجنوبية . أما الدوافع العنصرية التى أبداها هتلر لمطالبته بتحقيق وحدة النمسا مع ألمانيا فكانت تنحصر فى تحريرها من السيطرة اليهودية وارجاع

---

(١) مرجع سابق صفحة ١٩ Hitler, Mein Kampf,

الشعب الألمانى فى النمسا الى دمائه الألمانية الأصيلة [1] ؛ وفى عام ١٩٢٨ كون الحزب النازى منظمة داخلية مهمتها الاتصال بالألمان الموجودين بالخارج لنشر الدعوة النازية وبقصد الحصول على معاونتهم فى تحقيق قضية وحدة الشعوب الألمانية [2] . ولقد قدر أحد قادة هذه المنظمة عدد المنتمين الى الأصل الألمانى من دول العالم بما يلى :

الولايات المتحدة الأمريكية ٢٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ، النمسا ٦٫٣٠٠٫٠٠٠ وتشيكوسلوفاكيا « السوديت » ٣٫٥٠٠٫٠٠٠ وسويسرا ٢٫٨٦٠٫٠٠٠ وبولندا ١٫٣٥٠٫٠٠٠ ، روسيا ١٫٠٠٠٫٠٠٠ ورومانيا ٨٠٠٫٠٠٠ ويوغوسلافيا ٧٠٠٫٠٠٠ والمجر ٦٠٠٫٠٠٠ ودانزج ٣٦٠٫٠٠٠ وايطاليا « التيرول » ٣٠٠٫٠٠٠ وكندا ٣٠٠٫٠٠٠ وجنوب أمريكا ووسطها ٨٠٠٫٠٠٠ ولكسمبرج ٢٥٠٫٠٠٠ وبلجيكا ١٥٠٫٠٠٠ وهولندا ٨٠٫٠٠٠ وامارات البلطيق استوائيا ولاتيا ولتوانيا ٢٣٠٫٠٠٠ واستراليا ١٩٧٫٠٠٠ وافريقية ١٢٥٫٠٠٠ والدانمارك شيلزويج ٦٠٫٠٠٠ [3] .

وتقودنا هذه الاحصائية — ان صحت تقديراتها الى حقيقة هامة هى انه اذا كان عدد سكان ألمانيا عام ١٩٣٢ حوالى ٦٣ مليون نسمة — كما أوردت نفس الاحصائية — فان عدد أفراد الجاليات الألمانية ومن ينتمون الى العنصر الألمانى فى البلاد الأخرى قد بلغ أكثر من ٣١ مليون نسمة أى ان حوالى نصف عدد سكان ألمانيا كانوا يعيشون

---

(١) اقرأ الخطاب الذى القاه فى ٨ سبتمبر ١٩٢٠ بمدينة ميونيخ
مرجع سابق صفحة ٧٨ Sales, Hitler, Mynew Order

(٢) يرد بحث هذه المنظمة واغراضها بالتفصيل فى الجزء الثانى من هذا الكتاب .

(٣) Shaffer Otto Sinn und Wesen des V.D.A Werelekrichen Frankfunt Mais 1933 P. 6-8.

خارجها . ولقد أوردت أجهزة الدعاية فى الحكومة النازية هذه الحقيقة فى مختلف المناسبات للتدليل على حيوية المطالبة بعودة هؤلاء المغتربين للاستفادة منهم فى تدعيم الرايخ وبنائه من ناحية ولتبرير السياسة التوسعية للحكومة النازية من ناحية أخرى . ولكن ما هو الأسلوب الذى اتبعته الدعوة فى تبرير مطالبتها بوحدة الشعوب ؟ هل اتجهت الى دعوتهم للعودة الى الرايخ ، أم بشرتهم بضم البلدان التى كانوا يعيشون فيها الى الرايخ الجديد ، أم انها رأت الاستفادة من بقائهم فى الخارج ليعملوا كطابور خامس للحكومة النازية ؟ .

الواقع ان النازية قد استخدمت كل هذه الطرق . ولتحقيق أهدافها قسمت العالم أقسام ثلاثة هى :

القسم الأول : دول ألمانية الأصل ويشكل العنصر الألمانى الغالبية المطلقة من سكانها وتشترك مع ألمانيا فى الأصل واللغة والتقاليد .. مثل النمسا .

القسم الثانى : دول تحتوى على أقليات ألمانية كبيرة مثل تشيكوسلوفاكيا وبولندا وسويسرا وهولندا وبلجيكا والدانمارك .

القسم الثالث : دول تحتوى على أقليات ألمانية متفاوتة هاجرت اليها واستقرت فيها باختيارها من زمن بعيد .. هذه الدول هى الولايات المتحدة الأمريكية وبعض دول بلجيكا اللاتينية واستراليا وكندا بعض المناطق الإفريقية والأسيوية .

ولقد اختلف أسلوب الدعوة النازية للوحدة الألمانية — كما قلنا — باختلاف هذه الأقسام :

فبالنسبة للدول التى تنتمى الى القسم الأول : اتجهت الدعوة

النازية الى المناداة باتحاد ألمانيا والنمسا وهو الاتحاد الذى نادى به هتلر — كما أسلفنا — لأسباب عسكرية وسياسية وعنصرية .

وفيما يختص بالقسم الثانى : فلقد دعت النازية الى حماية الأقليات الألمانية فى أوروبا وتنصيب ألمانيا وصية عليهم تدافع عن مصالحهم ولتتخذ من ذلك ذريعة للتوسع .

أما القسم الثالث : فلم تتعرض له الدعوة النازية وان كانت الحكومة النازية قد استخدمت هذه الأقليات لتحقيق مصالحها فى الدول التى يعيشون فيها وليكونوا على حد التعبير الحربى المعروف لذلك « طابورا خامسا » لها .

أى ان الاحصائية السابقة والأقسام الثلاثة التى خرجت منها قد مكنتنا من العثور على عناصر الدعوة النازية للوحدة الألمانية وهى التى لم تزد على كونها :

أولا — الدعوة الى الوحدة الألمانية النمساوية .

ثانيا — حماية الأقليات الألمانية فى أوروبا .

ثالثا — الافادة من المغتربين الألمان فى دول ما وراء البحار .

أولا — الوحدة الألمانية النمساوية :

منذ بداية القرن الثامن عشر وحتى تمكن بسمارك من تحقيق الوحدة الألمانية تحت العلم البروسى والتنافس على أشده بين كل من النمسا وبروسيا على سيادة ألمانيا الموحدة والمتتبع لتطور قضية الوحدة الألمانية فى القرن التاسع عشر ليلحظ ان هذا التناقض قد أثر على تأخر اتمام الوحدة الألمانية مما دعى كبار الشخصيات ومندوبى المقاطعات الألمانية الى الاجتماع فى كنيسة « سان باولو » بفرانكفورت فى ١٨ مايو

سنة ١٩٤٨ للاتفاق على طريق الوحدة وكان السؤال الذى فشل المؤتمر فى الاجابة عليه هو هل تكون الوحدة الألمانية متضمنة كلا من بروسيا والنمسا ؟ أو تتم الوحدة بدون النمسا ؟ (١) . ولما ولى بسمارك الحكم عام ١٨٦٢ رسم سياسته فى الوحدة على أســاس الاستعداد الحربى لانتزاعها من النمسا وفرنسا . أما النمسا فلقد اضطرها الى اعلان الحرب عليه عام ١٨٦٣ ولم تستمر طويلا حيث تمكن الجيش البروسى المدرب من الحاق الهزيمة بالجيوش النمساوية ووقف على باب فينا فى ١٨ نوفمبر سنة ١٨٦٣ ..وهنا أصدر بسمارك قراره التاريخى بعقد معاهدة مع النمسا بدلا من دخول عاصمتها ومعاملتها معاملة المنتصر للمهزوم وظهرت نتائج هذا القرار حينما أعلنت فرنسا الحرب على بروسيا فى يوليــو سنة ١٨٧٠ ورفضت النمسا — عرفانا بالجميل — الاشتراك مع فرنسا — وهنا انفردت بروسيا بفرنسا وتمكنت الجيوش الألمانية من دخول باريس ليعلن بسمارك تتويج القيصر ولهلم الأول امبراطورا لألمانيا فى قصر فرساى فى ١٨ يناير سنة ١٨٧١ (٢) .

وهذه النبذة من التاريخ توضح لنا الجذور التاريخية لقضية وحدة ألمانيا والتى انتهت بتوحيدها تحت العلم البروسى وهو الأمر الذى وضع الأساس الأول لانفصال النمسا عن قضية الوحدة الألمانية . ثم جاء ويلهلم الثانى ليحاول تنسيق سياسة بلاده مع النمسا على أمل أن يتمكن

---

(١) حضر هذا المؤتمر Otto von Bismark الذى كان من رأيه سرعة العمل على توحيد ألمانيا بدون النمسا وارغامهــا على قبول الأمر الواقع وهذا مانفذه منذ توليه الحكم فى بروسيا عام ١٨٦٢

اقرأ Kahler, S.A. Etudes Historiques, Frakfurtam Main 1912 P. 33.

(٢) نفس المرجع صفحة ١٨ — ٢١

من تحقيق ما عجز عنه بسمارك وهو توحيد ألمانيا والنمسا . وأدت محالفته مع النمسا الى دخولهما الحرب مشتركتين ضد الحلفاء عام ١٩١٤ ثم الى الهدنة وصلح فرساى عام ١٩١٩ الذى لم يطعن قضية الوحدة الألمانية فحسب بل وسلخ عن ألمانيا بعض أراضيها وتفتت الامبراطورية النمساوية المجرية الى دول أربع هى : النمسا والمجر وتشيكوسلوفاكيا ويوجوسلافيا .

ثم جاء هتلر ليعلن ضمن مبادئه ضرورة انضمام النمسا الى ألمانيا « الوطن الأم » ولم يكن ظاهرا ان الدعوة النازية جادة فى هذا المطلب لأنه لم يلق نفس الرعاية التى لقيتها المبادىء الوطنية الأخرى حيث ان المادة الأولى من برنامج الحزب النازى لم تذكر الوحدة مع النمسا صراحة وانما طالبت « بوحدة كل من الألمان لانشاء ألمانيا الكبيرة على أساس حق تقرير المصير الذى تتمتع به الأمم » (١) . بل ان ربط وحدة الشعوب الألمانية بحق تقرير المصير قد ينطبق على الأراضى التى انضمت الى الدول الجديدة التى أنشأتها معاهدة فرساى مثل بولندا وتشيكوسلوفاكيا وهنجاريا أكثر مما ينطبق على النمسا وهى الدولة القديمة ذات السيادة التى حددت مصيرها فى الاستقلال على مدى الأجيال .

ولما وليت الحكومة النازية الحكم فى يناير سنة ١٩٣٣ انطلقت أفواه الدعاية النازية تطالب بالوحدة مع النمسا تحت الشعار الألمانى Anschluss أى « الاندماج » وكانت الحكومة تهاجم النظام القائم فى النمسا وتبشر الشعب النمساوى بوحدته مع وطنه الأم ، ثم تكون الحزب النازى

---

(١) Feder Gottfried, Dass Programm Der NSDAP, translated by Ets Dugdale Franz Eher Munchen 1932 P. 18 ff.

النمساوى عام ١٩٣٣ وقويت دعائمه وامكانياته الممولة من ألمانيا حتى تمكن زعمائه من القيـــام بمحاولة لقلب نظام الحكم فى ٢٥ يوليـــو ســـنة ١٩٣٤ راح ضحيتها رئيس الوزراء النمســـاوى Dollfus بينما كانت زوجته ضيفة على موسولينى فى ايطاليا . ولكن الانقلاب لم يعمر أكثر من أسبوع تمكنت قوات الحكومة فى نهايته من القضاء عليه وفى نفس الوقت أمر موسولينى باعلان حالة الطوارىء ووضع فرقتين على ممر برينر الذى يفصل النمسا عن ايطاليا .. وثار الرأى العـــام العالمى مما اضطر هتلر الى اعلان سخطه على المحاولة وتهنئة الحكومة المركزية بنجاحها فى القضاء على المؤامرة (١) .

وبفشل محاولة ضم النمسا عن طريق الانقـــلاب الداخلى اتجهت الحكومة النازية الى الطريق الدبلوماسى للوصول الى هدفها . تمثلت أولى خطواتها فى هذا السبيل فى تعيين Von Pappen سفيرا فوق العادة لألمانيا فى النمسا (٢) . ولقد كانت مهمة بابن صعبة للغاية وتقتضى منه استخدام ثقافته الألمانيـــة وقدرته الدبلوماسية وكونه كاثوليكيا متعصبا مثل النمساويين لازالة الجفوة بين النمسا وألمانيا والتمهيـــد للدخول فى مفاوضات الوحدة .

ولم يمض عامان على تعيين « بابن » سفيرا حتى تحققت أولى بوادر نجاحه فى مهمته فى عقد معاهدة نمساوية ألمانية فى ١١ يوليو سنة ١٩٣٦

---

(١) Bulloc Allon, Hitler a Study in Tyranny, Bantam Edition, Lnodon 1953 P. 142.

(٢) فون بابن هـــو نائب رئيس الوزراء ورئيس حـزب الوسط المسيحى الذى لعب دورا رئيسيا فى تولى هتـلر وزارته الائتلافيـــة عام ١٩٣٣ كما سيتضح من التفاصيل الواردة فى الجزء الثانى من هذه الكتـــاب .

من شأنها تحسين العلاقات بينهما على أساس عدم التدخل فى الشــئون الداخلية لكل منهما واشتملت المعاهدة أيضا على شروط سرية تقضى بالافراج عن نشاط زعماء النازيين النمساويين وعودتهم لممارسة نشاطهم السياسى (١) .

ولم تستمر سياسة التعاون والصفاء السلمى بين ألمانيــا والنمسا الا حتى مطلع عام ١٩٣٨ وبدأ نذير تغير السياسة الألمانية باستدعاء فون بابن فى ٤ فبراير سنة ١٩٣٨ وهنا أدرك مستشار النمساSchuschnigg ان ألمانيا ستغير سياستها وطلب مقابلة شخصية مع هتلر . وفى ١٢ فبراير بدأت محادثات بين الطرفين سادها هتلر باعلان سخطه على السياسة النمساوية وبتصميمه على انهاء هذه السياسة : « ان ألمانيا قوة كبيرة ولن يجرؤ أحد على رفع يده فى وجهها حينما تقرر العمل لتسوية خلافات الحدود » (٢) .

وطلب هتلر اما تسليم النمسا بمطالبة أو تنفيذ هذه المطالب بالقوة وكانت مطالب ألمانيا هى أن تعترف النمسا بأن النازية متمشية مــع مطالبها الوطنية ما دام الحــزب النازى النمساوى يعمل داخل اطار الدستور النمساوى ، ثم تعيين وزير الداخلية من أعضاء هذا الحزب والعفو عن النازيين والمعتقلين واعادة الموظفين النازيين المفصــولين ، وتبادل القيادة العسكرية والضباط لتحقيق وحدة الجيشين الألمانيين ، وأن يكون النظام الاقتصادى النمساوى متمشيا مع النظام الاقتصادى الألمانى .

---

(١) نفس المرجع صفحة ١٥١ .Bulloc

(٢) مرجع سابق صفحة ٣٢٩

Shirrer, The Rise and fall of the Third EReich,

ولكن رئيس الوزراء النمساوى رفض التوقيع وغادر المكان فما كان من هتلر الا أن طلب قائد قواته Gen Keitel ودعاه للاستعداد للضغط العسكرى على النمسا ولما عاد شوشنيج الى فينا أعلن عن رغبته فى استفتاء الشعب النمساوى فيما اذا كان راغبا فى الانضمام الى ألمانيا أم فى الاستمرار مستقلا . وفى ٩ مارس وصلت أنباء هذا الاستفتاء المقترح الى برلين فما كان من هتلر الا أن أمر قواته باحتلال النمسا قبل ١٣ مارس وهو الموعد المحدد للاستفتاء .

وفى ١١ مارس كانت الجيوش الألمانية تطرق الحدود النمساوية وهنا وصلت الأنباء الى فينا مع مطالب هتلر باقالة شوشنج فلما ووفق الى ذلك طلبت برلين ثانية تعيين رئيس وزراء من النـازيين النمساويين ولما رفض رئيس الجمهورية النمساوية ذلك هدده جورنج تليفونيا باستمرار الغزو وجاءت موافقة رئيس الجمهورية على هذا الطلب متأخرة وبعد أن مرقت الجيوش الألمانية الى داخل النمسا (١) .

وفى ١٣ مارس كان هتلر بنفسه داخل الحدود النمساوية ومر على بلدته Bnenau ليضع باقة من الورد عـلى قبر والديه وليخطب فى الشعب قائلا :

« اذا كان القدر قد شاء أن أنبع من هذه البلدة لأكون زعيما للرايخ فلقد أناط بى القدر مهمة اعادة وطنى النمسا الى الوطن الأم ألمانيـا ولقد أمنت بهذه المهمة وحاربت من أجلها وتمكنت اليوم من تحقيقها »(٢).

وبذلك تحقق الضم الألمانى "anschlass" وتمكن هتـلر من تحقيق آمال صباه وفى توسيع حدود ألمانيا لتصل الى جبال الألب فى الجنوب وتوطد من قدرة الحكومة النازية التى أمكنها حتى عام ١٩٣٨

(١) نفس المرجع صفحة ٣٤١ ــ ٣٤٣
(٢) المرجع السابق صفحة ١٩٧ . Bulloc: Hitler: A Study in Tyranny

أن تقضى على معاهدات فرساى ولوكارنو وتدعيم اقتصادها وتحقق الوحدة مع النمسا .

والطريقة التى اتبعها هتلر فى حل مشكلة النمسا قد اختلفت عن طريقته التى تمكن بها من تحقيق أهدافه السابقة . فلقد اتخذ مسلكه حيال النمسا لأول مرة فى تاريخ حكمه مظهر العنف والقوة والتهديد وعدم المبالاة بالقوى الأجنبية الأخرى .. ويرجع ذلك الى سياسة هذه الدول وعدم استطاعتها الوقوف فى وجه هتلر بالاضافة الى بعد بريطانيا عن مسرح الحوادث الأوروبية حتى توقيعها معاهدة ميونيخ مع ألمانيا فى نهاية عام ١٩٣٨ . والقوى الأوروبية التى كان هتلر يعمل لها حسابا فى سياسته الأوروبية فى ذلك الوقت كانت فرنسا وايطاليا فأما فرنسا فلقد كان التخبط مظهرا لسياستها الخارجية خصوصا بعد أن تركت خط التحالف الغربى وعقدت معاهدة للدفاع المشترك مع روسيا فى ٢٧ فبراير سنة ١٩٣٦ بالاضافة الى عدم استقرارها السياسى وتعاقب الحكومات عليها . ولقد تمكن هتلر من الوصول الى خط التحالف الألمانى الايطالى فى نهاية عام ١٩٣٦ (١) . وبانعزال فرنسا عن التصرف المفرد ازاء السياسة الألمانية والوصول الى تأييد ايطاليا الدائم لكل التحركات لألمانية تمكن هتلر من تنفيذ عملية غزو النمسا على الوجه السالف الذكر .

ثانيا ـ حماية الأقليات الألمانية فى أوروبا :

لم تكن حماية الأقليات الألمانية المتوطنة فى البلدان الأوروبية لتشكل احدى المبادىء الأساسية فى الدعوة النازية بقدر ما كانت شعارا رفعته

---

(١) من الأسباب القوية التى دفعت بموسولينى الى محالفة المانيا هو موقف العطف الذى ابدته المانيا تجاه ايطاليا ازاء حملتها على الحبشة بالاضافة الى اشتراك الدولتين فى تقديم العون العسكرى لقوات فرانكو فى اسبانيا ضد القوات الشيوعية .

السياسة الخارجية للحكومة النازية خصوصا بعـد أن تم ادماج النمسا عام ١٩٣٨ . فالمتتبع لتطور النازية منذ نشأتها وحتى وصولها للحكم عام ١٩٣٣ لا يمكنه أن يستخلص سواء من كتابات دعاتها أم أقوالهم أم برنامج الحزب ما يشير الى الدعوة لحماية الأقليات وليس الأمـر بمستغرب أو ببعيد لأن الدعوة النازية كانت تعتمد على مبادئها الوطنية المتطرفة التى كانت كافية فى حد ذاتها للوصول بها الى النطاق الشعبى اللازم لنجاحها .. هـذا من ناحية .. ومن ناحية أخـرى فان مبادىء السياسة الخارجية خصوصا ما تعلق منها بوحدة الشعب الألمانية كانت مبادىء عامة يمكن الخروج منها بمبادىء فرعية مثل حماية الأقليات أو غيرهما مما يتفق وسياسة الحكومة النازية .

ثم أمكن لهتلر أن يحقق الاندماج النمساوى الألمانى عام ١٩٣٨ وهنا تحقق للنازية أملها فى الدولة الكبيرة وحق لها أن تطالب بالوصاية على الأقليات الألمانية فى أوروبا كما يتضح من قول هتلر فى البرلمان الألمانى فى ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٣٨ .

« لقد تحقق الوطن الكبير ولم يبق من آمالنا الخارجية الا أن تفتح ذراعينا لمواطنينا الاكفاء الذين ما زالوا فى الغربة لنرحب بهم اذا أرادوا العودة ولنشد من أزرهم اذا ارتأوا البقاء [١] .

وعلى أثر ذلك انهالت المساعدات المادية والأدبية والعسكرية على الأحزاب النازية الناشئة فى البلدان الأوروبية واتجهت منظمة الشئون الخارجية للحزب النازى بالتعاون مع المخابرات الألمانية الى تنظيم صفوف الأقليات الألمانية واحكام الصلات بينهم وبين الحكومة الألمانية فى برلين .

---

(١) مرجع سابق صفحة ٣٩٩ Sales. R.R. AdolfHitler-MyNew Order,

وقد أدى مبدأ حماية الأقليات للسياسة الخارجية والاستراتيجية العسكرية النازية خدمات جليلة أهمها : —

١ — اتخاذ حماية الأقليات ذريعة للتدخل العسكرى والتوسع الألمانى فى أوروبا .

٢ — استخدام هذه الأقليات أثناء الحرب كحلقة من حلقات المخابرات الألمانية لمساعدة الجيوش الألمانية فى دخولها الى البلدان التى كانوا يعيشون فيها .

١ ـ الأقليات والتوسع النازى فى أوروبا :

كانت تشيكوسلوفاكيا احدى الدول التى خلفها صلح فرساى ١٩١٩ لتضم مجموعة كبيرة من الأقليات المجرية والألمانية والروتينية . وكانت هده الأقليات حتى بعد مضى أكثر من خمسة عشر عاما من عيشها فى ظل الحكومة المركزية فى براج تحن الى أوطانها الأصلية المجر وروسيا وألمانيا [١] . وحتى السلوفاك الذين كانوا يشكلون حوالى ربع عدد سكان تشيكوسلوفاكيا كانوا يطمعون فى نوع من الحكم الذاتى ومع وصول هتلر الى الحكم كانت الأقلية الألمانية تعيش فى اقليم السوديت حيث تزعموا الصناعة واكتسبوا من ورائها الجاه واحترام الحكومة التشيكية فى براج . وفى عام ١٩٣٣ نشأ الحزب الألمانى فى السوديت بقيادة Konrad Henlein وكان الحزب يتلقى اعانات من وزارة الخارجية الألمانية قدرت بـ ١٥٠٠٠ مارك شهريا [٢] . وما أن

---

(1) Snell. John & Others The Nazi Revolution D.C. Heath and Ccmpany Boston 1959 P. 211.

(٢) نفس المرجع صفحة ٣٥٩

حدث الاندماج مع النمسا فى ١١ مارس سنة ١٩٣٨ حتى كان الحزب النازى فى السوديت مستعدا للعمل فى تشيكوسلوفاكيا . وفى ٢٨ مارس تلقى « هنلين » تعليمات من برلين مؤداها قيام السوديت بمطالبة الحكومة التشيكية بالاستقلال والانضمام الى ألمانيا المتحدة . وفى أثناء ذلك كانت القوات الألمانية تحتل مواقعها على حدود السوديت ولقد صمدت الحكومة التشيكية للضغط الألمانى لمدة ستة شهور كان هتلر أثناءها فى انتظار أى رد فعل من جانب حكومة براج حتى يكون ذريعة لهجوم شامل عليها ولكن الدبلوماسية البريطانية والفرنسية لعبت دورها فى تهدئة الحكومة التشيكية بعد تبصيرها بالعواقب . وفى ١٥ سبتمبر سنة ١٩٣٨ حدثت المقابلة التاريخية بين هتلر وتشمبرلين وفى هذه المقابلة أوضح هتلر عن عزمه فى اعادة الثلاثة ملايين ألمانى الذين يعيشون فى السوديت باقليمهم الى الرايخ . وفى سبيل تجنب الحرب اضطرت انجلترا وفرنسا الى التدخل لدى تشيكوسلوفاكيا لتسليم السوديت والا فان تشيكوسلوفاكيا ستترك وحيدة أمام الغزو الألمانى . وهنا اضطرت الحكومة التشيكية الى التسليم (١) .

وفى أكتوبر سنة ١٩٣٨ ومقابل الحصول على الضمانات الألمانية بعدم التوسع واثارة المشكلات التى تهدد بقيام الحرب وافقت انجلترا وفرنسا على ضم اقليم السوديت الى ألمانيا بمقتضى معاهدة ميونيخ التى وقعت فى أكتوبر سنة ١٩٣٨ ولم يمض أيام على توقيع هذه المعاهدة حتى كانت الجيوش الألمانية قد احتلت هذا الاقليم وضمته رسميا الى الرايخ الألمانى . وبالرغم من الضمانات التى أعطاها هتلر فى ميونيخ فلقد

---

(١) مرجع سابق صفحة ٣٩٨ Snell:The Nazi Revolution.

استمر زحف الجيوش الألمانية حتى احتلت عاصمة تشيكوسلوفاكيا فى مارس سنة ١٩٣٩ (١) .

وكانت الخطـوة التالية للسياسة التوسعية النازية مركزة عـلى بولندا . وبولندا هى الأخرى احدى الدول التى تألفت بمقتضى معاهدة فرساى وكان نصيبها من ألمانيا ميناء دانزج الألمانى الذى تحول الى مدينة حـرة كان البولنديون يتمتعون فيها بامتيازات خاصة . كذلك انقسمت بروسيا الشرقية الألمانية بواسطة الممر البولندى . ولم يكن العهد الجديد فى ألمانيا ليسمح بهذا الوضع ولكن انشغال هتلر مع النمسا وتشيكوسلوفاكيا أخره عن تركيز اهتمامه صوب بولندا حتى عام ١٩٣٩ . فى ١٤ أكتوبر سنة ١٩٣٨ اجتمع وزير الخارجية الألمانى بالسفير البولندى وطالبه وديا صونا للعـلاقات بين البلدين باعادة مدينة دانزج للرايخ وبانشاء طريق برى فى الممر البولندى ليصل بروسيا الشرقية ببقية أنحاء ألمانيا (٢) . ومنذ هذا الاجتماع حتى أول سبتمبر سنة ١٩٣٩ استنفذت الدبلوماسية الألمانية كل وسائلها من ضـغط الى ترغيب ومن عرض الصداقة الى التلويح بالحرب لحث الحكومة البولندية على اجابة مطالبها ولكن الحكومة البولندية رغم انها قد شاهدت عن كثب ما حدث للنمسا وتشيكوسلوفاكيا لم ترضخ وأعلنت التعبئة العامة واستعدت للحـرب ثم دخلت انجلترا وفرنسا مسرح المشكلة لتعلنا مؤازرتهما لبولنـدا والمطالبة بحل الأمور بالطرق السلمية .

وفى ١١ يوليو سنة ١٩٣٩ قام الألمان المقيمون فى دانزج بمظاهرة ضد

---

(١) مرجع سابق Bulloc Allen, Hitler- a Study in Tyranny P. 232.

(١) نفس المرجع صفحة ٢٣٧ Bulloc

بولندا وحدثت بعض جرائم القتل بين البولنديين فما كان من الحكومة البولندية الا أن أرسلت حامية تمكنت من اعادة الأمـور الى نصابها وقبضت على زعماء المظاهرة الذين اعترف بعضهم بالانتماء الى الحزب النازى [١] .

وكانت هذه الحادثة التى دبرتها الجالية الألمانية فى دانزج بمثابة اشارة البدء التى انتظرتها الحكومة النازية لاعلان تحللها من مسئولية ما يقع على الحكومة البولندية نتيجة ما أسمته باضطهاد الألمان فى دانزج ، وسارت الاستعدادات الحربية على قدم وساق ولم يعد خافيا ان الجيوش الألمانية ستضرب على الحدود البولندية . وفى أول سبتمبر سنة ١٩٣٩ اخترقت هذه الجيوش الحدود ووصلت الى وارسو العاصمة فى أقل من أسبوع .

هذا ما حدث فى تشيكوسلوفاكيا وفى بولندا . حيث أمكن لألمانيا النازية أن توسع من حدودها . وأهم ما نلاحظه من السرد السابق هو تشابه الهدف والوسيلة والعذر .. أما الهدف فلقد كان منحصرا فى بناء الامبراطورية الألمانية الكبيرة والوسيلة كانت ترتكز فى التوسع عـلى حساب الدول المجاورة وكان العذر هو حماية الأقليات الألمانية وضمهم بأقاليمهم وبلدانهم الى الرايخ النازى الكبير .

٢ ـ الأقليات الألمانية والطابور الخامس :

فرق Louis de Jong فى مقاله المشار اليه بالهامش والذى اتخذ عنوان « تكوين وكفاية الطابور الخامس الألمانى » بين ثلاثة أنواع مما جرى العرف على تسميتهم بالطابور الخامس الألمانى وهم الألمان

Borkenau, F. The New German Empire, Atkinson London 1938, P. 195. (1)

من ذوى الجنسية الألمانية الذين احتفظوا بها بالرغم من معيشتهم فى الدول الأوروبية الأخـرى ، والألمان الذين فقدوا جنسيتهم الألمانية أو نبذوها وتجنسوا بالجنسيات المحلية ، وأعضاء الأحـزاب النازية المتكونة فى الدول الأخرى سواء أكانوا من الألمان أم من أبناء هذه الدول (١) .

ولقد أثبتت الحرب العالمية الثانية ان هذه الأنواع الثلاثة كانت للحكومة النازية طابورا خامسا يأتمر بأوامرها ولا يعمل الا لصالحها . ويهمنا أن نذكر أمثلة لما حققه الطابور الخامس الألمانى سـواء أكان أعضاؤه من ذوى الجنسية الألمانية أم الأصل الألمانى خلال الحمـلات العسكرية النازية . ولقد نشر R. Murphy فى كتابه القيم National Socialism بعض الوثائق التى تثبت هذا الدور منها :

(أ) وثيقة مترجمة لمقال نشرته صحيفة Bohmen und Mahren الناطقة بلسان الحزب النازى بوهيميا ومورافيا الصادرة فى براج فى مايو سنة ١٩٤١ تبين الدور الفعال الذى لعبه اللواء الألمانى السوديتى المتكون من أبنـاء الجالية الألمانية فى الاشتراك مع الجيش الألمانى فى دخول

---

(١) بالبحث وراء اصل تعبر « الطابور الخامس (أو Fifth Column) ظهر انه بدأ استخدامه أثناء الحرب الأهلية الأسبانية عام ١٩٣٦ أو على وجه التحديد حيثما قاربت على نهايتها فى منتصف اكتوبر ١٩٣٦ حيث كانت الحكومة فى مدريد على وشـك التسليم ووقف فرانكو مستعدا لدخولها ومعه طوابيره الأربعة » حيث كان طابوره الخامس ينتظره فى مادريد » .

اقتبسها Louis de jong من كتـاب بعنـوان Spain لمؤلفـه Salvador de Madariagain, Unesco; The Third Reich.

المرجع السابق صفحة ٨٦٦

تشيكوسلوفاكيا فى ١٥ مارس سنة ١٩٣٩ والسيطرة العسكرية والسياسية عليها (١) .

(ب) فى أثناء الحرب الألمانية على بولندا أكدت الوثائق ان الأقلية الألمانية قد كونت طابورا خامسا ساعد الجيش الألمانى المتقدم بالمعلومات وكان أداة تخريب للمنشئات العسكرية البولندية (٢) .

(جـ) وفى يوليو ١٩٤١ نشرت جريدة المنظمة الخارجية للحزب النازى مقالا يوضح نشاط الحزب النازى فى اليونان قبل وبعد دخول الجيش الألمانى أثينا وبعد الاحتلال انضم أعضاء هـذا الحزب الى الجيش الاحتياطى الألمانى (٣) .

(د) وفى هولنده اشتهر Dr. Butting زعيم الحزب النازى الهولندى بسيطرته على الأقلية الألمانية فى هولندا وتوجيهها لخدمة مصالح الرايخ والاستراتيجية العسكرية للجيش الألمانى أثناء زحفه لغزو هولندا (٤) .

هذه أمثلة لما أداه أفراد الأقليات الألمانية للرايخ وسياسة الخارجية من خدمات وصلت الى حد المساعدات العسكرية والاستراتيجية للجيش

---

(١) المرجع السابق صفحة ١٢٨ R. Murphy, National Socialism,

(٢) نفس المرجع صفحة ١٢٩

(٣) اقتبسها R. Murphy عن مجلة المنظمة الخارجية للحزب النازى Deutsche Wollen عدد يوليو ١٩٤١

المرجع السابق صفحة ١٣٠

(٤) دكتور بوتنج من الألمان الذين عاشوا فى هولندا وبلغ من تحمسه للنازية انه ساهم فى الحركة النازية فى النمسا ثم عينه هتلر زعيما للحزب النازى الهولندى وكان يجعل مقره منزلا تابعا لسفارة ألمانيا فى هولندا يتمتع بالحصانة الدبلوماسية ومنه كان اتباعه يتلقون الأوامر بالتجسس لصالح ألمانيا اقرا مقال Jong سالف الذكر بكتاب Unesco صفحة ٨٨١

الألمانى والانقلاب على البلاد التى عاشوا فيها كجواسيس أو مخربين أو مناوئين . وفيما عدا هذه الأمثلة المشار اليها كان الألمان فى مختلف البلدان الأوروبية والافريقية والأمريكية أثناء الحرب العالمية الثانية مصادر خطر على أمن هذه الدول مما دعا معظمها الى اعتقال أفراد الجاليات الألمانية أو زعمائهم أو الموالين لهم كاجراءات وقائية للتأمين الداخلى . وبالرغم من ذلك كانت الدعاية النازية تجد دائما وفى هذه البلدان بالذات من يستمع لها ويقتنع بها الى حد الترحيب بالجيوش الألمانية النازية التى على يديها كانت شعوب بعض هذه البلدان تتمنى الخلاص من الاستعمار الأوربى [1] أى ان حماية الأقليات الألمانية كانت شعارا رفعته الحكومة النازية وأحسنت استغلاله لخدمة مقاصدها الخارجية فى ناحيتين : فهى تبرير لسياسة التوسع فى أوروبا من ناحية واستغلال لولاء الجاليات الألمانية المقيمة فى البلدان الأخرى للعمل ضد حكومات الدول المضيفة لها ولتحقيق أهداف السياسة الألمانية من ناحية أخرى .

ولقد ساهمت قضية ضم النمسا وحماية الأقليات فى التعبير عن مقاصد السياسة الخارجية الألمانية حتى نشوب الحرب العالمية الثانية فى عام ١٩٣٩ . وهناك من الأسباب ما ساهم فى وصول الحكومة النازية الى تحقيق هذين الهدفين فالى جانب الحنكة الدبلوماسية واستخدام سياسة الاملاء والضغط لحل كل من قضية النمسا والسوديت كانت

---

(١) المعروف انه لما كانت الجيوش الالمانية فى العلمين وعلى ابواب الاسكندرية قامت فى القاهرة مظاهرات تؤيد الجيش الألمانى وترحب بمقدمه . ولقد اعتقلت السلطات البريطانية وقتئذ زعماء هذه المظاهرات وبعض السياسيين المصريين باعتبارهم طابورا خامسا لألمانيا النازية .

الجيوش الألمانية مستعدة دائما للعمل فى حالة فشل هـذه السياسة . كذلك تمكن هتلر من استغلال نقطة الضعف فى الدبلوماسية الغربية والشرقية .. ففيما يتعلق بالغرب تمكن هتلر من تحطيم الدبلوماسية الغربية الموحدة بمعاهدته مع انجلترا لخفض التسلح ، واستغل عدم استعداد فرنسا وانجلترا للحرب فى جرهم الى حافة الهاوية أكثر من مرة حيث كانوا دائما يسلمون بمطالبه على أمل أن تنطفىء شهوته وتنتهى أطماعه ويشترك مع الغرب فى معاهدة جماعية لصون السلام فى أوروبا . ولم يشـهد التاريخ مثل مظاهر الاذلال التى منيت بها الدبلوماسـية البريطانية على يد هتلر فى الفترة التى سبقت الحرب العالمية الثانية . أما بالنسبة للشرق فلقد تمكنت الدبلوماسية الألمانية من الوصول الى عزل روسيا عن مسرح الحوادث الأوروبية وذلك بمقتضى معاهدة عدم الاعتـداء التى وقعتها ألمانيا مع الاتحاد السـوفييتى فى ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٣٩ . أما الولايات المتحدة الأمريكية فلم يكن دورها ليزيد على اسداء النصح وارسال الخطابات الى كل من هتلر وموسيلينى للمطالبة بعدم اشعال الحرب [(١)] .

---

(١) فى ٧ ابريل ١٩٣٩ أرسـل الرئيس روزفلت الى كل من هتـلر وموسولينى خطابا ليبصرهم بعواقب اشعال الحرب وليطلب منهم التعهد بعدم الاعتداء على بعض الدول الأوروبية ولقد رد هتلر على هذه الرسالة فى خطابه المشهور أمام البرلمان الألمانى فى ١٨ ابريل وهو الذى تهكم فيه على الرئيس الأمريكى قائلا : انك أيها الرئيس وجدت نفسك رئيسـا لدولة كبيرة عظيمة ولكننى أنا الجندى البسيط كافحت للوصـول الى مركزى ولما وصلت كافحت حتى حولت بلدى مـن الفقـر والضعف والهزيمة الى القوة والرفاهية والسـلطان لذلك فانك أيهـا الرئيس الأمريكى لا تفهم قضايانا ولا مشاعرها ولا سياستنا .

اقرأ "Sales, R.R : Hitler, My New order." مرجع سابق صفحة ٤١٩.

وباستعراض مبادىء السياسة الخارجية الألمانية بين الايديولوجية والتنفيذ نصل الى نتيجة هامة مؤداها ان الحكومة النازية لم تتمكن من تحقيق هذه المبادىء فحسب بل وتعدتها الى مالم يتصور حتى هتلر نفسه تحقيقه . فبشأن فرساى تمكنت ألمانيا من التحلل من نصـــوصها وتسلحت واستعادت الراين وكان هذا أول درس لقنته ألمانيا للقوى الخارجية بتقبل ســـياسة الأمر الواقع Fait Accompli وفيما يتعلق بوحدة الشعوب الألمانية تحقق ضم النمسا والسوديت وتعدى هتلر حدود مبادئه ليصل الى ضم تشيكوسلوفاكيا ثم بولندا ففرنسا فبلجيكا ولوكسمبرج ثم الدانمارك والنرويج وتحول مبدأ وحـــدة الشعوب الألمانية من غاية الى مجرد وسيلة مكنت الاستراتيجية الألمانية من تبرير غزواتها فى بعض الأحوال وساهمت الأقليات الألمانية فى تمهيد الطريق للجيوش الألمانية فى معظم الأحوال . أما مبدأ المجال الحيوى فلقد تحول من حيث التنفيذ من الطريق الذى رسمته المبادىء نحو التوسع شرقا الى التوســـع غربا على حساب الدول الأوروبية الغربية وذلك حتى عام ١٩٤٢ حينما بدأت الجيوش الألمانية فى غزو الأراضى الروسية .

مظاهر الدعوة النازية

النازية هى الدعوة التى نادى بها الحزب الاشتراكى الوطنى الألمانى للعمال الذى نشأ فى ألمانيا عام ١٩١٩ وتمكن عام ١٩٣٣ من الوصول الى الحكم . وبمقتضى عنوانها ومبادئها جمعت النازية بين الاشتراكية المعتدلة والوطنية المتطرفة ، وعزى هتلر السبب فى ذلك الى « ان الشعب الألمانى كان عام ١٩١٨ منقسما الى جزأين : الجزء الوطنى الذى تكون من المتعلمين ورجال الفكر وهو الذى أظهر خجلا وعجزا عن مواجهة

آثار الهزيمة بعد الحرب .. والجزء الاشتراكى الذى تجمع تحت قيادة الأحزاب الشيوعية الماركسية التى كانت تقاوم الوطنية ومبادئها .. وان أقصى هدف للحركة النازية هو أن تتمكن من تأميم الجماهير واستعادة قيمها الوطنية التى تحقق لنا البقاء » (١) .

ولقد تولى هتلر الربط بين الاشتراكية والوطنية فقال :

« ان أنقى أنواع الاشتراكية هى أن ترتفع مطالب الشعب على مطالب الفرد .. وأرفع أشكال القومية هى التضحية بالفرد فى سبيل الأمة » (٢) .

وفى سبيل تدعيم مركزها وشق طريقها كان على الدعوة النازية أن تخرج بايديولوجية اشتراكية ووطنية مميزة . وبواسطة استغلال نقاط الضعف التى ظهرت فى الدعوة الشيوعية نادت النازية بالاشتراكية المعتدلة (٣) . أما فى ميدان الوطنية فلقد انفردت النازية بنظرتها الى

---

(١) اقتبسها G. Sabine فى كتابه A History of Political Theory
المرجع السابق صفحة ٨٨٧

(٢) اقتبسها John Dewey فى كتابه German Philosophy and Politics
Van Ress Press, New York, 1942 P. 18.

(٣) الى جانب ما اثاره دعاة النازية لمواجهة التعاليم الشيوعية وما سبق استعراضه فى الباب الرابع فلقد حاول بعضهم اثارة الشك فى مدى تمسك الحزب الشيوعى بتعاليم ماركس وعلى هذا النحو قال Otto Strasser : « انكم أيها الشيوعيون متمسكون بماركس وهو الذى نادى بالتطبيق الصحيح لنظرياته .. ولكنكم لم تحاولوا الا تطبيق ما يرضيكم منها فأدى ذلك الى فشلكم عام ١٩١٤ وعام ١٩١٨ والآن تواجهون حقيقة مرة هى أن الشعب قد ترككم ليتجه الى أحزاب اليمين » .
اقتبسها Wilhelp PReich فى كتابه The Mass Psycology of Fascism
origone institute press, New York, 1946, P. 4.

العالم : Weltanschaung التى خرجت منها مبادئها الوطنية فى شكلها العنصرى المميز . واذا كانت التعاليم الاشتراكية النازية لم تتمكن من الارتفاع الى مستوى الايدولوجية الشيوعية فلقد أمكنها استغلال مبادئها الوطنية والعنصرية لمنافسة الشيوعية وتهديد نفوذها بين صفوف العمال .

ولقد راعى برنامج الحزب النازى مخاطبة معظم الفئات الشعبية .. فلقد نادى بحماية الطبقة المتوسطة وصغار التجار والزراع وأصحاب الحرف ، ولم يتخذ موقفا أو أبدى رأيا صريحا فى اظهار العداء للطبقة الرأسمالية ، وطالب بالتسلح وبالجيش القوى فاكتسب عطف طبقة العسكريين . وبواسطة تأييد هذه الطبقات تمكنت النازية من مواجهة الشيوعية ومعسكراتها العمالية .

ولما وليت الحكومة النازية الحكم ظهر الفرق واضحا بين تنفيذها لكل من مبادئها الوطنية والاشتراكية .. فعلى حين عمد هتلر الى تنفيذ مخططه الوطنى لالغاء معاهدة فرساى واكتساب المجال الحيوى ووحدة الشعوب الألمانية وبرنامجه العنصرى فى عزل اليهود عن المجتمع الألمانى ، فلقد اتسم الاقتصاد الألمانى فى عهد النازية بأعنف مظاهر الرأسمالية واغفال تطبيق مبدأ تكافؤ الفرص أو عدالة التوزيع وهى أبسط مبادىء الاشتراكية . ومقابل التضحية بهذه المبادىء أمكن للحكومة النازية تحقيق ما نادى به هتلر من تأميم طبقات الشعب ووقوفه بجميع طوائفه خلف الحكومة التى تحكمت فى مقدراته واقتصاده . أى انه فى سبيل تنفيذ المبادىء الوطنية وما استتبعها من الاستعداد للحرب أثرت الحكومة النازية مؤازرة كبار رجال الصناعة والرأسماليين على تطبيق الاشتراكية .

واذا لم تكن النازية جادة فى مبادئها الاشتراكية فلماذا اعتبرتها أحد

شقيها اللازمين لكيانها ؟ الواقع ان الحزب النازى قد نشأ على المبادىء الاشتراكية بدليل ان أعضاءه الستة المؤسسين كانوا من العمال وصغار الموظفين (١) . وكانت الآراء التى يتبادلونها لا تخرج عن نيتهم فى اقامة جناح اشتراكى للعمال بعيدا عن نفوذ الحزب الشيوعى (٢) . ثم التحق هتلر بالحزب وأمكنه تطويره ليصل الى مستوى الجماهير . وبواسطة رفع الشعارات العنصرية والوطنية المتطرفة استغل هتلر قدرته الخطابية لاكتساب جمهور من المستمعين والمؤيدين والأنصار .. ومن هنا بدأ اعتماد الحزب على المبادىء الوطنية المتطرفة أكثر من المبادىء الاشتراكية ؛ ولما اتضحت معالم الصراع بين النازية والشيوعية آثرت النازية اكتساب الفئات الوطنية والرأسمالية لما بدا لها صعوبة انتزاع العمال من معسكراتهم الشيوعية ، وشهد تطور الحزب النازى زيادة فى الاعتماد على المبادىء الوطنية والعنصرية حتى وصل هتلر الى الحكم ليقضى على الشيوعيين وليشيد دعائم الحكم المطلق وليبدأ فى تحقيق مبادئه الوطنية معتمدا على الرأسمالية الألمانية .

ومن هذا يتضح لنا ان الحزب النازى قد تحول عن نشأته الاشتراكية بدافع من شخصية هتلر التى أمكنها سيادة هذا الحزب وفرض سيطرتها عليه . ولم يكن هتلر بفضل ثقافته المحدودة وعدائه للشيوعية مؤمنا بالاشتراكية أو بالدعوة اليها . كذلك فانه لم يتمكن دعاة النازية من منافسة الشيوعية فى مجال الايديولوجية الاشتراكية فآثروا الاعتماد

---

(١) يرجع الى نشأة الحزب النازى وتطوره فى الجزء الثانى من هذا الكتاب .

(٢) Heiden Konrad, a History of National Socialism, Parkly, London, 1943. P. 11.

على المبـــادىء الوطنية والعنصرية مع الاكتفاء بتجريح الشـــيوعية والشيوعيين .

ومع ذلك فلقد استمر الحزب النازى داعيا الى الاشتراكية المعتدلة حتى ولى هتلر الحكم فقوض دعائم هذه الاشتراكية مما أثار النزاع داخل الحزب ودفع ببعض قادته مثل Ernst Roehm الى محاولة الثورة لتحقيق الاشتراكية . ولكن يد هتلر التى قضت على كل مناوئيها من مختلف العناصر ليلة ٣٠ يونيو ســنة ١٩٣٤ كانت أسرع من يده .. ولم يحقق الحكم النازى من تعاليمه الاشتراكية الا القدر الذى رأته الحكومة ضروريا لتنفيذ برامجها الوطنية ولتحقيق سيطرتها التامة على مقدرات البلاد .

أما الدعوة الوطنية للحزب النازى فلقد قامت على نوعين من المبادىء هما : مبادىء السياسة الخارجية والمبادىء العنصرية . وبواسطة المطالبة بالغاء معاهدة فرساى وبوحدة الشعوب الألمانية وبالمجال الحيوى أشبعت هذه الدعــوة النزعات القوميـــة والعسكرية والاستعمارية فى الشعب الألمانى . أما المبادىء العنصرية فلقد انفردت بها الدعوة النازية لتشكل جناحها الوطنى المتطرف ولتمكن لنفسها اســتهواء الطبقات الشعبية وبعث التقاليد الألمانية وتوجيه حقد الجماهير الى عدو مشترك . ولقد هيأت المبادىء الوطنية للحزب النازى البقاء والتقدم فى معركة المصـــير فلقيت مبادىء السياسة الخارجية التأييد الكامل من مختلف طوائف الشعب الألمانى التى أقبلت عليها لتزيح عن صدرها الشعور بالهزيمة واليأس والانكسار .

ولقد لاقت المبادىء الوطنية من الحكومة النازية — على عكس المبادىء الاشتراكية — العناية والحرص على سرعة التنفيذ . ويستطيع

المتتبع لتطورات الحكم النازى أن يلحظ قيام هتلر بالتنفيذ الحرفى لما أورده فى « كفاحى » خاصا بمبادىء السياسة الخارجية واللاسامية . فلقد تمكن من الخروج بألمانيا عن التزاماتها المفروضة عليها بمقتضى معاهدة فرساى وبواسطة ضم النمسا عام ١٩٣٨ تحققت قضية وحدة الشعوب الألمانية . ومنذ بداية الحرب العالمية الثانية حتى عام ١٩٤٢ مضى هتلر فى تنفيذ مخطط المجال الحيوى وتمكن من انشاء امبراطورية ألمانية امتدت من البلطيق شمالا حتى جنوب البحر الأبيض المتوسط ولم يخرج عنها من الدول الأوروبية الا سويسرا واسبانيا وتركيا التى أعلنت الحياد [1] . كما حققت قوانين العنصر ومظاهر اضطهاد اليهود ما نادت به الدعوة النازية من المبادىء العنصرية بل ان الحكومة النازية قد تغالت فى تنفيذ هـذه المبـادىء الى حد قيامها باعتقال اليهـود وتعذيبهم وابادتهم .

هذا فيما يتعلق بالشقين الاشتراكى والوطنى للدعوة النازية بين الايديولوجية والتنفيذ . وبالاضافة الى ذلك فلقد كان للدعوة النازية مبادىء دينية وسياسية لقيت هى الأخرى من الحكومة النازية نصيبا من التحقيق فلقد نادت النازية بالمسيحية الايجابية التى عرفها دعاتها بأنها مرتكزة على الأسس الرئيسية للدين المسيحى بالاضافة الى واجب رجال الدين فى التبصير بأهمية المبادىء العنصرية . ولم تقو « المسيحية الايجابية » كدعـوة على مواجهـة رجـال الكنيستين الكاثوليكية والبروتستانتية . ولما وليت الحكومة النازية الحكم ورغبة منها فى تأميم النشاط الدينى حاولت فرض « المسيحية الايجابيـة » عـلى الكنائس

---

(١) الدكتور محمد فؤاد شكرى « ألمانيا النازية » دار الفكر العربى — القاهرة ١٩٤٨ صفحة ٢٣٨

البروتستانتية بالقوة . وان لم يثبت انتشار « المسيحية الايجابية » فى ألمانيا النازية فلقد ثبت انصياع رجال الكنائس المسيحية لهتلر وحزبه النازى وسيرهم فى ركابه طيلة سنوات الحكم النازى .

أما المبادىء السياسية التى اعتمدت على هرمية الزعامة والطبقة المختارة والشعب العنصرى فلقد طبقتها الحكومة النازية وعلى الأخص ما تعلق منها بالسلطات المطلقة للزعيم ، أما الحزب النازى كطبقة مختارة لمساعدة الزعيم فى الحكم فلم يظهر له مكان فى الدولة الهتلرية اللهم الا ليقتصر دوره عـلى « تنزية » الشعب وترتيب المظاهرات المؤيدة والاستفتاءات وبث الدعاية للنظام الجديد فى الداخل وفى الخارج . كذلك ثبت لنا ان نظرية الشعب العنصرى قد ساعدت الحكومة النازية فى ادعاء الديمقراطية لارتكازها على مجموعة الشعب من اتباعها أما بقية الفئات الشعبية فلم ترها النازية أو حكومتها جديرة بممارسة حقوقها السياسية . ومن عرضنا للمبادىء الأساسية للدعـوة النازية نستطيع الخروج بالنتائج الآتية :

أولا — ان هذه المبادىء مستمدة من تطور الفكر السياسى الألمانى .. فالمبادىء العنصرية كانت امتـدادا للأفكار التى نادت بها مدرسـة chamberlain, Wagner, Gobineau ثم طـورها الداعيـة النازى Alfred Rosenberg وحاول عـلى أساسـها الخـروج بنظـرية القيم العنصرية للشعوب التى أوردها فى كتابه المشهور der mythus des 20 Jahrhunderts ، ثم غـالى هتلر فى تقـديرها فى « كفاحى » ليرد تاريخ الامبراطوريات وقيامها واضمحلالها الى العـوامل العنصرية . أما المبادىء السياسية فلقد اعتمدت على أقوال المفكرين الألمان ونظرياتهم التى استهدفت تأييد حكم الفرد المطلق ومحاولة الربط بينه وبين النظم

الديمقراطية الحديثة وكانت مبادىء السياسة الخارجية مرتكزة علـى نظريات الاستعمار الألمانية القديمة ولم تكن نظرية « المجال الحيوى » الا ترديدا لهذه الآراء . أما المبادىء الدينية والاشتراكية فلم يثبت قيام الدعوة النازية باستقائها من الفكر الألمانى القديم وقد يرجع الى ذلك ضعف الكيان الايديولوجى لهذه المبادىء وعدم حظوتها بنفس العناية التى لقيتها المبادىء الأخرى من الدعوة النازية .

ثانيا — انها مبادىء وضعت لغرض شعبية المذهب النازى واختيرت لتستهدف رضاء الشعب الألمانى .. فلقد خاطبت الدعوة النازية الشعب الألمانى بمختلف طبقاته وبشرت مبادؤها بما يرضى الجميع : فمبادئها الوطنية والعنصرية قد جاءت متفقة مع أهواء الشعب ولم تسفر المغالاة فيها الا عن ازدياد الحماس لها ولا غرو فلقد مست هذه المبادىء آمال الشعب الألمانى فى أمتـه ، وبعثت فيه روح الفخار بأصـله ونسبه ، أما المبادىء الاشتراكية فقد تكون الدعوة النازية قد تركتها دون ما تحديد واضح لمعالمها حتى تستطيع اكتساب كلا من الاشتراكيين والرأسماليين ، والمبادىء السياسية التى نادت النازية فى عمادها بالحكم المطلق ومبدأ الزعيم وجدت هى الأخرى الترحيب الشعبى على أساس كونها مبشرة بعودة العصور القيصرية البائدة وحتى موقف النازية من رجال الدين ومناهضة تدخلهم فى السياسة لم يقابل من الشعب الألمانى بالاستياء .

ثالثا — ان مبادىء الدعوة النازية قد اتسمت بممالأة الشخصية الهتلرية وبدلا من أن يترسم خطاها سارت هى خلفه . فلقد ظهر هتلر على مسرح السياسة الألمانية ثائرا على نظام الحكم القائم الذى وقع على معاهدة فرساى كما كان ثائرا على المجتمع الذى اضطره الى احتراف الجندية .. ولقد تحولت هذه الثورة فى نفس هتلر الى حقد دفين ظهر

واضحا فى قوة تعبيراته وأمدته بالقدرة الخطابية الأخاذة التى جمعت من حوله جمهور الساخطين على هزيمة ألمانيا وعلى الأزمات التى حاقت بها وهددت مستقبل أولادهم .. وهم الذين أنصتوا لمن صور لهم حقدهم بكلماته وتعبيراته وصوته المرتفع المؤثر . وكان هتلر يتميز بعقلية مرتبة وبذكاء لم ينكره عليه خصومه فاستطاع عن طريق خطاباته أن يتفهم الشعب ويدرك ما يثيره وما يستحسنه (١) . ومن هنا خرجت شعارات النازية ومبادئها لتلائم كل ما هلل له هـذا الجمهور وانتزع تصفيقه واعجابه وهذا ما يدفعنا الى الاعتقاد بأن مبادىء الدعـوة النازية قد ارتبطت بشخصية هتلر أكثر مما ارتبطت بالحزب الاشتراكى الوطنى الألمانى للعمال . ولا غرو فلقد سادت شخصية هتلر على المبادىء وعلى الحزب وعلى الدولة نفسها بعد عام ١٩٣٣ .

---

(١) نعود الى دراسة شخصية هتلر كاحدى العوامل الرئيسية التى ساعدت على انتشار الدعوة النازية فى الجزء الثانى من هذا الكتاب .

الجزء الثانى

الحزب النازى

بعد الحرب العالمية الأولى وعلى يد جمهورية فيمار شهدت ألمانيا معالم الديمقراطية المتحررة Liberal Democracy لأول مرة فى تاريخها (١) . وكان دستورها الجديد الذى أقرته الجمعية التأسيسية فى فيمار فى ٣١ يوليو سنة ١٩١٩ مقتبسا من الدساتير الديمقراطية الغربية ومتضمنا أهم مبادئها فى الحرية والمساواة والفصل بين السلطات والرقابة الدستورية على القائمين بالحكم . وبمقتضى مبادىء الدستور الجديد تمتع المواطن الألمانى بالحريات السياسية بما فيها من حق مناقشة الحكام وتأليف وتكوين الهيئات والجماعات والأحزاب السياسية (٢) .

ولقد كان لهذا التحول المفاجىء من أوتوقراطية مطلقة الى ديمقراطية نموذجية آثار عكسية على الشعب الألمانى . فبدلا من تذوق مزايا النظام الجديد والمساهمة فى توطيد دعائم الديمقراطية الحديثة ، بدلا من ذلك فقد أظهر عام ١٩١٩ تفشى عدم الثقة فى جمهورية فيمار وحكامها ودستورها وكان السبب الرئيسى فى ذلك هو الشعور بمرارة الهزيمة وقسوة معاهدة فرساى هذا الشعور الذى اعتبر ان الدستور الجديد

---

(١) يوضح تاريخ الشعب الألمانى انه لم يشهد لا فى عصر الانقسام والاقطاع ولا فى عهد الوحدة عام ١٨٧٠ وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى أى مظهر من مظاهر الحرية السياسية ولم تزد علاقته بالحكام أكثر من علاقة التابع الوفى بسيده

Natting Rudolf, Germany in The Making, Oxford, univeraicyt Press 1952 P.43.

(٢) Shirrer The Rise and fall of The Third Reich. مرجع سابق صفحة ٦٨

وحكومة الجمهورية ما هو الا أحد الشروط التى فرضها الحلفاء على ألمانيا وشعبها الذى لم يكن له حق الاختيار . ومن هنـا وبوحى من استخدام الحقـوق السياسية المكتسبة بمقتضى التعاليم الديمقراطية الجـديدة ضربت ألمانيا رقما قياسيا فى عـدد الجماعات والأحـزاب السياسية (١) .

وفى ذلك الوقت كانت مدينة ميونيخ « عاصمة اقليم بافاريا » تحتوى على أكثر من مائة دعوة سياسية يقوم عليها أما أحزاب منظمة مثل الحزب الاشتراكى الديمقراطى والحزب الشيوعى أو خلايا سياسية لا تعبر الا عن مجرد الخلاف فى الرأى ورغبة القائمين على كل منها فى الظهور كساسة ذوى آراء واتباع . ومن بين هذه الجمعيات السياسية التى لم ترق الى مرتبة الأحزاب ولم تكن لتعدو فى الغالب كونها مجالا ينفس فيه أعضاؤها عن مشاعرهم السياسية كانت هناك مجموعة من سـتة أشخاص أطلقت عـلى نفسها حزب العمال الوطنى الألمانى Deutsche National Arbeitspartei ولم يكن نشاط هذه الجماعة ليتعدى جلسات أسبوعية فى القاعات الخلفية للحانات الشعبية . وكان أعضاء هـذه الجماعة الستة المؤسسون هم : « أنتونى دريكسلر » وصناعته صانع أقفال رئيسا ، و « كارل هيرر » صحفى و « ديتريش ايكارت » من أصحاب الأملاك و « جوتفريد فيدر » مهندس وأحـد كبار فلاسفة

---

(١) يقول البروفسور T. L. Jahrmann انه بالاضافة الى الاحزاب الكبيرة المعروفة مثل الحزب الاشتراكى الديمقراطى والحزب الشيوعى والأحزاب المسيحية بلغ عدد الأحزاب المسجلة عام ١٩٢٠ حوالى ٣٨٩ حزبا عدا الجمعيات والأحزاب السياسية الصغيرة غير المسجلة

مرجع سابق صفحة ١٨٩ Jahrman,The Rise and fall of Nazi. Germany.

النازية فيما بعد و « أرنست روم » ضابط جيش و « ألفرد روزنبرج » مدرس وأحد دعاة النازية المشهورين فيما بعد (١) .

وظلت هذه الجماعة السياسية على حالها تجتمع مرة أو مرتين فى الأسبوع فى أحد الحانات لتناقش الموضوعات السياسية وتطبع الدعوات لحضور اجتماعاتها ليقوم كل عضو من أعضائها بتوزيعها على أصدقائه ومعارفه .. ظلت على هذا الحال حتى قدر للجاويش الاحتياطى « ادولف هتلر » أن يكلف من قبل المخابرات الحربية بالتحرى عن هذه الجماعة وتقديم تقرير بأغراضها ونشاطها وذلك فى يوم من أيام شهر سبتمبر سنة ١٩١٩ (١) .

وفى ذلك اليوم ذهب هتلر ليراقب أحد اجتماعات هذه الجماعة وفى « كفاحى » سرد هتلر هذه الواقعة بقوله :

---

(١) قدر لهؤلاء الثلاثة الأخيرين البروز فى الدعوة النازية والحكم النازى فيما بعد / فجوتفريد فيدر هو محرر برنامج الحزب الذى قام بشرحه ومبادىء الدعوة النازية فى كتابه المشهور « برنامج الحزب النازى » الذى يعتبر أحد المراجع الرئيسية فى النازية ثم تدرج فى وظائف الحكومة النازية حتى وكيلا لوزارة الخارجية لشئون الحزب عام ١٩٣٨ وأرنست روم هو مؤسس جيش النازية المسمى فرقة العاصفة Sturmabteilung ثم تخلص منه هتلر بالاغتيال عام ١٩٣٤ أما الفرد روزنبرج فقد كان المسئول عن تدريب النشء وشئون التعليم والدين فى المانيا النازية ومن مؤلفاته المشهورة « خرافة القرن العشرين » الذى كان هو الآخر أحد المراجع الأساسية فى الدعوة النازية أما دريكسلروايكارت وهير فلم يكن لهم خصوصا أثناء الحكم النازى شأن يذكر .

مرجع سابق صفحة ٦١ و ٧٩ و ٨١ Murphy National Socialism

(٢) المرجع السابق صفحة ٣٢

Shirrer, The Rise and fall of The Third Reich,

« ما أن دخلت الحجرة الخلفية لحانة البيرة المسماة Hofbrauhaus حتى وجدت اجتماعا من حوالى عشرين شخصا كلهم من الطبقة المتوسطة وكانوا ينصتون الى « جوتفريد فيدر » وهو يتكلم .. ولما كنت قد سمعته يتحدث فى اجتماعات عامة قبل ذلك فلم أنصت لكلامه بقدر ما بدأت فى فحص وجوه الحاضرين .. وخرجت بنتيجة سريعة بأن هذا الحزب لا يزيد عن كونه احدى الجمعيات السياسية التى امتلأت بها ألمانيا فى ذلك الوقت .. وهممت بالانصراف لولا أن استوقفتنى حادثة صغيرة فلقد فتح باب المناقشة ووقف أحد الحاضرين وكان مدرسا باحدى المدارس ليطلب من الحزب أن يتخذ سياسة انفصالية تدعو الى فصل بافاريا عن الجمهورية الألمانية معللا بأنه فى هذه الحالة تستطيع بافاريا أن تتحد مع النمسا وتنعم بسلام دائم وهنا وجدت نفسى أقف لأجيب على هذا الاقتراح السخيف وظللت أتكلم قرابة العشر دقائق ولما انتهيت وجدت الجميع يتطلعون الى منصتين وأثار الدهشة منطبعة على وجوههم وخرجت من الاجتماع وما أن مضت أيام حتى تسلمت دعوة من الحزب الوطنى العمالى للانضمام اليه (١) .

ويبين هتلر « فى كفاحى » انه قد فكر كثيرا قبل أن ينضم الى هذا الحزب .. فكر فى نفسه وفى مستقبله وفيما اذا كان هذا الحزب والعضوية فيه تستأهل منه ترك خدمة الجيش بما فى ذلك من قطع لآخر مورد للرزق يعيش عليه وفى ذلك قال هتلر :

« فكرت فى هؤلاء الذين يجتمعون لمناقشة موضوعات الساعة .. ولما يتعدوا فى الوقت نفسه مرتبة الجمعية السياسية الصغيرة ، لا مطبوعات ولا بطاقات دعوة ولا بطاقات عضوية ولا عمل ايجابى .. ولكنهم كانوا

---

(١) مرجع سابق صفحة ٦٣ Hitler, Mein Kampf,

يجتمعون على أصوات ضمائرهم وكانت نيتهم واضحة فى محاولة تطهير الأمة الألمانية على أسس وطنية ، كانوا يريدون حركة ألمانية أقوى من الأحزاب ولكنهم كانوا يجهلون الطريق الى ذلك » (١) .

« وبعد تفكير طويل قررت أن أشترك مع هذه الجماعة فى نشاطها وأغراضها وان كنت أعارض طريقتها فى التعبير عن نفسها وقررت أن أذهب لحضور اجتماع الحزب تلبية للدعوة التى تلقيتها .

والى هنا تنتهى الفترة الأولى من نشأة الحزب النازى وهى الفترة التى انتهت بانضمام هتلر الى هذا الحزب وحصـوله رسـميا وفى ٢٩ سبتمبر سنة ١٩١٩ على بطاقة للعضوية باعتباره أحد الأعضـاء العاملين ، والذى يلفت النظر فى هذه الفترة :

١ — ان الحزب قد قام على أكتاف أعضائه الستة سالفى الذكر ولم يكن نشاطه حتى دخول هتلر ليتعدى المجالس الخاصة التى يتم فيها تبادل وجهات النظر فى الشئون السياسية ، ومع ذلك فلقد طلب من هتلر وهو جاويش فى الجيش أن يتحرى أمر هذه الجماعة للتعرف على أغراضها ونشاطها وعما اذا كانت ذات صلة بالحزب الشيوعى . والمعنى المفهوم لذلك الاجراء هو حرص الجيش الألمانى فى « بافاريا » أو مخابراته على رقابة النشاط السياسى للأحزاب والجماعات السياسية المحلية . ولكن بعض المعلقين يعتقدون أن تفقد الأحزاب والجمعيات السياسية لم يكن بقصد الصالح العام أو الدولة بقدر ما قصد به تعرف قادة الجيش على النزعات السياسية الجديدة لأغراضهم الشخصية حيث قد ثبت اشتغال أغلبهم بالسياسة (٢) .

---

(١) المرجع السابق صفحة ٢١٥ Hitler, Mein Kampf,

(٢) المرجع السابق صفحة ٣٦ Shirrer, The Rise and fall of The Third Reich,

٢ — دخول هتلر الحــزب الاشتراكى للعمال لم يكن عن سعى أو اختيار وانما أملته ظروف عمله التى اقتضت منه حضور أحد اجتماعاته ولولا ان تعرف على « جوتفريد فيدر » الذى طالما أعجب بآرائه ، ولولا اندفاعه للرد على أحــد الحاضرين ، وتبين آثار الاستحسان لرأيه من أعضاء الحزب ، لولا هذه الدوافع ، لما قدر لهتلر أو حتى العالم أن يعرف من أمر هذه الجماعة السياسية الصغيرة شيئا .

٣ — تفكير هتلر الطويل فى الاشتراك فى هذا الحزب يرجع — فى الغالب — الى ظروفه الشخصية وآرائه الوطنية .. أما ظروفه الشخصية فلقد بين المؤرخون ان احترافه الجندية فى الجيش الألمانى كان نتيجة فشله فى كسب قوته والارتزاق من أى حرفة ارتآها أيام صباه وبعد أن فشل فى الحصول على شهادة التعليم المتوسط ، أى ان الجندية كانت بالنسبة لهتلر أداة ارتزاق أكثر منها مجال للخدمة الوطنية (١) . ومن هنا كان عليه أن يفكر طويلا قبل أن يقطع بنفسه مصدر رزقه الوحيد لينزل الى معترك السياسة المجهول ، وفى نفس الوقت كان نهبا للأفكار الوطنية والسياسية بدرجة لم تمكنه من الوقوف متزنا أمام أية مناقشات سياسية بل كان يجد نفسه مندفعا الى التعبير عن رأيه بقوة وعنف الى حد انه استطاع دائما أن يفرض آراءه على آذان الجالسين أو المتناقشين . وبين التضحية بمصدر الرزق الثابت واحتراف السياسة تنفسا لآرائه الوطنية كان على هتلر أن يختار .. ولم يطل تفكيره طويلا اذ ما لبث أن اختار السياسة بما فيها من مستقبل مجهول فى سبيل حزب مجهول مضحيا

---

(١) Bullock Allan, Hitler, a Study in Tyranny. Bantam Books New York 1958 P. 162.

بوظيفته بالرغم من سنوات الشقاء التى تركت فى نفسه آثارا لم تمحها حتى أسعد لحظات المجد (١) .

وتبدأ المرحلة الثانية من مراحل الحزب النازى بدخول هتلر هذا الحزب ومنذ اللحظة الأولى لدخوله فيه وهتلر يحاول أن يغير أساليبه وسياسته وطريقته فى اجتذاب الأنصار الجدد . وكان أن طالب بعقد اجتماعات شعبية ينزل فيها أعضاء الحزب لمناقشة الجمهور وشرح أهداف الحركة الجديدة ووجدت هذه الآراء معارضة من أعضاء الحزب المؤسسين ولكن هتلر استمر فى الحاحه حتى تمكن من تحقيق سياسته وفى ذلك يقول هتلر فى « كفاحى » .

« كنا نجتمع كل أربعاء فى أحد مقاهى ميونيخ ومرة أخـرى فى الأسبوع لنتبادل الحديث عن المشكلات السياسية مع انتى كنت أرى الخروج للشعب واختطاف الأنصار ، ثم اتجهنا الى طبع تذاكر دعوة كنا نوزعها بأنفسنا وبين أصدقائنا ومعارفنا وجيراننا وكانت النتيجة مؤسفة وأذكر انتى توليت بمفردى مرة توزيع ثمانين دعوة وكذلك الزملاء الباقين وانتظرنا حضور العدد الضخم من المستمعين وبعد انتظار ساعتين اضطر الرئيس أن يفتتح الجلسة حيث كنا كما كنا دائما أعضاء الحزب السبعة .. ثم بدأنا فى الاعلان عن اجتماعاتنا فى بعض الصحف البافارية

---

(١) يقول Bulloc فى كتابه هذا بانه لوحظ على هتلر الوجـوم فى كثير من الأحيان وحتى فى جلسات المرح التى كان يحضرها وهو فى أوج مجده ولما سئل مرة عن سبب وجومه أجاب بأنه لا يحق للمرء أن يشعر بالسعادة الا اذا ما فكر فى أوقات الحرمان .

المرجع السابق صفحة ٢١٦ ــ واقتبس هـــذه الجمـلة ايضـــا Raul De Roussy De Sales فى كتابه Hitler, My New Order

مرجع سابق صفحة ٨

ونجحت هذه الطريقة الى حد ما حين حضر اجتماعنا حوالى المائة شخص وفى هذه الجلسة وبعد افتتاحها على يد أحد أساتذة الجامعة قمت للكلام بالرغم من معارضة رئيس الحزب « دريكسلر » الذى كان من رأيه اننى لا أصلح للخطابة وأعطانى عشرين دقيقة للكلام وتكلمت ثلاثين دقيقة وخرجت من هذه التجربة مقتنعا بقدرتى على الخطابة واجتذاب السامعين والدليل على نجاحى اننا قد تمكنا من نهاية الجلسة من جمع اشتراكات قيمتها ثلاثمائة مارك (١) .

واستمر هتلر فى كتابة تطورات الاجتمـاعات الشعبية التى عقدها الحزب بتدبيره وفى كل مرة كان عدد الحاضرين فى ازدياد حتى وصل هتلر الى الاعتقاد بأن الحركة الجديدة قد وصلت الى شعور الأوساط الشعبية بميونيخ وذلك حينما اكتشف ظهـور جماعة من المشوشين والمخربين ممن أرسلتهم الأحزاب الأخرى لاثارة الاضطراب والشغب أثناء الاجتماعات .

وبوصول الحزب الى هذه المرحلة المتقدمة بدأت المنازعات الداخلية بين هتلر من ناحية و « دريكسلر » و « هيرر » من ناحية أخـرى . وبين هتلر فى « كفاحى » انه لم يكن مؤمنا بهما ولا بسياستهما وذلك لعدم قدرتهما عـلى الخطابة من ناحية ولعدم انتمائهما الى السلك العسكرى « الذى يصنع الرجال » من ناحية أخرى (٢) .

ولقد بدأ النزاع يتخذ مظهر الجدية حين قرر الحزب وضع برنامجه فعلى حين رأى « دريكسلر » و « هيرر » أن تنحصر المبادىء فى الناحية الاشتراكية اذ بهتلر يصمم على أن تكون الغلبة فى هذه المبادىء للناحية

---

(١) المرجع السابق صفحة ٢١٦ — Hitler, Mein Kampf,

(٢) المرجع السابق صفحة ٨١ — Hitler: Mein Kampf,

الوطنية وبدأت قدرة هتلر على التدبير والسياسة تتضح جليا حينما تمكن من اكتساب بقية أعضاء الحزب الأربعة فيدر وروزنبرج وروم وايكارت الى جانبه . وكان قرار الحزب بالخضوع لوجهة نظر هتلر وخروج برنامج الحزب عام ١٩٢٠ شاملا لكل آرائه الوطنية المتطرفة هو فى الواقع لا انتصار لهتلر فحسب بل واعتراف فعلى بزعامته للحزب . وفى اجتماع علنى فى قاعة Hofbrau Haus المشهورة فى ميونيخ قرأ هتلر برنامج الحزب ذا الواحد والعشرين نقطة واستمع لخطابه جمهور وصل الى ألف شخص وفى نفس الوقت غير الحزب اسمه ليكون National Socialistische-Deutsche Arbeitsparti ، واتخذ له التعبير المختصر "Nazi" أو الحزب النازى كما تعورف على تسميته فى جميع اللغات .

ولما وصل الحزب الى هذه المرحلة رأى هتلر انشاء قوة مسلحة من أفراده تتولى حماية اجتماعاته الشعبية من المناوشين ومن هنا ظهرت فرقة الصاعقة .. Sturm Abteilung واختصارها S. A. ثم ظهر علم الحركة النازية الجديدة الأحمر الذى يتوسطه الصليب المعقوف ثم اشترى الحزب جريدة أصدرها باسمه تحت عنوان Volksbeobarter وترجمتها المراقب الشعبى وعين عضو الحزب المؤسس ايكارت رئيسا لتحريرها (١) .

وتمكن أعضاء الحزب من اقناع أصدقائهم للانضمام للحركة وفى هذا المجال نجح Roehm عضو الحزب المؤسس وضابط الجيش فى الوصول الى ضم بعض كبار قادة الجيش المعروفين ببطولاتهم العسكرية

---

(١) سيرد العرض التفصيلى لهذه الفرقة ولأسباب اختيار ألوان العلم الجديد فيما بعد .

أمثال القائد الألماني الكبير .. Ludendorf والجنرال Von Epp كما تمكن ايكارت بفضل اتصالاته الصحفية من ضم بعض رجال الصناعة المناوئين للشيوعية . وكل هؤلاء ساهموا فى دعم المركز المالى للحزب فزادت قدرته على مزاولة نشاطه وتدعيم مركزه بين الأحزاب الأخرى (١) .

هذه هى أهم التطورات التى مر بها الحزب النازى منذ نشأته حتى وصوله الى مكانة ظاهرة فى محيط السياسة الحزبية بميونيخ .. ولقد اتضح لنا من هذه التطورات حقائق هامة هى :

١ — المكانة الرئيسية التى احتلها هتلر فى الحزب والسرعة التى وصل بها الى زعامته الحقيقية . ويرجع ذلك — الى جانب كفايته وتفرغه لشئون الحزب — الى نجاح سياسته والخروج بالحزب فى خلال عام واحد تقريبا من العزلة وعالم المجهول الى كل المقومات اللازمة لتكوين حزب سياسى قوى من دعوة مركزة قائمة على مبادىء واضحة الى جريدة تعبر عن رأيه الى جمهور متزايد لحضور اجتماعاته ثم منظمات عسكرية وداخلية وخارجية وعلم ملفت أخاذ . وكل هذه المظاهر لا يمكن الا ارجاع الفضل فيها لهتلر شخصيا .

---

(١) يقول بعض المؤرخين انه من الصعب تحديد موارد الحزب اثناء فترة قيامه الأولى ١٩/١٩٢٠ والدليل على ذلك ان نشاطه المحدود فى ذلك الوقت يدل على انه اقتصر على جمع الاشتراكات من الأعضاء الا ان Allan Bulloc, T.L. Jahrmuann قد اجتمعا على الادعاء بأن الحزب منذ أن دخله هتلر كان يمول سرا بواسطة بعض الأثرياء واهمهم سيدة تدعى Frau Kinderlein, التى كانت معجبة بهتلر وآراؤه ووهبت للحركة النازية منذ نشأتها كل ثروتها .

اقرأ المرجع السابق صفحة ٨٣ Bulloc Hitler: a Study in Tyranny

المرجع السابق صفحة ٢١٣ Jahrmann:The Rise and fall of Nazi Germany

٢ — الجانب الفعال فى الحزب الذى جذب الأنصار والمشجعين قام على قدرة هتلر الخطابية واستغلاله لموهبته فى مس احساس الجماهير أكثر من مبادىء الحزب نفسها بدليل ان البرنامج الذى قرأه هتلر عام ١٩٢٠ لم يصفق له الجمهور أكثر من تصفيقه عندما وقف هتلر ليستهل خطابه (١) . ولقد اعترف الأعضاء المؤسسون للحزب بذلك حينما أطلقوا يده فى التنظيم وادارة الحزب وحينما اتضحت لهم الحقيقة التى اتضحت للشعب الألمانى كله فيما بعد وهى ان الحزب النازى وهتلر شخصية واحدة ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر .

٣ — الطريقة التى نما بها الحزب النازى من جمعية سياسية الى حزب سياسى والحرية المطلقة التى تمتع بها فى عقد الاجتماعات الشعبية وتجهيز فرق مسلحة لا توضح لنا معالم الديمقراطية التى كانت تتمتع بها ألمانيا فى ظل دستور « فيمار » بقدر ما أوضحت ضعف هذه الحكومة واستهتارها بقيام القوى السياسية المناهضة لها .

ونقف عند وصول الحزب النازى الى هذه المرتبة لنعرض فى الأبواب القادمة من هذا الجزء الى ما يلى : —

١ — كفاح الحزب النازى للوصول الى السلطة .

٢ — العوامل التى ساعدت على وصول الحزب النازى الى الحكم .

٣ — تنظيمات الحزب النازى .

---

(١) فى « كفاحى » قال هتلر دهشت حينما قوطعت كلماتى بالتصفيق قبل أن أبدأ فى قراءة البرنامج .

مرجع سابق صفحة ٦٠٩ — Hitler Mew Kanpf.

الباب الأول

كفاح الحزب النازى للوصول إلى السلطة

وقفنا فى عرضنا لقيام الحزب النازى عند تمكن هتلر من سيادة هذا الحزب وتنظيمه والخروج به من حيزه المقفل المجهول الى النطاق الشعبى حيث بدأت اجتماعات الحزب فى مستهل عام ١٩٢٠ تتخذ صفة العلانية فى شكل مؤتمرات شعبية عامة كانت مجالا أظهر فيه هتلر قدرته على الخطابة والاستحواذ على سمع جمهور الحاضرين الذى كان يتزايد عدده بالاستمرار الى الحد الذى بدأت فيه الأحزاب الأخرى فى مقاطعة بافاريا فى الشعور بخطورة الحزب الجديد وتهديده لمصالحها .

وبنفس السرعة التى تمكن بها هتلر من الوصول الى زعامة الحزب النازى وتطوير هذا الحزب ليتخذ مكانا بارزا بين الأحزاب الأخرى فى بافاريا أراد هتلر أن يصل الى الحكم . ففى عام ١٩٢٣ وبدافع من عوامل مختلفة الى جانب ثقته بنفسه وبقدرته على قيادة الجماهير قام بمحاولة لقلب نظام الحكم فى ميونيخ ، ولما قدر لهذا الانقلاب أن يفشل استفاد الحزب النازى بنتائج هذا الفشل أكثر مما كان سيستفيده لو قدر له تحقيق غرضه فى انتزاع السلطة من الحكومة المركزية ، فما أن خرج هتلر من السجن عام ١٩٢٥ حتى ظهر فى صورة السياسى المحنك وبدأ فى استجماع قوته وفى اعادة تنظيم حزبه ليوجهه الى هدف واحد هو الوصول الى الحكم بالطريق الدستورى السليم .

ومن هنا كانت قصة كفاح الحزب النازى للوصول الى الحكم ذات مشهدين مختلفين تمام الاختلاف صور أولهما بداءة التدبير وسرعة التنفيذ بينما صور الثانى التجربة المعتمدة على الأناة والصبر وحسن استغلال الفرص . وبينما كان الحزب فى المشهد الأول يفتقر الى التنظيم رأيناه فى المشهد الثانى مدربا منظما يعمل فى المجال السياسى بقدرة واعية . كذلك فلقد اختلفت شخصية هتلر حينما ظهر أثناء الانقلاب الفاشل كقائد مظاهرة يعتمد على جمهور الشارع فانه تحول ليظهر فى المشهد الثانى كقائد سياسى لا تنقصه صفات السياسى المدرب من الخبرة وحسن التقدير والقدرة الفائقة على استغلال الظروف .

وفى هذا الباب سنعرض لكفاح الحزب النازى للوصول الى الحكم وللانفراد بالسلطة خلال الفصول الثلاث الآتية : —

الفصل الأول : مرحلة تجربة الانقلابات وهى التى مر بها الحزب خلال الأعوام من ١٩٢٠ حتى دخول هتلر السجن اثر الانقلاب الفاشل عام ١٩٢٣ .

الفصل الثانى : مرحلة الكفاح البرلمانى وهى التى تصــور كفاح الحزب فى المجال السياسى منذ خروج هتلر من السجن عام ١٩٢٥ وحتى توليه الحكم عام ١٩٣٣ .

الفصل الثالث : مرحلة الانفراد بالسلطة وخلالها وفى الفترة القصيرة ما بين الوصول الى الحكم عام ١٩٣٣ وحتى حركة تصفية المعارضة عام ١٩٣٤ تمكن هتلر من تنصيب نفسه حاكما مطلقا بينما أصبح الحزب النازى هو حزب الدولة الشرعى الوحيد .

الفصل الأول

مرحلة تجربة الانقلابات
١٩١٩ - ١٩٢٣

عاصرت ألمانيا منذ توقيع معاهدة فرساى وحتى عام ١٩٢٣ أعنف مظاهر الفوضى السياسية ولم تقتصر مظاهر هذه الفوضى على انتشار الأحزاب السياسية أو استعانة الحكومة بفرق المرتزقة العسكرية الذين أطلقوا على أنفسهم اسم « الفرق الحرة Freie Korps »[1] أو ضعف ثقة أفراد الشعب بالحكم الديمقراطى الجديد لم يقتصر الأمر على ذلك فحسب وانما تعدت مظاهر الفوضى هذا كله الى عدة محاولات ناجحة قام بها البعض لقلب نظام الحكم سواء فى نطاق الحكومات الاقليمية أم فى الحكومة المركزية فى برلين بالذات .

ففى ٧ نوفمبر ١٩١٨ تمكن "Kurt Eisner" من جمع بضعة مئات من أتباعه والسير بهم فى شوارع ميونيخ والاستيلاء على السلطة من الحكومة المحلية . ثم أعلن قيام جمهورية بافاريا وانفصالها عن الجمهورية الاتحادية ولم يدم حكم ايزنر أكثر من ثلاثة أشهر حيث تمكنت احدى فرق المتطوعين Freie Korps من القضاء على حكمه بعد اغتياله[2] .

(١) نعود للعرض للفرق الحرة خلال بحثنا القادم عن التنظيمات العسكرية للحزب النازى .

(٢) كورت ايزنر صحفى من أصل يهودى وكان يتزعم حركة انفصال بافاريا عن الحكومة المركزية، وقيل انه كان يعمل على ضمها الى النمسا اقرأ مقال John. H. E. Fried المدرس بقسم الدراسات العليا فى كلية العلوم والآداب بجامعة نيويورك فى Unesco.; The Third Reich, مرجع سابق صفحة ٧٥٢

وفى ١٣ مارس سنة ١٩٢٠ قامت احدى هذه الفرق الحرة بتنصيب أحد أعوانها واسمه Wolfgang Kapp مستشارا لألمانيا بعد طرد الحكومة المركزية فى برلين ولم يدم حكم « كاب » هذا أكثر من أربعة أيام حيث أجبره الاضراب الشامل الذى قام به العمال على الهرب ومن ثم الى عودة الحكومة المركزية (١) .

وفى ١٤ مارس سنة ١٩٢٠ حدث انقلاب اقليمى آخر فى بافاريا حيث تمكنت قوات الجيش النظامى من قلب الحكومة المحلية وتعيين أحد اليمينيين المتطرفين واسمه Gustav Von Kahr رئيسا للحكومة البافارية وأعلنت الحكومة الجديدة انفصالها عن ألمانيا وعدم تقيدها بمعاهدة فرساى ولكن هذا الانقلاب انتهى هو الآخر بانقسام بين قوات الجيش على السلطة أدى الى سقوط Kahr ، ثم اعادة تنصيبه رئيسا للحكومة المحلية بموافقة الحكومة المركزية فى برلين (٢) .

ولعل كل هذه الثورات والانقلابات كانت دافعا لاتجاه هتلر الى التفكير فى انقلابه عام ١٩٢٣ . الا ان المتتبع لتطورات هذا الانقلاب ليستطيع أن يتبين بوضوح ان هناك ظروفا أخرى قد ساهمت فى دفعه للخروج الى حيز التنفيذ .

فلقد حدث فى ابريل من عام ١٩٢١ أن قدم الحلفاء الى ألمانيا كشفا بالتعويضات المطلوبة بمقتضى معاهدة فرساى وكان مجموعها ١٣٢ بليون مارك ذهبى وأحدثت هذه المطالبة آثارا وخيمة بين صفوف أفراد الشعب الألمانى الذى اعتبرها مظهرا جديدا من مظاهر ضعف الحكومة

---

(١) Gorlitz Walter, Der Deutsche Generalstab, Frankfurt/ Main 1952 P. 374.

(٢) نفس المرجع صفحة ٣٨١

ودليلا على عدم الثقة بالديمقراطية ودافعا لزيادة سعير الحقد الملتهب فى النفوس من جراء الهزيمة فى الحرب العالمية الأولى [1] . ولم تجد جماهير الشعب حينئذاك متنفسا لشعورها هذا الا فى الترحيب بالأفكار السياسية اليسارية أو اليمينية المتطرفة الى حد جعل السياسة الشغل الشاغل لرجل الشارع وأصبحت الأحزاب السياسية لجديدة تنتشر وتنمو غير مفتقرة الى الأنصار . ولقد استخدم هتلر كشف التعويضات كدليل لاثبات وجهة نظره فى معاهدة فرساى وفى صدق الدعوة النازية التى اتخذت من المناداة بالغاء هذه المعاهدة أساسا لنداءاتها الأخرى فى القضاء على الحكم المركزى واقامة الرايخ العنصرى القوى . وبلغ من تأثر الشعب بعبء التعويضات ومن ايمانه بالدعوات السياسية لمناهضة لفرساى وللحكم الديمقراطى الحديث أن انتشرت فى البلاد عام ١٩٢١ حركة اغتيالات سياسية راح ضحيتها كثيرون من اليمينيين وأنصار الحكومة وعلى رأسهم وزير خارجية ألمانيا فى ذلك الوقت Walter Ratenau ، ومن عام ١٩٢١ وحتى نهاية عام ١٩٢٤ وألمانيا تعانى من آثار التضخم النقدى وعدم قدرة حكومة المركزية على معالجته [2] . ولقد استغل الحزب النازى هذه الأمور للتدليل على ضعف الحكومة من ناحية وللحصول على مناصرة جيوش العاطلين من العمال الذين فقدوا أعمالهم ومصادر أرزاقهم من جراء تدهور الأحوال الاقتصادية حيث ثبت انهم قد كونوا غالبية أعضاء فرقة العاصفة النازية [3] .

---

(١) نفس المرجع صفحة ١٩ Gorlitz, Der Deutsche Generalstab,

(٢) التعويضات ومعاهدة فرساى كسبب من أسباب نجاح النازى فى الوصول الى الحكم سنعرض له فى الباب الثالث .

(٣) لترغيب هؤلاء العاطلين فى الحزب النازى وحركته كان الحزب =

وهكذا ظل الحزب النازى مرتكنا على مساوىء الحكومة المحلية وضعفها وضغط الحلفاء عليها لتنفيذ معاهدة فرساى بالرغم من أحوال البلاد المتدهورة استغل الحزب النازى كل ذلك فى شق طريقه والتقدم بدعوته بين صفوف الجماهير فى مقاطعة بافاريا . ثم حدث عام ١٩٢٣ أن قامت فرنسا باحتلال حوض الروهر كوسيلة للضغط على ألمانيا للوفاء بالتعويضات . وهنا اتجهت الحكومة المركزية الى مناشدة المعارضة والأحزاب اليسارية لمساندتها للخروج من هذه الأزمة . واندفع بعض هؤلاء الى تكوين فرق سرية لمحاربة الاحتلال الفرنسى ومناوءته بل وانه قد ثبت قيام الحكومة المركزية بتمويل حركات المقاومة الشعبية والعصيان المدنى التى واجهت الاحتلال الفرنسى فى الروهر [١] .

ولقد انتهز هتلر فرصة انشغال الحكومة بمشكلاتها الداخلية وعلى الأخص الاحتلال الفرنسى ليقوم بالاعداد لانقلاب هدفه تمكين الحزب النازى من تولى مقاليد الحكم فى بافاريا توطئة للزحف على برلين بعد ذلك . ولقد بدأ هتلر بعقد اتفاق مع بعض الأحزاب البافارية الصغيرة وهى : حزب علم الرايخ المسمى Reichflagge وحزب اتحاد جنوب بافاريا Kampf der Bund Nieder Bavaria وحزب اتحاد شمال بافاريا المسمى Bund Oberland لتنسيق الجهود تمهيدا للقيام بالانقلاب الجديد . الا أن هذه الخطة قضى عليها بالفشل حيث لم يتمكن أنصار هذه الأحزاب من مهادنة أنصار الحزب النازى ووقع اشتباك مسلح بينهما خلال أعياد

= يصرف عام ١٩٢٢ لأعضائه وجبة غذائية ويتولى الانفاق على عائلات المعدمين منهم انظر

Reitlinger S.S Alibi of a nation Raymond & Peterson London 1956 P. 216.

(١) مرجع سابق صفحة ٣٢

Shirrer, The Rise and Fall of The Third Reich.

أول مايو سنة ١٩٢٣ وتدخل البوليس ليقبض على عدد كبير من أعضاء فرقة العاصفة النازية ورجال هذه الأحزاب • ويتحطم التحالف بين الحزب النازى وهذه الأحزاب ودع هتلر آماله فى أول انقلاب دبره[1]

أما الانقلاب الذى نفذه هتلر فعلا فلقد جاء رهنا بالحوادث وبغير سابق تدبير • فانه لم يكد يمر خمسة أشهر على التدبير الأول حتى تطورت الأمور فى ميونيخ لتدفع بهتلر الى عجلة الحوادث .. ففى ذلك الوقت كانت العلاقات قد ساءت بين الحكومة المحلية فى بافاريا برئاسة Von Kahr وبين الحكومة المركزية فى برلين بسبب رفض الأول تنفيذ تعليمات الحكومة بشأن اغلاق جريدة الحزب النازى واعتقال محرريها . ولم يكن رفض Von Kahr لهذه الأوامر من فرط تمسكه بالحزب النازى أو اعجابه به بقدر ما كان مظهرا من مظاهر سخطه على الحكومة المركزية وعدم رغبته فى السير فى ركابها . وهنا تأزم الموقف وأعلنت برلين بأنها ستزحف على ميونيخ لطرد المتمردين وأعلن الجيش البافارى ولاءه للحكومة المحلية . وفى ٨ نوفمبر سنة ١٩٢٣ قام Von Kahr بجمع أنصاره وقادة الجيش والشعب البافارى ليخطب فيهم فى احدى ساحات مدينة ميونيخ Burgerbrau ولما تسرب نبأ هذا الاجتماع الى هتلر خشى أن يكون الغرض منه هو قيام Von Kahr باعلان فصل بافاريا عن الرايخ وضمها الى النمسا وهو الاتجاه السياسى الذى طالما عارضه هتلر . لهذا وبالاضافة الى رغبة هتلر فى انتهاز الفرصة لصالحه فلقد عزم على التدخل . وقاده تفكيره السريع الى خطة بادر الى بتنفيذها . ففى وسط الاجتماع وبينما كان Kahr منهمكا فى

---

(١) مرجع سابق صفحة ٤٣ Bulloc, Hitler, A Study in Tyranny,

الخطابة اذ بهتلر يدخل مكان الاجتماع محاطا بعدد من أفراد فرقة العاصفة شاهرين أسلحتهم . ثم صعد الى منصة الخطابة ونحى Kahr جانبا ليعلن للحاضرين بأن الثورة الوطنية قد بدأت وبان رجاله قد استولوا على المدينة وأن حكومة بافاريا قد انحلت ولم تعد تابعة لحكومة برلين وأنه قد تألفت حكومة مؤقتة للثورة . وزعم هتلر أن معسكرات البوليس والجيش محتلة وأن أفرادها منضمون للنظام الجديد ويسيرون فى الشوارع تحت راية الصليب المعقوف (١) .

ولما أذهلت المفاجأة الحاضرين وبدا منهم التصديق لرواية هتلر انتحى هذا بـ Von Kahr وقواده فى حجرة جانبية وهددهم اما بالانضمام اليه أو اعدامهم على الفور رميا بالرصاص . وأمام هذا التهديد اضطر هؤلاء الى الخروج للجمع المحتشد معلنين تأييدهم للحكومة الوطنية الجديدة برئاسة هتلر . ثم انفض الاجتماع حيث ترك هتلر وأتباعه المكان ليضعوا خططهم فى تأليف الحكومة الجديدة . أما Von Kahr وقواده فما لبثوا أن تبينوا الخدعة الكبرى وسارعوا الى تكذيب ما أعلنوه فى محطة الاذاعة وأعلنوا تصميمهم على مقاومة الحركة الجديدة .

وأزاء هذا التطور لم يرض هتلر عن الانسحاب وانما هداه تفكيره السريع الى أن يحاول احتلال المدينة . ففى صباح يوم ٩ نوفمبر سنة ١٩٢٣ وفى الوقت الذى كانت فيه الحكومة المحلية قد أكملت استعدادها وحشدت قواتها فى شوارع المدينة بدأ الزحف النازى بمظاهرة اشتركت فيها فرقة العاصفة يتقدمها هتلر والى يمينه الجنرال

---

(١) المرجع السابق صفحة ٦٦ ــ ٧١ Shirrer, The Rise

الألمانى المشهور Ludendorf ، والى يساره النازى المشهور Herman Goering [1] . وهنا أنذرتهم قوات البوليس بالوقوف فلم يذعنوا وانطلق الرصاص وسقط هتلر جريحا وهرب جورنج وقبض على الجميع ليقدموا الى المحاكمة .

وفى المحكمة تمكن هتلر من فرض اسمه على أذهان وألسنة الشعب الألمانى بأكمله حيث تابعت الصحف الألمانية كلها محاكمته ودفاعه عن نفسه وحتى فى قفص الاتهام لم ينس هتلر أن ينتهز الفرصة واندفع خطيبا ومعبرا عن آرائه ومبادىء دعوته .

ومن أبرز أقوال هتلر فى هذه المحاكمة :

« انني أتحمل وحدى المسئولية ولكنني لست مجرما لذلك وانني اذ وقفت اليوم هنا كثورى فانني ثورى على الثورة وانه ليس هناك ما يسمى خيانة ضد خونة ١٩١٨ . ان Von Kahr وأعوانه كانوا مجتمعين لنفس الغرض وهو التخلص من الحكومة المركزية . واذا كانت عمليتنا خيانة عظمى فليقف هؤلاء بجانبنا لنحاكم سويا » [٢] .

ولما سئل عن اتجاهات حزبه الديكتاتورية قال هتلر :

---

(١) كان الجنرال Ludendorf مشهوراً بمواقفه العسكرية أثناء الحرب العالمية الأولى ولما انتهت الحرب كان ضمن المناوئين للحكومة المحلية بسبب معاهدة فرساى وترك البلاد ليعيش فى هولندا فترة من الوقت ثم عاد الى ميونيخ عام ١٩٢٢ حيث توطدت صلة الصداقة بينه وبين هتلر وأصبح مؤمنا بحركته واشترك معه فى هذا الانقلاب وحوكم مع هتلر بعد فشله ونظرا لمركزه العسكرى وماضيه المشرف أثناء الحرب العالمية الأولى فلقد برأته المحكمة وفى عام ١٩٢٥ رشحه الحزب النازى منافسا لهندنبرج فى معركة الرئاسة ولكنه لم يحصل على أكثر من حوالى ٣٫٠٪ من عدد الأصوات يرجع الى : Jarmann : Jhe Rise and fall المرجع السابق صفحة ٣٠٩ هامش .

(٢) مرجع سابق صفحة ٧٦ . Shirrer, The Rise,

« ان الرجل الذى خلق ليكون ديكتاتوراً لن يفرض عليه ذلك، بل يرغب فيه لن يدفعه أحد الى الأمام ولكنه يدفع نفسه وليس هناك شيء من الغرور فى ذلك أهو من الغرور فى شيء أن يدفع العامل نفسه للعمل الشاق ؟ » .

أهو من الخرافة فى شيء أن يجوب صاحب النظريات العلمية الشوارع ليلا كى يخرج على العالم باختراع . ان الرجل الذى يشعر بأنه منتقى لحكم الشعب لا يحق له أن يتردد بل ان واجبه أن يتقدم (١) .

ولقد أشار المؤرخون بأن محاكمة هتلر كانت له بمثابة مظاهرة سياسية حيث أفسحت المحكمة له صدرها وتركته ليقاطع من يشاء ويكذب من يشاء . ويردد من الحكم والأقوال المشهورة ما جعل أفراد الشعب البافارى ومراسلى الصحف يتهافتون على حضور المحاكمة كى لا تفوتهم حركات هتلر أو سكناته (٢) .

وصدر الحكم على هتلر بأخف عقوبات جريمة الخيانة العظمى فى القانون الألمانى وهى السجن خمس سنوات ولم تغفل المحكمة الاشادة بشجاعته أثناء الحرب وتضحيته بنفسه فى سبيل الوطن (٣) .

---

(١) نفس المرجع صفحة ٧٧ Shirrer, The Rise

(٢) يقول شيرر : ان وزير العدل فى بافاريا كان صديقا لهتلر فاختار له قضاة معتدلين وأوصاهم به مما فسر تهاون المحكمة معه ومعاقبته بأخف العقوبات .

(٣) اشترك هتلر فى الحرب العالمية الأولى كجندى "battalion runner" ورقى عام ١٩١٦ بعد اصابته الى رتبة الجاويش ثم عاد الى وحدته بعد شفائه لتصيبه احد الغارات البريطانية بالعمى الوقتى وفى عام ١٩١٧ انعم عليه بوسام الصليب الحديدى من الطبقة الأولى وهو وسام لم يمنح الا الى القواد والضباط الذين اظهروا شجاعة فائقة فى الحرب

J. Duhlop John

A Short History of Germany. George Harrap & Co L.T.D. London 1957 P. 97.

ويتضح من العرض السابق لهذه الفترة من كفاح الحزب النازى عدة حقائق : أولها وأهمها ان الحياة السياسية فى ألمانيا بوجه عام وفى مدينة ميونيخ بوجه خاص كانت تعانى — خلال تلك الفترة — من مختلف مظاهر الفوضى والاضطراب فالحكومة المركزية كانت مضطربة يسيطر الارتباك على تصرفاتها وذلك اثر أنواع الضغط الذى مارسه عليها الحلفاء لتنفيذ التزامات معاهدة فرساى من ناحية والوطأة الشديدة التى سببتها سوء الأحوال الاقتصادية للبلاد بعد الحرب وشبه العجز عن ادارة دفة الحياة الديمقراطية الجديدة التى رسمها دستور فيمار . أما مدينة ميونيخ بالذات فلقد ثبت انها كانت خلال هذه الفترة ملجأ لأصحاب مختلف النزعات اليسارية أو اليمنية المتطرفة وهؤلاء الذين ارتأوا التجمع فيها لمناوأة الحكومة المركزية . والواقع ان الحكم المحلى فى بافاريا كان المسئول الأول عن ذلك اذ ان قادته — حسب ما ثبت من اتجاهات حكومة Kahr التى سبقت محاولة هتلر القيام بانقلابه — كانوا هم الآخرين متحيزين ضد الحكومة المركزية . ولعل الدور الرئيسى الذى ظهر على مسرح السياسة البافارية فى ذلك الوقت انما لعبته فرق الجيش البافارى وقادته الذين كانوا المرجع الأول فى تدعيم الحكم المحلى أو تعضيده أو مساندته ضد الحكومة المركزية أو الاطاحة بها (١) . ولقد تمكنت النازية من الحصول على اعجاب الكثيرين من قواد الجيش بفضل مجهودات ايرنست روهم Ernst Roehm مؤسس فرقة العاصفة الذى تمكن بواسطة صداقاته أن يكتسب عطف الجيش البافارى على الحركة النازية مما كان له أثر فى تشجيع الجيش للحكومة المحلية على

---

(١) مرجع سابق صفحة ٨٢
Shirrer: The Rise and Fall of The Third Reich.

تحدى الحكومة المركزية وعدم موافقتها على اغلاق جريدة الحزب النازى التى دأبت على مهاجمة الحكومة والتنديد بأعضائها فى مختلف المناسبات .

كذلك أوضح لنا هذا الانقلاب انه كان وليد الساعة ولم يسبق لهتلر التدبير له من قبل . فمنذ أن فشل مشروع انقلابه الأول لم تشر الدلائل الى انه كان يفكر فى احداث انقلاب جديد والدليل على ذلك واضح من الطريقة التى نفذ مشروع الانقلاب : فاذا صرفنا النظر عن مظاهرة اقتحامه الاجتماع الشعبى الذى أعده Von Kahr وتهديده رجال الحكومة لاعلان تضامنهم معـه وما صاحب ذلك من مظاهر التخبط والارتجال فان اطمئنانه المبكر لنجاح انقلابه وتركه رجال الحكومة ليستعيدوا مراكزهم انما يظهر سذاجة ما كان لهتلر أن يفخر بها .

وفى صبيحة الاعلان عن الثورة ولما ظهر لهتلر الخطأ الذى ارتكبه فى السماح للحكومة وقادة الجيش بالعودة الى مباشرة أعمالهم واعلان هؤلاء عن نيتهم فى قمع الثورة صمم على مسيرته وأعوانه فى الشارع ولم يكن ليأمل فى أن يتمكن بهذه الشرذمة القليلة من اتباعه من قلب نظام الحكم وانما اعتقد ان مجرد مسيرته فى الشارع لكاف فى حد ذاته لتدفق الجماهير الشعبية لتشاركه فى نيته وحينئذ « لن تجرؤ الحكومة المحلية ورجال الجيش أن يقاوموا مجمـوع الشعب ولم يسعهم الا الاستسلام لرأى المجموع » [1] . أى ان هتلر قد عول على التأييد الشعبى لحركته الانقلابية ولما خاب أملـه فى هـذا التأييد لم يسعه الا الاستسلام .

---

(١) مرجع سابق صفحة ١٦٥
Jarmann: The Rise and Fall of Nazi Germany.

ولقد استفاد هتلر من فشل هذا الانقلاب كثيرا . فبالاضافة الى الدعاية التى قام بها أثناء محاكمته فلقد أقلع نهائيا بعد ذلك عن محاولة الوصول الى الحكم عن طريق القوة وبدأ الحزب النازى فى انتهاج سياسة التقرب من زعماء الجيش وعدم اغضابهم أو الوقوف ضدهم كما حدث فى هذا الانقلاب . وآخر الفوائد التى اغتنمها هتلر من فشل انقلابه كانت تلك الفترة التى قضاها فى السجن والتى تمكن أثناءها من اعادة تقييم مبادئه السياسية وصقلها فى شكل كتاب ومرجع النازية الأساسى « كفاحى » الذى كتبه أثناء فترة اعتقاله .

الفصل الثانى

مرحلة الكفاح البرلمانى
١٩٢٤ - ١٩٣٣

اذا كنا قد وصلنا الى وصف المرحلة الأولى من كفاح الحزب النازى بالمغامرة والافتقار الى أوليات السياسة فان هذه المرحلة الثانية كانت بحق مرحلة النضج والكياسة السياسية لا لأن الحزب النازى قد تمكن فى نهايتها من الوصول الى الحكم فحسب بل لأن هتلر قد تمكن خلالها من السير بحزبه عن قدرة وعزم وسط معترك السياسة مستغلا موهبته الخارقة على انتهاز الفرص وتوجيه الأحداث الى صالحه .

ولقد كان سجن « لاندسبرج » نهاية للشخصية الهتلرية الفوضوية حيث خرج هتلر منه سياسيا محترفا ليرسم له ولحزبه سياسة جديدة وصفها فى حديث له مع أحد أقرانه واسمه Ludecke فقال : « حين أعود الى العمل سأرسم سياسة جديدة .. فبدلا من الاستيلاء على الحكم بالقوة سأوجه طاقة الحزب الى كسب أصوات الشعب للحصول على أغلبية برلمانية وسنسعى الى قهر الكاثوليك والشيوعيين فى المعارك الانتخابية وستكون لنا الغلبة فى مقاعد البرلمان واذا ما تطلب قهرهم فى معركة الانتخابات فترة أطول من اطلاق الرصاص عليهم فالعبرة بالنتيجة وأننا سنهزمهم فى ظل دستورهم » [١] .

صدر العفو عن هتلر بعد مضى ثمانية تشر شهرا من المدة التى حكم

(١) اقتباس Jarmann المرجع السابق صفحة ٣١١

عليه بها بشرط أن يمتنع عن الخطابه والتجمهر لمدة ثلاث سنوات . ولقد عاصر خروجه من السجن عام ١٩٢٤ بداية عصر النهضة الألمانية فى مختلف النواحى . فمن الناحية الاقتصادية تمكنت الحكومة المركزية من السير بخطوات جريئة نحو استقرار النقد ثم القضاء على التضخم والبطالة . ومن الناحية السياسية استطاعت الوصول الى حل أزمة لتعويضات مع فرنسا ومن ثم سحبت فرنسا جيوشها من وادى الروهر . ولقد ساهمت الولايات المتحدة فى مساندة ألمانيا للخروج من أزماتها وذلك بامدادها بالقروض من ناحية وبالضغط على الحلفاء لخفض مبالغ التعويضات من ناحية أخرى [1] . وفى ديسمبر سنة ١٩٢٥ وقعت ألمانيا فى لندن على ميثاق لوكارنو الذى بمقتضاه ضمنت انجلترا وايطاليا حدود ألمانيا مع بلجيكا وفرنسا .. وبدأت فى أوروبا روح السلام التى أطلق عليها اسم « روح لوركانو » وفى بداية عام ١٩٢٦ بدأت قوات الاحتلال فى الخروج من ألمانيا التى أصبحت عام ١٩٣٠ عضوا فى عصبة الأمم .

هذا هو ملخص التطورات التى مرت بها النهضة الألمانية التى بدأت فى نهاية عام ١٩٢٤ وانتهت بالأزمة الاقتصادية العالمية عام ١٩٣٠ ولقد ساهمت هذه النهضة فى توطيد الحكم الديمقراطى النيابى فى ألمانيا وعاشت الجمهورية الألمانية خلال هذه الفترة فى أوج مجدها بفضل رئيسها Friedrick Ebert ورئيس وزرائها Stressman اللذان تمكنا بمجهوداتهما الشخصية من توطيد دعائم عصر النهضة الألمانية فى جميع الميادين .

ولقد عاش هتلر وحزبه النازى خلال عصر النهضة الألمانية فى عزلة

(١) Hoffman Clark, History of American German Relations, Harrap, New York 1951, P. 23.

عن مجموع الشعب الألمانى الذى انصرف عن السياسة والآراء السياسية اليسارية والمتطرفة منهمكا فى التمتع بمباهج الرواج فى ظل الديموقراطية ولم يظهر للحزب النازى خلال هذه الفترة أى نشاط يذكر اللهم الا حينما مات Ebert رئيس الجمهورية عام ١٩٢٥ ورشح الحزب النازى نصيره العسكرى الكبير المارشال Ludendorf ليخلفه فى الرئاسة أمام مرشح الأحزاب اليمينية والمستقلة الفيلد مارشال هندنبرج وكانت نتائج الانتخابات هزيمة ساحقة للحزب النازى ومرشحه الذى لم يحصل الا على ٢١١٫٠٠٠ صوتا من مجموع الأصوات وعددها ٢٧٫٠٠٠٫٠٠٠ صوتا . ومن ثم أصبح هندبرج القائد العسكرى المسن رئيسا لجمهورية ألمانيا وظل فى منصبه حتى مات عام ١٩٣٤ (١) .

ولقد خلا تاريخ الحزب من الاشارة الى كفاح الحزب خلال الفترة من ١٩٢٥ حتى ١٩٣٠ الا ان المؤرخين قد أجمعوا على ان هتلر قد عاش تلك الفترة فى بيت صغير على حدود النمسا من أجره عن مقالات كان يرسلها الى الصحف (٢) . أما بقية أعضاء الحزب البارزين فلقد وجد كل منهم ما يرتزق منه بينما تمكن القادرون منهم على الكفاح البرلمانى أمثال جوريجور شتراسر وبعض مؤيديه من الجناح الراديكالى فى الحزب النازى من دخول البرلمان مستقلين عن الحزب وزعيمه كما انه لم يثبت قيام هتلر بقيادة الحزب خلال هذه الفترة أو توجيهه أو عقد الاجتماعات

---

(١) مما يذكر ان كلا من هندنبرج ولودندورف حاربا جنبا الى جنب فى الحرب الاولى واستحقا تقدير الشعب الالمانى لمواقفهما البطولية خلال معاركها وبعد الحرب آثر هندنبرج جانب السياسة اليمنية بينما اندفع لودندورف الى تيار اليمين المتطرف الى جانب الحزى النازى .

(٢) مرجع سابق صفحة ٢٨٩ Bullock, Hitler, A Study in Tyranny.

لأعضائه والدليل على هذه الحالة التى وصل اليها الحزب ما أورده جوبلز فى مذكراته حين قال عن ذكريات يوم ٢٣ أكتوبر عام ١٩٢٦ :

« يبدو ان الناس قد ملوا الاستماع لنا وحتى الفوهر قد آثر العيش بعيدا عنا يا ليته يعود الى برلين للعمل حتى تتمكن من تجميع جهودنا لمواجهة هذا الموقف العسير » (١) .

وفى أكتوبر سنة ١٩٢٩ مات رئيس وزراء ألمانيا ، Stressman وكان موته بمثابة النذير لانقضاء عصر التفاؤل وبداية عصر الكوارث والنكبات اذ انه لم ينقض على موته ثلاثة أسابيع حتى حدثت كارثة الأوراق المالية فى نيويورك فى ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٢٩ . ولقد كان وقع الأزمة العالمية على ألمانيا بالغ الخطورة سيما وان القروض الأمريكية وتدفق رأس المال الأمريكى على ألمانيا بعد الحرب كانت من العوامل الرئيسية فى انتعاشها الذى لم تتمتع به أكثر من خمس سنوات (٢) .

وعلى قدر انزواء هتلر وحزبه النازى فى عهد الرواج فلقد أسرعوا باظهار نشاطهم أثناء فترة الكساد . فلقد عاد هتلر الى ميونيخ فى نوفمبر عام ١٩٢٩ وأعاد فتح مكاتب الحزب واهتم باغراء العمال العاطلين حيث هيأ لهم الغذاء المجانى والزى الرسمى للحزب ، وبدأ الحزب النازى فى الاستعداد لخوض معركة الانتخابات البرلمانية لتى حدد لها أوائل عام ١٩٣٠ وبواسطة استخدام شعارات الحزب القديمة والتلويح بقرب نهاية الحكم الديمقراطى والتبشير بالعهد النازى الجديد تمكن الحزب

---

(١) يوميات جوبلز فى اول ايامه ١٩٢٥/١٩٢٦ اعداد هلمت هايبر تعريب خيرى حماد مجموعة كتب سياسية عدد رقم ٣١٥ صفحة ١٦٩ .

(٢) يرد ذكر الازمة العالمية واثرها على المانيا بالتفصيل عند عرضنا لعوامل نجاح الحزب النازى فى الوصول الى الحكم .

النازى فى هذه الانتخابات من الحصول على ١٠٧ مقعدا فى البرلمان واتنقل هتلر اثر اعلان هذه النتيجة الى برلين ليبدأ فى ممارسة نشاطه السياسى كزعيم للحزب له حوالى ربع مقاعد البرلمان .

ومنذ حصول هتلر على هذا العدد من المقاعد لبرلمانية لحزبه فى انتخابات عام ١٩٣٠ فقد تغيرت موازين القوى الحزبية تماما ولم يتمكن أى حزب من السيطرة بمفرده على مقاليد الحـــكم وحتى الحكومات الأئتلافية لم تتمكن من الصمود طويلا فبعد الانتخابات عام ١٩٣٠ تولى رئيس الحزب الاشتراكى الديمقراطى "Muller" صاحب أكبر نسبة فى مقاعد البرلمان رئاسة الوزارة الأئتلافية التى اشتركت فيها الأحزاب الكاثوليكية والديمقراطية وحـزب الشعب . ولم يتمكن الأئتلاف من الصمود أمــام تيار الأزمة الداخلية من ناحية وعدم انسجام أعضائها المؤتلفين من ناحية أخرى فاستقالت بعد ثلاثة أشهر من توليها الحـــكم لتحل محلها وزارة برئاسة Dr. Brunning رئيس الحزب الكاثوليكى الذى أشرك معه ممثلين عن الحزب الاشتراكى الديمقراطى ولكن حظ الوزارة الجديدة لم يكن خيرا من حظ سابقتها اذ كان عام ١٩٣٠ مليئا بالمشكلات التى واجهتها وبخاصة الأمن الداخلى حيث انتشرت فى ألمانيا خلال ذلك العام الجرائم والحركات الارهابية وعمت مظاهر الاستهانة بالحكومة والقانون خصوصا من الأحزاب السياسية ليسارية واليمينية المتطرفة (١) .

---

(١) كثرت المشادات والمشاجرات بين الفرق العسكرية للحزب النازى ومثيلتها فى الحزب الشيوعى وفى هذه المشاحنات كان الحزبان يردان على بعضهما بالعنف مستهينين بقوات الأمن الداخلى التى لم تتـدخل فى غالب الاحوال بينهما ... اقرأ تفاصيل ذلك فى Meissner HansOtto & Wilde Harry, Naissance D'ictaturetraduitpar R. Jouan, France Empire Paris 1959, P. 135/141.

وقبل أن ينتهى أمر هذه الوزارة بالاستقالة صعد الحزب النازى أول درجاته نحـو السلطة عـلى يد رئيس أركان حـرب الجيش الألمانى Maj. General Kurt Von shlisher وهو الذى بدأ نجمه فى البزوغ كممثل للجيش بفضل صداقته الشخصية لرئيس الجمهورية (هندنبرج) وأصبح خلال الفترة من ۱۹۳۰ — ۱۹۳۳ أحد أقطاب السياسة الألمانية . وكان (شليشر) يرى ان حل الازمات الوزارية والداخلية لا يتأتى الا بالوصول الى اقامة حكومة مركزية قوية تجمع اليمينيين واليمينيين المتطرفين وذلك كى تتمكن مثل هـذه الحكومة من الوقوف فى وجه الأجزاب اليسارية لفترة طويلة تتمكن خلالها من التفرغ لحل الأزمات الداخلية وشرع شليشر فى السعى لتنفيذ فكرته بتوطيد علاقاته الشخصية بزعماء النازى على أمل أن يتمكن من اقناعهم بقبول الاشتراك فى مثل هذه الوزارة . وفى سبيل تحقيق هذا الهدف أمر شيليشر برفع الحظر المفروض على استخدام أعضاء الحزب النازى فى الجيش كمتطوعين ثم قام بترتيب مقابلة بين هتلر وهندنبرج فى نوفمبر ۱۹۳۱ ولم تأت المقابلة بالنتائج المرجوة لها نظرا لعدم امكان الحصول على وعد من هتـلر بتعضيد اعادة انتخاب هندنبرج فى انتخابات الرئاسة عام ۱۹۳۲ وكذلك لأن هتلر لم يتمكن من الاستحواذ على اعجاب الرئيس هندنبرج أثناء هذه المقابلة (١) .

(١) فى رواية الان بالوك ان هتلر كان بادى العصبية اثناء هـذه المقابلة وبدلا مـن التفاهم مع الرئيس هندنبرج اندفع الى الحديث بصوت مرتفع مما بعث السأم فى نفس الرجل العجوز وفى نهاية المقابلة قال هندنبرج لشليشر « الذى حضر المقابلة » . هذا الرجل لا يصلح لأكثر من منصب وزير البريد A. Bulloc Hitler a Study in Tyranny
المرجع السابق صفحة ١٥٦

وفى انتخابات الرئاسة عام ١٩٣٢ قام هتلر بترشيح نفسه أمـــام هندنبرج وأسفرت الانتخابات عن فوز الثانى بعشرين مليون صوت ضد أربعة عشر مليونا حصل عليها هتلر . ولقد عدت هــذه النتيجة انتصارا ساحقا للحزب النازى حيث أمكنه أن يؤكد مركزه كقوة سياسية لها خطورتها ولا يمكن الاستهانة بها . وفى يفس العام تكونت وزارة برئاسة Von Pappen رئيس حزب الوسط الكاثوليكى "Centrum" ولقد أراد بابن التودد الى الحزب النازى فألغى قرار حــل المنظمات العسكرية النازية (١) . ولم ينتج عن عودة هــذه المنظمات الى العمل الا عودة الشغب والمظاهرات المسلحة وخاصة فى مقاطعة بروسيا الأمر الذى دعا بابن الى اعلان الأحكام العرفية فى هذه المقاطعة وتعيين نفسه حاكما عسكريا عليها .

ولقد تمكنت حكومة «بابن» من الحصول على ثقة البرلمان اثر تهديد هندنبرج بحل البرلمان واجراء انتخابات جديدة وسار المستشار الجديد فى طريقه مطمئنا الى ثقة رئيس الجمهــورية ومساندة البرلمان . وفى ١٣ أغسطس سنة ١٩٣٢ عرض « فون بابن » على هتلر منصب نائب المستشار ضمانا لتأييد الحزب النازى للحكومة . وتردد هتلر كثيرا قبل أن يرفض هذا الطلب تحت ضغط الجانب الراديكالى من أنصاره وعلى رأسهم Ernst Roehm الذى هدد بالزحف بقوات الـ S. A. على برلين ولكن هتلر رفض الفكرة وآثر الانتظار بقوله :

انى محتاج الى هندنبرج لأنه يمثل ألمانيا العسكرية القديمة بينما أمثل أنا ألمانيا الجديدة وسيأتى اليوم الذى يمد فيه يده لى .. اننى

(١) كانت حكومة « برونج » قد اصدرت هذا القرار اثناء الانتخابات الرئاسية المرجع السابق صفحة ١٨٢ Meissner

محتاج الى نفوذه فى فترة انتقالية أستطيع فيها تقوية مركزى وترتيب صفوفنا .. وبنفوذ هندنبرج أستطيع أن أحقق آمال ألمانيا الكبيرة خطوة فخطوة .. أستطيع أن أتخلص من معاهدة فرساى وأستطيع اعادة تسليح ألمانيا .. اننى لا آبه بما يقولونه عنى الآن ولكن ليتأكدوا اننى سأضرب قبل أن يدرك الأعداء .. ولقد تعلمت أن أنتظر ولن أنتظر طويلا (١) ..

ونتيجة للصراع السياسى الذى نشب بين "Schleicher" & "Pappen" استطاع الثانى أن يكيد للأول ويوقع به مما اضطره الى تقديم استقالته فى نهاية عام ١٩٣٢ وهنا استدعى هندنبرج هتلر ليكون رئيسا للحكومة اذا ما تمكن حزبه من الحصول على الأغلبية البرلمانية اللازمة ولكن هتلر اشترط أن يدير دفة الانتخابات بنفسه .. ورفض هندنبرج الطلب وعهد الى شليشر بتأليف الوزارة ولم تمكث هذه الحكومة أكثر من أسابيع قليلة اذ أن حقد بابن على رئيسها شليشر ورغبته فى الانتقام منه قد دفعه الى السعى وراء هتلر وأمكنه التفاهم معه على ائتلاف بين الحزب النازى والحزب الكاثوليكى الوسط ولما لم يتمكن شليشر من الحصول على ثقة البرلمان قدم استقالته فأسرع فون بابن الى رئيس الجمهورية بعرض اتفاقه مع هتلر ومضمونه أن يتولى الأخير منصب المستشار رئيس الحكومة ويشترك حزبه بوزيرين آخرين بينما يتولى « فون بابن » منصب نائب المستشار وتترك له حرية ملء بقية المناصب الوزارية .. ووافق رئيس الجمهورية وتألفت حكومة هتلر الائتلافية فى آخر يناير ١٩٣٣ .

ويتضح من هذا العرض لتطورات الحزب النازى خلال فترة الكفاح البرلمانى التى انتهت بوصول هتلر الى رئاسة الحكومة المركزية حقيقتين

---

(١) Ludecke A, I Knew Hitler, Macuillan London 1949 P. 63.

جديرتين بالملاحظة وهما : نجاح سياسة الكفاح البرلمانى السلمى التى آثرها هتلر بعد فشل سياسة الانقلابات وان وصول هتلر الى الحكم كان بفضل تكاتف مختلف الظروف لخدمته ولم يكن أبدا نتيجة حصول حزبه على الأغلبية البرلمانية الكافية لتأليفه الوزارة .

أما عن الحقيقة الأولى وايثار هتلر تغيير سبيله فى الكفاح من محاولات الوصول الى الحكم عن طريق الانقلابات الى مسايرة الأحزاب الأخرى والدخول معها فى منافسة برلمانية شرعية فلقد فسرها هتلر نفسه بقوله : انه سيحارب هذه الأحزاب بطرقها لينتصر عليها بدستورها . ولما وصل الحزب النازى الى المركز الثانى فى انتخابات عام ١٩٣٠ بعد الحـزب الاشتراكى أيقن هتلر بأن فرصة الوصول الى الحكم قد قربت وانه لم يعد فى حاجة الى تدبير الانقلابات . وفى خلال الأزمة الاقتصادية وجد هتلر نفسه محط أنظار معظم الطبقات اليمينية فالرأسماليون وجدوه عونا ضد الشيوعيين ورجال الجيش أيدوه — وان لم يساعدوه — على أمل أن يتمكن اذا ما وصل الى الحكم من اعادة تسليح ألمانيا وحل أزمة البطالة بين الجنود . والعمال العاطلون التفوا من حوله اذ أمدهم بالغذاء حينما شردتهم الأزمة [١] . الا أن سلوك الحكمة والتعقل الذى ســاد تصرفات هتلر أثناء فترة الكفاح البرلمانى يعود فى المقــام الأول الى الظروف التى عاصرت البلاد أكثر من أى شىء آخر فلم تكن فترة الرواج التى عاشتها ألمانيا بعد خروجه من السجن وحتى عام ١٩٢٩ لتسمح له بالتفكير فى الاستيلاء على الحكم بالقوة . ولما نشبت الأزمة الاقتصادية العالمية وأحدثت تأثيرها البالغ على ألمانيا وسياستها الداخلية تكاتفت مختلف الظروف لخدمة الأغراض النازية . لذلك فلقد رفض هتلر منصب

(١) نفس المرجع صفحة ٨١ Ludecke, I Knew Hitler,

نائب رئيس الوزراء الذى عرض عليه عام ١٩٣٢ وما لبثت مستشارية المانيا أن سعت اليه فقبلها فى يناير عام ١٩٣٣ . واننا لنعتقد انه لولا ان هتلر كان موقنا من وصوله الى هدفه بالطريق السلمى فانه ما كان ليتردد فى القيام بانقلاب آخر فهذه هى طبيعته والوصول الى الحكم كان أمله ومستقبله وما كان ليتورع فى تحقيق هذا الهدف بالكفاح المسلح ان لم يسعفه الكفاح السلمى المشروع .

أما الحقيقة الثانية التى يمكن استخلاصها من التطورات التى عاصرت وصول هتلر الى الحكم فهى ان الحزب النازى قد وصل الى أغراضه بفعل العوامل التى دفعته الى ذلك وليس نتيجة لحصوله على الأغلبية البرلمانية فى انتخابات ٦ نوفمبر سنة ١٩٣٢ (١) . فان نتائج هذه الانتخابات تشير الى ان الحزب النازى قد حصل على ١٩٦ مقعدا من مجموع المقاعد وعددها ٥٧٥ أى بنسبة حوالى ثلث هذه المقاعد ، والوصول الى رئاسة الوزارة الائتلافية بمقتضى هذه النتيجة لا يثير الدهشة وغالبا ما يحدث فى مختلف البلاد الديمقراطية الا أن الملاحظ هو ان مجهودات الساسة الألمان قد تركزت فى الوصول الى اشراك الحزب النازى فى الوزارة بأى ثمن وحتى ولو كان هتلر رئيسا لها . وقد يكون السبب فى ذلك راجعا الى فشل الوزارات المتعاقبة وعدم استقرارها والرغبة فى اقامة حكومة يمينية قوية أو — وهذا ما نعتقده — ان وصول هتلر الى رئاسة هذه الوزارة يرجع فى أهم أسبابه الى مساعى Von Pappen بقصد رد الضربة التى وجهها اليه Scleicher

---

(١) Stampfer Freidrich, Die Vierzshn Jahre der Ersten Deutschen Republik, Karlsbad 1935, P. 105.

من قبل وعلى أساس ثقته بنفسه وشعوره بقدرته — كنائب المستشار — في الامساك بزمام الأمور وكبح جماح التصرفات الهتلرية المتطرفة [1] .

وان حقيقة وصول هتلر الى الحكم كرئيس لائتلاف وزارى وليس كقائد للثورة النازية لم تكن بخافية عليه . لذلك ولكى يستطيع اقامة دعائم الدولة النازية أو الرايخ كان لابد له من القضاء على هذا الائتلاف وعلى مختلف العناصر المناوئة له . ولقد تم له ذلك خلال عام ١٩٣٤ كما سيتضح من الفصل القادم .

---

(١) اشترك اكثر المعلقين على وصول هتلر الى الحكم فى هذا الاعتقاد مستندين فى ذلك الى ماقيل نقلا عن Von Pappen بأنه وهو السياسى المحنك لن يتعذر عليه حكم المانيا عن طريق هتلر وبان « هذا السياسى البدائى المرتزق لن يتصرف فى اهم الامور الا بوحى منى . »

نفس المرجع صفحة ١٠٩ ,Stampfer

الفصل الثالث

تحقيق الحكم المطلق

لم يكن مجرد الاشتراك ببعض المناصب فى وزارة ائتلافية أقصى آمال هتلر وحزبه النازى . فلقد كانت الدعوة النازية تطالب بحكم مطلق على يد زعيم غير مقيد التصرفات تساعده طبقة مختارة قائمة على قاعدة الشعب العنصرى . ولم يكن هتلر لينسى أن وصوله للحكم لا يعنى أكثر من مجرد محاولة لاقرار الحالة الداخلية فى البلاد قام بها رئيس الجمهورية بمحض ارادته وان نهاية هذه الوزارة مرهون بنهاية الائتلاف القائم بين أحزابها . لذلك فلم يكن أمامه الا أن يستغل مركزه فى الوزارة ليسرع فى العمل على ضمان بقائه فى الحكم من ناحية وليضمن للحزب النازى الثبات فى المعترك السياسى كحزب الدولة الشرعى الوحيد من ناحية أخرى .

ولقد كان الائتلاف الذى تكون برئاسة هتلر فى يناير عام ١٩٣٣ يضم الحزب الوطنى وحزب الوسط الكاثوليكى والحزب النازى حيث حصل هذا الأخير على منصب المستشار رئيس الوزارة ومنصبى وزير الداخلية ووزير الدولة [١] . أما الحزب الكاثوليكى فلقد تولى رئيسه Von Pappen منصبى نائب رئيس الوزراء ورئيس وزراء بروسيا .

---

(١) عين D. R. Frick احد اقطاب المنظمات العسكرية النازية وزيرا للداخلية كما احتل جورنج منصبى وزير الدولة ووزير داخلية بروسيا .

وباستثناء وزارتي الخارجية والدفاع اللتين عين لهما رئيس الجمهورية اثنين من المستقلين فقد احتفظ الحزب الوطني ببقية المناصب الوزارية .

ولم يكن اختيار الحزب النازى لمنصبي وزير الداخلية ووزير داخلية بروسيا من قبيل المصادفة فلقد كانت بروسيا تشكل ثلثى الرايخ من ناحية المساحة ومركز ثقلها من الناحية السياسية . أما وزارة الداخلية المركزية فكان الاستيلاء على مقاليدها معناه تأمين حرية الحزب النازى ومنظماته للعمل فى المحيط السياسى الداخلى وتقييد تصرفات مناوئيه . وبالفعل شرع جورنج فى اعادة تنظيم البوليس ليضمن وجود مناصرى النازية واتباعها فى مناصبه الرئيسية أما فريك فلقد اتجه بمجهوده ناحية الضغط على الشيوعيين واحكام الرقابة على تصرفاتهم واجتماعاتهم [1] .

واستمرت مجهودات فريك وجورنج على النحو السالف قرابة الشهر حتى ٢٧ فبراير ١٩٣٣ حينما وقعت حادثة مشهورة أسرعت فى مجريات الحوادث لتعجل بوصول هتلر وحزبه النازى لتحقيق مأربهم فى الانفراد بالحكم .. ففى هذا اليوم أو الليلة على وجه التحديد شب حريق فى الرايشستاج « البرلمان الفيدرالى » أتى على مبناه كله وقد سارعت الحكومة باصدار بلاغ اتهمت فيه الشيوعيين بتدبير الحادث معلنة القبض على أحدهم وكان اسمه Van der Lubbe وهو هولندى الأصل واعترف بارتكاب الحادث [2] .

---

(1) Heiden Konrad, Der Fuehrer- Boston Houghton Company 1944 P.53.

(٢) اتفق كافة من قرأنا لهم من المعلقين على النازية وتطورها على ان الحادث كان بتدبير من جورنج الذى كان يشـــغل منصب رئيس الريشتاج وكان مسكنه ملاصقا له ويفصله عنه ممر ضيق قيل انه قد استخدم فى اشعال النيران بمبنى البرلمان . ولقد كانت هذه التعليقات مرتكزة على أساس أن المستفيد الوحيد من حرق الريشتساج هو =

ومنذ حريق الريشستاج شرع هتلر فى اتخاذ اجراءات الانفراد بالحكم ولقد بدأت هذه الاجراءات بالحملة الحكومية ضد الشيوعيين وقيام البوليس باعتقال زعمائهم ونوابهم فى البرلمان وايداعهم السجون توطئة لتقديمهم للمحاكمة بتهمة الاشتراك فى مؤامرة لقلب نظام الحكم . ولقد نتج عن هذه الحملة اضطرار معظم النواب الشيوعيين الى الاستقالة من البرلمان فاحتل الحزب النازى مقاعدهم حتى أصبحت المقاعد النازية فى المجلس ٢٨٨ مقعدا (٢٣٠ وهو آخر عدد فى انتخابات ديسمبر ١٩٣٢ + ٥٨ وهى مقاعد الشيوعيين) ومن ثم فقد أصبحت مقاعد الحزب النازى بالاضافة الى مقاعد الحزب الوطنى وعددها ٥٢ مقعدا تشكل الأغلبية المطلقة فى البرلمان (أكثر من نصف عدد مقاعد البرلمان وعددها ٦٤٧ بصرف النظر عن مقاعد الحزب الكاثوليكى المتآلف) ولم تكن هذه النتيجة بكافية لتحقيق الأطماع الهتلرية فى السيطرة والانفراد بالحكم . فلقد أراد أن يحصل من البرلمان على سلطات استثنائية تحقق له الانفراد بالعمل السياسى الداخلى دون ما رقابة أو مناقشة من البرلمان . وما كان الحصول على هذه السلطات الاستثنائية بالأمر الهين اذ انه يقتضى موافقة

= هتلر وحزبه النازى الذين تمكنوا بعد ذلك من أحكام قبضتهم على السلطة وازاحة كل من اعترض طريق انفرادهم بها . ولقد انكر هتلر تدبير الحريق فى مقابلة مع مندوب جريدة Daily Express البريطانية وقال : اجدر بأوروبا ان تشكرنى بدلا من اتهامى لسياستى المتشددة نحو البلشفية فاذا ما أصبحت المانيا شيوعية كما تقرر حتما لو لم أتول الحكم فلم يكن ليمضى وقت طويل قبل أن تقع بقية بلاد أوروبا فريسة بين يدى الحكم الاسيوى الأحمر .

Daily Express, Interview with Mr, Sefton Delmer, March 13, 1933.

كذلك اقرأ تفصيل حادثة حريق الريشتاج فى كتاب وليم شيرر

The Rise and Fall of The Third Reich,

المرجع السابق صفحة ١٩١ ـ ١٩٧ .

ثلثى الأعضاء عليها وما كانت المقاعد النازية والوطنية والكاثوليكية اذا أمكن ادماجها لتصل الى هذه النسبة . ولكى يؤكد للشعب ولاءه لنظام الحكم اليمينى وليثبت حسن نيته فى تقوية دعائمه استغل هتلر حفل افتتاح المقر المؤقت للبرلمان بعد الحريق الذى أقيم فى كنيسة Garrison بضاحية بوتسدام فى ٢٣ مارس سنة ١٩٣٢ لاعداد مظاهرة سياسية تهدف الى ارضاء كافة النزعات اليمينية فى البلاد فعلى طول الطريق من برلين الى بوتسدام وقف رجال الجيش ورجال الـ S. A. بملابسهم لتحية موكب رئيس الجمهورية ، وقد تصدر مكان الاحتفال كرسى القيصر فريدريك الأكبر خاليا ليجلس خلفه ولى العهد والى يمينيه رئيس الجمهورية « هندنبرج » وعلى جانبى القاعدة جلس كبار قادة الجيش ورؤساء الوزارات السابقين وأعضاء البرلمان وافتتح رئيس الجمهورية الحفل بخطاب بين فيه المسئولية الجسيمة الملقاة على عاتق الحكومة وطلب من الشعب الالتفاف من حولها .

ثم تكلم هتلر ليبين ان العهد الجديد انما هو ظل لعهد ألمانيا القيصرية وامتداد له وأشاد برئيس الجمهورية الذى عمل على ربط المجد القديم بالمجد الجديد ثم سارت الجموع لتضع أكاليل الزهور على قبر فريدريك الأكبر بين طلقات المدافع ووسط طوابير الـ S. A. المصطفة (١) . ولقد ساعدت هذه المظاهرة على ايثار مجموعة كبيرة من نواب البرلمان الوطنيين والكاثوليك والمستقلين مساندة الحكومة وتعضيدها لاقرار طلبها للسلطات الاستثنائية حتى تمكن هتلر عند طلب هذه السلطات فى صبيحة يوم الاحتفال وفى ٢٤ مارس سنة ١٩٣٣ بالذات من الحصول على الأغلبية اللازمة لاقرارها وهى ٤٤١ صوتا ضد ٩٤ صوتا (هم أعضاء

(1) Jarmann, The Rise and Fall of Nazi Germany, London 1955 P.206/211

الحزب الاشتراكى الوطنى الذين عارضوا بمفردهم هذا القرار) وبمقتضى قانون السلطات الاستثنائية تمكن هتلر — كخطوة أولى فى سبيل الانفراد بالحكم — من الحصول على سلطة اصدار القوانين والعمل فى النطاق الداخلى بدون الرجوع الى البرلمان[1]. ثم ظهرت النوايا النازية واضحة حينما حلت الحكومة نقابات العمال واستبدلتها بجبهة العمال الموحدة النازية ثم عمدت النازية الى مناوأة أعضاء الحزب الاشتراكى الديمقراطى حتى أمرت الحكومة باغلاق مقره وتعطيل صحفه وكذلك كان الحال مع الحزب الشيوعى وبانتهاء نشاط هذين الحزبين الكبيرين ارتدت بقية الأحزاب الألمانية غير النازية عن سياسة المقاومة وسارت فى الركب الهتلرى .

وباتمام مرحلة الانفراد بالعمل السياسى بدأت مرحلة تأمين الجبهة النازية الداخلية حينما ارتأى هتلر ضرورة القضاء على العناصر المناوئة لسياسته داخل الحزب النازى .

ولقد كان الجناح المعارض لسياسة هتلر داخل الحزب النازى يتزعمه Ernst Roehm قائد الـ S. A. ويضم كل من أساءتهم سياسة هتلر نحو مهادنة الرأسماليين وكل من لم يتح لهم هتلر فرصة الوصول الى المناصب الحكومية المرموقة أو مكافأتهم على أعمالهم فى فترات الكفاح . ولقد كان هذا الجناح يلوح بثورة ثانية لرد هتلر عن سياسته اليمينية والعمل على تحقيق المبادىء الاشتراكية والوطنية للحزب كما جاءت فى ميثاقه وبرنامجه . ولقد بدأ هتلر بمعالجة الأمر بالتفاهم

---

(١) فى بحثنا للدعوة النازية ومبادىء التنظيم السياسى فى الباب الرابع الجزء الأول من هذا الكتاب جاء بالتفصيل العرض لهذه القوانين والتعليق عليها .

والحسنى حين قال فى خطاب له الى أفراد الـ S. A. والـ S. S. فى أول يوليو عام ١٩٣٣ .

« ان مراحل الثورة الثلاثة وهى : التدبير والوصول الى الحكم والانفراد به قد تحققت والمهم الآن هو أن نخلد الى النظام وان فكرة الثورة الثانية مستبعدة تماما [١] . ولما لم يأت التحذير بأية نتائج هدد هتلر بقوله :

سأقضى على أية محاولة للنيل من النظام الحالى بالقوة التى سأقضى بها على فكرة الثورة الثانية التى ستؤدى بالبلاد الى حالة الفوضى [٢] .

ومع حلول عام ١٩٣٤ اشتدت الأزمة حينما أعلن Roehm انه يقف على رأس رجال عملوا على انجاح الثورة باعتبارها اشتراكية وطنية وان هــذه الثورة لن تقف وستستمر لتحقيق أغراضها . وهنا أظهر الجيش خشيته ومعارضته لهذا الاتجــاه ووقف هتلر وسط هذين الاتجاهين المتعارضين اذ انه كان محتاجا لرجال الـ S. A. الذين وصل عددهم عام ١٩٣٤ الى حوالى نصف عدد أفراد الجيش العامل وفى الوقت نفسه كان محتاجا لتأييد الجيش ورجال الصناعة . لذلك فقد عمد الى تهدئة الأزمة بتعيين Roehm وزيرا للدولة وكتب له بذلك وليبلغه شكره وتقديره لما قام به الـ S. A. تحت قيادته من أعمال مكنت النازية من الوصول الى الحكم [٣] . ولكن Roehm لم يرضخ وعلق على ذلك بقوله : « لا يمكن لهذا الرجل أن يخدعنى ومع الأسف فاننا ما زلنــا

---

(١) اقتباس ــ مرجع سابق صفحة ١١٣
A.Bulloc, Hitler, A Study in Tyranny,

(٢) المرجع السابق صفحة ٢٩١
T.L.Jarmann, The Rise and Fall of NAZI GERMANY

(٣) المرجع السابق صفحة ٢١٥
W. Shirrer, The Riseand Fall of the 3rd.Reich,

نحتاج اليه لأن نصف الشعب يعبده والنصف الثانى يصغى اليه ولكننا يجب أن تقومه لا لمصلحتى بل لمصلحة الثورة » [1] . وحاول هتلر استمالة « روهم » للمرة الأخيرة واجتمع به فى ١٥ فبراير سنة ١٩٣٤ لمدة أربع ساعات ولكن الظاهر ان المحاولة لم تجد نفعا بدليل ان هتلر أصدر بعدئذ أمرا باعطاء أفراد الـ S. A. أجازة لم تمنعهم من اصدار بعض المنشورات التى تحث على الثورة .

وهنا لم يجد هتلر الا وسيلة المباغتة والعنف للقضاء على الجناح المعارض فى الحزب النازى .. ففى ٣٠ يونيو سنة ١٩٣٤ أصدر أوامره الى أعضاء الـ S. S. وبعض أفراد القوات المسلحة بتصفية الـ S. A. والتخلص من زعمائها . ومع انتهاء هذا اليوم كانت عملية التطهير قد تمت وقتل Roehm ومساعده Heines وأودع باقى المتمردين السجن . ولم ينس هتلر فى غمار حركته هذه أن يأمر بقتل واعتقال كثيرين من أعضاء الأحزاب الأخرى بقصد تصفية العناصر المناوئة له بصفة نهائية [2] .

وفى الخطاب الذى ألقاه هتلر فى الريشستاج يوم ٢ يوليو برر هذا

---

(١) نفس المرجع صفحة ٢١٦ W. Shirrer, The Rise

(٢) يقول المؤرخون ان عدد القتلى فى هذه الليلة بلغ حوالى ٣٠٠ شخص من مختلف العناصر التى اراد هتلر التخلص منها بل وان حركة الاغتيالات قد امتدت الى داخل اعضاء الحكومة وقيل ان افراد الـ S. S. قد بحثوا عن Von Pappen ولم يجدوه وبذا نجا من القتل لذلك فقد اصطلحوا على تسمية ليلة ٣١ يونيو ١٩٣٤ بـ "The night of the long Knives"

اقرأ تفاصيل حوادث ليلة ٣٠ يونيو ١٩٣٤ فى

المرجع السابق صفحة ٢١٣ ــ ٢١٦ W. Shirrer,

المرجع السابق صفحة ٣٠٦ ــ ٣١١ T. L. Jarmann.

المرجع السابق صفحة ١٤٢ ــ ١٤٦ A. Bulloc.

الاجراء بأنه كانت هناك مؤامرة لقلب نظام الحكم وأثنى على رجال الـ S. S. وختم كلامه بقوله :

ليعلم الجميع الآن وللمستقبل ان من يرفع يده لطعن الدولة فسيجد الموت فى انتظاره (١) .

وبالانفراد بالعمل السياسى الداخلى والقضاء على الأحزاب المناوئة وتطهير الحزب النازى لم يبق أمام هتلر لاعلان سيادته التامة على البلاد الا ضم اختصـــاصات رئيس الجمهورية الى اختصاصاته ولم تتركه الحوادث يرتب لهذا الأمر كما رتب الأمور الأخرى ولكن يد القدر كانت أسرع من يده فلقد مات رئيس الجمهورية « هندنبرج » فى يوليـــو عام ١٩٣٤ وفى أغسطس أصدر هتلر مرسوما باسناد سلطات رئيس الجمهورية اليه .

ومنذ ذلك التاريخ فقد أصبح لقب هتلر الرسمى « الزعيم ومستشار الرايخ » « Fuhrer und Reichskanzler » أو بمعنى مختصر ســــيد البلاد الوحيد وسلطتها العليا التى كان الجميع يدينون لها بالطاعة والولاء (٢) وتأكيدا لمركزه أمام العالم أقام هتلر فى ١٩ أغسطس استفتاء

---

(١) Dwsterberg.T. Unter Der Stahlhelm und Hirler, Munchen Duetsche Verlag, 1941 P. 73.

(٢) بمقتضى كونه رئيسا للدولة قام أفراد القوات المسلحة باعادة قسم الولاء امامه بصفته الرئيس الأعلى للجيش ولم يغفل هتلر تغيير عبارات هذا القسم ليصبح قسما بالطاعة والولاء لأدولف هتلر شخصيـــا وبذلك أطلقت يد هتلر لتصفية العنـــاصر المناوئة فى الجيش وتمكن عام ١٩٣٧ اقصـــاء قائده General Fritech ليحل محله gen Keitel الذى راس العمليات الحربية أثناء الحرب العالمية الثانية .

مرجع سابق صفحة ١٠٧ J. K. Dunlop: A Short History of Germany

عاما لطرح الثقة به كانت نتيجته بطبيعة الحال حصوله على ٣٨ مليون من ٤٥ مليون صوت .

وبالانفراد بالحكم وتأكيد السلطة المطلقة تمت آخر مرحلة من مراحل كفاح الحزب النازى .

ومن العرض لهذه التطورات أمكن الاستدلال على الظروف التى مر بها هذا الحزب منذ نشأته فى عام ١٩١٩ وحتى وصوله الى الحكم فى عام ١٩٣٣ فباستثناء الفترة الأولى من كفاح هذا الحزب وهى التى انتهت بمحاولة الانقلاب الفاشلة عام ١٩٢٣ فانه يمكن القول بأن الحزب النازى قد نال حظه من الكفاح البرلمانى السليم شأنه فى ذلك شـأن بقية الأحزاب الأخرى حتى تمكن هتلر من رئاسة الوزارة الائتلافية عام ١٩٣٣ . ولم تبدأ صورة الحكم الديمقراطى لألمانيا فى التغير لصالح الحزب النازى الا بعد حريق الريشستاج فى نهاية فبراير عام ١٩٣٣ حين تمكن هتلر من ارساء أول قواعد حكمه المطلق بالحصول على السلطات الاستثنائية وبعد حوادث ٣٠ يونيو ١٩٣٤ اتخذ نظام الحكم فى ألمانيـا مظهر الحكومة البوليسية واستمر على هذا النحو حتى نهاية الحـرب العالمية الثانية .

ونظرا للتغير الكبير الذى حدث فى نظام الحكم بعد ٢٠ يونيـو سنة ١٩٣٤ وبعد الاطاحة بالخصوم وارهاب المعارضة والحصول على الأغلبية البرلمانية بعد انسحاب النواب الشيوعيين فلقد عد المؤرخون هذا التاريخ بأنه نقطة التحول الرئيسية فى الحكم النازى لألمانيا بل وأصر البعض على تسمية هذه الاجراءات بالثورة النازية (١) وسواء أكانت

(١) مرجع سابق صفحة ١١٦ T. L. Jarmann,
مرجع سابق صفحة ٢١٣ W. Shirrer,

الاجراءات التى قامت بها الحكومة النازية فى ذلك الوقت قد قصد بها تأمين الجبهة الداخلية أم قلب نظام الحكم من ديمقراطى فى ظل دستور فيمار الى انفرادى مطلق لا يستند على الدستور والبرلمان .. فان المهم — فى نظرنا — نتيجة هذه الاجراءات فى كونها قد حققت لهتلر أمله فى السيادة المطلقة علــى البلاد ولم يكن الحــزب النازى ولا مبادئه ولا شخصية زعيمه لتطالب بغير الانفراد بالسلطة لتحقيق قيام الرايخ العنصرى . فلقد كفر الحزب النازى بالديمقراطية منذ نشأته ، وطالب بحكومة مركزية مطلقة السلطات . كذلك كان هتلر وزعماء الحــزب لا يعملون الا بهدف الوصول الى الحكم ، للانفراد به ، ولتحقيق آمال الدعوة ومبادئها ، ولم يكن دخول الحزب النازى المعترك البرلمانى خلال الفترة الثانية من كفاحه الا بقصد الوصــول الى الحــكم بالطريق الديمقراطى بعد أن فشل فى الوصول اليه بطريق الانقلابات .

وان من اعتبر حوادث عام ١٩٣٤ ثورة أو انقلابا مباغتا حول ألمانيا من الحكم الديمقراطى الى الحكم الأوتوقراطى لابد وقد أغفل طبيعة الحزب النازى وقادته الذين أعلنوا فى أكثر من مناسبة وقبل وصولهم الى الحكم عن نيتهم فى القضاء على ديمقراطية فيمار حيث قالها جوبلز عام ١٩٢٩ بصراحة :

« أيتها الديمقراطية سنصل بك لنحطمك » (١) .

---

(1) Dewey John German Philosapphy and politocs Van Rees Press July 1942 P. 116.

الباب الثالث

العوامل التى ساعدت على وصول الحزب النازى إلى الحكم

فى ٣٠ يناير سنة ١٩٣٣ وصل هتلر الى رئاسة الوزارة الائتلافية ولقد استحقت هذه الحقيقة أن يقف أمامها مختلف الباحثين فى النازية والمؤرخين لها محاولين تفسيرها وشرح العوامل التى ساهمت فى مساندة هذه الحركة النازية منذ نشأتها ومساعدتها فى الوصول الى غايتها . وفى هذا المجال اتفق هؤلاء الباحثين على ماهية هذه العوامل واختلفوا فى تقدير أهمية كل منها وتأثيره المباشر فى مساعدة الحـزب النازى للوصول الى الحكم ، فبينما أفاض البعض فى تقدير أهمية الأزمـة الاقتصادية العالمية وآثارها المباشرة فلقد أبرز البعض الآخر عامل تنافس الأحزاب البرلمانية وموقف رئيس الحزب الكاثوليكى . Von Pappen وذلك لمحاولة الوصول الى السبب المباشر الذى مكن هتلر من مقاليد الحـكم (١) . وفيما يلى سنعرض لهـذه العوامل التى نقسمها الى مجموعتين :

(١) من انصار الرأى الأول
بمرجعه السابق صفحة ٣٧١ T. L. Jarmann
بمرجعه السابق صفحة ٣١٦ Allan Bulloc,
ومن انصار الرأى الثانى
بمرجعه السابق صفحة ٣٨٢ W. Shirrer,

المجموعة الأولى — العوامل التى ساعدت على نمو الحركة النازية .

المجموعة الثانية — العوامل التى هيأت للحزب النازى الطريق الى الحكم .

ومبعث هذا التقسيم فى رأينا هو ان الحكم كان هدف النازية منذ قيامها ولم يصل هتلر اليه الا بمساهمة العوامل التى شدت من أزر دعوته مع تلك التى دفعت بحزبه الى مكان الصدارة بين الأحـزاب الأخرى مما هيأ له رئاسة وزارته الائتلافية عام ١٩٣٣ .

الفصل الأول

عوامل نجاح الحركة النازية

من تتبعنا لتطورات الحزب النازى منذ أن بدأ فى مباشرة نشاطه الفعلى عام ١٩٢٠ وحتى وصل الى الحكم عام ١٩٣٣ اتضح لنا ان هذا الحزب قد تمكن خلال ثلاثة عشر عاما من تصدر الأحزاب السياسية الأخرى حسب نتائج انتخابات عام ١٩٣٢ مما مهد الطريق أمامه للوصول الى الحكم . كذلك فان عدد أعضاء الحزب النازى كان لا يتعدى فى عام ١٩٢٠ الـ ٥٠٠ عضو ووصل فى يناير عام ١٩٣٣ الى ٢ر١ مليون عضو ثم تضاعف هذا العدد فى عام ١٩٣٥ [1] . ولا يمكن لهاتين الحقيقتين الا أن تؤديان بنا الى حقيقة ثالثة مؤداها ان هذا الحزب قد تمكن بسرعة من الانتشار والتغلغل بمبادئه بين جمهور الشعب الألمانى .

وتنحصر العوامل التى ساعدت الحركة النازية على الانتشار فيما يلى : —

أولا — اعتماد ألمانيا بمقتضى تاريخها على الحكم المطلق فى حل قضاياها وتحقيق آمالها .

ثانيا — هزيمة ألمانيا ومعاهدة فرساى .

ثالثا — شخصية هتلر وأفكاره السياسية وفيما يلى عرض تفصيلى لآثار هذه العوامل فى نجاح الحركة النازية .

---

(١) من مقال بقلم Walter Laqueur بمجلة Encounter عدد ابريل عام ١٩٦٤ صفحة ٣٩

اولا ـ اعتماد المانيا على الحكم المطلق :

من المعروف ان أوروبا قد عاصرت خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر نوعين من الثورات الاجتماعية ففى أواخر القرن الثامن عشر ظهرت فى فرنسا الثورة ضد الاقطاع ، وبنجاح هذه الثورة قامت الثورات فى بعض الدول الأوروبية لتحريرها ومجتمعاتها من مخلفات العصور الوسطى. ثم أتى القـرن التاسع عشر بالشـورة الصناعية التى نشأت عنها طبقة البورجوازية الأوروبية ممن أوتوا المال المكتسب من الصناعة والتجارة. وباتت تقوى من كيانها وترنو الى الحكم لخدمة مصالحها فى التوسع والاستعمار . وكانت أهداف الثورة البورجوازية مختلفة عن أهداف الثورة ضد الاقطاع فبينما كانت الثانية تهدف الى تحرير الأرض من الاقطاع ارتأت الأولى الابقاء على ما بقى منه لتشترك الأرستقراطية مع البورجوازية فى العمل من أجل التجارة والسطوة والتوسع (١) .

ثم كانت الحروب الطاحنة التى اشتعلت بين البلدان الأوروبية خلال القرن التاسع عشر لتحقيق أطماع البورجوازية حافزا دفع فلاسفة أوروبا وكتابها الى محاولة البحث عن أساس جديد لثورة جديدة تجمع بين محاسن الثورتين السابقتين وتتفادى عيوبهما . وكان أشهر من بحث فى هذا الأمر الاقتصادى الألمانى المعروف كارل ماركس (١٨١٨/١٨٨٣). وهو الذى خرج على العالم بنظرية ديكتاتورية الطبقة العاملة عام ١٨٤٨ ولم تكن هذه النظرية لتختلف عن واقع أهداف الامبريالية البورجوازية. الا فى أنه بينما كانت الثانية تهدف الى تقدم اقتصادى تستفيد منه الطبقة البورجوازية رأت نظرية ماركس ان الأحق بهذه المكاسب هى الطبقة

---

(١) Wells H. G, A Short History of the World, Penguin Books, London 1954 P. 271.

التى تكدح للصناعة وهى ما أسماها « البروليتاريا » أى ان نظرية ماركس قد هدفت فى أساسها الى اقامة طبقة جديدة للسيادة والحكم أكثر مما حاولت علاج مشكلات الامبريالية البورجوازية [١] .

وفى الوقت الذى ظهرت فيه النظرية الماركسية كانت ألمانيا فى أوج ثورتها الصناعية وما أن وصلت الى تحديد مكانتها فى التقدم العلمى والصناعى حتى بدأت بورجوازيتها فى البحث عن وسائل اللحاق بحركة الاستعمار الأوروبى ولكنها كانت تصطدم بمشكلتين مصيبتين : أولاهما ضرورة تحقيق وحدة المقاطعات الألمانية واقامة الدولة الموحدة والثانية ضرورة انتزاع ألمانيا لحقها فى المشاركة فى غنائم الاستعمار وجاء بسمارك ليحقق آمال البورجوازية الألمانية وتمكن بسياسة الحديد والنار من تحقيق الوحدة الألمانية بسيادة بروسيا وكانت الانتصارات التى حققها على النمسا وفرنسا لما فرض لألمانيا مكان القيادة فى أوروبا . وما أن ترك بسمارك الحكم حتى ساقت ألمانيا بنفسها الى الحرب العالمية الأولى التى خرجت منها مهزومة منهكة وباتت وقد تمزقت وحدتها الوطنية ولم تتمكن الحكومة المركزية الجديدة بتعاليمها الديمقراطية من سد الفراغ القيادى الذى طالما وقف الشعب الألمانى من خلفه لينعم بالانتصارات وذلك حتى جاء هتلر ليرفع شعارات الماضى فى القوة والسلطان والقيادة ويلوح بها أمام نفس الجيل الذى عاصرها فوجد من بعضه العون ومن الباقين الاستحسان حتى قدر له أن يصل الى القيادة عام ١٩٣٣ .

ولقد أفادت هذه الوقائع التاريخية نمو الحركة النازية فى أكثر من

---

(١) Vermeil Edmond, L' Allemagne, Essai explication, Gallimard, Paris 1945 P. 116.

ناحية فلقد أثرت الهزيمة التي منيت بها ألمانيا عام ١٩١٨ على شعبها الى حد انه استسلم لليأس وبات لا يقوى حتى على الأمل فى استعادة مجد ألمانيا القيصرية الموحدة وجاءت النازية لا لتنادى بما ظنه الناس من وحي الأحلام وانما بقدرتها على تحقيقه واقامة رايخ ثالث له من المظاهر ما كان للرايخ : الأول بقيادة فريدريك الأكبر والثانى بقيادة بسمارك وبينما كادت غالبية الشعب تنحرف الى اليسار لتركز آمالها على المبادىء الماركسية التي وعدت باقامة دولة العمال الألمانية كانت النازية متمسكة بسياسة اشتراكية يمينية متطرفة وبذلك تمكنت من جمع الأنصار من مختلف المعسكرات الاشـتراكية واليمينية فضلا عن أنصـار مبادئها العنصرية الجديدة .

ومن واقع التاريخ الألمانى أصدر غالبية المؤرخين العربيين حكمهم على الشعب الألمانى بأنه قد جبل على الطاعة فى ظل الحكم المطلق وبعدم قابليته لهضم المبادىء الديمقراطية الحرية وكان مرد هذا الحكم هو أن الوحدة الألمانية والازدهار الألمانى لم يتحققا الا تحت الحكم المركزى المطلق . وخرجوا من ذلك أن الأساس التاريخى لألمانيا كان عمادا من عمد نجاح الحركة النازية وانه لو أن هذا الشعب قد كافح من أجل الحرية كبقية الشـعوب الأوروبية لعرف قدرها ولما سلمها طواعية الى من لم يتوان فى المناداة بفشل النظام الديمقراطى ووعد بالقضاء عليه (١) .

ولقـد قام البروفسور Ritter أستاذ التاريخ الحديث بجامعة فبريبرج بألمانيا الغربية بالرد على هذه الآراء فقال :

« ان تحليل الكتاب الغربيين لأثر الأساس التاريخى لألمانيا فى الحركة النازية قد يكون مفيدا لمحاولة التعرف على مختلف النواحى

(١) مرجع سابق صفحة ٣٨٧ U. N. E. S. C. O The Third Reich,

السياسية التى تؤثر فى الشعب الألمانى ولكنه من المؤسف أن يقف المعلق السياسى عند هذا التفسير ليحاول اثبات ان الشعب الألمانى كله قد جبل على الرضوخ للديكتاتورية من واقع تاريخه ويعتبرها حلا لمشكلاته فمن الثابت ان الألمان قد استمعوا لهتلر لأنه أتى لهم بأفكار سياسية جديدة بينما كان البعض لا يثق فى البرلمانات والبعض الآخر أثقلته هزيمة ألمانيا فى الحرب وكانت طبقة العسكريين ترى فى كلام هتلر تحقيق لآمال ألمانيا العسكرية .

وتساءل بروفسور « زيتر » قائلا هـل خلت أية دولة من مفكرين سياسيين حاربوا الديمقراطية بمختلف النظريات والآراء ؟ (١) .

واستطرد بروفسور رويتر قائلا ايه يتفق مع المعلقين الغربيين فى ان ألمانيا لم تشهد ثورة وطنية للاطاحة بالحكم الاستبدادى كما حدث فى فرنسا وانجلترا ولكن حظ ألمانيا وقدرها انها لم تشهد حياة ديمقراطية على الوجه الأكمل الا تحت دستور فيمار وحتى هذا الدستور لم ينبثق من الشعب بل جاء تقليدا للدساتير الأخرى ووفق رغبات الدول المنتصرة ولقد فشلت دولة فيمار لأنها لم تستطع أن تحقق رغبات الشعب الحقيقية وأحلامه وهنا وجد هتلر طريقه .. ومن هنا دخل التاريخ (٢) .

وبين الحكم الذى أصدره مؤرخوا الغرب ودفاع البروفسور رويتر لا يسعنا الا أن نحتكم الى التاريخ ، وتاريخ ألمانيا يشهد بأنها تأخرت عن ركب الحركات التحررية الأوروبية وان قضاياها الوطنية فى الوحدة لم يحققها الشعب بل فرضتها بروسيا بقوة السلاح عام ١٨٧١ وبتدبير

(١) Ritter Gerhard, The Historical Foundation of Naziesm, London Cambridge Press, 1951, P. 14.

(٢) نفس المرجع صفحة ١٦ G. Ritter, The Historical

من حاكمها الفذ بسمارك ، وان الوعى السياسى للشعب الألمانى لم يظهر له أى كيان حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ، وازاء هذه الحقائق التاريخية لا يسعنا الا أن نقدر تعليقات المؤرخين الغربيين فى ان الأساس التاريخى لألمانيا قد ساعد هتلر على التقدم لبلوغ غايته والواقع انه لولا هذا الأساس التاريخى لفقدت المبادىء النازية أهم مقوماتها ولما وجدت ما وجدته من التجاوب بين أفراد الشعب الألمانى فما كانت هذه المبادىء النازية فى عصبها الا محاولة لربط ألمانيا الجديدة بتقاليدها القديمة الموروثة ولقد ثبت لنا من عرضنا لهذه المبادىء انها لم تكن من ابتداع الحركة النازية وقادتها بقدر ما كانت ترديدا لبعض الآراء التى سبق وأن ترددت على ألسنة دعاة الفكر الألمانى القدامى .

ولكن وفى الوقت نفسه لا يجب أن تغالى فى تقدير العامل التاريخى بالنسبة لنجاح الحركة النازية فلو انه قد أثر عليها وعلى اكتسابها الأنصار فانه لو كانت الظروف قد هيأت لديمقراطية فيمار عوامل النجاح لفقد هذا الأساس التاريخى قيمته والدليل على ذلك انه فى عصر الرخاء الذى نعمت به ألمانيا فيما بين ١٩٢٤ و ١٩٢٩ كانت النازية تعيش فى أحلك أزماتها حيث انصرف عنها الأتباع والأنصار ليتجهوا الى البناء والكسب والعيش فى ظل الديمقراطية الحديثة .

ثانيا ــ فرساى :

تبين لنا عند العرض لمبادىء الدعوة النازية ان الغاء معاهدة فرساى كان أحد الأهداف الرئيسية لهذه الدعوة وان توقيع هذه المعاهدة عام ١٩١٩ عاصر مولد الحزب النازى وبداية احتراف هتلر للسياسة ، ثم احتلت المطالبة بالغاء معاهدة فرساى مكانا بارزا فى برنامج الحزب

ولما ولى هتلر الحكم عام ١٩٣٣ عمد الى تنفيذ برنامجه وقضى على التزامات ألمانيا « أو ما بقى منها » قبل الحلفاء بمقتضى معاهدة فرساى .

وبالاضافة الى ما سبق أن أوردناه عن معاهدة فرساى — كأحد أركان الدعوة النازية — فان هذه المعاهدة والآثار التى ترتبت عليها كانت احدى العوامل الهامة التى حققت للنازية طريق النجاح . فلقد تولدت عنها الشخصية الهتلرية القادرة على الخطابة والاقناع ، كذلك كان شعور الشعب الألمانى بمرارة الهزيمة أثر هذه المعاهدة لما أوجد لهتلر وحزبه ومبادئه جمهور المستمعين والأتباع والدعاة ثم ان معاهدة فرساى قد ساعدت الدعوة النازية على الاستدلال بها للمطالبة بأهم مبادئها الاستعمارية وأخيرا — وليس آخرا — أكسبت معاهدة فرساى الجمهورية الألمانية الأولى التى نشأت فى ظلها أى جمهورية فيمار ثوبا من الشك وعدم الثقة أحاطها به غالبية الشعب الألمانى وأحسنت النازية استغلاله فى دعوتها لتقويض أركان الديمقراطية والعودة الى الحكم المطلق .

ويقول هتلر فى « كفاحى » انه يدين لمعاهدة فرساى بالفضل الأول فى اشتغاله بالسياسة ففى ٥ يوليو سنة ١٩١٩ سمع بنبأ المعاهدة ونصوصها أثناء وجوده بالمستشفى العسكرى للعلاج ووجد نفسه ينفجر باكيا من فرط أسفه واستيائه قائلا : لقد خانوا وطنهم وذهبت أرواح الملايين الذين استشهدوا فى هذه الحرب سدى (١) . وفى مكان آخر يقول هتلر : انه لم يكن قادرا على سماع أية مناقشة سياسية حول فرساى الا ووجد نفسه مندفعا للتعبير عن رأيه فيها بقوة وعنف وطالما وجد المنصتين كلامه وقد بدت عليهم امارات الاقتناع والتأمين على آرائه (٢)

(١) مرجع سابق صفحة ٦٣ A. Hitler, Mein Kampf,

(٢) مرجع سابق صفحة ٨١ A. Hitler, Mein Kampf,

ومن ذلك يتبين لنا ان معاهدة فرساى قد تركت فى نفسية هتلر أثرا بالغا حفزه الى محاولة التعبير عن رأيه ولما وجد فى نفسه المقدرة على ترجمة شعوره الى كلام بدا ولأول مرة فى حياته متطلعا الى مركز القيـادة السياسية لأى حزب أو جماعة تشاركه الرأى بشأن معاهدة فرساى .
وفى أول خطاب سياسى لهتلر أثناء الاجتماع الشعبى الأول للحـزب النازى فى نهاية عام ١٩١٩ اتخذ من فرساى مادة للخطابة واندفع مرددا مساوئها وعوامل الخيانة التى بدت من حولها ورغبة الحلفاء فى تحطيم ألمانيا بمقتضاها . ثم قال هتلر : ان ألمانيا لم تنهزم فى الحرب لتقبل دفع ثمن الهزيمة المفروض فى معاهدة فرساى ولكنها طلبت الهدنة أملا فى صالح عادل وكانت الجيوش الألمانية قادرة على استعادة النصر أو الفناء فى سبيله بدلا من تجرع مذلة الهزيمة فى كأس فرساى [1] . ولقد أحسن هتلر التعبير وكان يخرج كلماته الحماسية المتدفقة بصوت قوى وعينين دامعتين ونفس ملتهبة متقدة الحماس مما أطرب سامعيه وألهب مشاعرهم ومن هنا — وبفضل معاهدة فرساى — سطر التاريخ الألمانى نشأة ادولف هتلر السياسى الخطيب والقادر على اكتساب المعجبين والأتباع .

ولم يكن تأثر السواد الأعظم من الشعب الألمانى أثر اعلان نصوص معاهدة فرساى ، ليقل عن شعور هتلر حيالها ، فلقد نشر المؤرخ الفرنسى Robert D'Ahrcourt خطابا بعث به اليـه أحـد القسس فى احـدى المدن الألمانية بين فيه أثر معاهدة فرساى على الشعب الألمانى مما ساعد هتلر على الظهور وحركته على الانتشار .. يقول الخطاب :

« لقد نسيت يا سيدى أهم عامل من العوامل التى مهدت الطريق أمام هتلر وهو فى كلمة واحدة « فرساى » فانه اذا كانت الروح المعنوية

---

(١) نفس المرجع صفحة ٢١٧ A. Hitler, Mein Kampf,

لشعبنا قد أصابتها العلة فلأن بعض مواطنينا قد سمحوا بالجرائم التى ارتكبت فى حق بلادهم من جراء معاهدة فرساى التى نهبت مستعمراتنا وسرقت بنوكنا وحطمت أسطولنا التجارى وسمحت باحتلال أراضينا وتقسيمها .. ولم تكن النازية الا بمثابة ارتفاع درجة الحرارة التى تصاحب الحمى . لذلك فان مسئولية ظهور النازية تقع على الحلفاء وعلى الأخص الفرنسيين الذين مضوا فى تنفيذ معاهدة فرساى بروح مليئة بطلب الثأر والرغبة فى الانتقام ولقد كتبت يا سيدى تقول ان غالبية الشعب الألمانى قد صفق لهتلر ولست أعارضك فى هذا فان أى شعب يحب وطنه ويقدس شرفه لا يسعه الا أن يصفق لمن يلوح بتحطيم القيود والمطالبة برد العزة المفقودة .. (١) .

ولقد صدق هذا القس الألمانى فى وصف تأثر الشعب الألمانى من جراء معاهدة فرساى مما ساعد على تقبله للمبادىء النازية التى وعدت بالتخلص منها والى جانب أحكام المعاهدة كان مما ألهب شعور الألمان واشعارهم بالمرارة والحقد تلك الروح التى اتسمت بها معاملة الحلفاء لألمانيا أثناء محادثات فرساى وفى الطريقة التى أعلنت بها نصوص المعاهدة ففى باريس لم يسمح الحلفاء الممثلى ألمانيا بحضور الاجتماعات الخاصة بصياغة بنود المعاهدة أو ابداء الرأى فيها وأمعن رئيس الوزراء الفرنسى الشهير Clemanceau فى اذلال الوفد الألمانى واهانته فى مختلف المناسبات (٢) . ولم تخف هذه الأمور عن الشعب الألمانى الذى

---

(١) D' Harcourt Robert, Visage de Lù Allemagne Actuelle, Pierre & Blanchard Paris 1950 P. 5.

(٢) اقرأ عرضنا المختصر عن معاهدة فرساى فى الباب الأخير من الجزء الأول . .

تابع أحداث فرساى وأنباءها فآلمه معاملة ممثليه الذين ذهبوا الى باريس للتفاوض فى شروط الصلح فاذا بهم يعاملون على انهم الطرف المهزوم الذى عليه تحمل نتائج الحرب والعقوبات التى يفرضها المنتصر على المنكسر المستسلم .

ولقد استطاع هتلر أن يحول شعور الشعب الألمانى ومرارته من جراء المعاهدة والظروف التى لابستها ونتائجها وقيودها .. استطاع أن يحولها الى حقد دفين وتمكن من اللعب بعواطف الجماهير لتوجه هذا الحقد الى الناحية التى أن يرجوها وبدلا من اثارة الشعب ضد الحلفاء الذين تسببوا فى مولد معاهدة فرساى عمد هتلر ودعوته النازية الى توجيه الحقد الشعبى ضد مختلف خصومه السياسيين وبذلك مع الحزب الاشتراكى الديمقراطى (الحاكم فى ذلك الوقت) بالخيانة والعمل ضد مصلحة الشعب لقبوله التوقيع على معاهدة فرساى واتهم الحزب الشيوعى بالمساهمة فى بث روح الهزيمة حينما ناصر ثورة البحارة التى نشبت فى برلين عام ١٩١٨ أما اليهود فلقد تسببوا فى رأى هتلر فى جر ألمانيا الى حافة الحرب عام ١٩١٤ ثم فى العمل على طلب الهدنة عام ١٩١٨ واشتركوا فى اعداد نصوص معاهدة فرساى رغبة منهم فى تحطيم القومية الألمانية والتسلط على مقدراتها (١) :

وفى غير مجال الدعاية النازية واستغلال عواطف الجماهير أفادت معاهدة فرساى الدعوة النازية فى مواقع ثلاثة هى : المطالبة باعادة المستعمرات الألمانية التى اغتصبتها المعاهدة ، واظهار ألمانيا بعد خروجها من مستعمراتها فى افريقيا وآسيا بمظهر الدولة الصديقة للحركات

---

(1) Roper Trevor: Hitler's Table Talk Weidernfeld and Nicalson London 1953 P. 43.

التحررية المواجهة للاستعمار الغربى فى هذه المناطق وأخيرا فلقد كانت معاهدة فرساى أحد الأسانيد التى اعتمدت عليها الدعوة النازية لاعلان كفرها بالديمقراطية والمطالبة بالعودة الى نظام الحكم المطلق .

فلقد نتج عن تجريد ألمانيا من مستعمراتها فى آسيا وافريقيا بمقتضى معاهدة فرساى شعور الشعب الألمانى بفقدانه مصادر امداده بالمواد الخام وأسواق تصريف منتجاته وأهم من ذلك الأرض التى يستطيع أن يصدر اليها الفائض من سكانه . ولتعويض ما فقد فى فرساى نادت النازية بمبدئها المعروف بالمجال الحيوى والذى لا يعدو أن يكون احدى نظريات الاستعمار مع اختلاف فى الأهداف فبدلا من المناداة بمستعمرات فيما وراء البحار طالبت النازية بالتوسع الأرضى فى أوروبا على حساب الأراضى السوفييتية ومخلفات الامبراطورية النمساوية المجرية .

ولما نشبت الحرب العالمية الثانية استغلت الدعاية النازية الحركات القومية المعادية للاستعمار العربى فى افريقيا وآسيا لاستعداء أهالى هذه المناطق ضد الاحتلال البريطانى والفرنسى ووعدتهم بالاستقلال اذا ما قدر لها الانتصار فى الحرب .

وما كانت ألمانيا بقادرة على الظهور بمظهر الدولة الموالية لهذه الحركات القومية لو كانت لها هى الأخرى مستعمرات باقية فى هذه المناطق ولقد كسبت الحكومة النازية من ذلك ذلكم الشعور الموالى للنازية الذى سرى بين أفراد هذه الشعوب الى درجة قيام بعضها بالترحيب بمقدم الجيوش الألمانية (١) .

---

(١) المثال المعروف لذلك من واقع تاريخنا القومى تلك المظاهرات التى قامت فى مصر عام ١٩٤٢ ترحيبا بمقدم الجيوش النازية التى كانت فى طريقها الى الاسكندرية .

ثم ان معاهدة فرساى والتسليم بنصوصها وقيودها كانت مدعاة لتوجيه النقد الى النظام الديمقراطى القائم فى ألمانيا .. والدليل على ذلك قول هتلر فى احدى خطبه :

« أين مجدنا الألمانى القديم أين عزتنا وقوتنا . ان ما بناه فريدريك وبسمارك قد أضاعه حفنة من الخونة .. ان عصور ماضينا المشرق قد محتها طلال الديمقراطية الدخيلة » (١) .

ثالثا ـ شخصية هتلر :

الحقيقة التى لم ينكرها مختلف المعلقين ان هتلر كان متمتعا بشخصية قوية فذة وربما — بدونه — ما كانت النازية لتطرق أسـماع العالم أو تحدث هذا الدوى الكبير الذى ما زال عالقا بالأذهان . لذلك فان أية دراسة للعوامل التى ساعدت النازية وحزبها للوصول الى الحكم لابد وأن يكون هتلر عمادها ، وشخصيته أحد البواعث الرئيسية التى حققت للنازية آمالها فى الوصول الى الحكم وفى تنفيذ أهدافها فى الداخـل والخـارج .

وفيما يلى نعرض لجوانب الشخصية الهتلرية التى استحقت الدراسة من كل من تعرضوا للنازية من معلقين ومؤرخين وعلماء النفس وهى :

١ — نشأة هتلر وحياته .

٢ — هتلر الكاتب السياسى .

٣ — هتلر الخطيب .

٤ — هتلر الزعيم السياسى .

٥ — هتلر القائد العسكرى .

---

(١) مرجع سابق صفحة ٢٩١ Sales, R, R Hitler:My New Order.

وبالعرض لهذه النواحي في شخصية هتلر ، على ضوء ما كتب عنها من تعليقات نرجو أن نكون قد أوفينا هذه الشخصية التاريخية الكبيرة حقها من الدراسة والتحليل .

١ ـ نشأة هتلر وحياته :

في قرية Brenau النمساوية التي تقع قرب الحدود الألمانية ولد ادولف هتلر عام ١٨٨٩ من أب مزواج كان هتلر ولده الثالث من زيجته الثالثة ووصل هتلر في تعليمه الى المرحلة الثانوية على أمل أن يتمكن من دخول أحد المعاهد الفنية ، ولكن والده مات عام ١٩٠٦ وتلته والدته عام ١٩٠٨ وكان هذا الى جانب فشله في امتحان القبول لمعهد الرسم والنحت والتصوير بفيينا سببا في شعوره بالوحدة واليأس وعاش هتلر السنوات من ١٩٠٨ الى ١٩١٣ معانيا مرارة الجوع والحاجه والحرمان حيث تردد على مختلف الأعمال ولم ينجح في البقاء في أحدها زمنا طويلا .. وفي ١٩١٣ هاجر الى ميونيخ بألمانيا ليبدأ حياة جديدة وما لبثت الحرب العالمية الأولى أن تشبت عام ١٩١٤ فتطوع لها كجندي في الجيش البافاري ولم يرتق أثناء الحرب عن رتبة جاويش ولكنه حظي بوسام الصليب النحاسي لشجاعته واقدامه (١) . ولما وضعت الحرب

---

(١) هذا المختصر لحياة هتلر قبل احترافه السياسة معترف على وقائعه لدى كبار مؤرخي النازية ومن الصعب نسبته الى احدهم دون الآخر ولكن وصف Allan Bulloc في كتابه Hitler, a Study In Tyranny في الصفحات من ٤ الى ٢٤ يتميز بالاسهاب في سرد الوقائع عن بحث وتعمق أكثر مما أورده William Shirrer في كتابه The Rise and Fall of the Tird Reich في الصفحات من ١٦ الى ٢٨ اما T. L. Jarmann في كتابه The Rise and Fall of Nazi Germany في الصفحات من ٢٢ الى ٢٨ فلقد ركز مجهوده للاستدلال على وقائع نشأة هتلر وحياته من واقع كتاب هتلر « كفاحي » فقط والكتب المذكورة سبقت الاشارة اليها في صفحات هذا الكتاب .

أوزارها بدأ هتلر عام ١٩١٩ فى الاشتغال بالسياسة وامتزجت تطورات حياته بتطورات الحزب النازى وكفاحه حتى ٣٠ يناير عام ١٩٣٢ حينما وصل الى رئاسة الحكومة الألمانية واحتفظ بمنصبه الى نهاية الحـرب العالمية الثانية حيث فضل الانتحار على التسليم للقوات الروسية المتقدمة وذلك فى ٣٠ أبريل ١٩٤٥ (١) .

ولقد أثرت الفترة الأولى من حياة هتلر عليه وتركت فى نفسه ظلالا لم تمحها حتى ولا أسعد أيام حياته القادمة .. ففى كتابه Mein Kampf أفرد هتلر فصلا فى شرح الحالة التى كان عليها أثناء معيشته فى فيينا خلال السنوات من ١٩٠٨ الى ١٩١٣ ومن ذلك قوله : خمس سنوات كان على فيها أن أكسب قوت يومى كعامل مؤقت ثم كرسام مأجـور ثم كلاصق اعلانات (٢) . وقال أحد جلسائه فى أسعد الأوقات التى كنا نحتفل فيها بالانتصارات وتبادل النكات والضحك كنا نجد الفوهرر واجما ترتسم على وجهه أمارات الحزن .. ولما كنا نسأله عن السبب كان يقول ان شبح أيام فيينا القاسية دائما يحضره حتى فى ساعات المرح (٣) . ويقال كما أوردنا فى ختام عرضنا للمبادىء العنصرية أن تحمس هتلر ضد اليهود كان مرجعه ما لاقاه على يد بعضهم فى فيينا من تعنت أثنـاء سنوات الحرمان . ثم حاول المؤرخون أن ينفذوا الى حيـاته الخاصة لاستجلاء وقائعها وأجمعوا على انه كان مستقيما لا يعـرف النساء

---

(١) Trevor Roper The Last Days of Hitller London : مرجع سابق صفحة ٢٣٥

(٢) مرجع سابق صفحة ٤٢ Hitler, Mein Kampi,

(٣) اقتبسها عن Martin Bormann الذى عمل كسكرتير خاص لهتلر ووردت فى تحليله لـ Trerov Rouper فى مقدمة كتابه Hitler' s Mind Hitler's Table Talk, مرجع سابق صفحة ٨ .

ولا يشرب الخمر ويقتصر فى غذائه على النباتات وفيما يتعلق بالنساء فقد تهمه البعض بأنه كان على علاقة غرامية حادة مع ابنة أخته غير الشقيقة Geli Raubel التى عاشت معه أثناء الفترة من ١٩٢٥ حتى انتحرت عام ١٩٣١ [١] . بينما أبدى البعض الآخر تشككه فى هذه الرواية بحجة أن هتلر كان عنينا [٢] . وبعد Geli التى حزن عليها هتلر وصرح بأنها كانت الانسانة الوحيدة التى أحبها عرف المرأة التى شاركته مصيره وهى Eva Braun .

وانا نعتقد ان روايات هؤلاء المؤرخين عن شذوذ هتلر فيما يتعلق بحياته اليومية أو علاقاته الغرامية لا تنفى حقيقة كونه قد أعطى للسياسة ولكفاحه من أجل حزبه وحياته ومستقبله .

وعلى أساس من الحرمان الذى قاساه هتلر أيام شبابه ومن العزوف عن المباهج الدنيوية كالخمر والنساء حتى فى أوج مجده وبتأثير من القسط الضئيل الذى حظى به من التعليم والقدر المحدود من الكتب التى قرأها .. على هذه الأسس المستقاة من نشأة هتلر وحياته تشكلت شخصيته وآراؤه السياسية فنشأته يتيما محروما من الوالدين أكسبته عدم الثقة بالناس والاعتماد على النفس وكفاحه وحيدا من أجل الرزق أيام شبابه علمه الجلد والأناة وعصاميته زادته صلابة واعتدادا بالنفس وهذه كلها صفات تهيىء للسياسى طريق النجاح [٣] . ويتقدم هتلر فى

---

(١) المرجع السابق صفحة ١٢١ Shirrer, The Rise and Fall

(٢) المرجع السابق صفحة ١٦٨ Bulloc, Hitler, a Study in Tyranny.

(٣) اقرأ الدراسة النفسية التى أعدها دكتور فرانس هلموت أستاذ علم النفس بجامعة كاليفورنيا عن أثر النشأة فى تصرفات القادة السياسيين . Helmut franz Dictators Collins, New York 1962 P. 109-211

طريق السياسة كان يكتسب لنفسه ولحزبه الشهرة والازدهار بل انه ومنذ توليه مقاليد الحزب أضفى عليه ظلال شخصيته وأصبح الأخير لا يعبر الا عن اتجاهات الشخصية الهتلرية ولا يحيا الا بزعامتها .

٢ ـ هتلر الكاتب السياسى :

لم تكن الكتابة السياسية من صفات هتلر البارزة وانما اتجه اليها — حسب نشأته وتطور كفاحه — مرتان طيلة حياته : وكانت المرة الأولى فى أوائل عام ١٩٢٤ حينما وجد نفسه سجينا أثر محاولة انقلابه الفاشل فانتهز فرصة العزلة المفروضة عليه ليسرد مبادئه السياسية وليحاول الخروج بمنطق للايديولوجية النازية التى حواها كتابه المشهور Hoin Kampf وكانت المرة الثانية حينما آثر البعد عن ميدان السياسة ليرتزق من كتابة مقالات سياسية ابان عصر النهضة الذى عاصرته ألمانيا فى لفترة ما بين ١٩٢٥ وعام ١٩٢٩ .

ولقد اتفق المعلقون على ان « كفاحى » الذى حرره هتلر أثناء سجنه قد مر بمراحل تطويرية وتهذيبية فى اللفظ والأسلوب حتى خرج بالشكل الذى أمكن معه طبعه وترجمته الى كل اللغات أثناء الحكم النازى وبالرغم من هذه التحسينات التى أدخلت عليه فلقد ظل «كفاحى» مفتقرا الى التنظيم وترتيب الأفكار واتسمت عباراته بالجمود وكلماته ومعانيه بالتكرار وسوء التصرف وكثرة المتناقضات [١] .

وينقسم كتاب « كفاحى » لادولف هتلر الى جزئين : فى الجزء

---

(١) انظر المقدمة التى أوردها Lodwig Lore للترجمة الانجليزية الكاملة لكفاحى Adolf Hitler, Mein Kampf, (the first complete and unexpurgated edition published in the English Language, stockpole sons publishers, New York City, 1939 P. 5.

الأول منه تحدث عن اثنى عشر موضوعا هى : فترة الطفولة وسنوات الحرمان فى فيينا ميونيخ ، والحرب العالمية الأولى ، والدعاية والثورة ، وبداية نشاطه السياسى ، ونشأة الحزب الألمانى للعمـال ، وأسـباب الاضمحلال السياسى لألمانيا ، والشعب والعنصر والتطـورات الأولى للحزب النازى .. ويعرض الجزء الثانى المكون من خمسة عشر موضوعا الى : النظرة الى العالم ، والحزب والدولة ، وعضـو الدولة ومواطنها وفكرة الدولة الشعبية ، النظرة الى العالم والتنظيم ، أهمية الخطابة ، النزاع مع الجبهة الحمراء ، الرجل القوى أقوى اذا كان وحيدا ، أفكار أساسية عن التنظيم وفكرة العاصفة ، الاتحاد ، الدعاية والتنظيم ، فكرة الاتحاد ، سياسة الأحلاف بعد الحرب ، والسياسة الشرقية وحق الدفاع عن النفس . وقارىء « كفاحى » باعتباره المرجع الأول عن النازية يلحظ عليه ما يلى : فيما يتعلق بأهم الموضوعات التى تعرض لها بصفة عامة :

(أ) الكتاب لا يعدو أن يكون محاولة لاخراج أفكاره التى دأب على التعبير عنها بالخطابة وسردها فى الصـورة التى رآها كفيلة باقناع القارىء بها وكأن هتلر الخطيب البارع قد أراد الوصـول بواسطة « كفاحى » الى مرتبة الكاتب القدير . وبالطريقة التى كان هتلر يستدرج بها سامعيه ويتدرج بهم بالكلمات الرنانة من موضـوع الى موضوع مستغلا العواطف تارة والوطنية تارة والأحاسيس الانسانية تارة ثالثة .. الى غير هـذه من العوامل التى أثرت فى خطاباته والتى سنعرض لها فيما يلى ، بنفس هذه الطريقة أراد هتلر خوض ميدان الكتابة وفى هذا تفسير مقنع لعدم التسلسل والترتيب فى كتابته وفيما حواه « كفاحى » من أسس تاريخية خاطئة استخدمها هتلر فى الجدل للوصول الى تبرير نظرياته فى العنصر وفى تاريخ الشعوب . ومثل هذه الأسس كانت تفوت

على المستمع وسط ضجيج الكلمات الرنانة ولكنها ما كانت لتفوت على القارىء الذى يستطيع بمنطق هادىء أن يميز بين الحقيقة والخيال .

(ب) « كفاحى » وهو المرجع الأساسى عن النازية لم يعرض لكل مبادئها التى وردت فى برنامج الحزب النازى وهى المبادىء التى اعترف هتلر وهو يقرؤها على الجمهور عام ١٩٢٠ بأنها تشكل العناصر الأساسية لدعوته فعلى حين تعرض هتلر فى كل مناسبة لمبادئه العنصرية والوطنية والسياسية فانه لم يتناول المبادىء الاشتراكية والدينية ولم يبحث فى تبريرها والقاء الضوء عليها مثلما فعل مع المبادىء العنصرية وهى التى غلبت على كفاحى روحا وأسلوبا وعبارة ، وقد يرجع السبب فى ذلك الى قصور معلومات هتلر فى هذه النواحى من ناحية ولعـدم اهتمامه بالاقتصاد ولا بالدين الا فى مجالات نقدلها لأعدائه وخصوم دعوته من ناحية أخرى .

(جـ) خرج « كفاحى » بدستور الايديولوجية النازية الذى اختصره هتلر فى تعبيره النظرة الى العالم أو "Weltanschaung" ولكن الباحث لعناصر هذه النظرة ومدلولها لابد له من تجميع ما كتبه هتلر عنها لا فى المكان الذى خصصه لها وهو البند الأول من الجزء الثانى ولكن فى البند الحادى عشر من الجزء الأول وفى البنود : الرابع والسادس والثامن من الجزء الثانى .. وحتى بتجميع كل ما كتبه هتلر عنها فان النظرة النازية الى العـالم « لم تجمع من البراهين والحقائق ما يوصلها الى مرتبـة الايديولوجية السليمة (١) .

(د) تعرض لمشـكلات ألمانيا المعاصرة وحاول أن يجد لها حلولا فعن مشـكلة تزايد السكان وضـع أربعة حلول اما تحـديد النسـل

(١) يرجع الى مقدمة الجزء الأول .

أو الاستعمار الداخلى أو الاستعمار الخارجى أو مضاعفة الصادرات .. أما الحل الأول فلقد استبعده لأنه فى رأيه « يؤدى الى ضعف النسل والعنصر الضعيف يسهل ابادته » والحل الثانى وهو زيادة انتاجية الأرض فلن يؤدى فى نظره الا الى الحل الوقتى للأزمة .. كذلك فان مضاعفة الصادرات ستؤدى الى نزاع مع انجلترا بشأن الأسواق . أما الاستعمار الخارجى فكان فى رأى هتلر هو الحل الأمثل لمشكلة تزايد السكان فى ألمانيا [١] وبهذه النتيجة سار هتلر فى ركب دعاة الاستعمار واتفق معهم فى الأسلوب والمنطق .

(هـ) رسم للسياسة الخارجية الألمانيـة خطأ مؤداه تقوية ألمانيـا واستعادتها القدرة على الانفراد بالعمل الخارجى ثم تصفية الحساب مع فرنسا التى وصفها بقوله :

« مادام الفرنسـيون يشـيدون بأفكارهم المؤيدة لتلوين العنصر ويتمسكون بها فانهم يشكلون تهديدا للعنصر الأبيض فى أوروبا » [١] .

أما عن الأصدقاء فلقد كان هتلر يعتقد بأن فى وسع ألمانيا الاعتماد على صداقة انجلترا التى لا يهمها التمسك بقوة فرنسا فى أوروبا ، ثم على « موسولينى » رجل الألب الكبير الذى طهر بلاده من الشيوعية . ونبذ هتلر سياسة الاستعمار فى أفريقيا وآسيا ورأى أن تتجه ألمانيا الى التوسع على حساب الأراضى الروسـية فى الشرق ومخلفـات الامبراطورية النمساوية المجرية فى الجنوب والشرق .

(و) ناقش المشكلات الاجتماعية لألمانيا واقترح لها سياسة طويلة الأجل منها منع الدعارة ومكافحة الأمراض السرية واصلاح نظام الدراسة

(١) نفس المرجع صفحة ٥٤٩ Mein Kappf,

(٢) مرجع سابق صفحة ٢١٦ Mein Kaupf,

وفتح الجامعات لأفراد الشعب والتمسك بأهداب الدين والزواج المبكر .

وبالاضافة الى هذه الآراء عرض هتلر لنظرية اللايهودية وفى رفعة العنصر الألمانى والايمان برسالة — الدم — كما سبق الاشارة فى الجزء الأول من هذه الرسالة بل ان منطق هتلر فى مناقشة مختلف موضوعاته فى « كفاحى » لم يخل من الاشارة الى أهمية العنصر أو التحذير من اليهودية واعتبارها أساس كل ما منيت به ألمانيا من بلاء ..

وعلى العموم فلقد احتـل « كفاحى » مكانة مرموقة بين الكتب السياسية التى ظهرت فى القرن العشرين .. ويرجع ذلك — فى رأينا — الى الاعتبارات التالية :

أولا — ان مؤلفه وهو ادولف هتلر قد تمكن من فرض نفسه على ميدان السياسة العالمية خلال سنوات الحرب العالمية الثانية ولما عنى المؤرخون بسرد هذه الفترة من التاريخ العالمى لم يسعهم الا الاشارة الى كفاحى ليحاولوا من خلال صفحاته البحث فى شخصية مؤلفه وليقارنوا بين آرائه وأقواله وأفعاله .

ثانيا — ان آراء هتلر التى عرض لها فى « كفاحى » وعلى الأخص ما كان منها متعلقا بالعنصر وبالسياسة الخارجية قد وصلت الى حيز التنفيذ أثناء حكمه لألمانيا فلقد عنيت الدولة النـازية بتنفيذ نظريات العنصر ووصلت سياستها اللايهودية الى حد التخلص من اليهـود فى معسكرات الاعتقال أما السياسة الخارجية للحكومة النازية فلقد سبق لهتلر ان أبرز أهم معالمها فى « كفاحى » حتى انه قيل ان قادة الدول الغربية لو كانوا قد قرأوا هذا الكتاب لأمكنهم أن يتفادوا ما ألحقه هتلر بهم من مفاجآت [1] .

(١) مرجع سابق صفحة ٤١٩ Shirrer, The Rise an:1 Fsl' ‹f

ثالثا — يعتبر « كفاحى » مثلا للعصامية السياسية الأمر الذى حفز الكثيرين من ساسة الدول الى العناية بتصفحه والوقوف أمام عباراته . بل ان أقوال بعض السياسيين والحكام أمثال « بايرون » الأرجنتينى و « فرانكو » الأسبانى وأفكارهم كثيرا ما فسرها المعلقون السياسيون على انها مستقاة من كتاب هتلر « كفاحى » وسائرة على نهجه .

رابعا — كان « كفاحى » أقوى ما ظهر من الكتب التى هاجمت اليهود وفضحت مخططاتهم ونادت بطردهم من المجتمعات الأوروبية . لذلك فقد حرص المعادين لليهودية والمقدرين لخطورتها على قراءة هذا الكتاب ولم تنجح الدعاية الصهيونية بكل ما ملكت من امكانيات فى ازالة الأثر القوى الذى تركه هذا الكتاب على أذهان الأجيال الحاضرة .

أى ان هتلر وان لم تكن الكتابة السياسية أبرز صفاته فان كتاب « كفاحى » — بالرغم مما أبديناه عنه من ملاحظات — قد كفل لمؤلفه هتلر الوصول الى مصاف الدعاة السياسيين .

٣ ــ هتلر الخطيب :

كانت الخطابة أبرز صفات الشخصية الهتلرية فبواسطتها برز فى مجال السياسة وأوجد المستمعين للنداءات النازية . ولقد اكتشف هتلر فى نفسه الموهبة على الكلام والاقناع وكان متحمسا لآرائه الوطنية الى حد التعبير عنها بصوت جهورى فياض بالقوة والايمان . ولكن الخروج بالمبادىء واحسان التعبير عنها لم يكن فى حد ذاته كافيا لنشأة هتلر الخطيب الذى تمكن مع مر الأيام من صقل قدرته الخطابية ليصل بها الى حد الاستحواذ الكامل على عقول سامعيه واللعب بعواطفهم واحساساتهم . أى ان هتلر لم يقتصر على الاعتماد على موهبته الفطرية

فى الخطابة والاقناع وانما قام بتنميتها حتى تمكن فى « كفاحى » من عرض الصفات الواجب توافرها فى الخطيب الناجح كأستاذ لا ينقصه العلم أو الخبرة والمران قال هتلر :

« من المهم فى كل خطاب أن يتعرف قائله مقدما على الاعتراضات الممكن اثارتها فى المناقشة واذا صعب تفنيدها فيمكن اظهار الصعوبات والمشكلات التى قد تثيرها تلك الاعتراضات » (١) ثم بين هتلر مزايا الخطابة عن الكتابة من حيث تأثيرها على الجماهير فقال :

« السواد الأعظم من الشعب كسول بطبعه ولا يميل الى قراءة الا ما يتفق واتجاهاته الفكرية أو السياسية .. كذلك فالكتابة لا تستطيع تحديد قارئها والكتاب الموجه الى طبقة المثقفين لا يلقى رواجا من عامة الشعب والعكس ونادرا ما يستحوذ كتاب ما على اعجاب الجميع .. أما الخطيب فيمكنه فرض آرائه المختلفة على سامعيه الذين يتكونون فى الغالب من جمهور مختلف النزعات والأهواء وذلك بواسطة جذب انتباههم وحسن الربط بين الموضوعات والقدرة على الخروج بنتائج يقبلها منطق السامع وتقارب ادراكه . ومن وجوه سامعيه يستطيع الخطيب أن يتفهم قدرتهم على تتبعه فيعيد تلخيص أفكاره ويتلوها ببطء بما يمكن أغبى الحاضرين وأبطئهم على الفهم من تتبعه (٢) .

وعن وسيلة الوصول الى تأييد المستمعين لكلمات الخطيب وانفعالهم معها قال هتلر :

« الشعب ميال بطبعه الى الكره والحقد ولا يهتم بما يقال عن المحبة والاخاء ولن يخرج رجل من بيته فى المساء ليحضر قداسا دينيا بقدر

---

(١) المرجع السابق صفحة ٤٥٢ — Hitler, Mein Kampf,

(٢) نفس المرجع صفحة ٤٥٦ — Hitler, Mein Kampf,

ما يجذبه سماع ما يثيره ويمس أوتار استعداده الطبيعي للحقد والكره .. وبواسطة توجيه السامعين الى هدف لحقدهم يستطيع الخطيب أن يمسك بزمامهم ويوجههم الوجهة التى تتفق والأغراض التى توخاها من الخطابة » (١) .

ومن كلمات هتلر السابقة يتضح لنا ادراكه للصفات الواجب توافرها فى الخطيب الناجح على قدر التجارب التى مر بها فى هذا الميدان . ولقد كانت قدرة هتلر على الخطابة مثارا لتعليقات مختلفة أهمها ما يلى :

١ — قال زميله فى الحزب النازى Otto Strasser عن قدرته الخطابية (٢) :

« كانت خطابة هتلر بمثابة الراديو أو مكبر الصوت الذى يعيد تكرار نفس الاسطوانة ليثير نفوس مستمعيه . والسر فى موهبته كخطيب كامن فى قدرته على تشخيص آلام مستمعيه وسرعة ايجاد الحلول الثورية لها . فلقد كان يدخل الحجرة ويشتم فى لحظة جوها ثم تندفع الكلمات من فمه قوية عالية كسهام موجهة الى أهدافها لتلمس كل جرح وتحرر ضمائر الحاضرين وتعبر عن رغباتهم المكبوتة » (٣) .

٢ — عن أسلوب الخطابة الهتلرية قال Allan Bulloc « كانت لهتلر أخطاء واضحة كخطيب فقد كان صوته مزعجا وكلماته الخطابية طويلة وطالما كرر اللفظ والمعنى ولكن هذا كله لم يؤثر فى خطابته أمام القوة

---

(١) نفس المرجع صفحة ٥١١ Hitler, Mein Kampf,

(٢) أوتوا شتراسر هو احد اخوان شتراسو الذين ناوءوا هتلرفىزعامة الحزبوتمكن هتلر من التخلصمنأحدهما أثناء حركةالقضاء علىالمعارضة فى ٣٠ يونيو ١٩٣٤ وآثر الآخر الهرب للعيش فى هولنـدا ثم فى الولايات المتحدة الامريكية .

(٣) مرجع سابق صفحة ١٦٢ Bulloc, Hitler, a study in Tyranny.

التى كان هتلر يخرج بها كلماته ولا فى موهبته فى استغلال الأهـواء وبث الحقد والغضب والتهديد .. وكل هذا امتزج بصوته الجهورى المؤثر وأدى الى انفعال الجماهير بخطابته بصرف النظـر عن الكلمات نفسها » (١) .

٣ ــ وعلى نفس المنـوال سـار Ray Swing الذى قدم لخطب هتلر المجمعة فى كتاب My New Order فقال : ان هتلر كان خطيبا من نوع خاص فقد تخصص فى الجماهير وكانت خطاباته حاوية لكل ما يدور فى خلدها لدرجة انه يشك أن هتلر كان يفكر أيضا بطريقة خطابية (٢) .

٤ ــ قال Raoul de Sales الذى يرجـع اليـه الفضـل فى تجميع أهم خطب هتـلر وترجمتها الى اللغة الانجليزية : لقد اتسمت خطابات هتلر بالطول وتكرار الكلمات وكانت مليئة بالأخطاء النحوية .. واذا كان تسجيل هذه الخطب بالكتابة لا يصور قوة تأثير الخطيب نفسه فلقد جاءت الترجمة الانجليزية لها خالية من الأخطاء التى اتسم بها الأصل الألمانى (٣) .

ومن الواضح ان آراء المعقبين على قدرة هتلر الخطابية لم تتمكن من الانتقاص من موهبته الفريدة على الكلام واتفقت كلها على انه كان خطيب الجماهير وان خطاباته كانت ذات اليد الطولى على نمو الحركة النازية وشق طريقها بين الجماهير .

٤ ــ هتلر الزعيم السياسى :

بالاضافة الى تأثير نشأة هتلر وقدرته على الكتابة والخطابة فلقـد

(١) نفس المرجع صفحة ١٦٣ Bulloc, Hitler, a study in Tyranny,
(٢) مرجع سابق صفحة ٥ Sales, R,R, Hitler: My New Order,
(٣) نفس المرجع صفحة ٤٨

برزت الشخصية الهتلرية فى مجالات السياسة والحرب . ولقد سبق أن عرضنا لطريقة تنفيذ هتلر لمخططاته فى السياسة الخارجية وبينا أثر قدرته على اقتناص الفرص واستغلال الظـروف فى الوصول الى ما حققته الدبلوماسية الألمانية من نجاح خلال الفترة ما بين ١٩٣٧ ونشوب الحرب عام ١٩٣٩ فلقد اتسمت شخصية هتلر الدبلوماسية بالاعتماد على التهديد واستخدام القوة والضغط للوصول الى أهدافها ، استخدم هتلر هذه الوسائل مع النمسا وتشيكوسلوفاكيا كما سبق أن أوضحنا حينما عمد الى تنفيذ أهداف سياسته الخارجية . كذلك فلقـد كانت المغامرة من مظاهر الدبلوماسية الهتلرية وقصة قيامه باحتلال منطقة الراين المنزوعة السلاح عام ١٩٣٦ لخير دليل على ذلك وأخيرا فقد كانت الحرب التى خاضتها ألمانيا ضد معظم دول العالم بمثابة آخر ما احتوته جعبة هتلر الدبلوماسية من وسائل تحقيق أهدافه التوسعية . وفى السياسة الداخلية نجحت الشخصية الهتلرية فى استغلال استهانة خصومها بها للايقاع بهم ومفاجأتهم بما لم يكن فى حسبانهم . وبمقتضى هذه الخاصة الفريدة تمكن هتلر — بعد توليه الحـكم — من الانفراد بميدان السياسة الداخلية .

٥ ـ هتلر القائد العسكرى :

أما هتلر فى ميدان الحرب فلقد تعرض لانتقادات مختلف المعلقين فالثابت من تاريخ الحرب العالمية الثانية انه قد تولى عام ١٩٤١ قيادة قواته ووضع الخطط للاستراتيجية الحربية بمعاونة كبار قواده ولقد كانت للسياسة الحربية الألمانية بقيادة هتلر مواقع فريدة وكان لها نفس الوقت هفوات ساهمت فى انهاء الحرب العالمية الثانية وعلى العموم فانه لم يثبت

للشخصية الهتلرية فى ميدان الحرب ما أظهرته فى الميادين الأخرى من مميزات فريدة ملفتة (١) .

هذه هى الشخصية الهتلرية التى لعبت دورا رئيسيا فى تقدم الدعوة النازية ونموها الى حد وصولها الى الحكم عام ١٩٣٣ ومهما كتب عن شخصية هتلر من آراء تبين مواطن قوتها أو ضعفها فان الحقيقة التى سجلها التاريخ عنها أن صاحبها قد تمكن من فرض نفسه على مقدرات العالم وسياسته خـلال سنوات الحـرب العالمية الثانية ، وبالرغم من الانتقادات والتهم التى وجهها مؤرخوا ما بعد الحرب الى شخصية هتلر وتصرفاته فان ألمانيا لابد وأن تذكر له انه قادها وهى دولة مغلوبة منهكة القوى وأمكنه أن يجعلها فى فترة وجيزة قوة سياسية وحربية استلزم الوقوف أمامها تحالف معظم دول العالم .

وبعد فلقد كان تاريخ ألمانيا الزاخر بأمجاد الحكم المطلق ومعاهدة فرساى وما خلقته من آثار وشخصية هتلر القادرة القائدة كانت هـذه العوامل الثلاث الى جانب ما احتوته الدعوة النازية من مبادىء براقة لما دفع بهذه الدعوة الى ميدان التقدم والانتشار وهيأ لحزبها القاعدة الشعبية التى مكنته من ارتياد حلبة التنافس الحزبى من أجل السلطة . ثم تدخلت عوامل أخرى لتدفع بالحزب النازى طفرة واحدة الى الأمام نحو غاية من الكفاح كما سيتضح لنا فى الفصل القادم .

---

(١) من المواقع الفريدة التى سجلتها الجيوش الألمانية معارك الصحراء التى قادها روميل عام ١٩٤٢ وغزو جـزيرة رودس الذى تم عام ١٩٤١ وقصة اختطاف موسولينى عام ١٩٤٢ اما أهم ماسجلته الاستراتيجيـة العسكرية الألمانية من أخطاء فكان قرار فتح الجبهة الثانية ومحاولة غزو الأراضى الروسية الذى اتخذه هتلر فى نهاية عام ١٩٤١ . اقرأ تفاصيل هذه الحوادث فى :

Fuller, J.F. Major Ganeral The Second World War, ists edition, 2nd Volame U.S. Government Printing House Washingtonn D.C. 1949 P. 317-485.

الفصل الثانى

العوامل المباشرة لوصول الحزب النازى إلى الحكم

كان الحزب النازى حتى عام ١٩٢٩ لا يزيد عن مرتبة الأحـزاب الثانوية ولا يشكل خطرا على الأحزاب الكبيرة فى معركة التنافس على الحكم والاحصائية التالية توضح النتائج التى حصل عليها الحـزب النازى فى الانتخابات التى خاضها فيما بين ١٩٢٤ — ١٩٣٢ [1] :

تاريخ الانتخاب	عدد الناخبين	عدد مقاعد البرلمان	أصوات الحزب النـــازى	مقاعده
٤ مايو ١٩٢٤	٢٩ر٣٨٨ر٥٧٧	٤٧٢	١ر٩٢٤ر٠١٨	٣٢
٧ ديسمبر ١٩٢٤	٢٦ر٦٥ر٩٩٤	٤٩٣	٩٠٨ر٠٨٧	١٤
٢٠ مايو ١٩٢٨	٢٨ر٦٣٣ر٠٠٩	٤٧٥	٨٠٩ر٥٤١	١٢
١٤ سبتمبر ١٩٣٠	٣٤ر٥٢٢ر٣٠٢	٥٧٧	٦ر٤٠١ر٢١٠	١٠٧
٢١ يوليو ١٩٣٢	٣٦ر٣١٩ر٩٩٨	٦٠٣	١٣ر٧٣٢ر٧٧٩	٢٣٠
٦ نوفمبر ١٩٣٢	٣٤ر٦٨٩ر١٣٣	٥٧٥	١١ر٧٠٥ر٢٥٦	١٩٦

ويتضح من هـذه الاحصائية أن الحزب النازى لم يدخل معركة الانتخابات الا فى مايو ١٩٢٤ حيث حصل على ١ : ٣٠ من مجمـوع الأصوات واحتل من المقاعد البرلمانية نسبة وصلت الى حوالى ٧ فى المائة منها . ولقد انهارت هذه النسب لتصل الى ١ : ٦٠ من مجموع الأصوات

(١) Unesco., The Third Reich, Weidenfeld & Nicolson, London, 1955, P. 502.

وحوالى ٣ فى المائة من مجموع المقاعد فى انتخابات ديسمبر من نفس العام واستمرت فى الانخفاض فى انتخابات ٢٠ مايو ١٩٢٨ ثم ارتفعت بشكل فجائى فى انتخابات سبتمبر ١٩٣٠ لتصل الى حوالى سدس مجموع الأصوات وحوالى ٢٠ فى المائة من عدد المقاعد والتفسير الوحيد لهذه النتائج هو ان الحزب النازى لم يتمكن من الصمود فى الميدان السياسى خلال فترة الرواج التى عاشتها ألمانيا فيما بين ١٩٢٤ وعام ١٩٣٠ ثم عادت أسهمه الى الارتفاع فجأة أثر نشوء الأزمة الاقتصادية العالمية عام ١٩٣٠ ولقد تفاعل هذا العامل مع حالة الاضطراب وعدم الاستقرار السياسى التى عاشتها حكومات الأزمة الاقتصادية العالمية ليتمكن الحزب النازى فى انتخابات عام ١٩٣٢ من الوصول الى أكثر من ثلث مقاعد البرلمان وباستمرار هذه الظروف مجتمعة بالاضافة الى حرص القوى السياسية الأجنبية على عدم التدخل فى الشئون الداخلية لألمانيا وصل هتلر الى رئاسة وزارته الائتلافية فى يناير عام ١٩٣٣ ، وبذلك فان العوامل المباشرة التى ساعدت هتلر فى الوصول الى الحكم هى فى رأينا بترتيب أهميتها : الأزمة الاقتصادية العالمية وعدم قدرة الساسة الذين توالوا على الحكم فى ظل جمهورية فيمار على قمع الحركات السياسية المناوئة والتنافس بين قادة الأحزاب اليمينية وأخيرا عدم تدخل القوى الخارجية الموالية للنظام الجمهورى فى ألمانيا .

أولا — الأزمة الاقتصادية العالمية :

لعل أية دولة فى أوروبا لم تشهد من الأزمات الاقتصادية المتلاحقة ما شهدته ألمانيا خلال فترة ما بين الحربين : ففى خلال عشرين عاما عاصرت ألمانيا ثلاث أزمات اقتصادية حادة ما كانت لتمر باحداها حتى تواجهها

الأخرى الى أن قامت الحكومة النازية لتنهى هـــذه الأزمات وتوجه اقتصاديات البـــلاد بما اتفق ومقاصـــدها الداخلية والخارجية . وفى خلال هذه الأزمات الاقتصادية تمكن الحزب النازى من الظهور والتقدم الى ان أوصلته آخرها وهى الأزمة الاقتصادية العالمية الى كراسى الحكم فى يناير ١٩٣٣ . وكانت هـــذه الأزمات الثلاث هى : أزمة ما بعد الحرب العالمية الأولى وأزمة التضخم الكبير والأزمة الاقتصادية العالمية .

١ ـ أزمة مابعد الحرب العالمية الأولى :

أثناء الحـــرب العالمية الأولى مر الاقتصاد الألمانى بأولى تجاوب الاستكفاء الذاتى وما أن انتهت الحرب حتى ظهر الاعياء فى مواردها الاقتصادية حيث أصبحت آلات المصانع فى حاجة الى التغيير أو الاستبدال ونقصت مساحة الأراضى المنزرعة وقل انتاجها لنقص الأيدى العاملة وندرة المخصبات .

ثم كان صلح فرساى ومعاهدتها التى حرمت ألمانيا من أهم أراضيها الغنية بالمواد الأولية مثل الالزاس واللورين والسار وبوزان وبروسيا الغربية والجزء الشرقى من سيلبزيا العليا وميناء دانزج ومستعمراتها فى آسيا وافريقيا ولقد شغلت هذه الأراضى المستقطعة من ألمانيا حوالى ١ر١٣ فى المائة من مجموع أراضيها و ٦ر١٤ فى المائة من مساحة أراضيها القابلة للزراعة و ٧٥ فى المائة من احتياطيها من الحديد و ٦٨ فى المائة من احتياطى الزنك و ٢٦ فى المائة من مجموع انتاج الفحم [١] .

أما التعويضات التى فرضتها فرساى فلقد دفعت ألمانيا منها حتى

---

(١) Lutge Friedrich, Deutschland Vorder Macht, Deutsche National verlag Munchen, 1952, P. 117.

عام ١٩٢٤ مبلغ ٧ر٥١ بليون مارك ذهبى ولقد علق بروفسور لوتجه على ذلك بقوله :

« يمكننا أن نلقى ضوءا على ضخامة هذه التعويضات اذا ما ذكرنا أن ألمانيا لم تفرض على فرنسا أثر انتصارها عليها عام ١٨٧١ أكثر من ٤ بليون مارك ان هذه التعويضات التى فرضتها فرساى كانت جائرة قصد منها الى جانب مساعدة الدول المنتصرة فى تقدم اقتصادياتها القضاء على مستقبل الاقتصاد الألمانى برمته » (١) .

والى جانب كل هذه العوامل التى تجمعت لمحاربة الاقتصاد الألمانى بعد الحرب العالمية الأولى أقدمت فرنسا عام ١٩٢٣ على احتلال الراين فحرمت البلاد من حوالى ١٢٧٠ مليون مارك سنويا مما ساهم مع هذه الوقائع الأخرى فى انهيار الاقتصاد الألمانى (٢) .

هذه هى الحالة التى وصلت اليها ألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى .. موارد هائلة فى حاجة الى الاصلاح والتغيير .. تعويضات مرهقة حرمت البلاد من ثمرة كفاح أبنائها .. استقطاع أغنى أراضيها ثم احتلال فرنسا للراين .. وكانت هذه الحوادث مجتمعة كفيلة بكسر شوكة الاقتصاد الألمانى وايصاله الى أقصى مراحل التضخم النقدى .

٢ – أزمة التضخم الكبير :

سايرت ألمانيا معظم الدول فى الخروج عن قاعدة الذهب فور انتهاء الحرب العالمية الأولى ولولا هذا الاجراء لهرع الناس الى البنوك ليستنفذوا ما احتوته من عملات ذهبية خصوصا لما توفرت أسباب عدم الثقة بالنقد لتدهور الأحوال الاقتصادية . ولم يكن خروج ألمانيا

(١) نفس المرجع صفحة ١٣١

(٢) مرجع سابق صفحة ٤٢٣ Unesco., The Third Reich,

عن قاعدة الذهب — فى حد ذاته — سببا للتضخم كذلك لم تؤثر كثرة كمية النقود الورقية المتداولة بعد الحرب فى نشأة هذا التضخم ، اذ ان الدول المحاربة قد دأبت على استخدام السندات فى تمويل اقتصاديات الحرب مما ينتج عنه فتح اعتمادات مصرفية لا يقابلها رصيد ذهبى وتفضل هذه الدول تمويل مصروفاتها الحربية عن طريق اذونات على الخزانة بدلا من فرض ضرائب جديدة اذ أن هذه الضرائب كفيلة باحداث نقص فى المدخرات وتقلص فى حجم الاستثمارات وانكماش فى أسواق العمالة مما يزيد من أعباء الدولة فى ميدان التمويل الداخلى بنسب قد تفوق كل ما حصلته من الضرائب الجديدة (١) .

وتستخدم الحكومات المحاربة طريقة الاذونات على أمل ألا يطول أمد الحرب والقتال فتعود وتعمل على امتصاص فائض العملات الورقية الجديدة بأى شكل من الأشكال حتى يصبح المعروض منها متناسبا مع سير عجلة الانتاج فتتجنب التضخم ، ولكن الحرب العالمية الأولى استمرت أكثر مما ظن الاقتصاديون مما اضطر الحكومة الألمانية الى فرض ضرائب لتمويل الحرب Kriegsgewinnsteur وضرائب على الانتاج Umsatzstiur وضريبة على انتاج الفحم Kohlensteur وعلى وسائل المواصلات Beforderungssteur ودرت هذه الضرائب لخزانة الحكومة دخلا حوالى ١٠٠ مليون مارك سنويا ولكنها لم تتمكن من تغطية أكثر من ٦٠ فى المائة من مصروفات الحرب (٢) .

ولقد نتج عن أذونات الخزانة زيادة المعروض من الأوراق النقدية ومن ضرائب الحرب ارتفاع فى الأسعار .. هذا بينما بقى مستوى انتاج

(١) المرجع السابق صفحة ١٢١ ,F. Lutge

(٢) المرجع السابق صفحة ٤٢٢ ,.Unesco

السلع الاستهلاكية على حاله .: ومن هنا ظهر شبح التضخم النقدى الذى انعكس على اقتصاديات ألمانيا فى صورة رهيبة .

فلقد زادت سرعة تداول النقود بحوالى ستة أضعاف معدلاتها الطبيعية وارتفعت الأرصدة النقدية فى البنوك بحوالى خمسة أضعافها فى الوقت الذى لم يتقدم فيه الانتاج السلعى مما نتج عنه انخفاض الأسعار العالمية للمارك الألمانى بالنسبة للدولار كما يتضح من الجدول الآتى (١) : —

فى ربيع ١٩٢٢ بلغ سعر الدولار الأمريكى فى برلين ٢٩٠ مارك ألمانى .

فى ٨ سبتمبر ١٩٢٣ بلغ سعر الدولار الأمريكى فى برلين ٩١٥ مارك .

فى ١٢ أكتوبر ١٩٢٣ بلغ سعر الدولار الأمريكى فى برلين ٢ر١ مليون مارك بعد احتلال فرنسا للراين .

فى ١ نوفمبر ١٩٢٣ بلغ سعر الدولار الأمريكى فى برلين ١٢ مليون مارك ألمانى .

فى ٢٠ نوفمبر ١٩٢٣ بلغ سعر الدولار الأمريكى فى برلين ٣٢٠ مليون مارك ألمانى (٢) .

ولعل التاريخ لم يشهد مثل هذا التضخم للنقد الألمانى الذى كان سعره الرسمى معادلا لخمس سعر الدولار الأمريكى ، ولقد أدى هذا التضخم الى الاطاحة بأرصدة الطبقات ذات الدخول المحدودة والتى

---

(١) كان السعر الرسمى للمارك الالمانى عام ١٩١٨ معادلا $\frac{١}{٥,٠٨}$ دولار امريكى $\frac{١}{١٢,٠٨}$ جنيه استرلينى

المرجع السابق صفحة ١٤٦ Lutge Deutechland Vor

(٢) مرجع سابق صفحة ٤٢٣ U. N. E. S. C. O.

تكونت من ادخاراتها ورهوناتها وضماناتها وبأرصدة الطبقات الغنية التى استغلتها فى سندات الحرب ولم تتمكن الدولة من دفع ريعها ومنعت تداولها فى السوق ، والى شيوع البطالة نتيجة افلاس البيوت التجارية والمصانع ، والى ارتفاع أسعار الحاجيات المعيشية واختفائها من الأسواق الى حد أن أصبحت السوق السوداء هى المصدر الرئيسى فى حصول الشعب الألمانى على ما يحتاجه منها .

ومن كل ذلك يتضح لنا منشأ التضخم الكبير الذى بدأ من مخلفات الحرب العالمية الأولى وزادت من حدته التعويضات التى فرضتها فرساى وافتقار ألمانيا للموارد الانتاجية والسلعية وكانت الدعوة النازية هى المستفيدة الوحيدة من هذه الأزمة التى أعطتها جمهورا ساخطا مثقلا بالمشكلات والأزمات أمكنها أن تجتذبه بمبادئها الوطنية والعنصرية واستطاعت بواسطته أن تنفذ الى الصفوف السياسية القيادية .

٣ ـ أزمة الاقتصاد العالمى ١٩٣٠/١٩٣٢ :

أظهر عام ١٩٢٤ ما أسماه المعلقون « بالمعجزة الاقتصادية الألمانية » فلقد بدأت المصانع الألمانية فى تغيير آلاتها ومجاراة تطورات الصناعة الحديثة وبرزت فى الكهرباء والكيمياء والعدسات والمنسوجات وبناء الآلات وبدأ سيل هذه السلع فى اتخاذ طريقه الى الأسواق الافريقية والآسيوية وتمكنت ألمانيا من بناء أسطول تجارى حديث وصلت حمولته عام ١٩٣٠ الى مثل حمولته عام ١٩١٤ تقريبا وحققت تجارتها الخارجية توازنا فى ميزان المدفوعات ثم فائضا أمكن استغلاله فى التجارة والاستثمارات .

وبالصناعة والتجارة والاستثمارات عادت الثقة وبدأ عهد الرواج

الاقتصادى فى ألمانيا . والواقع أن هذا التطور لم يكن وليد الحظ أو المفاجأة وانما كانت له مبررات قوية أهمها : —

١ — القروض الأمريكية .. قدمت الولايات المتحدة الأمريكية الى ألمانيا فيما بين عام ١٩٢٤ و ١٩٣٠ قروضا قدرت بحوالى ٢٠ مليون مارك بالاضافة الى الاستمارات الأمريكية فى الصناعات الألمانية التى بلغت حوالى ٥٠ مليون مارك (١) .

٢ — قدرة رئيس وزراء ألمانيا فى ذلك الوقت Stressman على تهيئة الأحوال السياسية الملائمة للنهضة وحل أهم مشكلات ألمانيا الخارجية وأهمها مشكلة احتلال فرنسا للراين . ويعزو الكثيرون أسباب النهضة الاقتصادية الألمانية اليه والى كياسته التى مكنته من اكتساب وتقدير اعجاب ساسة الغرب واعادة ثقتهم بالحكم الديمقراطى الألمانى الحديث (٢) .

٣ — يقظة الشعب الألمانى وقدرته على العمل المرهق والبناء السريع مما جبل عليه هذا الشعب وأصبح من خصائصه المميزة .

ولقد كانت هذه النهضة التى صاحبت عصر الانتعاش الاقتصادى بمثابة النكسة للنازية ودعوتها . ولقد أجمع المعلقون — بحق — انه لو استمرت هذه النهضة لما تمكن هتلر من الوصول الى الحكم ولاستمرت الديمقراطية البرلمانية قائمة فى ألمانيا حتى اليوم (٣) .

ولكن الأزمة الاقتصادية العالمية التى ظهرت بوادرها فى الولايات

---

(١) Herman Max, Les Paradoxes Economiques de l'Allemagne Moderne, 1918-1931 (Colin Paris 1931) P. 206.

(٢) مرجع سابق صفحة ٣١٨.
Shirrer, The Rise and Fall of The Third Reich,

(٣) نفس المرجع صفحة ٣٢١.

المتحدة عـام ١٩٢٩. قلبت هذا الموقف رأسا على عقب ثم كان موت « شتريسمان » رسول الرخاء وضعف خلفائه وعوامل أخرى حولت الموقف بصفة فجائية الى يد ادولف هتلر .

ففى النصف الثانى من عام ١٩٢٩ حدث انهيار فى سوق الأوراق المالية فى نيويورك ونتج عن ذلك أزمة ثقة فى الأوراق المالية أدت الى زيادة عرضها واحجام البنوك عن تداولها . وفى أواخر عام ١٩٢٩ عجزت أكثر البنوك الأمريكية عن منح القروض وبدأت فى سحب استثماراتها فى الخارج .. وكانت ألمانيا فى ذلك الوقت معتمدة على الودائع الأمريكية التى شكلت نسبة تراوحت بين ٤٠ و ٥٠ فى المائة من مجموع أرصدتها المصرفية .. لذلك فلقد تأثر الاقتصاد الألمانى — أكثر من غيره — بالأزمة الأمريكية ونتائجها . فلقد قامت البنوك الأمريكية بسحب استثماراتها وودائعها الموجودة فى ألمانيا وتلتها الحكومة الأمريكية التى طالبت بفوائد قروضها ثم البنك الدولى للمدفوعات International Payments Bank (الذى كانت أمريكا وفرنسا وبريطانيا تشترك فى امتلاك معظم أسهمه) — الذى طالب فى شكل انذار — بسرعة سداد الحكومة الألمانية مبلغ ٤٢٠ مليون مارك وذلك ليتمكن من سد الثغرة التى أحدثتها الأزمة فى احتياطياته . وانهارت البنوك الألمانية أثر هذه المطالبات والاجراءات وعجزت عن الوفاء بالتزاماتها بل وأعلن بعضها مثل « البنك النمساوى للاقراض « والبنك القـومى لدارمشتات » الافلاس التام فى يوليـو عام ١٩٣١ (١) .

وتدخلت الحكومة الألمانية للمساهمة فى ايقاف تيار النكسة وأعطت البنوك عطلة أجبارية وأصدرت فى مارس سنة ١٩٣١ قانونا بمنع تصدير

(١) المرجع السـابق صفحة ٢٦٣ Hermant, Les Paradoxes ....

الذهب ومراقبة النقد . ولم يسفر تدخل الحكومة الألمانية عن أكثر من تحول الأزمة المصرفية الى أزمة اقتصادية عامة فلقد أغلقت معظم المصانع أبوابها نتيجة عجز أصحابها عن سداد قروضها وتعثر سوق الصادرات ومن ثم فلقد تفشت البطالة الكاملة وانخفضت الأجور ونتج عن ذلك نقص القوة الشرائية وقلة الطلب على المنتجات الاستهلاكية هذا بالنسبة للسوق الداخلى أما التجارة الخارجية الألمانية فلقد أدى تزاحم أمريكا وبريطانيا وفرنسا على التصـــدير الى طرد البضائع الألمانية من معظم أسواقها مما أدى الى نقص صادراتها من ١٣ر٥ مليون مارك عام ١٩٢٣ الى ٤ر٨ مليون مارك عام ١٩٣١ .

واذا كانت الأزمات الاقتصادية التى مرت بها ألمانيا بعد الحرب وفى التضخم الكبير قد ساهمت فى تقوية دعائم النازية فلقد تمكن الحزب النازى فى انتخابات عام ١٩٣٠ التى قامت فى ظل الأزمة الاقتصادية العالمية من الحصول على حوالى خمس مقاعد البرلمان ثم الى ثلثها فى الانتخابات التالية عام ١٩٣٢ الأمر الذى يوضح الأثر المباشر الذى أحدثته هذه الأزمة فى دفع الحزب النازى الى مكان الصـــدارة بين الأحزاب الألمانية .

ثانيا ــ ضعف الحكومات المتعاقبة فى ظل جمهورية فيمار :

باستثناء الفترة التى حكم فيها « شتريسمان » والتى عاصرت ألمانيا خلالها فترة رواجهـــا الاقتصادى ونعم فيها شـــعبها بالعيش فى ظل الديمقراطية واجهت الحكومة المركزية منذ قيام جمهورية فيمار عام ١٩١٩ حتى تولى هتلر الحكم عام ١٩٣٣ الأزمات المتلاحقة فى الداخل والخارج . فقد كانت الأحزاب السياسية المعارضة دائبة فى توجيه النقد والهجمات الى الحكم المركزى الى حد قيام بعضها بتدبير الثورات المحلية الأمر

الذى اضطر الحكومة الى الاستعانة بفرق الجنود المرتزقة لفض هذه الثورات من آن لآخر . ومنذ نشأة الحركة النازية وحتى محاولة هتلر القيام بانقلابه الفاشل عام ١٩٢٣ لم تظهر الحكومة المركزية لها أى وزن أو اعتبار . ولما خرج هتلر من السجن بدأ القادة اليمينيون من أنصار الحكومة الاتصال به بقصد الحصول على تأييده والاستعانة به للوقوف أمام تيار الشيوعية المتزايد فى البلاد .. وفى سبيل ذلك ألغيت القيود المفروضة على حريته فى الخطابة وعقد الاجتماعات وعادت له عام ١٩٢٥ حقوقه السياسية الكاملة التى لم تظهر آثارها حتى بداية الأزمة الاقتصادية العالمية وهنا اضطر اليمينيون الى مد يدهم الى هتلر الذى تردد فى قبولها ثم وافق على تأليف الوزارة الجديدة على النحو سالف الذكر .

ومن كل ذلك يتبين لنا ان جمهورية فيمار وحكوماتها قد شاركت فى مساعدة الحزب النازى للوصول الى الحكم وذلك لضعفها أمام الحركات السياسية الناشئة وعدم قدرتها على الوقوف بصرامة حيالها ولأنها شجعت الحزب النازى فى موقفه من الشيوعية وأخيرا لعجز حكومات الأزمة الاقتصادية العالمية عن الاستمرار فى الحكم دون مساندة من الحزب النازى . واستغل هتلر هذه الظروف كلها ليقفز الى الحكم وليستغل دستور فيمار فى القضاء على جمهوريته الديمقراطية وليحول نظام الحكم الوجهة التى حققت له الانفراد به بعد القضاء على معارضيه .

ثالثا ـ موقف الأحزاب الأخرى :

كان الحزب الاشتراكى الديمقرطى هو حزب الأغلبية البرلمانية فى ألمانيا وظل يحكمها اما منفردا أو فى ائتلاف مع أحزاب الكنيسة الكاثوليكية والحزب الديمقراطى الحر والجيش طوال الفترة ما بين

١٩١٩ — ١٩٢٣ ولقد عمل هذا الحزب لتحقيق مصالح البورجوازية الألمانية واكتسب تأييد نقابات العمال لمبادئه الاشتراكية (١) . ولقد كانت الأزمات التى مرت بها ألمانيا تحت حكم هذا الحزب وابتداء من معاهدة فرساى وحتى الأزمة الاقتصادية العالمية من العوامل التى أدت الى ضعفه واتجاه كثير من أنصاره الى الالتحاق بالأحزاب اليسارية واليمينية المتطرفة .

أما الحزب الشيوعى الألمانى فلقد كان أقوى الأحزاب اليسارية فى ألمانيا وأقوى الأحزاب الشيوعية فى أوروبا (٢) . واستطاع هذا الحزب أن ينافس الحزب الاشتراكى فى السيطرة على العمال . وكانت سياسة الحزب الشيوعى تهدف الى الوصول الى السلطة بأى ثمن ففى بعض الأحيان كان يلجأ الى التفاهم مع الحزب الاشتراكى الديمقراطى لتأليف جبهة ضد النازية تمكنه من السيطرة على الحكم ، بل وقام الحـزب الشيوعى بثلاث محاولات لقلب نظام الحكم فى البلاد عام ١٩٢٣ و ١٩٢٧ و ١٩٢٩ باءت كلها بالفشل . ولما كان الحزب النازى معتمدا على انتزاع الأنصار من الحزب الشيوعى ومناهضته فلقد كان العداء دائما بين الحزبين خصوصا من جانب هتلر الذى وضع من القضاء على الشيوعية وأنصارها أحد مبادئه الأساسية .

---

(١) اشتراكية هذا الحزب لم تزد على الدعوة لتنظيم العـلاقة بين العامل وصاحب العمل وقيام الدولة برعاية المنشئات الصناعية الكبيرة ومساعدة الصادرات الألمانية والدعوة لتثبيت الأسعار .

Meissner, Hans Naissance D'une Dictature. Traduit par R. Jouan Edition France Empire, Parise, 1959. P. 282.

(٢) Fisher Ruth Stalin and German Communism. Harvard University, Press 1948, P. 33.

وكان حزب الوسط الكاثوليكي الذى رأسه Von Papen أقوى الأحزاب الكاثوليكية ولكن قدرة هذا الحزب كانت مرهونة بـ « الحنكة السياسية » التى اشتهر بها رئيسه الذى أمكنه أن يكتسب ثقة رئيس الجمهورية « هندنبرج » وأن يجعل نفسه قطبا من أقطاب اليمين .

والى جانب هذه الأحزاب الرئيسية الثلاثة كان الجيش الألمانى بقيادة Sclesscher, مكونا قوة سياسية كبيرة فلقد تمتع هذا القائد هو الآخر الآخر بثقة رئيس الجمهورية وصداقته وكان الهدف الرئيسى للجيش هو الوصل الى تحقيق الاستقرار فى الحكم .

ولقد اشتركت كل هذه القوى السياسية فى الشعور بالاستهانة بهتلر وحزبه النازى وثبت أن قادة الحزب الشيوعى لم يجزعهم وصول هتلر الى الحكم وذلك لاعتقادهم بأنه سيقيم الدولة الديكتاتورية التى يستطيعون بضربة واحدة القضاء عليها وعلى دستور فيمار وعلى النازية . ومن ثم فقد اعتبر هذا الحزب ان هتلر كفيل بالتمهيد لمقدم الحكم السوفييتى الألمانى الأول (١) . أما الحزب الاشتراكى الديمقراطى فلقد آثر الانتظار بعيدا عن مجال السياسة بعد أن تربع على الحكم طوال اثنى عشر عاما واجه خلالها النقد والأزمات والمسئولية بمفرده وكان قادته مؤمنين بعودة الحكم اليهم حينما تعجز الحكومات المتعاقبة عن ادارة البلاد (٢) . أما « بابن » و « شليشر » فلقد رأوا فى هتلر المطية التى يستطيعون بواسطتها الحصول على أغلبية برلمانية مع الامساك بزمام الحكم وما أن وصل هتلر الى الحكم فاجأ هؤلاء الذين مهدوا له الطريق وارتفع على أكتافهم ليقضى عليهم وعلى آمالهم .

(١) مرجع سابق صفحة ٢٠٦ Fisher Stalin and German Communism.

(٢) مرجع سابق صفحة ٣٨٨ Jarmann, The Rise and Fall of Nazi Germany,

أى ان هذه القوى السياسية الوطنية بفضل صراعها مع بعضها ومن فرط استهانتها بهتلر وحزبه تتحمل المسئولية كاملة فى نشأة الحكومة الائتلافية الهتلرية فى يناير عام ١٩٣٣ .

رابعا ــ موقف القوى الخارجية :

أنحى كل من كتب عن النازية من مؤرخى الغرب باللائمة على انجلترا وفرنسا وأمريكا لأنها وقفت من الحركة النازية وتطورها حتى وصول هتلر الى الحكم موقف المتفرج ولم تبد أى مظهر من مظاهر الاهتمام بالأحوال الداخلية فى ألمانيا بل ولم تمد يد المساعدة للحكومة الديمقراطية المركزية لتمكنها من مواجهة ضغط المذاهب السياسية اليسارية والمتطرفة (١) . ولقد أدى ذلك الى ترك الحكومة المركزية بفمردها لتواجه الأزمات السياسية والاقتصادية مما فرض على قادتها اليمينيين البحث عن ضمان للأغلبية البرلمانية .. وكان عليهم أن يختاروا .. اما الحزب الشيوعى وتمكين اليسارية من الحكم .. أو هتلر ووطنيته المتطرفة .. ولم يكن الاختيار صعبا خصوصا وان بعض هؤلاء القادة قد أحسنوا الظن بهتلر فاختاروا طريقه .. واذا ما كانت الدول الغربية قد ساعدت الحكومة المركزية لتخطى أزماتها لما اضطرت الى سلوك هذا السبيل وليبقى الحكم خالصا للأحزاب الديمقراطية اليمينية .

ولكننا اذا نظرنا الى الأحوال العالمية بعد الحرب العالمية الأولى لوجدنا أسبابا قد تكون من شأنها تفسير عدم تدخل القوى العربية فى الشئون الداخلية لألمانيا .. ومن هذه الأسباب :

١ — ان الدول الغربية كانت تنظر الى جمهورية فيمار كنموذج

---

(١) مرجع سابق صفحة ٣١٦ .

Shirrer, The Rise and Fall of The Third Reich.

لديمقراطية ألمانيا الحديثة .. وكانت فترة الرخاء التى عاشتها ألمانيا فى عهد « شتريسمان » مما جعل هذه الدول الغربية وبالأخص الولايات المتحدة الأمريكية موقنة باستيعاب الشعب الألمانى لمبادىء الحرية الديمقراطية وهو الأمر الذى دفع المسئولين فى واشنجتون الى الايمان بقدرة الشعب الألمانى على مقاومة الديكتاتورية وأحزابها بمفرده ودون تدخل خارجى [1] .

٢ — انشغال أكبر الدول الأوروبيـة فى ذلك الوقت وهى فرنسا وانجلترا باعادة تنظيم شئونها وترتيب علاقاتها مع مستعمراتها وبناء ما دمرته الحرب وهى أمور فاقت فى نظر قادة هذه الدول تتبع شئون ألمانيا الداخلية .

٣ — كانت فرنسا مرتاحة للأزمات الاقتصادية والسياسية التى عاصرتها ألمانيا كيلا تقوم بها حكومة مركزية قوية تهدد الأمن الفرنسى من جديد . وبواسطة احتلال الراين والضغط المتوالى للحصول على التعويضات ساهمت فرنسا فى وضع العقبات أمام الحكومة الألمانية المركزية .

٤ — كان الاعتقاد السائد هو أن هتلر قادر على القضاء على الشيوعية فى ألمانيا وانه سيتمكن من تحطيم أول نموذج منظم للشيوعية الأوروبية لذلك فلم تبتئس الدوائر السياسية الغربية لتقوية نفوذه على أمل ألا تترك له الفرصة لتحقيق المبادىء المتطرفة لدعوته .

وبالاضافة الى هذه الأسباب فان دول الغرب لم تكن لتعرف نواياهتلر مقدما وما كانت لتعتبر شعاراته العنصرية والامبريالية أكثر من أعلام رفعها للاستهلاك المحلى ولكى يرتفع بها الى مستوى الحكم .. وبهذا

---

(١) مرجع سابق صفحة ٥ Murphy, National Socialism,

الاعتقاد دخل ساسة الدول الغربية ضمن المجموعة التى استهانت بهتلر وقدرته . واستغل هتلر هــذا الشعور ليرتفع على أكتاف الجميع ثم ليضربهم من حيث لا يتوقعون .

وأهم النتائج التى نستطيع أن نخلص اليها من عرضنا لنشأة الحزب النازى وكفاحه والعوامل التى ساعدته للوصول الى الحكم ان هــذا الحزب قد شب فى ظل التركة المثقلة التى أورثتها معاهدة فرساى للحكم الجمهورى الألمانى الأول . وهذا دليل على ان المعاهدات الدولية التى تفرض على الشعوب تهيىء الفرصة للمغامرين السياسيين الذين يسهل عليهم استغلال شعور الحقد والاستياء الناجمين عنها لتحقيق مطامعهم فى البروز والقيادة والتحكم .. كذلك تبين لنا ان الحزب النازى كان حزب الأزمات فلقد نشأ فى كنفها وفى ظلها عاش أمجد أيامه بينما كان الاستقرار والرواج يدفعان به الى التخلف والنسيان . وتؤيد هــذه الحقيقة ما سبق أن أوضحناه فى ختام الجزء الأول عن ضعف الكيان الايديولوجى للدعوة النازية فلو كان الحزب النازى مرتكنا على مبادىء قوية ثابتة لاستطاع أن يثبت أقدامه فى مختلف الظروف والأجواء .. واتضح لنا كذلك ان هتلر قد وصل الى الحكم عام ١٩٣٢ كرئيس لوزارة ائتلافية لم يشترك فيها الحزب النازى الا بأقل المناصب الوزارية وسرعان ماحقق هتلر لنفسه الانفراد بالسلطة ولحزبه احتكار الميدان السياسى ومن ثم اتضحت آخر مظاهر تطور الحزب النازى فى وحدته مع الدولة تحت الزعامة الهتلرية المطلقة .

الباب الثانى

تنظيمات الحزب النازى

من العسير تتبع نشأة الأجهزة التنظيمية للحزب النازى وتاريخ قيام كل منها الا أن الدلائل تشير الى أن الحزب وقد بدأ يمارس نشاطه على مستوى الأحزاب الأخرى بعد ظهور مبادئ دعوته عام ١٩٢٠ كان عليه أن يولى تنظيماته الداخلية والخارجية والعسكرية قدرها من العنـاية والتنظيم ولقد اتخذت تنظيمات الحزب النازى الأشكال الثلاثة الآتية :

الأول — التنظيم الداخلى ويشمل عضوية الحزب وشروط الانضمام اليه كما يشمل فروع النشـاط التى رأى الحزب العناية بها وتسلسل قياداته تحقيقا لمبدأ هرمية الزعامة .

الثانى — التنظيم الخارجى وكانت تقوم عليه منظمة الحزب لشئون الخارجية التى استهدفت تعريف المغتربين الألمان بالحزب وحركته وهى التى لعبت دورا هاما فى السياسة الخارجية للحكومة النازية فيما بعد .

الثالث — التنظيم العسكرى الذى احتل أبرز أوجه نشاط الحزب النازى واتخذ مظهرين : أولهما فرقة الصاعقة Sturmabteilung وفرقة الحرس الخاص Shutzstaffel وعلى قدر ما ساهمت به المنظمة الأولى فى تدعيم كيان الحزب أثناء كفاحه فقد لعبت الثانية دورا أساسيا فى القضاء على المعارضة للحكومة النازية سواء فى داخل ألمانيا أم فى البلاد المحتـلة .

وفى الفصول الثلاثة الآتية نعرض لكل من هذه التنظيمات بالتفصيل .

الفصل الأول

التنظيمات الداخلية

تكلم هتلر عن ضرورة التنظيم الداخلى للحزب فى كتابه « كفاحى » فقال : قد تندمج بعض الأفكار فى رأى رجل يشعر بمسئوليته تجاه الانسانية فيقوم بالتعبير عنها أمام الناس ويجد من يستمع اليه ويعتنق رأيه .. واذا ما تزايد هؤلاء الأتباع وجب اقامة تنظيم يجمعهم وذلك لأن زيادتهم تجعل من المستحيل التعامل معهم كلهم شخصيا [1] . وقبل البحث فى مثل هذا التنظيم بين هتلر ضرورة تأكيد الاعتراف بزعامة الحركة والتأكد من قوتها فى مكان نشأتها وذلك قبل البحث فى التقسيمات الفرعية للحزب [2] .

والمعنى الظاهر من هذا ان هتلر لم يعترف بأية تنظيمات داخلية للحزب قبل تمكنه من تولى زعامته وانه رأى تركيز الجهود فى وضع الأسس الكفيلة بتوطيد مركز الحزب بين الأحزاب الأخرى قبل التفكير فى اجراء التنظيمات الداخلية فيه .

هذا من ناحية كيان الحزب من الداخل أما من حيث علاقته بالجمهور فلقد قام الحزب النازى عام ١٩٤٠ باصدار لائحة العضوية فى الحزب بشكل يكفل ضمان توفر شروط معينة فى المرشح للعضوية من جانب واحكام الرقابة على أعضاء الحزب ومن فيه من جانب آخر .

---

(١) المرجع السابق صفحة ٣٣٥ Hitler, Mein Kampf,

(٢) نفس المرجع صفحة ٢٤١

اولا ــ التنظيم الداخلى للحزب النازى :

يتضح مما كتبه هتلر فى « كفاحى » ان الحزب النازى لم يحظ بأى تنظيم داخلى خلال السنوات الأولى للكفاح . والواقع ان فترة الكفاح الأولى التى بدأت عام ١٩٢٠ وانتهت بدخول هتلر السجن عام ١٩٢٣ كانت تفتقر — كما تشير الدلائل — الى التنظيم ولا تتسم الا بالارتجال الشخصى . ولم يبدأ التنظيم الحقيقى للحزب الا فى نهاية عام ١٩٢٥ حينما خرج هتلر من السجن بعقلية جديدة وبعد أن أيقن ان السبيل الوحيد للوصول الى الحكم يرتكن على تقوية الحزب النازى والنزول به فى معترك التنافس الحزبى فى ظل الأوضاع الدستورية للبلاد والشاهد على ذلك قول هتلر نفسه لأحد أتباعه فى ٢٣ سبتمبر عام ١٩٢٥ :

« لما خرجت من « لاندسبرج » — وهو اسم المقاطعة التى اعتقل فى سجنها — كان الحزب مقسما هزيلا وكان لابد لى من جمع كل أجنحته وأعضائه فى تنظيم جديد يعيد للحزب قوته وفاعليته ويؤهله للمعارك الحزبية المقبلة » (١) .

وكانت المشكلة الأولى فى هذا التنظيم هى اخراج صف ثان من القادة القادرين على تحمل مسئوليات الحزب والتفانى فى تحقيق رسالته .. وعلى قدر شخصياتهم وتفكيرهم وايمانهم بمبادىء الحركة يتوقف أى تنظيم داخلى للحزب (٢) وكان هناك طريقان — فى رأى هتلر — لتخريج القادة : الأول بتنمية خبرة رجال الحركة على القيادة علميا وعمليا على أساس تفرغهم لهذا العمل بعد ذلك وكانت هــذه

---

(١) Roper Trevor, Hitler's Table Talk 1941-1944 Weidenfeld & Nieolson London 1953 P. 182.

(٢) Goebles, Joseph, Diaries, edited by Louis P. Lochner New York 1948 P. 29.

الطريقة باهظة التكاليف لأنها تضطر الحزب الى دفع مرتباتهم فى الوقت الذى عجزت فيه ميزانيته عن ذلك ويقول هتلر : لا يمكن للقائد أن يخلص فى عمله الا اذا تفرغ له واذا ما تفرغ فواجب الحركة أن تعطيه مرتبا يعينه على الكسب وهو أمر لا تستطيع أية حركة ناشئة أن تتحمله مع انه أسرع وأسهل الطرق للتوصل الى خلق جيل سليم من القادة (١) .

والطريقة الثانية فى تخريج القادة هى ما وصفها هتلر بالطريقة الصحية البطيئة وتقوم على الاعتماد المباشر على أعضاء الحزب ذوى الصفحة المشرفة كقادة مؤقتين وذلك حتى ينضج جيل جديد من القادة المتشبعين بالحركة .. وهذه الطريقة رأى هتلر اتباعها للضرورة (٢) .

ولقد أورد الكتيب الذى أصدره الحزب النازى عام ١٩٤٠ رسما بيانيا عن الهيكل الهرمى لتدرج الرئاسة فى الحزب النازى (٣) . والنظرة الأولية لهذا الرسم تبين أنه جاء تطبيقا لما أورده هتلر فى « كفاحى » من ضرورة احتواء التنظيم الداخلى على تنظيمات عالية وتنظيمات رئيسية وتنظيمات محلية .

أما التنظيمات العالية فتنحصر فى الفوهرر ونائبه لشئون الحزب « رودلف هيس » وسلطات الفوهرر على الحزب ووظائفه وتنظيماته غير محدودة بل ان أعلى مراحل كفاءة أعضاء الحزب وقواده لا تقاس

---

(١) Hitler Mein Kampf, P. 339.

(٢) لم يقصد هتلر من تعبيره اخراج القادة ، أكثر من ضرورة تدريب رجال لتولى مهام الصف الثانى للحـــركة وتقلد المناصب الرئيسية فى الحزب أما رجال الصف الأول وعلى رأسهم الزعيم فلم يكونوا موضع نقاش .

(٣) Organizations buch Der Nsdap, Zentral verlagder Nsdap Munchen 1940, P. 145.

الا بالولاء الأعمى للفوهرر واعتباره دائما على حق وعدم السماح بمناقشة تصرفاته (١) . ولما كان الفوهرر — بعد عام ١٩٣٣ — مثقلا بأعباء الحكومة ومستشارية الرايخ وهى مهام لابد وأن تشغله من متابعة أجهزة الحزب فلقد كان من الضرورى اختيار نائب له يتولى باسمه ادارة الحزب بكافة منظماته ولقد أسند هذا المنصب الى « رودلف هيس » ثم تولاه عام ١٩٤١ « مارتن بورمان » (٢) .

ولقد قسمت أوجه نشاط الحزب الى أقسام يشرف على كل منها قائد بلقب قائد على مستوى الدولة أو Reichs Leiter هى :

١ — الادارة السياسية المركزية وتشرف على أعمال لجان مراقبة النشاط البرلمانى للحزب فى المقاطعات ولمراقبة توجيه الصحافة النازية والشئون الاقتصادية والمالية .

٢ — المنظمة السياسية وكانت على هيئة Politburo المعروفة فى الأحزاب الشيوعية وأهم وظائفها الاشراف على الخلايا النازية وجميع الاتحادات التى أقامها الحزب مثل الاتحاد النسائى النازى والاتحاد

---

(١) مرجع سابق صفحة ٢١٩ Murphy, National Socialism,

(٢) رودلف هيس انضم الى الحزب النازى عام ١٩٢٠ وهو مصرى بالمولد ولد فى الاسكندرية حيث كان والده تاجرا بها وأمضى بها حوالى ١٤ سنة . ولقد ظل يتقلد مناصب الحزب حتى اصطفاه هتلر ساعدا أيمن لشئون الحزب عام ١٩٣٦ وظل صفى هتلر المختار حتى فاجأه وفاجأ العالم بحادثة سفره المفاجىء فى طائرة خاصة الى اسكتلندا وذلك فى ٢٠ مايو سنة ١٩٤١ ، وحل محله مارتن بورمان الذى تدرج من منصب السكرتير الخصوصى لهتلر وقائد سيارته عام ١٩٢٤ حتى أصبح أحد اللامعين فى خلافة الرايخ بعد أن قرر هتلر الانتحار فى ٣٠ ابريل ١٩٤٥ انظر :

Shirrer The Rise and Fall of The Third Reich.

مرجع سابق صفحة ٢٨٩

النازى للتجـارة والصناعة ومنظمة الرخـاء الشعبى ومنظمة الموظفين الحكوميين والمنظمات العمالية .

٣ — المنظمات العسكرية الـ .S.A والـ .S. S وهى التى سنعرض لها بالتفصيل فى الفصل الثالث من هذا الباب .

٤ — منظمة الشـئون الخارجية وتخضع لرئاسة نائب الفوهرر شخصيا وتقوم على رعاية مصالح الألمان فى الخارج وهى موضع بحثنا فى الفصل القادم .

٥ — منظمات أخرى للاشراف على جميع فروع نشاط الحزب فى مجالاته المختلفة وهى ادارة الشـئون الاقتصـادية وادارة المخابرات والاستعلامات والادارة الصحفية وادارة الدعاية وادارة الشباب النازى وادارة منظمات العمال والادارة القضائية وادارة الشـئون الخارجية وادارة شئون الدفاع .

أما التنظيمات المحلية فلقد اتخذت شكلا هرميا قمته المفتش المحلى يليه قائد المدينة ثم قائد المقاطعة ثم قائد الخلية ثم قائد المجمع وفيما يلى اختصاصاتهم :

١ — المفتشون المحليون ويعينون من قبل الفوهرر نفسه وكان عددهم عام ١٩٤٠ تسعة باعتبار عضو لكل عشرة مدن ويعقدون اجتماعا أسبوعيا لرفع تقرير الى نائب الفوهرر عن نشاط الحزب فى الأقاليم (١) .

٢ — قواد المدن باعتبار قائد لكل مدينة يتولى فيها تمثيل الشخصية الحزبية للفوهرر وتخضع له التنظيمات الحزبية داخل نطاق اختصاصه ويصدر بتعيينه قرار من الفوهرر .

---

(١) المرجع السابق صفحة ٤٩٣ Murphy, National Socialism,

٣ — قواد الأحياء ويساعدون قواد المدن فى تنفيذ رسالتهم وذلك بعد تقسيم المدينة الى أحياء على رأس كل منها قائد .

٤ — قواد الخلايا باعتبار الخلية أصغر الوحدات الحزبية حيث تتكون من عدد محدود من الأشخاص تحت قيادة أحدهم يتولى احكام الصلة بينهم وبين قائد الحى .

٥ — قواد المجمعات .. والمجمع هو مجموعة سكنية قد تكون منزلا واحدا أو عدة منازل ملتصقة .

والمعتقد ان العمل الرئيسى الذى كان يضطلع به قواد الخلايا والمجمعات بعد تولى الحزب السلطة كان منحصرا فى احكام الرقابة على أفراد الشعب الألمانى من غير النازيين وتقديم التقارير عن نشاطهم .

ومما تقدم يتضح لنا ان التنظيم الداخلى للحزب النازى قد جاء محققا لمبدأ الزعيم ، فزعيم الحزب هو الشخص الوحيد فى التنظيم الذى لم تحدد سلطاته كذلك فلقد كان التنظيم محققا لأعلى درجات المركزية حيث كانت مناصب القواد واختصاصاتهم على مختلف مستوياتهم لا يحددها الا قرار الزعيم شخصيا . ويوضح التنظيم أيضا هرمية الزعامة بحيث أمكن تجزئة الحزب الى وحدات صغيرة فأصغر كل منها يصب فى الأعلى منها حتى يصل التدرج الى الزعيم .

وفضلا عن مزايا هذا التقسيم فى تحقيق فعالية رقابة كل حلقة من حلقاته على الأخرى فلقد ساعدت هذه الوحدات الحزبية البوليس السياسى والمخابرات أثناء الحكم النازى فى احكام الرقابة على المواطنين كذلك فلقد أوضح هذا التنظيم مظهرا حديدا جديرا بالاعتبار وهو عدم الاعتماد على الانتخابات فى شغل مناصب القادة . فبصرف النظر عن قيادة الحزب وهى السلطة العليا فيه فان قياداته الأخرى على مستوياتها

المختلفة كانت خاضعة لاختيار الزعيم وفى هذا السبيل اختلف تنظيم الحزب النازى فى ألمانيا عن الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى ولقد أورد البروفسور J.A. Corry أستاذ العلوم السياسية بجامعة Queen's University رسما يوضح تكوين الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى يظهر منه بالمقارنة مع تنظيم الحزب النازى الفروق التالية (١) :

١ — فى الوقت الذى اعتمد التنظيم النازى على الرئاسات فى تنظيماته مثل الزعيم والقائد على مستوى الدولة ثم قائد الاقليم فالمدينة فالضاحية فالمجمع فاننا نجد ان التنظيم الشيوعى السوفييتى قد اعتمد على الهيئات واللجان التى تبدأ برئاسة اللجنة المركزية للحزب ثم مؤتمر الحزب العام ثم مؤتمرات الحزب فى الجمهوريات ثم منظمات كل اقليم ثم منظمة المدينة ثم منظمة الخلية . وفى كل من هذه المنظمات يعين القائد بانتخاب الأعضاء واعتماد الرئاسات العليا للتعيين . ومن هنا أوضح التنظيم الشيوعى اعتماده على مبدأ الجماعة الحاكمة فى الوقت الذى أنكره الحزب النازى واستبدله بمبدأ الفرد الحاكم .

٢ — لم يرد بالتنظيم السوفييتى أية تنظيمات تتعلق بالاشراف أو متابعة أعمال الحكومة أو وزاراتها المختلفة على حين أصر الحزب النازى على انشاء تنظيمات مشابهة فى اختصاصاتها لوزارات الدولة ومصالحها . مثل الادارة السياسية والشئون الخارجية والدعاية والشباب والعمال وخلافه . ولقد أدى ذلك فى عهد الحكومة النازية الى ازدواج

---

(١) مرجع سابق صفحة ٢١٩

Corry and Abraham, Elements of Democratic Gouvernament,

فى الاختصاصات أدى الى تفشى البيروقراطية بأسوأ مظاهرها كما يستدل من قول جوبلز فى مذكراته :

« كان لابد لنا من ابلاغ الزعيم بالنتائج التى أسفرت عن ازدواج الاختصاصات بين الوزارات وبعضها من ناحية وبين الحكومة ومنظمات الحزب من ناحية أخرى الأمر الذى أسفر عنه تعطيل الأجهزة الحكومية وتفشى البيروقراطية بين موظفيها » (١) .

ومع هذه الاختلافات فلقد ظهر تشابه بين التنظيمين فيما يتعلق بالتنظيمات الاقليمية التى تبدأ من مستوى الدولة الى مستوى الخلية أو المجمع ومن ذلك يتضح حرص كل من التنظيمين على اشراك الشعب بكافة مستوياته فى مسئولية الخضوع لسلطان الحزب وتنظيماته .

ثانيا ــ عضوية الحزب النازى :

أصدر الحزب الاشتراكى الوطنى الألمانى للعمال فى مارس ١٩٤٠ كتيبا يتضمن شروط العضوية فى الحزب النازى وواجبات أعضائه والتزاماتهم والصفات الواجب توافرها فيهم بوصفهم رسل العهد الجديد (٢) . وهنا يحق للباحث أن يتساءل عما اذا كانت شروط العضوية الواردة فى هذا الكتيب قد التزم بها الحزب منذ نشأته أم انها تنظيم جديد لم يعلن عنه قبل تاريخ نشره عام ١٩٤٠ .

الواقع ان الظروف التى مر بها الحزب النازى منذ نشأته حتى

---

(١) المرجع السابق صفحة ١٠٩ Goebles Joseph, Diaries,

(٢) يعتبر هذا الكتيب ــ وان كان قد صدر عقب ظهور الحزب النازى بحوالى عشرين عاما ــ مرجعنا الوحيد فى هذا الموضوع حيث ان كل من قرأنا لهم من المعلقين والمؤرخين لم يكلفوا أنفسهم عناء العرض لعضوية الحزب .

عام ١٩٣٣ حين تولى الحكم لا يمكن أن تشير الى أى اتجاه يكون الحزب قد عمد اليه لتقييد العضوية فيه والسبب فى ذلك واضح وهو حرص هذا الحزب على فتح بابه أمام الأنصار على مصراعيه ليزيد من عدد أعضائه فترتفع قدراته المالية والمعنوية ويتمكن من مسايرة ركب الأحزاب الكبرى ولا غرو فقدرة الأحزاب ومكانتها لا يقيسها عادة الا عدد أعضائها وأنصارها والمنتمين اليها .

أما بعد عام ١٩٣٣ فلقد عمد الحزب لأول مرة — على حد ادعاء بعض المعلقين — الى تقييد العضوية فيه لمنع الوقتيين (المنافقين) والانتهازيين من التسلل اليه (١) .

وقد يكون تنظيم العضوية الذى صدر عام ١٩٤٠ هو بعينه ما سبق العمل به منذ عام ١٩٣٣ أو انه قد بدأ فى عام ١٩٣٢ ببعض القيود وتطور الأمر ليصل فى عام ١٩٤٠ الى تنظيم كامل لشروط العضوية .

ويبدأ كتيب العضوية الذى أصدره الحزب النازى بمقدمة تشرح رسالة الحزب الشعبية ثم يتعرض للصفات الواجب توافرها فى أعضائه ثم عضوية الحزب وشروطها واجراءات قبول العضو الجديد وظروف رفض العضوية وفقدانها وشروط اعادتها وواجبات الأعضاء (٢) .

ا ـ صفات الاشتراكى الوطنى (النازى) :

يقول الكتيب ان الاشتراكى الوطنى يعد خادم الشعب وعليه تقع مسئولية تحقيق رسالة النازية العليا لذلك يجب أن تتوفر فيه الصفات التالية :

---

(١) Nazism and the Nazis مقال بقلم Walter Laqueur منشور بمجلة Encounter البريطانية عدد ابريل ١٩٦٤ صفحة ٣٩

(٢) Organisationsbuch der Nsdap, Zentralverlag der Nsdap, Munchen 1940, P. 3-9.

١ — لا يجب عليه أن يفصل شخصيته عن شخصية الحزب أو أعضائه أو مواطنيه الألمان أو أن يعتبر نفسه خيرا منهم أو أن يثير بتصرفاته الأحقاد .

٢ — التحلل من الأنانية والترفع والغموض أو « التغامض » لكى يستطيع اكتساب ثقة أتباعه وأقرانه .

٣ — فى عمله يجب أن يتصف بالكياسة القيادية وفى خارج العمل يجب أن يكون رقيقا طيبا .

٤ — كلما تناسقت أقوال النازى مع أفعاله كلما اشتدت الرغبة فى الالتفاف حوله والاقبال عليه .

٥ — يجب التمسك بالبساطة والتواضع التى كان يتحلى بها أيام الكفاح وأن يتحلل من البيزنطية .

٦ — لا يجب على القادة السياسيين للحركة أن يشتركوا فى دعوات العشاء العامة أو يظهروا امتنانهم لتقبل الهدايا أو أن يرتادوا الأماكن الغالية .

٧ — يجب الامتناع عن الاستغراق فى الكحول خصوصا فى وقت لا تجد فيه كثير من العائلات الألمانية ما يسد رمقها الأمر الذى يدفع الكثيرين الى فقدان الثقة بالحركة وزعمائها [1] .

---

(١) لعل هذا البند والبند ٦ الذى سبقه لبرهان واضح على ان شروط العضوية لم تصدر قبل تولى الحزب الحكم فما كان الحزب قبل ذلك ليهتم بتحذير أعضائه من الظهور أو تقبل الهدايا وهى أمور لم يتعرض لها أعضاء الحزب الا بعد عام ١٩٣٣ حيث كان أغلبهم وخصوصا أصحاب الأسماء البارزة بينهم محطا للمداهنة والتزلف من أصحاب المصالح والحاجيات .

المرجع السابق صفحة ٢٨٣ W. Shirrer, The Rise

٨ — النازى لا يفخر بعمله ولا يطلب الشكر عليه وأقصى ما تصبو اليه نفسه من تقدير هو شعوره بأنه قد أدى واجبه .

٩— على كل اشتراكى وطنى أن يسأل نفسه يوميا اذا ما كان عمله وسلوكه مبعث رضاء الفوهرر واطمئنانه .

وهذه الصفات التى تطلبها الحزب فى أعضائه لا تهدف الى المثالية بقدر ما ترمى الى لفت نظر هؤلاء الأعضاء الى ما يجب أن يمتنعوا عنه من التصرفات أو العادات التى قد تكون مثارا لانتقاد أعداء الحركة النازية وقد يكون الدافع لهذا التحذير ما بدا من مظاهر الترف والانغماس فى الملذات على كثيرين من أعضاء الحزب أثناء الحكم النازى (١) .

ب ـ طلب العضوية :

حدد الكتيب المذكور ثلاثة شروط فى طالب عضوية الحزب الاشتراكى الوطنى العمالى للألمان ، وهى أن يكون طالب العضوية (١) من دم نظيف و (٢) أن يكون نظيف الصفحة و (٣) أن يكون قد أكمل عامه الواحد والعشرين .

والشرط الأول الواجب توافره فى طالب العضوية هو شرط عنصرى

---

(١) يقال ان هيرمان جورنج نائب الفوهرر ووزير الدفاع ورئيس وزراء بروسيا فى العهد النازى كان يعيش ايام صاخبة فى قصره الذى كان يسكنه فى ضاحية بجوار برلين وكذلك بدت مظاهر سعة الحال على كبار رجال الحزب بعد عام ١٩٣٣ .

وقد كتب Ludwig Werner الصحفى الألمانى سلسلة مقالات بعنوان فضائح الحكم النازى فى جريدة Frankfurter Allgemein فى الأعداد التى اصدرتها بتواريخ ٢و٩و١٦ أكتوبر عام ١٩٥٩ شرح فيها باسهاب تصرفات اعضاء الحزب وتفشى المحسوبية والرشوة بينهم .

بحث الغرض منه تحقيق مبادىء الحزب العنصرية التى تهدف الى خلق جيل عنصرى ألمانى واستبعاد العناصر التى جدت على الشعب الألمانى واختلطت به مثل اليهود ، ولم يشر كتيب العضوية الى الطريقة التى تمكن الحزب من التأكد من نقاوة عنصر العضو الجديد وان كنا نعتقد بأن التحريات التى كان المفروض القيام بها عن طالب العضوية كان من أهمها التحرى عن تسلسل عنصره . وبالرغم من وجود هذا الشرط وبالرغم من هذه التحريات فقد تمكن كثيرون من ذوى الدم المختلط وعلى الأخص ذوى الأنساب اليهودية من دخول الحزب بل ووصلوا الى مراكز القيادة فيه (١) . وهذا يعنى الى جانب الدقة فى اختيار الأعضاء صعوبة الكشف عن الأصل المختلط من الأصل النقى خصوصا فى دولة تقع فى قلب أوروبا ومعرضة للهجرة اليها من كل جانب .

والشرط الثانى لقبول العضو الجديد أن يكون نظيف الصفحة . ونظافة صفحة المواطن تعنى عرفا ألا تكون قد صدرت ضـده أحكام قضائية وهذا الشرط طبيعى يتردد فى الشروط المعروفة لكل الأحزاب السياسية اذ يكسبها الاحترام ويجعلها مجتمعات سياسية نظيفة لا تأوى العابثين أو المخالفين للقانون . ولم تفسر عضوية الحزب النازى هـذه الفقرة ولم تفرق مثلا بين هؤلاء الذين صدرت ضدهم أحكام جنائية وأولئك الذين صدرت ضدهم أحكام فى القضايا السياسية والمعروف

---

(١) من شخصيات الحزب النازى اللامعة التىظهر أصلها اليهودى : رينهارد هيدريش الذى كان يشغل منصب النائب الأول لهتلر فى قيادة الحرس الخاص .S. S ويعتبر احد المسئولين عن تعذيب اليهود وان كان قد أقصى من منصبه بتدبير من هينريش هملر عام ١٩٤٠ .
Rechtlinger Gerhar: The S.S. Alibi of a Nation Raymond & Peterson London 1956 P. 33.

ان كثيرين من زعماء النازى وعلى رأسهم هتلر قضوا سنوات فى السجن بسبب قضايا سياسية .

والشرط الثالث أن يكون طالب العضوية رشيدا . ويهدف هـذا الشرط الى أن يكون أعضاء الحزب من ذوى الشخصية المكتملة ومواطنين ألمان بالغين لسن التعقل . ومع ذلك فقد قيل ان رئاسة الحزب لم تتمسك بهذا الشرط دائما حيث قبلت فى بعض الحالات عضوية أشخاص أقل من ١٨ عاما (١) .

وباكتمال الشروط الثلاثة السابقة فى طالب العضوية تبدأ مرحلة اجراءات العضوية وهى التحرى فى الرفض أو القبول ثم القسم ثم شروط فقدان العضوية واسترجاعها .

١ ـ التحرى :

يشتمل كتاب العضوية المذكور على توجيها للجهات الادارية فى الحزب تحثها على التبصر والتروى والتزام الحياد ازاء طالب العضوية وذلك على أساس ان اختيار العضو الجديد يعنى اضافة عنصر جديد يساهم فى البناء أو يعمل على هدم الحزب والحركة مما يؤثر عـلى « مصير الرايخ كله » (٢) .

وأوضح الكتيب أنه على سلطات الحزب أن تقوم بتحرياتها على أسس ثابتـة هدفها التأكد من أن يكون طالب العضـوية من خبرة الاشتراكيين الوطنيين التابعين للحركة وأن يكون مستعدا للعمل والقتال

---

(١) مرجع سابق صفحة ١٨٨ Murphy Ramond, National Socialism,

(٢) ان اضافة عنصر جديد الى مجتمعنا الاشتراكى الوطنى قد يؤدى الى تدعيم الحركة والحزب أو الى تخريبهما مما يؤثر على مصير الرايخ الألمانى كله .

من كتيب العضوية السابق الاشارة اليه صفحة (٧)

من أجل الفوهرر وحركته . كذلك كان على موظفى الحزب المنوط بهم اختيار العضو الجديد أن يضعوا نصب أعينهم أن يكون العضو قد قبل عن طواعيه واختيار ودون أى تهديد أو تأثير على ارادته فى عضوية الحزب النازى وألا يكون مركزه الاقتصادى أو الأدبى قد أثر عند النظر فى طلبه اذ أن العضوية حق لكل راغب فيها مستوف لشروطها (١) .

أما كون طالب العضوية اشتراكيا وطنيا مخلصا مستعدا للقتـال من أجل الفوهرر فهو شرط يفترض وجوده وتوافره فى كل متقـدم للعضوية ويسهل على الحزب التأكد من ذلك وأما مبدأ القبول الاختيارى للعضوية وعدم التأثر بحيثيات المتقدم لها ومركزه فهما مبدآن جديران بالاعتبار ويوضح أولهما التحذير من الضغط على الأفراد لحثهم على الاشتراك فى الحزب وهو أمر مستبعد حدوثه خصوصا بعد وصول الحزب للحكم حيث أصبح أعضاء الحزب من الأخيار المميزين وقد يكون الغرض من النص عليه فى تنظيم العضوية هو بث الطمأنينة فى نفوس أفراد الشعب الألمانى خصوصا من كان منهم شاغلا لوظيفة عامة وليس عضوا فى الحزب النازى بعد وصوله الى الحكم عام ١٩٣٣ . أما المبدأ الثانى فيظهر حرص قادة الحزب على استمرار تدفق أفراد الطبقة المتوسطة عليه للانخراط فى سلكه .

٢ ـ رفض العضوية :

يجب رفض العضوية فى الحالات الآتية :

١ — اذا كان زوج أو زوجة طالب العضوية ملوث بالدم اليهودى أو الملون .

٢ — اذا كانت هناك نتائج من مثل هذا الزواج .

(١) كتيب العضوية صفحة ٨

٣ — اذا كان طالب العضوية حكم عليه فى قضية مخلة بالشرف ولا يعتد بهذا الشرط اذا ما ظهرت حسنات واضحة أخرى لعدم طلب العضوية .

٤ — اذا كان المتقدم قد طرد من الجيش لأسباب تتعلق بالشرف .

٥ — اذا كان المقدم يعانى من مرض وبائى .

والحالات التى جاز فيها رفض العضوية لا تتسم بالدقة والتحديد خصوصا ما كان منها متعلقا بنقاء الدم أو نتائج الزواج المختلط وأغلب الظن أن هاتين الحالتين قد نص عليهما قصدا لحرمان غير المرغوب فيهم من دخول الحزب بهذه الحجة أو تلك خصوصا وانه يندر اكتمال الصفات العنصرية المطلوبة فى السواد الأعظم من الشعب الألمانى .

٣ ـ القسم :

وبعد التحرى واستيفاء المرشح للعضوية للشروط المفروضة يتم استدعاؤه ليؤدى القسم التالى : « اننى أقسم بالطاعة للفوهرر ادولف هتلر وأتعهد بأن أطيعه هو وكل من يعينهم فوقى من القواد فى كل وقت » .

ويؤدى هذا القسم فى اجتماع لهيئة الحزب المحلية على مستوى الحى الذى يعيش فيه المرشح وفى احتفال يبدؤه قائد الحزب لهذه الناحية Gauleiter بكلمة عن واجبات عضو الحزب وحقوقه والأركان الرئيسية لقسم الطاعة ثم يقوم بتلاوة القسم كلمة كلمة ومن خلفه يردده الأعضاء الجدد وأيديهم مرفوعة على شكل التحية الألمانية [١] .

---

(١) التحية النازية برفع اليد الى الامام بطريقة مستوية مأخوذة عن التحية العسكرية المقدونية والتى كان أفراد الجيش الافريقى يستقبلون بها الاسكندر الاكبر عقب انتصاراته .

Dalton Harold Vocabulary of Dictators, Person-Dublin, 1958, P. 119.

وبعد اجراء القسم يقوم قائد الناحية بتسليم الأعضاء الجدد بطاقات العضوية وكتاب شروطها الذى يحوى المبادىء والنقاط موضوع هذا البحث ويختم الاحتفال بقوله أرجو أن تكونوا دائما كما أنتم الآن مخلصين للحزب [1] .

ويلفت النظر فى قسم العضوية قصر يمين الطاعة والولاء على الزعيم دون الاشارة الى الاخلاص للوطن أو الدولة الأمر الذى يستدل منه على اعتبار الدولة والزعيم فى نظر النازى كيان واحد متصل الأجزاء والأهداف وذلك باعتبار الزعيم مشخصا لآمال الشعب من ناحية ولأهداف الدولة وغاياتها من ناحية أخرى .

جـ ـ فقدان العضوية :

يفقد العضو عضويته فى الحزب بالموت أو بالاستقالة أو بالطرد الفردى أو الجماعى .

وفقدان العضوية بالوفاة لا يترتب عليها أية التزامات على العضو أو ورثته من بعده تجاه الحزب .

أما الاستقالة فلقد أوضح كتيب العضوية أنه لا يسمح بالاستقالة من الحزب الا بموافقة زعيم الحى Gauleiter ولا يمكن لهؤلاء الذين استقالوا أن يعودوا الى الحزب مرة أخرى الا اذا كانت استقالتهم مبنية على أسباب مالية وأن يثبتوا أنهم ظلوا فترة خروجهم من الحزب مؤمنين بمبادئهم الاشتراكية الوطنية . وبمناسبة الاستقالة يبين كتيب العضوية ان التجارب قد أثبتت أن من يستقيل من الحزب فان الحزب يكسب بفقده أكثر مما يكسب من بقائه لأنه ضعيف الايمان بالمبادىء

(١) مرجع سابق صفحة ٦٣
Heiden Konrad, A History of National Socialism.

الاشتراكية الوطنية « فالمؤمن بها لا يمكن له أبدا أن يفكر فى الاستقالة لأن النازية فى نظره هى اقتناع ضميره الشخصى بغرضها السامى » (١) .

والطرد هو أقصى العقوبات التى يمكن للحزب فرضها على أعضائه وذلك لأن العضو المطرود سيفقد الى جانب العضوية أية مناصب قد يكون قد تبوأها فى منظمات الحزب المختلفة الى جانب المناصب الفخرية التى كان يتولاها فى بلده أو مقاطعته بتوجيه من الحزب (٢) . ويقصد بالطرد الفردى طرد أحد الأعضاء ممن يكون قد أخل بالتزاماته أما الطرد الجماعى فللفوهرر الحق فى طرد خلية أو مجموعة محلية بأكملها لمثل هذه الأسباب أو لغيرها حسب ما يتراءى له (٣) .

ولقد فرق قانون العضوية (حسب كتيب العضوية المذكور) بين حالات يجب فيها الطرد وحالات يجوز فيها الطرد .. والحالات التى يجب طرد العضو فيها قد نص عليها كتيب العضوية فيما يلى :

١ — كل من ارتكب عملا مخلا بغايات الحركة أو التزاماتها أو من اكتشف ارتكابهم لمثل ذلك فى الماضى .

٢ — كل من تتعارض أعماله مع أغراض الحزب .

٣ — كل من يظهر قلة الاهتمام برسالة الحزب ويكون بهذا معول هدم له .

---

(١) كتيب العضوية السابق الاشارة اليه صفحة ١٧

(٢) من الطبيعى أن يعتبر العضو المطرود مغضوبا عليه من رئاسة الحزب وعليه فلا يمكنه حتى أن يطمئن على مستقبله فى عمله سواء أكان حكوميا أم أهليا .

(٣) حدثت عملية طرد مجموعة محلية كاملة فى مدينة ليبزيج عام ١٩٤١ بحجة العطف على اليهود وبأمر من هتلر شخصيا .

Sturmer Randolf, Kampf um Nationalismus, Franz Eher Verlag Leipzig, 1935, P. 19.

والحالات التى يجوز طرد العضو فيها هى :

١ — الذين يعرف عنهم المشاغبة والبدء فى التحرش والنزاع داخل المنظمات أو الخلايا .

٢ — الذين لا يدفعون الاشتراكات لمدة ثلاثة أشهر بالرغم من انذارهم [١] .

كذلك بين قانون العضوية اجراءات طرد العضو على الوجه التالى :

يرفع أمر العضو الى محكمة الحزب أو فروعها فى الناحية أو المقاطعة [٢] فاذا أوصت المحكمة بالطرد فللعضو المطرود الحق فى التظلم فى مدة أقصاها ثمانية أيام والا فان قائد الناحية أو الحى أو الخلية يقوم باجراء الطرد [٣] .

وللمحكمة أن تقبل التظلم أو ترفضه وفى حالة قبوله فلها أن توصى

---

(١) أغفل كتيب العضوية المشار اليه العرض للاشتراكات الواجب دفعها لخزانة الحزب كذلك أغفلت المراجع الأساسية للنازية الاشارة اليها وبسؤال بعض الألمان الذين انتموا الى هذا الحزب تبين أن الاشتراكات لم تكن اجبارية على أعضاء الحزب قبل عام ١٩٣٣ حيث كانت خزانة الحزب معتمدة أساسا على الهبات والتبرعات التى كانت تنهال عليها من بعض الراسماليين أما بعد أن ولى هتلر الحكم فقد قرر الحزب فرض اشتراك اجبارى قدره عشرة ماركات سنويا لكل عضو من أعضائه وكان الهدف من ذلك اظهار فصل ميزانية الحزب عن ميزانية الدولة .

(٢) لم يورد كتيب العضوية شيئا عن اختصاصات محاكم الحزب ولكن الغالب أنها كانت تقوم لفض المنازعات بين اعضاء الحزب والنظر فى قضايا العضوية .

(٣) اجراءات الطرد هى تكليف موظف مختص فى الحزب باعلان العضو المفصول بنزع اختصاصاته واسترداد بطاقة عضويته واعلان تنحيته فى جريدة الحزب الرسمية .

المرجع السابق صفحة ٧٣ Heiden, A History of National Socialism,

باعادة التحرى عن العضو من جديد ومثل هذا القرار كفيل باعادة النظر فى فصله واعطائه فرصة أخرى .

هذا واعادة العضوية سواء المفقودة بواسطة الاستقالة أم الطرد مرجعها الأساسى الفوهرر نفسه ولا تصدر الا بقرار منه بناء على طلب عفو يقدم الى المحكمة العليا للحزب التى تحيله على المستشارية ليقدم الى الفوهرر وينتظر قراره .

ومما تقدم يتضح ان عضوية الحزب النازى لم تكن متسمة بصفة العموم بل فرضت عليها — بعد وصول الحزب الى الحكم فى اعتقادنا — قيود تحدد من قبول الأعضاء الجدد وتقيد من تصرفات الأعضاء وتسلط على المخالفين منهم عقوبة الفصل الفردى أو الجماعى حسب الأحوال . الا أن قيود العضوية أو عقوبات الفصل التى نص عليها كتيب العضوية فى الحزب النازى تتسم بالافتعال أكثر منها بالجدية والأدلة على ذلك واضحة سواء من واقع الشروط والبنود المشار اليها آنفا أم من واقع ظروف النازى وسياسته بعد عام ١٩٣٣ ، فالملاحظ ان أكثر الشروط جدية كانت تقترن دائما بالاستثناءات مثل رفض العضوية اذا كان طالبها مدموغا بقضية تمس الشرف وهنا ورد الاستثناء باعفاء من أظهروا حسنات أخرى من قيود هذا الشرط . أى ان الحزب النازى كان يسمح لأصحاب السوابق بدخوله اذا كانوا يتمتعون بمؤهلات أخرى مفيدة للحزب أو للحركة . أما ظروف الحزب النازى بعد عام ١٩٣٣ فكانت شأنها شأن ظروف أى حزب يسيطر قادته على الدولة وأجهزتها وهنا يكون هذا الحزب مقصد الأفواج المتلاطمة من أصحاب الحاجيات أو المصالح أو ممن يصور لهم طموحهم ان طريق الشهرة والمجد لابد وأن يبدأ بالانخراط فى سلك الحزب الحاكم . وعلى قدر ما كان الحزب

النازى مرحبا بالأعضاء الجدد ومرغبا لهم فى عضويته بكل الطرق الممكنة قبل عام ١٩٣٢ فان وصول هتلر الى الحكم عام ١٩٣٣ كان فيصلا بالنسبة لتطور العضوية فى الحزب حيث شعر الأعضاء القدماء الذين شاركوا فى الكفاح وذاقوا أيام الحرمان بالمنافسة من طبقة الانتهازيين الذين ارتقى بعضهم درجات الحزب الهرمية سريعا ولما يرجع انتماؤهم الى الحزب الى أكثر من يوم تولى السلطة (١) .

ومن هنا يرجع فى اعتقادنا السبب الحقيقى فى تنظيم العضـوية واحاطتها بهذا السياج من الشروط والعقوبات . أى ان شروط العضوية واجراءاتها وعقوباتها لم يكن القصد منها تنظيم الحزب أو اغلاقه فى وجه من لا يمت الى مجتمعه بقدر ما كان القصد منها تحصين أعضاء الحزب والقدماء ضد منافسة الأعضاء الجدد حفاظا على مصالحهم ومراكزهم .

وتشير الاحصاءات التى ظهرت عن تطور العضوية فى الحزب النازى الى انه فى عام ١٩٢٠ كان عدد أعضاء الحزب ٥٠٠ شخصا ارتفع الى ٢٧ر٠٠٠ عام ١٩٢٥ والى ٤٩ر٠٠٠ عام ١٩٢٦ ثم الى ٧٢ر٠٠٠ عام ١٩٢٧ و ١٠٨ر٠٠٠ عام ١٩٢٨ و ١٧٨ر٠٠٠ عام ١٩٢٩ ثم قفز الى ١ر٢٠٠ر٠٠٠ عام ١٩٣٣ وتضاعف ليصبح ٢ر٤٠٠ر٠٠٠ عام ١٩٣٥ (٢) . ويوضح هذا الاحصاء ان الحزب النازى قد بدأ عام ١٩٢٠ بـ ٥٠٠ عضوا وهى حقيقة لم ينكرها هتلر نفسه الذى قال : « ان طلبات العضوية قد انهالت على الحزب بعد صدور برنامجه عام ١٩٢٠ ولكنها لم تكن كافية لسد موارده » (٣) . ثم تطور الحزب النازى خلال السنوات من ١٩٢٠ الى

(١) مرجـع سـابق صـفحة ٤٠ . Laqueur Walter in "Encounter"

(٢) هذا الاحصاء مأخوذ عن مقال Laqueur بمجلة Encounter سالفة الذكر صفحة ٣٩ ومن كتاب Shirrer المشار اليه صفحة ١٢١ .

(٣) مرجع سـابق صـفحة ٣٠٩ Roper Trevor Hitler' s Table Talk.

١٩٢٥ وزاد عدد أعضائه بمعدل حوالى ٥٣٠٠ عضوا فى العام وهذا الزيادة لها دلالتين : اما أن الحزب النازى قد أثبت تقدما ملحوظا خلال هذه الفترة وبالرغم من وجود هتلر فى السجن فيما بين ١٩٢٣ ونهاية ١٩٢٤ أو ان هذه الزيادة لم تتم الا بفضل هتلر قبل دخوله السجن أو بعد خروجه منه والدلالة الأولى تشير ان صحت الى أن الحركة النازية قد أثبتت نجاحها المتصل بفضل مبادئها وقدرة قادتها الذين تولوا أمرها أثناء غياب هتلر عن الميدان السياسى وهو أمر بعيد الاحتمال حيث أن الحزب النازى — وهتلر فى السجن — كان يعانى الانقسام بفضل تشتيت كبار قادته واتجاه بعضهم الى الاستقلال بالعمل بعيدا عنه (١) . ولما خرج هتلر من السجن اتجه الى العمل على اعادة تدعيم الحزب وجمع شتاته ونجح بسرعة فى جمع أكثر من عشرة آلاف مستمع لأول خطاب ألقاه بعد الغاء القيود التى فرضت على نشاطه السياسى الأمر الذى يرجح احتمال زيادة أعضاء الحزب بفضل هتلر وأثناء كفاحه السياسى عنه أثناء اعتقاله فى السجر خلال الفترة المذكورة (٢) . ثم كانت الزيادة الفجائية التى طرأت بالنسبة لعدد أعضاء الحزب النازى أثناء الفترة من ١٩٢٥ الى ١٩٢٩ بمعدل حوالى ٣٧٧٥٠ عضو سنويا . وتاريخ ألمانيا خلال الفترة يوضح بأنها عاشت فى رخاء وكانت حكومتها الجمهورية تلاقى التأييد

---

(١) كان جورنج هاربا من البلاد بعد فشل انقلاب ١٩٢٣ اما لودندورف وروهم فلقد انشأوا حركة سياسية مستقلة عن الحزب النازى تحت National Socialist Freedom Mouvement كان من أقطابها جريجور شتراسر منافس هتلر العتيد على زعامة الحزب . ولقد تمكنت هذه الحركة من الحصول على ٣٢ مقعدا فى البرلمان فى انتخابات عام ١٩٢٤ . اقرا shirrer المرجع السابق صفحة ١٢٥

(٢) المرجع السابق صفحة ٢٠٧ Shirrer.

الشعبى بعد أن نجحت فى حل أهم مشاكل البلاد الداخلية والخارجية مما أدى الى انصراف الشعب عن الالتفاف حول الحركات السياسية المتطرفة . الأمر الذى يستبعد معه أن تكون هذه الزيادة فى أعضاء الحزب النازى قد حدثت بنسب تدريجية خلال هذه السنوات الأربعة وأغلب الظن — ان صحت هذه الاحصاءات — أن زيادة أعضاء الحزب النازى قد حدثت بشكل فجائى فقط فى نهاية عام ١٩٢٩ لما بدت بشائر الأزمة الاقتصادية العالمية (١) . أما زيادة أعضاء الحزب النازى فى الفترة ما بين ١٩٢٩ حتى ١٩٣٣ بمعدل ربع مليون عضو سنويا فهو أمر لا يبعث على الدهشة نظرا للازدياد الفجائى فى نشاط الحزب النازى ومكانته خلال هذه السنوات . وبعد الوصول الى الحكم عام ١٩٣٣ وحتى عام ١٩٣٥ قفزت هذه الزيادة لتصل الى نصف مليون عضو سنويا وتفسير ذلك يكمن فى اتجاه هتلر الى الانفراد وحزبه بالسلطة مما جعل الأخير ملجأ لكثير من أنصار الأحزاب السياسية المنحلة بالاضافة الى طبقة الانتهازيين الذين ارتأوا الانضمام الى الحزب لتأمين مستقبلهم أو تحقيق آمالهم .

وفى مجال الدراسة الاجتماعية لأعضاء الحزب النازى قام Hoover Institute Studise بجامعة Stanford الأمريكية بدراسة احصائية للصفوة النازية "The Nazi Elite" (٢) ولعل أهم النتائج التى أحرزتها

---

(١) انظر احصائية التطور البرلمانى لكفاح الحزب النازى صفحة ٣٩٢ من الرسالة

(٢) قامت هذه الدراسة على كتيب يحوى تاريخ حياة أهم الشخصيات فى الحزب النازى صدر فى برلين تحت عنوان Fuhrer Iexi Kon « قاموس القادة » عام ١٩٣٤ ويحوى هذا الكتاب الألمانى ١٦٠٠ شخصية نازية قامت هذه الدراسة باستخراج خمسة عينات احصائية =

هذه الدراسة هى الفروق التى أظهرتها بين نوعين من أعضاء الحـزب النازى .. مجمـوعة الدعائيين Prpoagandist ومجمـوعة الاداريين Administratives والمجمـوعة الأولى مكونة من هؤلاء الذين شغلوا مناصب قيادية فى أجهزة الدعاية النازية وكان متوسط أعمارهم ٣٨ سنة تقريبا وقت صدور الدليل النازى Fuhrerlexikon عام ١٩٣٤ أى انهم كانوا أعضاء فى جيل ما بعد الحرب العالمية الأولى حيث لم يكونوا عند نهايتها عام ١٩١٩ ليبلغوا أكثر من ١٨ عاما . وهذا الجيل قد تشبع بنتائج الحرب العالمية بالنسبة لألمانيا وكان أكثر من غيره تأثرا بالحركات السياسية الجريئة وتقبلا للمبادىء النازية الى حد التفانى فى الدعاية لها . وكانت مجموعة الدعائيين حسب نتائج هذه الدراسة تنتسب ١٥٪ منها الى طبقة كبار الملاك أو العسكريين أو كبار التجار وهى الطبقات الثلاثة التى سادت ألمانيا القيصرية الأمر الذى أثر فى تقوية دعائم الدعـوة الامبريالية النازية . أما الاداريون وهم الذين عملوا فى الأجهزة الادارية للحزب فلقد ارتفعت نسبتهم فى أعضاء الحزب النازى عن الدعائيين وكانت أعمارهم عام ١٩٣٤ حوالى ٤٣ سنة فى المتوسط مما جعلهم أكثر خبرة نظرا لاشتراك أغلبهم فى الحرب العالمية الأولى حيث كانت أعمارهم وقت انتهائها حـوالى ٢٣ سنة ولا ينتمى أكثر من ٨٪ منهم الى الطبقات الاجتماعية المميزة ولكنه بينما لم يتمكن أفراد مجموعة الدعائيين من الوصول الى كثير من المناصب القيادية فى الحزب وفى الدولة النازية

= منها تضم الاداريين والدعائيين والجيش والبوليس ومجموعة عشوائية من كل هؤلاء ولقد استهدفت هذه الدراسة القيمـة الخروج بمقومات الطبقة الثورية فى ألمانيا النازية من واقع عناصر النشأة والتعليم والسن وتاريخ الحياة والخبرة .

Lerner Daniel The Nazi Elite Stanvford University press California 1951.

فاننا نجد ان الاداريين قد تدرجوا بسرعة فى مناصب الحزب وحصلوا على أرفع المناصب فى الدولة نظرا لتفرغهم لأعمالهم بالحزب منذ نشأته بخلاف الدعائيين الذين لم يتفرغ أغلبهم للحزب الا فى ظل الحكم النازى كذلك بينت هذه الدراسة ان الدعائيين قد فاقوا الاداريين فى التعليم العالى مما أدى الى ارتفاع قدرتهم على مخاطبة الطبقات المتفقة فى ألمانيا لبث الدعوة الجديدة .

وتفيدنا هذه الدراسة فى استكمال صورة العضو فى الحزب النازى ومنها نستطيع أن تتبين بأن غالبية أعضاء هذا الحزب كانوا ينتمون الى الطبقة دون المتوسطة Lower Middle Class التى تتكون من أصحاب الدخول المحدودة من الموظفين والعمال هؤلاء الذين كان الحزب النازى يبهرهم بشعاراته ويجدون عنده البلسم الشافى لكل ما اعتمل فى قلوبهم من آمال .

الفصل الثانى

التنظيمات الخارجية

طرق الحزب النازى بمبادئه العنصرية والوطنية باب الأقليات الألمانية المغتربة سواء من كان منهم فى الخارج لأجل وقتى كالتجارة والبحارة أم بصفة دائمة ممن استوطنوا دولا أخرى . ولرعاية هذه الأقليات ومحاولة اكتسابها للمبادىء النازية ولتوطيد الصلة بينها وبين الوطن الأم خصص الحزب النازى احدى منظماته التى سميت :

« المنظمة الخارجية للحزب الاشتراكى الوطنى الألمانى للعمال »

(Die Auslandsorganisation der NSDAP)

وأنشئت هذه المنظمة فى أول مايو سنة ١٩٣١ بمقتضى قرار من رئاسة الحزب النازى ليكون مقرها مدينة هامبورج الا أن نشاطها لم يتضح بصورة جدية الا بعد وصول الحزب النازى الى الحكم وخلال عام ١٩٣٤ بالذات (١) . ففى بداية ذلك العام تولى رئاسة المنظمة أحد أعضاء الحزب النازى الأكفاء واسمه Ernst Bohle وعكف على تنظيمها والرفع من مقدرتها حتى أصبحت فى فبراير عام ١٩٣٤ احدى المنظمات الرئيسية فى الحزب واتخذت لها مقرا رسميا بجوار وزارة الخارجية الألمانية فى برلين (٢) .

---

(١) Ehrich Emil Die Ausslandsorganisation der Nsdap, Berlin Junker Verlag. 1937 P. 4.

(٢) كان أرنست بوهله صحفيا فى جريدة الحزب النازى الرسمية ولم يبدأ اسمه فى الظهور الا على يد منظمة الشئون الخارجية

ولتفادى الازدواج فى الاختصاصات صدر قرار الفوهرر بتاريخ ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٣٤ بضم منظمة الشئون الخارجية بأجهزتها وموظفيها الى وزارة الخارجية الألمانية وتعيين (Ernst Bohle) رئيسها فى وظيفة رئيس ادارة الشئون الخارجية بالوزارة (١) . وبدلا من أن تنتقل تبعية هذه المنظمة فى الادارة والاختصاصات الى وزارة الخارجية بمقتضى هذا القرار فلقد حدث العكس تماما حينما أصبحت وزارة الخارجية بموظفيها فى الداخل بمثابة الجهاز التنفيذى لهذه المنظمة بدليل التصريح الذى أدلى به بوهلة فى هذا الصدد حيث قال : بمقتضى هذا الادماج سيعلم كل ألمانى فى الخارج بأن صلته بالرايخ وأحداثه لا تتأكد الا بعضويته فى هذه المنظمة وسيعتبر موظف وزارة الخارجية نفسه بوضعه الجديد . كأحد أعضـــاء المنظمة : المواطن الألمانى الحق والمساعد الموثوق به والصديق النازى لمواطنيه (٢) .

وبنقل رئيس هذه المنظمة الى وزارة الخارجية توسعت اختصاصاتها لتشمل الاشراف على توجيه ورعاية شئون الألمان فى الخارج بعد أن كانت تهتم فقط منذ انشائها بأعضاء الحزب النازى منهم . وتطورت منظمة الشئون الخارجية لتلعب دورا رئيسيا فى السياسة الخارجية لألمانيا حتى عام ١٩٣٩ ثم كان لها أثر فى المساعدات التى قدمها أعضاؤها من الألمان المغتربين للجيوش الألمانية المحتلة فى سنوات الحرب (٣) .

والبحث فى كيان منظمة الشئون الخارجية يقودنا الى بعض المتناقضات

---

(١) Murphy Raymond National Socialism, Washington 1948, P. 94.

(٢) نفس المرجع السـابق صفحة ٩٥ Murphy. National Socialism.

(٣) اقرأ مبدأ حماية الأقليات الوارد فى الجزء الأول من الرسالة صفحة ٢٨٧

فعلى حين أن المنظمة قد انتقلت برمتها الى وزارة الخارجية فلم تكن للأخيرة أو لوزيرها عليها أى سلطان بل ان رئيس المنظمة Ernst Bohle قد تعـدى وظيفته كرئيس قسم بالوزارة وصـدر قرار الفوهرر فى ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٣٥ بتعيينه وكيلا للوزارة وبأن تكون لقراراته قوة القرارات الوزارية (١) . والتفسير الوحيد لذلكم التناقض هو أن المنظمة كانت جزءا من الحزب النازى الذى هو — فى نظر النازية ممثل الشعب صاحب السيادة وعلى ذلك فلقد كان رئيس المنظمة الخارجية يستمد سلطاته من الحزب لا من الوزارة ولا يخضع الا لسلطان الفوهـرر (الزعيم) أو نائبه لشئون الحزب . وأغلب الظن ان ضم منظمة الشئون الخارجية الى وزارة الخارجية لم يكن مقصودا به التغلب على مشـكلة الازدواج فى الاختصاصات بقدر ما قصد به استخدام وزارة الخارجية وموظفيها فى الداخل والخارج كأداة لخدمة أهداف هذه المنظمة . وحتى صلة المنظمة بالحزب كانت تتسم بالغرابة فعلى حين انها كانت تابعة لمكتب نائب الفوهرر لشئون الحزب شخصيا فانها كاحدى منظمات الحزب كانت خاضعة للرئاسة الهرمية مثل غيرها من المنظمات .

والتنظيم الداخلى لمنظمة الشئون الخارجية له نفس الفروع الموجودة فى منظمات الحزب الأخرى حيث يبدأ بالخلية ثم المجموعة ثم الاقليم ثم الدولة ويخضع كل تنظيم من هذه الأنواع لزعامة محلية يطلق على صاحبها اسـم "Hoheitstrager" أو صاحب السلطة المؤقتة (٢) . وعن

(١) المرجع السابق صفحة ٢٣ . Ehrich Die Ausslandsorganisation

(٢) قد ترجع هذه التسمية الى أن رئاسة التنظيمات الثابتة لمنظمة الشئون الخارجية فى الخارج كانت وقتية وتنتهى بتحقيق آمال أعضاء المنظمة من الأقليات الالمانية او المغتربين فى ضم البلاد التى يعيشون فيها الى الرايخ وهنا يسلمون سلطاتهم المؤقتة الى سلطات الرايخ الرئيسية.

تنظيم الجهاز الداخلى لمنظمة الشئون الخارجية قال دكتور (Emil Ehrich) سكرتير عام المنظمة فى مقال نشر فى دليل الثورة النازية عام ١٩٣٤ .

« ان تنوع الظروف التى يعيش فيها الألمان فى الخارج تتطلب من المنظمة الخارجية أن يكون لها مكاتب متفرقة تشمل مختلف أنواع النشاط ليكون لديها دائما كل المعلومات عما يحدث فى الخارج بصفة عامة وللمغتربين الألمان بصفة خاصة [1] . ولتحقيق هذا الغرض قسمت المنظمة الخارجية الى ثمان ادارات اقليمية هى : —

الادارة الاقليمية رقم (١) وتختص بدول شمال شرق أوروبا .
الادارة الاقليمية رقم (٢) وتختص بدول أوروبا الغربية باستثناء بريطانيا وايرلندا
الادارة الاقليمية رقم (٣) وتختص بدول جنوب شرقى أوروبا والنمسا والشرق الأوسط .
الادارة الاقليمية رقم (٤) وتختص بدول ايطاليا وسويسرا والمجر
الادارة الاقليمية رقم (٥) وتختص بدول افريقيا .
الادارة الاقليمية رقم (٦) وتختص بدول أمريكا الشمالية .
الادارة الاقليمية رقم (٧) وتختص بدول أمريكا الجنوبية .
الادارة الاقليمية رقم (٨) وتختص بدول الشرق الأقصى واستراليا بريطانيا وايرلندا .

ويرأس كل من هذه الادارات موظف بلقب « رئيس ادارة » أو رئيس قلم ويكون ملما بالبلاد التى يعمل فى نطاقها وتحول اليه كافة المكاتبات

---

(١) Bohle Ernst Almanach der Nationalsozialistischen Revolution Eherverlag Berlin 1934, P. 32.

المتعلقة باختصاصه كما أنه المرجع الأول فى ما يتخذ بشأن منطقته من قرارات [1] .

كذلك فان المنظمة الخارجية كانت تضم اتحادات المغتربين الألمانية الآتيـــة : —

١ — جبهة العمال الألمان وتشمل العمال الألمان المغتربين لتعمل على تحسين أحوالهم الاجتماعية وتنسيق جهودهم ووحدتهم .

٢ — اتحاد موظفى الحكومة ويشرف على موظفى وزارة الخارجية الألمانية وكل الموظفين الفنيين التابعين لها فى الخارج .

٣ — اتحاد المدرسين ويشرف على نشاط المدرسين الألمان الذين يتولون التدريس فى الخارج .

٤ — منظمة المحامين الألمان .

٥ — منظمة النساء الألمان .

٦ — منظمة الشباب الألمان .

والى جانب الادارات الاقليمية والاتحادات فلقد اشتمل التنظيم الداخلى للمنظمة الخارجية النازية على مكاتب للمساهمة فى خدمة هـــذه الادارات والاتحادات هى : —

١ — مكتب التجارة الخارجية .

---

(١) المرجع السابق صفحة ١١ — ١٢ . Bohle Amanach

(٢) هذه الاتحادات كانت اسمية اكثر منها واقعية — حسب اعتقادنا حيث أنه اذا صح وجود عدد من المدرسين والنساء الألمان ممن كانوا يعيشون فى الخارج بشكل يسمح لهم بتشكيل اتحادات فيما بينهم فان امكانية تكوين اتحادات للعمال والمحامين الألمان فى خارج ألمانيا ضعيفة نظرا لصعوبة احتمال وجود كثيرين منهم بين المغتربين .

٢ — مكتب التفتيش الذى كان يقوم باجراء احصاءات المغتربين ويسهل التراسل بينهم .

٣ — مكتب الثقافة ويشرف على نشر الثقافة النازية .

٤ — مكتب الصحافة وكان يراقب الصحافة الألمانية والخارجية فى كل ما تنشره عن المغتربين .

٥ — المكتب القانونى الذى كان يعطى استشارات مجانية لكل طالب لها من الألمان المغتربين ويساعدهم على حل مشكلاتهم القانونية .

٦ — مكتب الخطابة وهو متعهد ارسال القادرين على الخطابة الى أماكن التجمع فى المناسبات فى الخارج .

٧ — قسم العائدين ويتولى تشغيل الألمان العائدين للوطن الأم وامدادهم بالمساعدات اللازمة .

٨ — قسم الخدمات الاجتماعية الذى كان يساعد الفقراء والمحتاجين ويشرف على مصلحة معونة الشتاء (١) .

والتنظيمات الداخلية لمنظمة الشئون الخارجية سواء كانت ادارات اقليمية تتولى الاشراف الجغرافى على شئون المغتربين أم اتحادات ترمى الى جمعهم على المستوى الحرفى أم مكاتب تتولى خدمة مصالحهم ومد يد المعونة اليهم .. هذه التنظيمات لم يكن لها القيام بوظائفها على الوجه المقرر لها دون اعتبار لشخصية أرنست بوهلة الذى تمكن من الارتفاع

---

(١) مؤسسة معونة الشتاء كانت احدى منظمات الحزب النازى اسمها Winter hilfswerke وكانت تختص بجمع المساعدات والملابس والأغطية لتوزيعها على الفقراء والمحتاجين فى أوقات الشتاء .

اقرأ عن هذه المؤسسة بالتفصيل فى : —

الدكتور مصطفى كمال فايد الثورات الثلاث مكتبة نهضة مصر بالفجالة ١٩٤٥ ص ٩٣ — ٩٥

بالمنظمة الى المستوى الذى جعلها أحـد الأجهزة الرئيسية للسياسة الخارجية وذلك لا لكونها متفرغة للشئون الخارجية فحسب بل ولأن المغتربين وعلاقتهم بالرايخ قد لعبوا دورا خطيرا فى السياسة الألمانيـة فى أوقات السلم والحرب .

ولكن التنظيم الداخلى لا يزيد فى حد ذاته عن كونه أداة لخدمة المنظمة فى تحقيق أهدافها . فأين هى أهداف منظمة الشئون الخارجية ؟ والى أى حد تمكنت من تحقيقها ؟

كان لمنظمة الشئون الخارجية النازية ثلاث أهداف رئيسية تتعلق كلها برسالتها فى توثيق الصلة بين الأقليات الألمانية والمغتربين منهم والوطن الألمانى الأم .. وهذه الأهداف هى : —

- بث المبادىء النازية بين صفوف المغتربين .
- نشر المبادىء العنصرية بينهم .
- محاربة اندماجهم فى المجتمعات الأجنبية .

أولا — تنزية الألمان فى الخارج Nazification of the Germans Abroad

كانت الوظيفة الرئيسية للمنظمة الخارجية هى العمل على جمع الألمان فى الخارج على كلمة نازية سواء ، أو بمعنى آخر العمل على اتحادهم لخدمة مصلحة الحكم النازى . لذلك عكفت المنظمة فى سنواتها الأولى على اكتساب السواد الأعظم من هؤلاء المغتربين والأقليات الى مناصرة النازية واعتناقها .. وفى هذا المجال قال « أرنست بوهلة » .

ان مقاتلينا ومكافحينا فى الخارج يعلمون عن يقين انه فقط عن طريق

---

(١) اقصـد بكلمة « تنزية » الترجمـة اللفظية لكلمة Nazification وهى محاولة لتفعيل الاسم مثلما هو متبع فى الانجليزية والفرنسية والألمانية .

النازية يمكن رسم طريق الجرمانية الصحيحة اذ ان النازى هو فقط القادر على توحيد الأقليات الألمانية التى ما زالت تعيش خارج الوطن لذلك فاننا نعمل على أن يكون أعضاء حزبنا فى الخارج ملمين تماما بفلسفتنا وسياستنا (١) .

وفى نفس المجال قال « بوهلة » انه من المهم استخدام المعـاهد والمدرسين الألمان فى الخارج لبث الدعوة النازية .

ومن هذا يتضح أن تنزية الألمان المقيمين فى الخـارج كانت أولى الخطوات التى اتخذتها منظمة الشئون الخارجية لتحقيق رسالتها نحو اخضاع الأقليات الألمانية لنفوذ الحكومة النازية ومن ثم استخدامهم لتحقيق أغراض هذه الحكومة فى البلدان التى كانوا يعيشون فيها .

وفى أحد مؤتمرات الحزب النازى عام ١٩٣٦ قال « بوهلة » Bohle

« اليوم ولما يمض على تولينا الحكم أكثر من ثلاثة أعوام نستطيع أن نقول بفخر ان زملائنا أعضاء الحزب فى الخارج قد أمكنهم قهر الجرمانية فى الخارج . قهروها للنازية وفكرتها .. قهروها بمقتضى قوة الاقناع وبدون ضغط خارجى قهروها بواسطة الفوهرر وأعماله (٢) .

وفى سبيل ما أسماه بوهلة « قهر الجرمانية فى الخارج » قامت منظمة الشـئون الخارجية بتنظيم اتصالاتها بالألمان فى الخارج لبث مبادىء الدعوة النازية ، ولقد استخدمت المنظمة فى هذا الصدد كل ما هيأته لها الحكومة من وسائل النشر والدعاية مثل الصحف والاعلانات والملصقات

---

(١) Bohle, Allmanach der nationalsozialestisches Revolution,
المرجع السابق صفحة ١٠١ .

(٢) Der Parteitage der Ehre, Munchen, Zentral Verlag der Nsdap,1936,P.124
احدى نشرات المنظمة الخارجية للحزب النازى .

التى امتلأت بنداءات موجهة الى الأقليات الألمانية للعمل فى نطاق المبادىء النازية كذلك احتلت منظمة الشئون الخارجية احدى موجات الاذاعة الألمانية للاتصال المباشر بهؤلاء المغتربين وبث دعايتها بينهم [1] .

ثانيا ـ نشر مبدأ المجتمع العنصرى :

وكانت المبادىء العنصرية هى أهم المبادىء النازية التى رأت منظمة الشئون الخارجية تلقينها وبثها وسط المغتربين الألمان . ولعل شعور الألمانى المقيم فى الخارج بانتمائه الى مجتمع عنصرى قوى ومناهضته للعناصر الانسانية الأخرى مما شجع الكثيرين من هذه الأقليات على الانتماء الى الحزب النازى خصوصا وأن المبادىء العنصرية قد لمست الشعور الطبيعى للمغترب نحو الفخر بأصله وكيانه ومكنته من الترفع والتعالى على أفراد المجتمع الذى عاش فيه .

وفى هذا الصدد قال « بوهلة » Bohle .

« انه بدون الفوهرر ومبادئه العنصرية التى استولت على مشاعر الجنس الألمانى لم يكن فى المقدور الوصول الى وحدة الألمان فى الخارج فان المجتمع العنصرى الألمانى الذى نادى به هتلر كان الأساس الوحيد الذى تجمع الألمان من حوله » [2] .

وفى اجتماع الحـزب المشار اليه عـام ١٩٣٦ قال بوهلة Bohle

---

(١) استخدمت محطات الاذاعة هـذه فى توجيه الأقليات الألمانيـة فى انحاء العالم الى خدمة الجيش الالمانى فى سنوات الحرب الى حد ان كثيرا من الحكومات المناهضـة للنازية اصدرت تحذيرات وقوانين تحرم على مواطنيها الاستماع الى الاذاعات الالمانية Shirrer, The Rise and Fall of The Third Reich,

مرجع سابق صفحة ٤٦٩

(٢) مرجع سابق صفحة ١٠٢ Murphy, National Socialism,

اننا نؤمن بالقيم التليدة للعنصر والدم ونشعر فى أنفسنا بأننا حماة هذه القيم والمنادين لها بين الجرمانية المغتربة (١) .

وفى اجتماع الحزب عام ١٩٣٧ أذاعت وكالة الأنباء الألمانية « أن الفوهرر قد تكلم فبين أن الشعب الألمانى اليوم ليس فقط مجتمعا للدولة ولكنه كيان عنصرى يتنفس بقوة وارادة وهذا أمر عظيم حققته النازية للشعب الألمانى لأن الألمانى الذى يتوجه الى بلد أجنبى لا يعتبر عضوا مفقودا من المجتمع الألمانى ولكنه يظل عضوا عاملا وانه فى امكانه خدمة مجتمعه العنصرى فى مكان وجوده وهذه هى أعجوبة التنظيم النازى والقيادة الحكيمة للشعب » (٢) .

ثالثا ـ الدعوة لعدم الاندماج فى المجتمعات الأجنبية :

انه اذا ما اندمج الألمانى المغترب فى مجتمعه الذى يعيش فيه بأى شكل من أشكال الاندماج فانه يفقد صلته بالوطن الأم نهائيا . لذلك وضعت المنظمة الخارجية للحزب النازى نصب أعينها محاربة هذا الاندماج كما يظهر مما قاله « بوهلة » Bohle .

لقد جاء الفوهرر لكى يضع نصب أعيننا حقيقة أن الألمانى ليس عليه أن يختار فلقد أرسل الى العالم كألمانى وعليه تحمل مسئوليته تجاه وطنه الأم والا دمغ بالخيانة .. والألمانى فى كل مكان عليه أن يظل ألمانيا فلا الدول أو الأفكار أو القارات أو الأجواء الأجنبية لتستطيع أن تنزع عنه ألمانيته التى اكتسبها بمقتضى الدم والعنصر .

---

(١) المرجع السابق صفحة .Der Patteitag der Ehre

(٢) المقال الرئيسى فى جريدة الحزب النازى .

Der Parteitag der Freiheit Volkisches Beobarter".

عدد سبتمبر ٢٩٣٧ صفحة (٤)

ولقد أعلن مدير منظمة الشئون الخارجية فى صراحة أن أهداف المنظمة هى المحور الذى يجمع شمل كل الألمان فى الخارج مهما كانت طبقاتهم ودرجة انتمائهم الى المجتمعات الخارجية . وبذلك نبذت النازية ما أسمته بمبدأ عالمية المواطن أى قدرته على التعايش فى أى مجتمع والتشكل به وبعاداته فى ذلك قال بوهلة Bohle .

« اننا نرفض مبدأ عالمية المواطن الألمانى التى يقتضى منه التأقلم فى أى مكان وذلك لأن هذا الألمانى العالمى يجعل من نفسه مجالا لسخرية الأجانب من ناحية ولأنه ينزع عن نفسه جرمانيته من ناحية أخرى [1] .

أى ان المنظمة الخارجية قد هدفت الى الحفاظ على كل الألمان فى الخارج مهما كان موطنهم وابقاء صلتهم بالرايخ وحاربت كل اتجاه يرمى الى توطنهم أو تأثرهم بالأفكار الأجنبيـة أو الاندماج فى المجتمعات الأجنبية .

ولقد شكلت هذه الأهداف الثلاث أهم ما أعلن من أهداف المنظمة الخارجيـة للحـزب النازى فبواسطة العمل على محاربة الاندماج فى المجتمعات الأجنبية ونشر مبادىء المجتمع العنصرى وغيره من المبادىء النازية بين الألمان المغتربين استهدفت المنظمة جمع المغتربين الألمان حول الحزب النازى ونظامه الجديد وقصر آمالهم وأهدافهم فى آمال الوطن الأم وأهدافه والمساهمة فى تحقيق رسالته . وبفضل وسائل الدعاية والنشر وأجهزة المنظمة سواء ما تعلق منها بالمراسلات أو ما اختص بارسـال المندوبين المدربين للتبشير وسط أفواج المغتربين أو غـيرها ، تمكنت المنظمة الخارجية للحزب النازى من تحقيق رسالتها والوصول بالدعاية

---

(1) ٣٠ أغسطس ١٩٣٧ Deutsches Nachrichtenburo 2te morgen Bulletin

النازية الى آذان الألمان فى مختلف بقاع العالم والى غزو أفئدة السواد الأعظم منهم وسلب ارادتهم وتوجيههم لخدمة أهداف الحكومة النازية .

وفى ختام العرض لمنظمة الشئون الخارجية للحزب النازى يحق لنا أن نتساءل عن السبب الحقيقى من دعوة هذه المنظمة نحو توحيد الألمان وتنزيتهم . هل كان ذلك فعلا بدافع الوطنية والعنصرية كما وضح من تصريحات المسئولين عنها أم ان الغرض الحقيقى من الدعوة النازية بين المغتربين ولدى الأقليات الألمانيـة فى الخـارج كان بقصد استخدامهم كوسائل لتنفيذ المخطط النازى التوسعى ؟

عند عرضنا لمبادىء السياسة الخارجية فى الجزء الأول من هـذه الرسالة أمكننا تبيان الطرق التى تمكنت بها الأقليات الألمانية فى أوروبا من خدمة أهداف الاستعمار النازى حيث كانت هذه الأقليات اما دافعا للغزو كما حدث فى السوديت أو عاملا مساعدا للاستراتيجية العسكرية الألمانية كما حدث فى بولندا وهولندا والدانمارك واليونان . أما هنا فيهمنا أن نشير الى كل ما أبرزته منظمة الشئون الخارجية للحزب النازى من دلائل لتنفى ما أشيع عنها وعن كونها معقل لتدريب الطابور الخامس وأداة لبث المخربين واثارة القلاقل فى البلدان الأخرى . وهذه الدلائل تنحصر فى التعليمات التى كانت مطبوعة على بطاقة عضوية منظمة الشئون الخارجية وفيما ورد من أقوال على لسان كبار زعمائها فى هذا الشأن .

فلقد كانت بطاقة عضوية المغترب فى الحزب النازى أو منظمة الشئون الخارجية مطبوعا عليها من الخلف التعليمات الآتية : —

١ — راع قوانين الدولة التى تعيش فيها .

٢ — اترك سياسة الدولة التى تعيش فيها لسكانها ومواطنيها وليس لك بشئونه الداخلية أى شأن ولا تشترك فى ذلك ولا بالمناقشة .

٣ — عرف بنفسك كعضو فى الحزب النازى فى كل وقت .

٤ — اعتبر كل ألمانى فى الخارج مواطنا وزميلا لك ورجلا له دينك وجنسك ومد يدك له مهما كان مركزه .

٥ — مد لمواطنك الألمانى يدك اذا كان فى ضيق .

٦ — لا تكن عضوا فقط بل مكافحا من أجل مبدئك اذا استلزم الحال وسلح نفسك دائما .

٧ — تكلم واعمل دائما بما يجلب لك الفخار والشرف للنـــازية وحريتها ولألمانيا الجديدة .

٨ — اجعل نفسك عضوا نشيطا عاملا فى خليتك أو مجموعتك (١) .

وهذه التعليمات تتنافى مع حرص المنظمة على تنفيذ اهدافها فى عزل الألمان عن المجتمعات التى كانوا يعيشون فيها وحثهم على الانصراف الى التآزر لخدمة الوطن الألمانى الكبير والظاهر أن المنظمة قد استهدفت اظهار وجهها السلمى بالنسبة للدول الأوروبية من ناحية والحرص على عدم اقحام الأقليات الألمانية فى المشكلات السياسية المحلية وابعادهم عن مجالات الشـــك والارتياب حينما تواجه حكوماتهم المضيفة الأزمات أو الثورات الداخلية من ناحية أخرى .

والدليل الثانى الذى ساقته المنظمة لصدق النية جاء على ألسنة كبار زعمائها :

فلقد قال « هيس » نائب الفوهرر لشئون الحزب فى اجتماع المغتربين عام ١٩٣٥ .

---

(١) Bohle, Allmanach der Nationalsozialistisches Revolution, مرجع سابق صفحة ٩٣

« لن يعطيكم الفوهرر أمرا لا يتمشى مع قوانين البلد الذى تعيشون فيه (١) وفى نفس الاجتماع قال بوهلة Bohle :

ان المحاولات التى تبذل لاظهار النازيين فى الخارج على أنهم جواسيس أو عملاء سياسيين لفاضحة . وانما لمما يبعث على التسلية أن تقرأ فى الصحف الأجنبية أن ألمانيا تدرب كل الخادمات اللاتى يعملن فى الخارج للعمل كجواسيس للنازية وأن أهم هدف للرجال النازيين فى الخارج هو تحويل البلاد التى يعيشون فيها الى مستعمرات هتلرية .. واننى أقول لهؤلاء الذين يصدقون هذه الأكاذيب بأننا ندرب الخادمات على أعمال التجسس ولا نأمر النازيين فى الخارج بغزو بلادهم من الداخل (٢) .

وفى اجتماع الحزب عام ١٩٣٧ قال Von Neurath أحد الدبلوماسيين النازيين المعروفين « اننا نعلم بالطبع بأننا آخر من نسىء استخدام كرم الضيافة التى يمنح للمواطنين الأجانب فى أى بلد والذى يتطلب منهم الامتناع نهائيا عن التدخل فى الشئون الداخلية للدول التى يعيشون فيها واحترام قوانينها » (٣) .

وعند زيارته للندن فى ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٣٧ قال « بوهلة » ردا على سؤال صحفى :

« اننى فى حدود وظيفتى فى وزارة الخارجية مسئول عن كل

---

(١) تقرير رسمى عن الخطب والقرارات التى اتخذها مؤتمر الحزب عند اجتماعه من ١٠ — ١٦ ديسمبر ١٩٣٥

Der Parteitag der Freiheit, Deutsches Verlag, Berlin 1935, P. 7.

(٢) نفس المرجع صفحة ١١

(٣) Deutsches Nachrichten buro, Dritte; Bulletin, August 30, 1937 P. 6.

ما يتصل برعايا الرايخ الذى يعيشون فى الخارج وكل ما يقال اننى اتخذ من عملى مركزا لتدريب الأقليات الألمانية فى البلاد الأجنبية مجرد أكاذيب لا تعلم حقيقتها الا حكومات الدول الأجنبية نفسها » [1] .

وســواء أكانت الأقليات الألمانية طابورا خامسا للحكومة النازية أم انها اقتصرت على العمل السلمى لخدمة قضية وحدة الشعوب الألمانية فان الثابت هو ان منظمة الشئون الخارجية للحزب النازى قد تمكنت من احكام الصلة بينها وبين المغتربين من أبناء الأقليات الألمانية فى خارج ألمانيا ومن الطبيعى أن يقوم هؤلاء بخدمة حكومتهم سواء أكان ذلك بتكليف من القيادة ببرلين أم بوازع من وطنيتهم وايمانهم بنظام الحكم الجـديد .

---

(١) الصحيفة البريطانيــة عــدد ٢٩ سبتمبر ١٩٣٧ .Daily Express

الفصل الثالث

التنظيمات العسكرية

قامت التنظيمات العسكرية للحزب النازى لحماية الحركة من المعارضة ولاحياء الروح العسكرية فى الشعب الألمانى الذى أثقلته روح الهزيمة فى أعقاب الحرب العالمية الأولى . ولقد كان للاستعراضات العسكرية التى كانت الفرق العسكرية النازية تقوم بها فضل كبير وأثر حاسم فى اجتذاب جمهور المعجبين للحركة والمستمعين لخطبائها .. فبدافع من الفضول تجاه الفرق العسكرية النازية ومن فرط الاعجاب بمبادئها المتطرفة اكتسبت الحركة النازية الأنصار،وجماهير المستمعين لدعاتها وخطبائها .

ولقد اعتمد هتلر على التنظيمات العسكرية فى القيام بمحاولته الفاشلة لقلب نظام الحكم عام ١٩٢٣ (١) . ولما خرج هتلر من السجن عام ١٩٢٥ وبدأ كفاحه يتخذ طريقا جديدا يستهدف الوصول الى الحكم عن طريق الصراع الحزبى البرلمانى كانت المنظمات العسكرية النازية هى التى مهدت لانتشار الدعاية النازية الانتخابية وأحاطت الحزب بسياج قوى مرهوب الجانب . ولما كتب لهتلر أن يتولى الحكم عام ١٩٣٣ اضطلعت المنظمات العسكرية النازية بمهمة تصفية العناصر السياسية المناوئة وتأمين سلامة الحكم فى الداخل والخارج .

---

(١) ورد تفصيل هذه المحاولة عند العرض للكفاح من اجل السلطة فى الباب الأول من هذا الجزء .

والمنظمات العسكرية النازية على نوعين هما : —

ال .S. A وهى مختصرة التعبير الألمانى Sturmableilung وترجمته فرقة العاصفة (١) .

ال .S. S وهى مختصر التعبير الألمانى Schutzstaffel وترجمته الحرس الخاص .

وعند بحث التطور التاريخى للفرق العسكرية النازية يتفق المؤرخون على ارجاع أصلها الى فرق الأحرار العسكرية Freiekorps التى لعبت دورا هاما فى السياسة الألمانية غداة انتهاء الحرب العالمية الأولى .. فلقد أنشئت أول فرقة عسكرية من الأحرار بتكليف من أول رئيس لجمهورية فيمار « فريدريك ايبرت » حينما عجزت قوات الأمن عن قمع ثورة البحارة التى تشبت فى برلين عام ١٩١٩ . وهنا طلب رئيس الجمهورية من قائد الجيش الألمانى حينذاك (General Groener) تكوين فرقة من المتطوعين الأحرار اليمينيين لقمع الثورات الداخلية ولقد تمكنت هذه الفرقة من القضاء على هذه الثورة فى أيام قليلة (٢) .

وفى مدينة ميونيخ وفى عام ١٩٢٠ نجحت فرقة أخرى من الأحرار فى القضاء علـى محاولة شيوعية لقلب نظام الحكم واقامة ما سميت « بجمهورية رافيار » وكان ضمن أعضاء هذه الفرقة Heinrich Himmler الذى قدر له أن يلعب دورا رئيسيا على مسرح السياسة الألمانية بعد ذلك

---

(١) كان هتلر يطلق على هذه الفرقة فى بعض الأحيان Sportabteilung أى القسم الرياضى وذلك بقصد التمويه ولإظهار مسايرة الحزب للقوانين التى كانت تحرم التظاهر العسكرى اقرأ Waite Robert Vonguard of Nazism, The Free Corps Mouvement in Post War Germany, (Cambridge) 1952, P.87.

(٢) Reitlinger Gerhard: S. S. Alibi of a Nation, Baymond & Peterson London, 1956 P. 3.

بصفته رئيسا لجهاز الـ .S. S المشهور ولما كثر عدد هذه الفرق التى يسمونها بالألمانية Freiekorps اتجه بعض قادتها الى محاولة الثورة على الحكومة المركزية وذلك مثلما فعل Wolfgang Kapp الذى تمكن من طرد الحكومة المركزية فى برلين وتأليف حكومة لم تتمكن من الاستمرار فى الحكم أكثر من أربعة أيام من ١٣ — ١٧ من مارس سنة ١٩٢٠ حيث انسحبت أمام تهديد العمال بالاضراب العام . وهنا تدخل الحلفاء ليضغطوا على الحكومة فى حل الفرق الحرة وأذعنت الحكومة لذلك وان كانت قد استمرت فى اللجوء الى أفراد هذه الفرق لمساعدتها فى القضاء على القلاقل والثورات الداخلية مثل ثورة الشيوعيين فى وادى الروهر التى نشبت بين العمال فى هذا الاقليم الصناعى فى ابريل سنة ١٩٢٠ وتمكنت قوات الحكومة بتأييد بعض قواد الفرق الحرة وأعضائها من القضاء عليها فى فترة وجيزة كذلك لجأت الحكومة المركزية الى الفرق الحرة للقيام بمناوأة الاحتلال الفرنسى لاقليم الروهر عام ١٩٢٣ (١) .

وهناك من المظاهر ما يؤكد صلة فرق الأجرار بالحزب النازى وفرقه العسكرية وأهم هذه المظاهر ان كثيرين من قادة الفرق العسكرية النازية كانو أعضاء فى الفرق الحرة مثل Ernst Roehm الذى تولى قيادة فرقة الـ S. A. و Heinrich Himmler الذى تولى قيادة فرق الـ S.S. كذلك فلقد اتفقت أغراض كلا التنظيمين فيما تعلق بمقاومة الشيوعية الأمر الذى أدى الى التقارب بينهما .

---

(١) المرجع السابق صفحات من ٥/٩

Reitlinger Gerhard, S. S. Alibi of a Nation, Paeterson London.

أولا ـ فرقة العاصفة(١) Sturmabteilung (S. A.)

عرض هتلر لنشأة هذا التنظيم العسكري فى « كفاحى » فقال « منذ بداية نشاطنا ولكى نحفظ النظام فى اجتماعاتنا أنشأت جماعة لحفظ النظام فى قاعات اجتماعاتنا وأطلقنا عليهم اسم « فرقة العاصفة » ولقد ضمت هذه الجماعة بعض الشبان ممن دخلوا الحزب حديثا وممن كنت أعرفهم فى الجيش ، ولقد درب هؤلاء الشباب بشكل يجعلهم مؤمنين بأن الارهاب يقاوم بالارهاب وان النجاح دائما حليف الرجل القوى وبأننا نحارب فى سبيل فكرة رائعة عظيمة نبيلة تستحق التعضيد والحماية بآخر قطرة من الدماء (٢) .

وفى مكان آخر من « كفاحى » أورد هتلر تفريقا بين الـ S. A. والفرق الحرة Freiekorps فقال : ان الـ S. A. تتشابه مع الفرق الحرة فى كون كل منها قد قام لتحقيق فكرة معينة ولكن بينما كانت الفرق الحرة تستأجرها الدولة لحمايتها وتعمل ضد الحكومات المركزية فى بعض الأحيان .. فان فرقة العاصفة النازية S.A. لا تعمل الا لحماية المبادىء النازية فقط . ولم تهدف اطلاقا الى العمل ضد الدولة بالرغم من أن أعضاءها لا يناصرون النظام الحالى للحكم (٣) .

---

(١) يرجع تسميتها بفرقة العاصفة الى قيام افرادها بحماية الاجتماعات السياسية للحزب من الشيوعيين وكما قال هتلر :

« أطلقنا على هذه الفرقة « فرقة العاصفة » لأننى كنت أرى افرادها ينقضون على المخربين الشيوعيين الذين اتوا للقضاء علينا وعلى حركتنا كالعاصفة وبشجاعة نادرة » .

اقرأ Hitler: Mein Kampf P. 385-386.

(٢) مرجع سابق الاشارة اليه صفحة ٥١٨ Hitler, Mein Kampf,

(٣) مرجع سابق صفحة ٦١٢ Hitler, Mein Kampf,

ولقد نفى هتلر عن فرقة العاصفة كونها منظمة سرية على أساس « ان الفرقة السرية تضم متآمرين يجتمعون فى الظلام للقيام بعمليات ضد القانون .. ولكن فرقنا تعمل فى النهار وأمام العامة ، فحركتنا لا تعتمد على الخنجر أو المسدس أو الاغتيال لتحقيق أغراضها ولكنها تهدف الى الاستيلاء على الطريق الرئيسى » (١) .

ولكى لا يظهروا بمظهر الفرق الحرة أو الجمعيات السرية طالب هتلر القائمين على فرقة العاصفة بمراعاة ألا يخضع تدريبها الى آراء عسكرية بل الى قيادة الحزب السياسية لذلك فمن الأفيد لرجالها وللحزب أن يتمرنوا على المصارعة والملاكمة أكثر من التمرين على القتال واطلاق الرصاص . وألا يجتمعوا فى سرية بل يسيروا فى وضح النهار وعلى مرأى من الشعب وألا يجب أن يخضع تدريب هذه الفرقة أو أسلحتها الى نظام الجيش القـديم بل تحفظ لنفسها كيانا مستقلا ينبع من وظيفتها فى الحزب (٢) .

ومن أقوال هتلر السابقة يتضح لنا حرصه على اظهار منظمة الـ S. A. العسكرية بمظهر المسالمة والبعد عن مناوأة السلطات الحكومية وتجنب استخدام العنف أو القسوة .

والواقع ان الفروق التى أوردها هتلر بين تلك المنظمة النازية والفرق الحرة فروق واضحة ولا تحتمل اللبس ولكن فرقة العاصفة لم تلتزم بهذه المظاهر السلمية والأدلة على ذلك كثيرة منها ما أورده هتلر نفسه فى « كفاحى » من الاشتباكات المسلحة بين هذه الفرقة والشيوعيين طوال فترة الكفاح من أجل السلطة كذلك فلقد اشتركت فرقة العاصفة بدور

---

(١) نفس المرجع صفحة ٩١٤

(٢) مرجع سابق صفحة ٦١٣ Hitler's Table Talks

الطليعة فى محاولة الانقلاب الفاشلة التى قام بها هتلر عام ١٩٢٣ ثم ان الدعاية الانتخابية للحزب النازى كانت مدينة لأفراد هذه الفرقة فى حملات الهجوم المسلح على خصومها السياسيين وأخيرا — وليس آخرا — وقبل تصفية فرقة العاصفة عام ١٩٣٤ اشتركت مع المنظمة العسكرية النازية الأخرى (S. S.) فى القضاء على المعارضة للحكومة النازية (١) .

وبعد أن تمكنت فرقة العاصفة من اثبات وجودها بالانتصار على الشيوعيين فى أول معركة دارت بينهما عام ١٩٢٠ اتجه قادة الحزب النازى الى التفكير فى اخراج علم جديد للفرقة وللحركة . ويقول هتلر عن اختيار علم الحركة الذى كانت فرقة العاصفة ترفعه فى مظاهراتها : « حتى عام ١٩٢٠ لم يكن لدينا علم يضارع علم الماركسية الأحمر وكان على حركتنا التى تقاوم الماركسية أن ترفع علما يضارع علمها .. وشغل هذا الموضوع بالنا وقتا كبيرا وانهالت الاقتراحات من كل جانب لأن علمنا يجب أن يكون رمزا لمعركتنا وفى نفس الوقت يجب أن يكون أخاذا لأن كل من يعاشر عامة الشعب يدرك ان مظهر العلم والشعار يمثل أهمية قصوى لديهم .. ولقد رفضنا اقتراح العلم الأبيض لأنه يربطنا بالدولة الألمانية القديمة وببعض الأحزاب التى تعيش على أمل اعادة الأحوال القديمة والى جانب ذلك فاللون الأبيض لا يتمتع بالجاذبية ورفضنا العلم الأسود بالرغم من انه يمثل ظلمة الأيام التى نعيش فيها ورفضنا الأبيض والأزرق بالرغم من منظره الأخاذ لأنه رمز للأحزاب البافارية الانفصالية ولحركة انفصال بارفاريا عن الرايخ .. وأخيرا استقر

---

(١) مرجع سابق صفحة ٢٩ Reitlinger, S. S. Alibi of a Nation,

رأينا على علم أحمر فى وسطه دائرة بيضاء يتوسطها صليب معقوف أسود ففى الأحمر نرى الأفكار والمبادىء الاجتماعية للحركة وفى الأبيض تتمثل الوطنية وفى الصليب المعقوف نرى رسالة الرجل الآرى فى القتال حتى النصر [1] .

ويرتبط تاريخ فرقة العاصفة النازية برجل من أقطاب الحزب النازى المؤسسين ويدعى Ernst Roehm ولقد كان روهم مواليا للفرق الحرة Freiekorps حيث كان ينضم اليهـا من وقت لآخر فى خلسة عن قيادة الجيش ولقـد احتل Roehm مركز المسئول عن فرقة العاصفة وقيل انه كان يمونها بالأسلحة الخفيفة التى كان الجيش البافارى قد صادرها من بعض الفرق الحرة ولقد ظل روهم ينمى من قوة فرقة العاصفة حتى

---

(١) فى البحث القيم الذى اعدته المؤرخة الالمانية Dr. Herte Heinrich عن الحركة النازية ونشرته تحت عنوان Hockenkreutz, Vierkele und Gran-tafel انفردت بنشر الاصل التاريخى للصليب المعقوف كما يلى :

« الصليب المعقوف » بالشكل الذى اتسمت به أعلام النازية يرجع الى ايام الاغريق حيث وجده العالم الاثرى Percy Gardner فى معابد اليونانيين القـدماء كمثل للشمس المشرقة ثم وجـده المؤرخ الروسى Smigoraki فى التاريخ الهندى حيث كان شعارا للهنود الشرقيين وكانت بنفس الشكل الذى اتخذته النازية وعلى كل من أطرافها الأربعة ثلاث نقط ثم استخدمتها القبائل الجرمانية القـديمة مع استبدال النقط بنصف دائرة وعلق عليهـا Saint Thomas بانها ترمز الى التربة التى هى ام الرجل ونهايته وتنمو فى رعاية الله وتخصب لتطعم البشرية وهنا كانت الخصوبة تمثل جنسيا بتناسل الأرض الأم مع الله . والشـكل الملفت للصليب المعقوف انه يرمز الى رجل وامرأة فى وضع التناسل .

اقرأ كتاب المؤرخة المشار اليه الصادر فى برلين عام ١٩٥١ الصفحات من ٨ — ٢٣ .

أصبح قوامها عام ١٩٣٢ حوالى ٢٠٠٫٠٠٠ رجل . وبعد وصول هتلر الى الحكم وفى عام ١٩٣٤ أظهر روهم وبعض أفراد فرقة العاصفة معارضة للحكومة وقيل انهم هددوا بتدبير انقلاب عسكرى فما كان من هتلر الا أن أمر أفراد فرقة الحرس الخاص (الـ .S. S) بتصفية العناصر المناوئة ولقى روهم وكبار قادة الـ .S. A مصرعهم ضمن ممن أرادت الحكومة النازية التخلص منهم من الشيوعيين وكبار رجال الأحزاب المناوئة الأخرى (١) .

ويعتبر هذا التاريخ نهاية لعهد فرقة العاصفة .S. A فى الحزب النازى وبداية لعهد فرقة الحرس الخاص .S. S وانه ان لم تكن هذه الفرقة قد انحلت وانتهى ذكرها بعد أدائها لمهمتها فان التاريخ لم يذكر عنها عقب حوادث عام ١٩٣٤ شيئا وأغلب الظن ان أفرادها قد انضموا الى الجيش الألمانى النظامى بعد ذلك الحين (٢) .

ثانيا ــ فرقة الحرس الخاص S.S. (Schutzstaffel)

اذا كانت فرقة العاصفة Sturmalteiling قد نشأت مع قيام الحزب النازى تتكافح من أجل الوصول الى الحكم فلقد انفردت فرقة الحرس الخاص تحت قيادة Heinrich Himmler بالعمل على صيانة الرايخ الثالث وحماية جبهته الداخلية وفرض المبادىء النازية وذلك منذ تولى هتلر الحكم .

---

(١) يرجع الى عرضنا السابق للانفراد بالحكم .

(٢) من اهم العوامل التى ادت الى التضحية بفرقة .S. A محاولة هتلر التقرب الى رجال الجيش الالمانى الذين يعارضون بقاء هذه الفرقة ورجالها .

مرجع سابق صفحة ٩٣ Shirrer, The Rise and Fall of The Third Reich.

ومن نشأة فرقة الحرس الخاص قال هتلر :

لما تأكدت ان هناك ظروفا تحتم الحاجة الى فرقة منظمة مختـــارة أنشأت عـــام ١٩٢٢ ـــ ١٩٢٣ فرقة « ادولف هتلر » المرعبة "Adolf Hitler Schutzstaffel" وكانت تتكون من رجال مستعدين للثـــــورة ولما خرجت من السجن وكان كل شيء محطما ومنقسما قلت لنفسى انه لابد من الاستعانة بأفراد هذه الفرقة الذين ظلوا على ولائهم وكانوا دائما رجالا أقوياء يستطيعون اذا أمروا أن يسيروا ضد اخوتهم ولم يكن عددهم وقتذاك ليتجاوز العشرين شخصا [١] .

ولقد قامت فرقة الحرس الخاص هذه حسب قول هتلر على عشرين شخصا وبلغ عدد أفرادها عند نهاية الحرب العالمية الثانية حسب أقوال أحد المتهمين فى نورمبرج حوالى ٧٠٠٫٠٠٠ رجل [٢] . وعلى حين لم يظهر للـ S. S. أى ذكر أو فضل على النازية فى فترة الكفاح وحتى الوصول الى الحكم فلقد أجمع المؤرخون كلهم على الربط بين الحكم النازى لألمانيا ونشأة هذه الفرقة وتطورها حتى ان البعض يغالى فيدعى ان الحكم النازى لألمانيا هو فى واقع الأمر حكم فرقة الـ S. S. حيث انها كانت مطلقة السلطة فى الداخل وفى الخارج وفى البوليس وفى الجيش وبين أفراد الشعب بقصد المحافظة على المبادىء النازية وأهداف الحكم النـــازى .

أجل لم يكن لفرقة الـ S.S. أى ذكر فى آيام الكفاح من ١٩/١٩٢٣ ولكن بعد عام ١٩٣٤ تمكنت هذه الفرقة من اثبات ولائها غير المشروط

---

(١) Roper Trevor Hitler's Table Talk 1941-1944 P. 167.

(٢) اقرأ مرجع سابق صفحة ٦٣٣ Unesco., The Third Reich,

لشخص الفوهرر وحازت ثقته خصوصا بعد تمكنها من تصفية المعارضة عام ١٩٣٤ ومن ثم بدأت الـ S. S. فى تقوية مراكزها وتنظيم صفوفها بفضل القيــادة الواعية التى اشتهر بها زعيمها Heinrich Himmler وهو الرجل الذى اقترن اسمه بكل الفظائع التى ارتكبت فى معسكرات الاعتقال وهو الذى نشأ كعضو مغمور فى الحزبالنازى ولم يكن ليخطر على بال زملائه انه سيصبح فى يوم ما المطالب بالخلافة على الرايخ بعد هتلر [١] .

وكان أول عمل بارز قامت به منظمة ال S. S. هو تدبير وتنفيذ حركة

---

(١) هنريش هملر ولد فى مدينة اس Essen عام ١٨٩٤ من عائلة أرستقراطية ونال قسطا وافرا من التعليم حيث تخرج من الجامعة (كلية الزراعة) عام ١٩٢١ وعمل مدرسا باحدى المدارس الزراعية الابتدائية حتى عام ١٩٢٣ حيث دخل معترك السياسة عضوا فى احــدى الفرق الحرة التى قاومت الاحتلال الفرنسى لمنطقة الروهر عام ١٩٢٣ ثم تعرف على هتلر واعجب به ومنذ ذلك الحين وهو منصرف للتفـــرغ للحزب معتمدا على دخله من والديه ، ولقد انحصر نشاط هملر فى الحزب فى حضور الاجتماعات كأحد توابع هتلر الذين كانوا يسيرون فى ركبه حتى عام ١٩٢٥ وكان ضمن قلائل ممن انتظروا هتلر عقب خروجه من السجن ليبدأوا معه اعادة ضم شمل الحزب ثم قام بتنظيم فرقة الـ S. S. وبدأ نجمه فى الصعود عام ١٩٣٤ حينما تمكن من تدبير الايقاع بأعداء النــازية والقضاء عليهم ثم تفنن فى انتزاع الاختصاصات لفرقة الـ S. S. حتى تمكن من جعلها المسئولة عن الامن الداخلى والخارجى وفى نهاية الحرب العالمية الثانية كان هملر يعيش على أمل أن يخلف هتلر فى زعامة الرايخ ولما نمى اليه كذب ظنه هرب عام ١٩٤٤ مع بضعة من أتبــاعه ثم سلم نفسه لأول مركز بريطانى قرب مدينة هانوفر الالمانية حيث انهى حياته بتناول السم اقرأ Bulloc Allan, Hitler, A Study in Tyranny, Bontam Books, New York, 2nd edition, 1955 P. 330-333.

الاغتيالات والاعتقالات التى تمت فى ٢٠ يونيو سنة ١٩٣٤ وهدفت الى القضاء على اليساريين من زعماء الـ .S.A وعلى رأسهم "Roehm" وكذلك زعماء الشيوعيين والراديكاليين والمحافظين وباتمام هذا العمل تحقق للحكم النازى الاستقرار الداخلى بعد تصفية هذه العناصر المناوئة وفى ١٢ يوليو ١٩٣٤ تكلم هتلر فى البرلمان ليشكر أعضاء الـ .S. S على هذا العمل وليقول :

« على ضوء الخدمات الجليلة التى أداها الـ .S. S وعلى الأخص خلال الأحداث التى وقعت يوم ٢٠ يونيو سنة ١٩٣٤ فانتى أرفعهم الى مرتبة المنظمة المستقلة داخل الحزب الاشتراكى الوطنى الألمانى للعمال وسيحمل رئيسها لقب « قائد على مستوى الرايخ » "Reichsleiter" (وهى أعلى درجة فى الحزب بعد الفوهرر) » [1] .

ومن قول هتلر يتضح ان منظمة الـ .S. S لم يكن لها كيان مستقل قبل هذا التاريخ وبأن ما قاموا به من أعمال فى ذلك اليوم هو السبب الرئيسى فى ابراز كيان الفرقة وترقية رئيسها . ومنذ ذلك الحين ومنظمة الـ .S. S بقيادة هملر فى تطور ونفوذها فى ازدياد ، فلقد بدأت باكتساب اختصاص مراقبة أعداء الحركة وتأمين سلامتها فى الداخل ثم تعدت ذلك الى الاشراف على تنفيذ مبادىء الحركة وعلى الأخص ما كان منها متعلقا بالنواحى العنصرية ولما نشبت الحرب العالمية الثانية تسربت الـ .S. S الى الجيش حيث كون أفرادها ما يقرب من (٣٧) فرقة مسلحة بالاضافة الى ما أنيط بها من اختصاصات تعلقت بتأمين الاحتلال الألمانى فى البلدان المحتلة ومراقبة الجواسيس وأعداء النظام النازى والقضاء على حركات

---

(1) Bulloc Allan, Hitler, A Study in Tyranny, Bontam Books New York 2nd edition, 1955 P. 335.

المقاومة الشعبية وأخيرا انتهى الحال بمنظمة الـ S. S. الى الاندماج الكامل فى الجيش العامل حيث صدر قرار من الفوهرر فى ٦ أغسطس سنة ١٩٤٠ بضمها الى القوات المحاربة (١) .

ويبعث قرار ادماج هذه المنظمة فى الجيش على التساؤل فقد تكون المنظمة قد اندمجت فى الجيش اندماجا تاما بقصد الانتفاع بأفرادها فى تدعيم القوات المحاربة وقد يكون هذا الاندماج بقصد الاستمرار فى تحقيق رسالتها وسط القوات الحربية وفى حماها ؟

وليس هناك أى دليل على ان الـ S. S. قد انتهت بانضمامها الى الجيش وفى نفس الوقت تشير كافة الوقائع الى ان قرار الانضمام الى الجيش العامل كان يعنى بداية فى توسع الـ S. S. فى تنمية اختصاصاتها بحيث شملت الى جانب مراقبة المواطنين التدخل فى شئون العسكريين ومتابعة نشاطهم بقصد التأكد من سلامة تصرفاتهم ومسايرتها لرغبات الفوهرر ومقاصده (٢) .

ويحدثنا مؤرخو ألمانيا النازية عن الدور الذى قامت به الـ S. S. أثناء الحرب وكيف انها بعد الاندماج بفرقها العسكرية الى الجيش قد تمكنت من فرض سيطرتها على قادته .. وفى ذلك يقول ويليام شيرر

« لم تكتف الـ S. S. بتكوين فرق عسكرية مستقلة تحمل علمها وتتقدم الصفوف لاحتلال المدن وتطهيرها من المناوئين وانما بث أفرادها داخل بقية الفرق العسكرية بقصد مراقبة أفرادها وقوادها وابلاغ رئاسة

---

(١) Hartmann Fritz, Dokumente des Dritten Reiches, Franz Eher Muncher, 1941 Vol. II P. 159.

(٢) مرجع سابق صفحة ١٦٨ . Reitlinger S.S. Alibi of a Nation.

المنظمة فى برلين عن تحركاتهم وتعليقاتهم وتصرفاتهم فى تقارير يومية [١] .

ومما تقدم يتضح أن منظمة الـ S. S. قد قامت لتحقيق أغراضها فى تأمين سلامة الرايخ وزعمائه فى المجالين الداخلى والخارجى ففى المجال الداخلى اضطلعت الـ S. S. بالمهام الآتية : —

١ — تصفية أعداء الحركة سواء بالاغتيال كما حدث عام ١٩٣٤ أو بالاعتقال دون محاكمات فى معسكرات الاعتقال أو بمراقبة غير الموالين للنازية وتقييد تصرفاتهم وخصوصا اليهود منهم [٢] .

٢ — فرض الرقابة على الأجانب المقيمين فى الرايخ وتقييد خروج الألمان ودخولهم اليه حيث كانت تأشيرات الدخول أو الخروج لا تعطى الا بموافقة الـ S. S. .

٣ — مراقبة أعضاء الحزب أنفسهم وتقديم التقارير عن نشاطهم وتحركاتهم الى الفوهرر ولقد أدت مثل هذه التقارير الى اقصاء بعض البارزين فى الحزب النازى واعتقالهم أمثال Josef Hydrich وغيره [٣] .

ولتنفيذ أهدافها فى المجال الداخلى أنشأت الـ S.S. بوليسا محليا أطلق عليـه : « البوليس السرى للدولة أو Gehime Staatspolitzei واختصارها "GESTAPO" لقد قام هذا البوليس ببث الرعب فى صفوف المواطنين أثناء الحكم النازى سواء فى الداخل أم فى البلدان المحتـلة

---

(١) مرجع سابق صفحة ٥٦٩ W. Shirrer, The Rise and Fall of ......

(٢) فرضت الـ S. S. على اليهود الذين ظلوا مقيمين فى المانيا بعد عام ١٩٣٩ نظما صارمة تناولت مراقبة تصرفاتهم وتقييـد تحركاتهم فى نطاق ضيق وتخصيص اماكن معينة لارتيادهم وتسوقهم واقامتهم انظر نفس المرجع صفحة ٤١٣

(٣) اقرا مرجع سابق صفحة ٢٢٥ .
G. Reitlenger, S. S. Alibi of a Nation.

حيث كانت له سلطات التفتيش والاعتقـال والترحيل الى السجون والمعتقلات لمجرد الاشتباه .

ذلك فى المجال الداخلى أما فى المجال الخارجى فلقد بينا الدور الذى لعبته الـ S. S. بين قواد الجيش الألمانى وجنوده وبالاضافة الى ذلك فلقد كان حاكم المدينة المحتلة أو وكيله على الأقل من رجال الـ S. S. الذى وقع عليهم عبء تطهير البلدان المحتلة من اليهود والمناوئين بقصد تأمين الاحتلال الألمانى .

ولقد نشأ رجل الـ S. S. على الاخلاص للحركة وللفوهرر حتى الموت بل ان تدريباته كانت تهدف الى تجريده من انسانيته وطبعه بطابع احتقار الحياة والاستهانة بها وبحياة الآخرين . ولذلك أقامت الـ S. S. مدرسة خاصة لتدريب أفرادها . وفى هذه المدرسة كانت تدرس لهم النظرة النازية الى العالم Weltahschaung على أساس كونها ديانة العهد الجديد التى لا يمكن التهاون فى تنفيذها ثم انه فى هذه المدرسة كان رجل الـ S. S. يمر بتجارب قاسية لتعليمه نكران الذات واحتقار الحيـاة .

واذا وصل الفرد الى احتقار الحياة فانه يحتقر حياة الآخرين وتهون عليه مثلما تهون عليه التضحية بنفسه فى سبيل مثله العليا التى تنحصر فى كونه عضوا محاربا فى مجتمع عسكرى لا يملك الا أن يتبع قائده الى آخر الطريق ، أما قيم الحياة مثل الكرامة والشرف والانسانية فهى فى نظر رجل الـ S. S. معدومة الا اذا حددها القانون أو رسمها القائد[1].

ولقد بلغ اعجاب هتلر بمنظمة الـ S. S. الى حد قوله :

« ان الرايخ الألمانى العظيم لن يتكون فقط من مجموعات الناس التى

(١) نفس المرجع السابق صفحة ٤١ Reitlinger,

تؤازر العهد الجديد لهذا فقد كان من الضرورى انشاء بوليس حربى للدولة يكون قادرا فى كل الأحوال أن يمثل أغراضها ويفرض سلطة الرايخ داخل حدوده » .

مثل هذا العمل لا يمكن أن يضطلع به الا رجال من صفوة الدم الألمانى ومثل هذه الفرقة العسكرية لهى القادرة فى أوقات الأزمات على أن تقف فى وجه المتمردين والمخربين وان رجل الـ S. S. الذى يرتدى الزى الأسود وعلى ذراعه شريط الصليب المعقوف تحت علامة رأس الميت لهو المثل الحى للدم الألمانى النقى والروح الآرية التى لا تعرف الخوف وتشق طريقها نحو أغراضها لتموت أو تنتصر » (١) .

أى ان منظمة الـ S. S. التى بدأت كفرقة للحرس الخاص تحيط بهتلر وأعوانه لتمنع عنهم المشاغبين قد تحولت عـــام ١٩٣٤ لا لترث المنظمة الشقيقة الـ S. S. فحسب بل وأن تتحول الى جهاز لحماية الدولة فى الداخل وفى الخارج . ولقد تمكنت هذه المنظمة من تحقيق أهدافها بعد أن نجح هملر بوسائله وتدريباته فى سلب رجالها شعورهم وتحويلهم الى مجرد آلات طيعة فى يده ولم يكن تحويل الرجال الى آلات لا تفكر هدفا انفرد هملر بمحاولة تحقيقه وانما شاركه فى ذلك أيضا هتلر نفسه الذى كان أقصى ما يتمناه أن يجمع من حوله شعبا لا ارادة له . ولقد استمر رجال الـ S. S. فى حمل لواء الرايخ الألمانى حتى الأيام الأخيرة من الحرب العالمية الثانية ، حيث لم تفلح انتصارات الحلفاء المتكررة فى الشهور الأخيرة من عام ١٩٤٤ فى حملهم على الارتداد عن رسالتهم وكانوا دائما مؤمنين بالنصر . ولما اتضح لهم ان المدن الألمانية قد بدأت

---

(١) Hitler's Table Talk, 1941-1944 Weidenfeld and Naicolson, London 1958 P. 201.

فى التساقط فى أيدى الحلفاء لم يبق أمامهم الا التسليم . « وكان رجال الـ S. S. الشجعان الذين لا يهابون الموت .. كانوا عندما سلموا أنفسهم للحلفاء مجرد أطفال يرددون باكين لعبارة (لقد خدعنا الفوهرر) » (١) .

وسواء خدعهم هتلر أو غرر بهم هملر فلقد ظلت مسئولية الارهاب ومعسكرات الاعتقال أثناء الحكم النازى دائما مسئوليتهم التى ظلوا يحاكمون عليها حتى اليوم (٢) .

ومن العرض السابق لتنيمات الحزب النازى يتضح لنا ان هـذا الحـزب قد عنى بأنواع ثلاثة من التنظيمات هى : التنظيمات الداخلية والخارجية والعسكرية .

ومن هذه التنظيمات بدأ الحزب بالتنظيم العسكرى منذ نشأته وأثناء فترة كفاحه للوصول الى الحكم . أما التنظيمات الخارجية والداخلية فلقد ثبت لنا بأن الحزب لم يبدأ فى الاهتمام بها الا بعد توليه الحكم عام ١٩٣٣ وتقودنا هذه الحقائق الى التعليقات الآتية : —

أولا — ان الحزب النازى قد ظل طوال أربعة عشر عاما منذ نشأته حتى وصوله الى الحكم مرتكزا فى تنظيماته على أساسين : أولهما فرقته العسكرية « العاصفة » وقدرتها على اجتذاب الجماهير وثانيهما شخصية

---

(١) المرجع السابق صفحة ٥١٦ Shirrer The Rise and Fall

(٢) تطالعنا الصحف من آن لآخر عن محاكمة بعض أفراد الـ S. S. أمام المحاكم الألمانية كلما تجمعت الاتهامات التى تدينهم كذلك فلا يمكننا أن ننسى محاكمة ايخمان الذى اختطفته اسرائيل من الأرجنتين لتحاكمه فى محاكمها عام ١٩٦٢ على جرائم نسبت اليه عام ١٩٤٢ بل أن قانون محاكمة النازيين القدماء فى محاكم ألمانيا الغربية الذى ينتهى أجله عام ١٩٦٥ قد امتد العمل به لمدة خمس سنوات أخرى .

هتلر وموهبته الخطابية التى تمكنت من اكتساب الأنصار . وهنا ومن حيث التنظيم يتضح الفرق بين الحزب النازى والأحزاب الديمقراطية فعلى حين كانت الأحزاب الديمقراطية فى أوروبا قد نظمت كيانها معتمدة على مبادئها وتركزت مجهوداتها فى اكتساب المقاعد البرلمانية فقد نشأ الحزب النازى لينتزع الأنصار وليبهر بقواته المدربة الابصار وبينما كانت الأحزاب الديمقراطية تعتمد على الاقناع والنقاش فى شق طريقها السياسى فاننا نجد ان الحزب النازى قد اعتمد على القوة واظهار المقدرة على البطش بخصومه السياسيين (1) . ومن هنا يتضح لنا أن التنظيم العسكرى للحزب النازى .S. A قد لعب دورا رئيسيا فى اخراج الحزب لا الى حيز الوجود فحسب بل وصوله الى مركز المنافسة مع الأحزاب الكبرى فى ألمانيا فى وقت قصير .

ثانيا — ان أبرز تنظيمات الحزب النازى لم تظهر الا بعد وصول الحزب الى الحكم عام ١٩٣٣ وسبب ذلك فى رأينا ان نظام الحزب الواحد الذى اتبعته ألمانيا النازية بعد حل الأحزاب السياسية قد فرض على الحزب النازى واجب تنظيم صفوفه وابراز منظماته فمن حيث التنظيم الداخلى عمد الحزب الى الخروج بلائحة تنظيمية لشروط الالتحاق به ليمنع على حد ادعاء زعمائه الانتهازيين والوقتيين من الانخراط فى صفوفه . ومن فرط الرغبة فى انشاء جسر ليربط بين ألمانيا بوجه عام والحزب النازى بوجه خاص من ناحية وبين الألمان المغتربين الذين كانوا يعيشون فى البلاد الأوروبية الأخرى ويشكلون أقليات فيها أنشأ الحزب النازى الحاكم منظمة الشئون الخارجية أما المنظمة

---

(1) Corry and Abraham, Elements of Democratic Gouvernment New York, Oxford University Press, 1958 P. 275.

العسكرية الـ .S. S فلقد اكتسبت اختصاصاتها الأمينة لا على مصالح الحزب وسياسته فحسب بل على أسرار الدولة الألمانية كلها سواء فى الداخل أم فى الخارج .

ثالثا — اتضح بعد وصول الحزب النازى الى الحكم مظاهر الازدواج فى الاختصاص بين منظماته والجهاز الحكومى ولما كانت وحدة الحزب والدولة قد تحققت بوجود الفوهرر زعيم الحزب على رأس الدولة فقد كان لابد من اتخاذ الاجراءات السريعة لتوحيد وتنسيق الاختصاصات وفى هذا السبيل الحق أفراد فرقة العاصفة بعد حلها عام ١٩٣٤ الى الجيش العامل وأوكلت اختصاصات الأمن الداخلى بصفة رسمية الى فرقة الحرس .S. S وألحقت منظمة الشئون الخارجية للحزب النازى بوزارة الخارجية أما وان هذه الاندماجات لم تهدف الا الى صالح الحزب ولم تظهر الا توغل الـ .S. S لتسليم مقاليد الجيش والمنظمة الخارجية المسيطرة على نشاط السفارات الألمانية فى الخارج فان ذلك كله لم يعن الا حقيقة واضحة وهى عدم الاطمئنان الذى طالما يظهره حكم القوة الغاشمة واتجاهاته الى وضع مقاليده فى أيدى أتباعه ومرتزقيه تأمينا لسلامته وتفضيلا لصالحه الخاص على الصالح العام .

النازية بين الأيديولوجية والتطبيق "ختام"

فى الجزء الأول من هذه الرسالة عرضنا للمبادىء الأساسية التى قامت عليها الدعوة النازية وفى الجزء الثانى تناولنا الحزب النازى باعتباره الجهاز الذى رفع شعارات هذه الدعوة وكافح من أجلها حتى تحقق له طريق الانفراد بالحكم . وفى كلا الجزئين بحثنا أهم ما اتخذته الحكومة النازية — حتى قيام الحرب العالمية الثانية — من تدابير لتنفيذ مبادئها وتحقيق حرية العمل السياسى لحزبها وبذلك تحققت لنا دراسة النازية من حيث كونها دعوة وحزب وحكومة .

كانت النازية دعوة سياسية ارتكزت على مبادىء عنصرية ودينية واشتراكية واستعمارية . ولقد تبين لنا ان هذه المبادىء كانت معتمدة الى حد كبير على الفكر السياسى الألمانى القديم وان مهمة دعاة النازية انحصرت فى ابرازها والتبشير بامكانية تنفيذها كما انها كانت مختارة بعناية لترضى مختلف الفئات الشعبية وتثير حماسهم وتحيى فى نفوسهم ذكريات العنصرية المدفوعة وآمال الامبريالية المرتقبة . ولم تصل المبادىء النازية الى مرتبة الفكر السياسى المميز لأنها قامت على أكتاف ممثلى الطبقة المتوسطة الدانية وهم الذين لم يحظوا بقدر كاف من التعليم وكانت موجهة الى الدهماء الذين لا تستخدم فى مخاطبتهم حجج المنطق أو لغة الثقافة ، كذلك — وهو الأهم — فلقد امتلكت الدعوة النازية من وسائل جذب الأتباع وانتزاع الأنصار مثل استخدام القوة وتجريح الشعارات المضادة والاعتماد على الخطابة الهتلرية فى التأثير على الجماهير

ما أغناها عن العناية بدعم مبادئها . ثم انه قد ظهر لنا ان الدعوة النازية وحكومتها قد ميزت بعض هذه المبادىء عن البعض الآخر فبينما حظيت المبادىء العنصرية والسياسية والاستعمارية برعاية فى المذهب وقوة فى التنفيذ فلقد جاءت المبادىء الاشتراكية والدينية ضعيفة فى مبناها ولم تحقق الحكومة النازية منها الا ما كان سبيلها الى الانفراد بالسلطة وتوجيه موارد الدولة استعدادا لحرب الاستعمار . وقد يرجع هذا التمييز فى رأينا الى انه بينما أمكن للمبادىء العنصرية والسياسية والاستعمارية اجتذاب الأنصار ممن أطربهم شعارات رفعة العنصر والحقد على اليهود ، وهؤلاء الذين رأوا فى النازية نذيرا بعودة عصر القياصرة بحكمه المطلق القوى وتاريخه المجيد ، وأولئك الذين رزحوا تحت نير عقدة الاستعمار ، فان المبادىء الدينية والاشتراكية قد تسببت فى اثارة العقبات أمام تقدم الدعوة النازية . فلقد أدت الدعوة الى المسيحية الايجابية الى الاصطدام بزعماء الكنيستين ، وكانت الدعوة الاشتراكية مثارا للانقسام داخل الحزب النازى نفسه بالاضافة الى أحجام الرأسمالية الألمانية وخشيتها من الدعوة الجديدة . وعلى حين تمكنت الحكومة النازية من تحطيم المعارضة الدينية فلقد عمدت الى نبذ اشتراكيتها فى سبيل ارضاء الرأسمالية الألمانية التى ساعدتها على تحقيق أهدافها الاستعمارية . بل ان القضاء على معارضة رجال الكنيستين للحكومة النازية لم يقصد به تحقيق المسيحية الايجابية التى نادت بها الدعوة النازية بقدر ما قصد به اطلاق يد الحكومة للعمل منفردة فى جميع المجالات ، ولم يكن اتجاه هذه الحكومة لتوجيه الاقتصاد مستهدفا تحقيق الاشتراكية بل قصد به تخصيص موارد الدولة وامكانياتها لخدمة أغراض التوسع والاستعمار ومن كل ذلك يتبين لنا ان المبادىء العنصرية

والسياسية والاستعمارية قد شكلت عماد الدعوة النازية ، وأهم ما حققته حكومتها منها . ولكننا نلاحظ ان المبادىء العنصرية ومبادىء الحكم المطلق كانتا الى حد كبير وسائل فى خدمة المبادىء الاستعمارية للدعوة النازية فلقد ارتكز مبدأ المجال الحيوى على أحقية العنصر الألمانى بمقتضى تاريخه ورسالته فى اقامة امبراطوريته الكبرى وفى غزو الشعوب التى تدنوه فى الأصل والرقعة ، وما كانت الدعوة النازية الى نبـذ تعاليم الديموقراطية وتحقيق مبدأ الزعيم لتجد هذا التأييد من الشعب الألمانى لو لم ترتبط بقدرة هذا الزعيم على اعادة تأسيس الامبراطورية الألمانية التى حطمتها معاهدة فرساى وبقصد اظهار مبادئها الاستعمارية ، ودمغت الدعوة النازية اليهود باعتبارهم أعداء العنصر الألمانى ومن شـاركوا فى الحاق الهزيمة به فى الحرب الاستعمارية العالمية الأولى وجرؤ دعاتها على الجهر بعدائهم لديموقراطية فيمار على اعتبار ان حكام الدستور الجـديد غير أكفاء لحمل الرسالة الاستعمارية وتحقيق الامبراطورية الألمانية المرتقبة هذا من ناحية المبدأ أما من حيث التنفيذ فلقد ظهر لنا ان مؤازرة الرأسمالية ورجال الجيش الألمانى لما اتخذته الحـكومة النازية من اجراءات لتحقيق الحكم المطلق وتنفيذ اللاسامية كان مرجعها الأساسى الأمل فى أن يتمكن هتلر من اقامة الامبراطورية الموعودة التى تحقق آمال العسكرية الألمانية وأهداف رأسماليتها البورجوازية .

ومن هذه الموازنة يتضح لنا بجلاء ان الاستعمار كان الطابع المميز للدعوة النازية والمظهر الواضح لسياسة حكومتها . ولقد نشأت عقدة الاستعمار فى ألمانيا نتيجة تأخـرها عن موكب الاستعمار الأوروبى ولما أراد القيصر الثانى اللحاق بهذا الركب اضطر الى دفـع بلاده الى أتون الحرب العالمية الأولى ثم قدر للامبريالية الألمانية أن تتحطم وكانت

معاهدة فرساى بمثابة الحقيقة المؤلمة التى أيقظت الحلم الاستعمارى الألمانى وهنا ظهرت النازية لتنادى بالصحوة بعد الكبوة ، وبالأمل محل اليأس وأخذت دعوتها بيد النفوس المحطمة ، والرؤوس المنكسة نحو ما بشرت به من علائم الاستعمار العنصرى الجديد . ولقد اتفق الاستعمار النازى مع الاستعمار الأوروبى فى الهدف وان اختلف معه فى الوسيلة فنحو الهدف المعروف للاستعمار من استغلال الشعوب ونهب خيراتها وتطعيمها بالثقافات الأجنبية واحتكار أسواقها وتسخير رجالها فى العمل وفى الحرب لصالح المستعمر ، نحو هذا الهدف سارت النازية الى جانب النظريات الاستعمارية الأوروبية الأخرى (١) .

ولكنه على حين اتجه الاستعمار الأوروبى الى الاستكشاف بقصد الاستعمار فلقد ارتأت النازية تحقيق أهدافها الاستعمارية داخل القارة الأوروبية ويرجع هذا الاتجاه الاستعمارى النازى — فى رأينا — الى عاملين : أولهما . ان النازية قد نشأت فى وقت كانت فيه القوى العالمية قد انتهت من مشكلة توزيع المستعمرات وأثبتت الحرب العالمية الأولى تكاتفها من أجل الحفاظ على مصالحها المشتركة واستعدادها لخوض الحروب الطويلة دفاعا عن الوضع الراهن بالنسبة لمستعمراتها فيما وراء البحار لذلك لم يكن أمام النازية الا أن تنادى بالتوسع داخل القارة الأوروبية وعلى حساب النمسا ومخلفات امبراطوريتها النمساوية المجرية والاتحاد السوفييتى .

ولتبرير التوسع على حساب هذه البلدان خرجت النازية بالدعوة لوحدة الشعوب الألمانية ولحماية الأقليات وللقضاء على رأس الشيوعية

---

(١) عن أهداف التوسع الاستعمارى اقرأ : Morgentau Hans Politics Among Nations Third Edition, Alfred Knopf Publisher, New York 1961 P 55-57.

الدولية وقد ظنت امبريالية النازية ان أهدافها ما دامت منحصرة فى أوروبا وبعيدة عن مستعمرات ما وراء البحار فانها لن تلق من القوى الاستعمارية المقـاومة الايجابية التى تهدد بنشـوب الحرب معها .. أما السبب الثانى وهو الأرجح فان النازية لم تنادى بالاستعمار داخـل أوروبا الا كخطوة أولى تمهد لها السبيل الى اقامة الدولة الألمانية العظمى القادرة على فرض كلمتها وارجاح كفتها عن الدخـول مع القـوى الاستعمارية فى نزاع جدى من أجل اعادة توزيع المستعمرات . ولم يخف هذا الهدف عن انجلترا التى آثرت الاشتباك العسكرى مع ألمانيا من أجل بولندة عام ١٩٣٩ وفى وقت لم تكن قد أكملت فيه استعدادها الحربى وذاقت جيوشها مرارة الهزائم أمام الجيوش الألمانية طيلة ثلاث سنوات وذلك فى سبيل الانتصار عليها فى معركة المصير الاستعمارى (١) .

ونحو هذا القصد الاستعمارى الأساسى سارت النازية جنبا الى جنب مع الفاشية الايطالية والامبريالية اليابانية ولكنها اختلفت مـع الماركسية السوفييتية . فلقد قام نظام الحكم الفاشى فى ايطاليا عام ١٩٢٢ مناديا باعادة تأسيس الامبراطورية الرومانية (٢) ، واتجه حكم هيروهيتو فى اليابان عـام ١٩٣٥ الى تنفيذ آمـال العسـكرية اليابانية فى بناء الامبراطورية اليابانية الآسيوية (٣) . أما الماركسية السوفييتية فلقد قامت على تعاليم ماركس ولينين اللذان آمنا بنبذ الاستعمار واعتبراه آخـر مراحل الرأسمالية التى بشرت الشيوعية بقرب فنائها ولعل وحدة الهدف

---

(١) Churchill Winston Sir Memoirs of The Second World War Houghton Mifflin Comp. Boston 1959 P. 409.

(٢) Murno I E Fashism to World Power. Macklerhouse, London 1933 P. 56

(٣) مرجع سابق صفحة ٩٣ Ebenstein Today's ISMS.

الاستعمارى ومحاربة تسلل المذهبية الماركسية هى التى حفزت ألمانيـا النازية واليابان الامبريالية لعقد محالفتها المشهورة An ticommentern فى ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٣٦ وانضمت اليها ايطاليا الفاشية فى ٦ نوفمبر سنة ١٩٣٧ .

* * *

هذه هى الدعوة النازية التى كان الاستعمار أبرز مبادئها أما الحزب النازى فلقد كان ذلكم التنظيم الادارى الذى حمل لواء الدعوة النازية وسار بها فى طريق النزاع البرلمانى مع الأحزاب الألمانية الأخرى حتى نجح فى الوصول بزعيمه الى رئاسة الوزارة عام ١٩٣٣ وفى أثناء الكفاح من أجل السلطة برز الحزب النازى بتنظيماته العسكرية التى طبعت الدعوة النازية بمظاهر القوة وحمتها من المناوءات الحزبية وكانت أداتها فى شق طريقها بين الجماهير وبتولى هتلر الحكم تحقق للحزب النازى الانفراد بالعمل السياسى بعد حل الأحزاب الأخرى . ويقف الباحث عند هذه النقطة ليتساءل عن وضع الحزب النازى فى الدولة النازية هل احتفظ باستقلاله عنها أم اندمج فيها وأصبح أحد أجهزتها ؟ هل احتفظ لنفسه بصلاحيات الطبقة المختارة للحكم كأعلى السلطات السياسية فى الدولة أم تخلى عن مسئولية المشاركة فى الحـكم وترك مقاليده بين يدى السلطة المطلقة « للزعيم » .

حرص الحـكم النازى على ابراز الكيان المستقل لحزبه السياسى الوحيد فلقد كان للحزب النازى مركزه المالى المستقل الذى لا يخضع لاشراف الحكومة ورقابتها مثل أجهزة الدولة الأخرى التى اختصت محكمة المحاسبات بالتفتيش على ميزانياتها ومصروفاتها وأخضعت حتى الكنائس لرقابتها . وكانت ممتلكات الحزب النازى معفاة من الضرائب كما ان قوانين الدولة قد راعت استقلال الحزب وكانت المحاكم الألمانية

ترفض النظر فى القضايا التى يكون الحزب النازى طرفا فيها بينما كان القانون الجنائى الألمانى يحمى موظف الحزب ويعاقب المسيئين اليه أثناء تأديته لوظيفته .. « حتى من ادعى كذبا بالانتماء الى الحزب كان عقابه السجن مدة ستة شهور » [1] .

ومن هذا يتضح لنا ان الحزب النازى كان جهازا مستقلا عن الأجهزة الحكومية فى الدولة ولا يخضع الا لرئاساته بينما كان أعضاؤه مميزين عن بقية المواطنين ولكنه لما كانت رئاسات هذا الحزب تشغل فى نفس الوقت مناصب القيادة فى الحكومة فلقد اتضحت مظاهر اندماج الحزب النازى فى الحكومة بما يجب مظاهر استقلاله عنها فلقد كان رئيس الحزب النازى « ادولف هتلر » رئيسا للدولة الألمانية وكان نائب الزعيم لشئون الحزب رودلف هيس عضوا فى الوزارة النازية ، وشغل رئيس جهاز الدعاية فى الحزب « جوبلز » منصب وزير الزراعة ، وزعيم منظمة الشئون الخارجية بوهلة منصب وكيل وزارة الخارجية ، وعين قائد فرقة الحرس الخاص «هملر» رئيسا للبوليس الألمانى والجستابو [2] ، وكان المحافظون والعمداء وحكام المقاطعات من أعضاء الحزب النازى ثم حدد قانون ١٠ يوليو ١٩٣٤ أفضلية أعضاء الحزب فى تولى وظائف الدولة ، كما أعطى قانون ٢٦ يناير ١٩٣٧ للفوهرر الحق فى طرد أى موظف فى الدولة لا يرضى

---

(١) من مقال بقلم Gerhard Kramer رئيس المحكمة العليا بمدينة هامبو تحت عنوان . The Induence Of National Socialism on The Courts of Justice
منشور فى كتاب : U. N. E. S. C. O. The Third Reich
مرجع سابق صفحة ١٠٣

(٢) جستابو تعريب للكلمة الالمانية G.E.S.T.A.P.O. التى هى اختصار للتعبير Geheimstaatspolitzei وترجمته « البوليس السرى للدولة »

الحزب عن تصرفاته [1] . وبمقتضى هذه القوانين شغل أعضاء الحزب النازى عام ١٩٢٧ حوالى ٨٠٪ من وظائف الدولة العليا ، وارتفعت نسبة الموظفين من أعضاء الحزب النازى من ٦ر٧٪ عام ١٩٣٣ الى حوالى ٣٢٪ عام ١٩٣٧ [2] . وكل هذه المظاهر تؤيد اتجاه القائمين على الحكم النازى نحو ادماج الحزب النازى فى الدولة ، ولنا الآن أن نتساءل هل احتفظ الحزب النازى مع ذلك باختصاصاته المستقلة أم انه قد تحول ليصبح أحد الأجهزة الادارية فى الدولة النازية ؟ اننا نعتقد ان تطعيم أجهـزة الدولة بأعضاء الحزب النازى قد قصد به ثلاثة أهداف هى : مكافأة هؤلاء الذين كافحـوا من أجـل الحركة النازية بتعيينهم فى مناصب الحكومة ، والقضاء على تضارب الاختصاصات بين الأجهزة الحكومية والتنظيمات المناظرة لها فى الحزب النازى ، وتصفية الكيان السياسى المستقل للحزب وتحويله الى أحد العناصر التى يرتكن عليها الحكم الهتلرى الشامل . فلقد كان على هتلر أن يختار بعد أن وصل الى الحكم بين الابقاء على الحزب النازى ليكون السلطة السياسية العليا فى البلاد ، أو نقل اختصاصات هذا الحزب الى الدولة وأجهزتها توطئة لتصفيته بعد أن حقق أغراضه ، أو الاحتفاظ بالحزب النازى لتقتصر مهمته فى تنفيذ أغراض الحكم النازى والدعاية للعهد الجديد . ولما لم يكن الانقياد أو المشاورة أو تقدير النصح من طباع هتلر الذى ما كان ليطيق المعارضة أو الرأى المخالف فانه — كرئيس للدولة والحكومة والجيش — لم يكن فى حاجة الى الابقاء على الوضع السياسى للحزب أو اعطائه من الصلاحيات

---

(١) مرجع سابق صفحة ٦٦ — ٦٨ Ebenstein The Nazi Elite.

(٢) Lerner Daniel The Nazi Elite / Stanford University Preess California 1955 P. 68.

ما يجعله مسئولا معه عن الحكم ، ولكنه وفى نفس الوقت لم يرتئى تصفية نشاط الحزب نهائيا نظرا لحاجة الحكم النازى لأعضائه المخلصين المستعدين لحمايته ضد أى نشاط مضاد أو تمرد قد يقوم بها أعداؤه أو الأجهزة العسكرية فى الدولة فضلا عن ان قادة العهد الجديد فى ألمانيا أرادوا الاحتفاظ — على سبيل الشكل — بمظاهر الديموقراطية على أساس ان نظام الأحزاب ما زال قائما وان الشعب الممثل فى الحزب النازى يشارك فى مسئوليات الحكم .. لهذه الاعتبارات ظل الحزب قائما لتنحصر مهمته على حد قول هتلر فى خطاب له بمدينة نورمبرج فى ١٣ أغسطس سنة ١٩٣٧ « .. فى تنمية التنظيمات الداخلية لتصبح خلايا دائمة للتثقيف النازى ولتعليم الشعب معانى هذه الفكرة ولترشيح هؤلاء الذين آمنوا بها للعمل فى وظائف الدولة العليا [1] . ولعل فى قول هتلر هذا لأبلغ دليل تؤكد به اعتقادنا ان الحزب النازى لم يكن له أثناء الحكم النازى أية مسئوليات قيادية بل انحصرت أهدافه الظاهرة فى عمليات التثقيف النازى لأفراد الشعب وعقد المؤتمرات التى يطلبها « الزعيم » فى المناسبات التى يحددها والعمل على نشر الدعوة النازية فى الداخل والخارج .. ذلك الى جانب أهدافه المستترة حيث اشتركت منظماته مع الأجهزة البوليسية فى الدولة لرقابة أعداء النظام الجديد وتأمين سلامته . ونخرج من هذه المناقشات بحقيقة هامة هى ان الحزب النازى قد فقد مكانته فى الدولة النازية كحزبها السياسى الوحيد ولم يزد عن كونه أحد أجهزتها الاستشارية الخاضعة لأوامر الزعيم . وهنا يتضح الفارق الكبير بين نظام الحزب الواحد فى الاتحاد السوفييتى ومثيله

---

(١) Quoted by Jarman in The Rise And Fall Of Nazi Germany.
مرجع سابق صفحة ١٧٠.

الذى أخذت به ألمانيا النازية فمع التشابه فى التنظيم الداخلى للحزبين الشيوعى والنازى* وخضوع كل منهما لنظام الرئاسة الهرمى فانه بينما كانت قيادة الحزب الشيوعى السوفييتى مركزة فى لجنته المركزية فان قيادة الحزب النازى كانت مطلقة لشخصية الزعيم . أى انه بينما اعتمد تنظيم الحزب النازى على مبدأ الزعيم فان تنظيم الحـزب الشيوعى السوفييتى قائم على مبدأ القيادة الجماعية . كذلك يظهر الفرق بين الحزبين فى علاقة كل منهما بالسلطة التنفيذية فعلى حين كانت اختصاصات الحزب النازى محددة فى تطعيم الجهاز الحكومى بأعضائه ونشر المذهبية النازية والدعوة للزعيم وتبرير تصرفاته فان الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى يقف فوق السلطة التنفيذية ويخطط لها ويشرع أهم قراراتها .

والواقع ان هذه الفروق الجوهرية بين نظام الحزب الواحد فى كل من ألمانيا النازية والاتحاد السوفييتى لترجع فى المقام الأول الى مفهوم كل من لينين وهتلر للحزب واختصاصاته . فلقد كان للينين نظريته الحزبية التى قام عليها الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى وكل الأحزاب الشيوعية القائمة فى البلاد الأخرى وبمقتضى هذه النظرية يقوم الحزب الشيوعى على ثلاثة خصائص هى : — الاعتماد التام على الماركسية كعقيدة تغذى مختلف السياسات والأهداف ثم ان الحزب الشيوعى فى نظر لينين ليس تنظيما شعبيا يرمى الى اجتذاب الأنصار ولكنه يهدف الى تحقيق آمال الطبقة الرئيسية فى المجتمع ويتطلب من أعضائه الاخلاص التام للثورة التى ينادى بها ثم لاقامة دعائم المجتمع الجديد الذى تسعى هذه الثورة لتحقيقه ، وآخر هذه الخصائص هى ان الحزب الشيوعى هو منظمة مركزية ترفض أى مظهر من مظاهر الاستقلال فى الرأى وتقوم على نظام التبعية الهرمية وقد تسمح بمناقشة أعضائها فى الأمور التى

لم تعرض على الحزب . ولكن ما أن تفصل اللجنة المركزية فى هذه الأمور فانه على الأعضاء تقبل قرارها دون مناقشة (١) . وكما قام الحزب الشيوعى على الايمان بالماركسية فان الحزب النازى قد قام على النظرة النازية الى العالم Weltahshaung ولكن بينما كانت الماركسية نظرية جامعة أحدثت ثورة فى علوم الاقتصاد والسياسة والاجتماع وأقامها مؤسسها على المنطق والدراسة الواعية المتاريخ فان النظرة النازية للعالم لم تكن أكثر من تجميع لبعض الآراء التى غالت فى تقدير القيم العنصرية للفرد والمجتمع ، واذ كانت الماركسية — وقت ظهورها — نظرية عالمية تقبل التطبيق فى مختلف البلدان والمجتمعات فلقد انحصرت أهداف النظرة النازية الى العالم فى اكتشاف البلسم العنصرى القادر على معالجة أمراض المجتمع الألمانى . هذا الى جانب الفروق البينية بين كارل ماركس ولينين وثقافتهما ومكانتهما فى الفكر السياسى العالمى وهتلر أو روزنبرج اللذان يرجع الى أيهما أو كليهما الفضل فى الخروج بالنظرة النازية الى العالم واشتهرا بالانتهازية وباستغلال المبادىء لخدمة أهداف الكفاح النازى ولم يكن لأى منهما من القدرة والثقافة وحجية البيان ما يسمح لهما بالجلوس مع كارل ماركس أو لينين على مائدة التشريع المذهبى . ثم ان الحزب الشيوعى — كما أراده لينين — كان ثوريا لا يهتم بجمع الأنصار بقدر ما يتطلب من أعضائه الايمان التام بقضيته والاستعداد للموت فى سبيل انتصار البروليتاريا .. أما الحزب النازى فلقد انكب على جمع الأنصار واستهدفت أهم مبادئه ارضاء مختلف الطبقات ووصل الى درجة عالية من الكفاءة فى وسائل التأثير على الجماهير ، وبينما كان الوصول الى الحكم حقيقة آمن بها الحزب الشيوعى السوفييتى بمقتضى

(١) مرجع سابق صفحة ٨١٨ Sabin A history Of Political Theory.

حتمية التحول الاشتراكى فلقد جعل هتلر من الوصول الى الحكم هدف الحزب النازى الوحيد الذى سعى الى تحقيقه بمختلف الوسائل من تجربة الانقلابات الى السير فى ركاب التنافس البرلمانى مع الأحزاب الأخرى ومن ترغيب الأنصار الى ارهاب الخصوم ومن الكيد للحكومة المركزية ومهاجمتها الى تأييدها ومحاربة أعدائها وذلك فى سبيل الوصول الى الحكم وتحقيق أمل هتلر فى الانفراد به . ولقد أثر المفهوم الحزبى لكل من لينين وهتلر على النحو المشار اليه فى مركز كل من الحزب الشيوعى والحزب النازى فى دولتيهما بعد الوصول الى الحكم ، فبينما اعتبر هتلر ان الهدف الأساسى من قيام الحزب النازى قد تحقق بوصوله الى الحكم فاتجه الى تصفية نشاطه السياسى بادماجه فى الدولة النازية التى وقف — أى هتلر — على رأسها مطلق السلطات ، فلقد استمر لينين مؤمنا برسالة الحزب الشيوعى بعد نجاح ثورته ، واعتبره الجهاز الأعلى فى الدولة الذى يقع على عاتقه تخطيط التحول الاشتراكى فى الاتحاد السوفييتى والمساهمة فى شد أزر الأحزاب الشيوعية فى البلاد الأخرى .

* * *

هذه هى أبرز النتائج التى توصلت اليها دراستنا للدعوة النازية والحزب النازى ، أما الحكم النازى فلقد تميز — حتى عام ١٩٣٩ بظاهرتين واضحتين هما الشمولية المطلقة Absolute Totalitariansim وسياسة الحرب War Policy ولقد عرف الفكر السياسى الحكومة الشاملة بأنها تلك التى تتحكم فى تصرفات الأفراد ومصالحهم فى سبيل توحيد الجبهة الوطنية ، ونحو هذه الغاية تقوم الحكومة بادارة مختلف المصالح والقيم الاقتصادية والأخلاقية والثقافية ، فهى التى تصرح بقيام

الأحزاب السياسية واتحادات العمال والشركات التجارية ، وهي التي تنظم الانتاج والنشاط المالي والعمالة ، ويصبح التعليم في ظل الحكم الشامل أداة في خدمة الدولة ، وحتى مجالات التسلية والترويج تتحول الى منظمات للدعاية والارشاد . وبذلك تسلب الحكومة الشاملة من الأفراد حتى خصوصياتهم ويتحولون في ظلها الى آلات طيعة لخدمة الهدف [١] . وفي العادة لا تقوم الشمولية الا في ظل الحكم المطلق لأنه وحده القادر على تحقيق رسالتها دون ما تقيد بالدساتير أو البرلمانات أو الانتخابات . ويقتضي الحكم الشامل تواجد هدف محدد يوجه موارد الدولة وامكانياتها ونشاط مواطنيها لبلوغه ، وقد يكون هذا الهدف متعلقا بتغيير النظام الاقتصادي في المجتمع مثلما كان الحال في حكم ستالين في الاتحاد السوفييتي ، أو عسكري يتمثل في الاستعداد للحرب كما حدث بالنسبة لألمانيا النازية وايطاليا الفاشية واليابان الامبريالية . ولقد اتصفت الحكومة النازية بالشمولية حيث انها قد أمعنت في تطبيق مظاهر هذا النظام الى حد أن أصبح الفرد في ظلها لا يأمن على نفسه أو عائلته أو مستقبلة أمام تقييد الدولة لحريته ومراقبة أجهزتها البوليسية الدائمة لتصرفاته وسكناته ، ولقد حرمت الحكومة النازية قيام الأحزاب السياسية وألغت التنظيمات العمالية وحددت أسواق الانتاج والاستهلاك والعمالة ووجهت التعليم والنشاط الديني لخدمة مقاصدها وخضع المواطن الألماني في ظلها الى الرقابة المستمرة وكان معرضا للارهاب أو التشتيت أو الاعتقال أو القتل ، وعلى رأس هذا الحكم الشامل كان هتلر حاكما مطلق السلطات يوجه الدولة وامكانياتها وأفرادها حسب مشيئته ونحو ما ارتآه من غايات .. ومع ان الحكم الشامل هو وسيلة

(١) مرجع سابق صفحة ٩١٨ .Sabine A History Of Political Theory

الحاكم المطلق لسرعة تحقيق أهدافه الا أن تطبيقه لا يخلو من نتائج قد تؤدى الى عكس المقصود منه . فلقد نتج عن تطبيق الشمولية النازية تنافس طبقة الصف القيادى الثانى على حساب المصلحة العامة وتفشى البيروقراطية بين أجهزة الدولة فمع ان هتلر كان مخطط السياسيات فلقد أحاط نفسه بطبقة من خلصائه الذين كانوا يساعدونه فى مهمته وينقلون اليه الأنباء ويمدونه بالمعلومات ويشكلون الحلقة الرئيسية بينه وبين أجهزة الدولة الأخرى . وكان أفراد هذه الطبقة يستمدون مراكزهم الممتازة من بقائهم الى جانب الفوهرر لذلك أصبح همهم الأول الاحتفاظ بمكانتهم والايقاع ببعضهم البعض فى سبيل استمرار خطوتهم برضائه ولقد أحسن Trevor Roper وصف هذه الطبقة بقوله :

« نظرا للخوف الدائم من فقدان مناصبهم اثر التغيير المفاجىء كان على كل فرد ممن حصلوا على هذا المركز الممتاز أن يحمى نفسه ضد المفاجأة ، ونتج عن ذلك أن اتجهوا الى التسابق على نيل المزيد من السلطات حتى تضاربت الاختصاصات وحلت الكلمة المغرضة محل النصح الأمين [١] . ان نشأة مثل هذه الطبقة لكفيل بتعطيل مسيرة الحكم الشامل نحو تحقيق أهدافه اذ ان أعضاءها ما داموا لا يحكمون ضمائرهم وتغلب عليهم الأهواء الشخصية ولا يخضعون الا لرقابة الزعيم المثقل بالمسئوليات فانهم لابد وأن يتجهوا الى نبذ المصلحة العامة ويصبحوا بمثابة الآفات التى تعيش على دماء الشعب المسير فى ظل الحكم الشامل . كذلك فلقد تفشت البيروقراطية فى أجهزة الحكم النازى .سامل وذلك نتيجة تضخم أجهزة الرقابة على الأفراد والجماعات والقادة وقيام بعض

(١) Roper Trevor The Last Days Of Hitler. Berkely Medaillon Books New York 1960 P. ٦٢.

هـذه الأجهزة بمراقبة بعضها الآخر لحساب رؤسائها [1] . ثم ان الاختصاصات المتشابهة بين أجهزة الحكومة والتنظيمات المشابهة لها فى الحزب النازى قد أدى الى تضاربها واتجاه كل منها للعمل منفردة على حساب المصلحة العامة كذلك ظهرت البيروقراطية بأبلغ معانيها فى ميدان الاقتصاد اذ ان العملية التجارية كانت تستلزم الى جانب الروتين العادى فى وزارة الاقتصاد موافقة مجلس مشروع السنوات الأربع ولجنة الاكتفاء الذاتى ووزارة المالية ومراقبة التحويلات النقدية والمخابرات الاقتصادية التابعة للجستابو ولقد اعترف Josef Goebels نفسه بازدياد وطأة البيروقراطية حين قال : اننا نعيش فى نوع من أنواع الحكم لم تتضح فيه الاختصاصات بصفة ظاهرة لذلك فان السياسة الداخلية لألمانيا تفتقر الى تنظيم الادارة [2] .

ويستلزم الحكم الشامل وجود هدف محدد يتجه اليه ويكون حجته فى تقييد النشاط الفردى الجماعى وكان الاستعداد العسكرى لنقض معاهدة فرساى وتحقيق وحدة الشعوب الألمانية وبناء الامبراطورية الألمانية ذات المستعمرات هدف الحكم النازى الشامل فما ان ولى هتلر الحكم حتى شرع فى تنفيذ مقتضيات الشمولية لتسليح وانشاء الجيش القوى القادر على تحقيق هذه الغايات .. ولما تحقق له القضاء على أهم

---

(١) كان لجورنج بصفته رئيس وزراء بروسيا جهازه البوليسى ولهملر قائد الـ S.S. أجهزته البوليسية ولفريك وزير الداخلية جهازه البوليسى ولجوبلز وزير الدعاية جهاز الاستعلامات والرقابة الى جانب أجهزة البوليس والمخابرات التى كانت تتبع الجيش والمستشارية .

نفس المرجع صفحة ٩١٧ .Roper

(٢) Quoted by Sabine A history Of Political Theory. مرجع سابق صفحة ٨٩١ .

القيــود التى فرضتها معاهدة فرساى أمعن فى مضاعفة الاستعدادات الحربية استعدادا لضم النمسا ثم لغـــزو السوديت وتشيكوسلوفاكيا وبولندا ولما قامت الحرب العالمية الثانية كان عبء التسلح يتضاعف باستمرار لمواجهة مصروفات الحرب ونفقات الاحتلال وانتاج الأسلحة الجديدة القادرة على مواجهة جيوش الحلفاء ، وكلما زادت مصروفات التسلح ومقتضيات الجيش والحرب كلما اتجهت الحكومة الشاملة الى التضحية بمصالح الأفراد واحتياجاتهم المعيشية مما اضطر الشعب الألمانى الى قبول أدنى مراتب الحياة . وفى سبيل الاستعداد للحرب ضحت الحكومة النازية بالاشتراكية التى نادت بها دعوتها وذلك مقابل تعضيد الرأسمالية الألمانية ومساهمتها فى الاستعدادات الحربية كما ضحت وفى سبيل ارضاء رجال الجيش الألمانى بالمنظمة النازية العسكرية «العاصفة» "S.A." وهى التى كافح رجالها حتى تحقق لهتلر طريق الحكم .. وكانت الدبلوماسية النازية دبلوماسية حرب أكثر منها دبلوماسية سلام ، فلقد اعتمدت على المباغتة والضغط والتهديد وقلما لجأت الى المفاوضات المتكافئة . فبواسطة المباغتة تحقق الاستيلاء على حوض الراين المنزوع السلاح بمقتضى معاهدة فرساى واستخدم الضغط والتهديد بالحرب لحث النمسا على قبول الانضمام الى ألمانيــا وفى احتــلال السوديت وتشيكوسلوفاكيا ، واستمرت الدبلوماسية النــازية فى طريقها محققة مكاسبها التوسعية ومستغلة عدم استعداد القوة الأوروبية للحرب حتى بدا لهذه الأخيرة ألا بد من الحرب لوقف الأطماع الهتلرية التى مزقت المعاهدات ولم تشبع التنازلات السلمية من شهوتها الجامحة .

وعلى حين اتجه الحكم النازى الشامل الى تعبئة امكانيات الدولة وطاقات الأفراد نحو التسليح وتدعيم اقتصاديات الحــرب فلقد اتجه

الحكم السوفييتى الشامل سواء فى عهد لينين أو ستالين الى العمل على سرعة تحويل المجتمع الروسى القائم على الزراعة الى دولة صناعية قادرة على قيادة البروليتاريا العالمية وتحقيق آمالها . وبالرغم من ان نظرية ماركس كانت موجهة فى أساسها الى الدول التى مرت بأعلى مراحل التقدم الصناعى مثل ألمانيا وانجلترا وايطاليا وفرنسا فلقد قام الحزب الشيوعى الروسى عام ١٨٨٠ داعيا لاقامة اشتراكية محلية ذات فلسفة زراعية وانسانية أهم عناصرها امكانية بزوغ الاشتراكية من ثنايا المجتمع الروسى القائم على الزراعة ، ومن هنا اعتمدت الثورة الشيوعية الروسية على الفلاحين وعمال الزراعة وكان نجاحها ووصول البلشفيك الى الحكم عام ١٩١٧ بمثابة الدليل الذى ساقه لينين على امكانية تطبيق الماركسية فى الدول غير الصناعية القائمة على المجتمعات الزراعية . ولامكانية اقامة الجسر الايديولوجى بين الحزب الشيوعى السوفييتى والأحزاب الماركسية فى الدول الصناعية الأخرى وحتى يتمكن العهد الجديد من تعويض ما لقيه الشعب الروسى من مظاهر التخلف تحت الحكم القيصرى اتجه قادة الاتحاد السوفييتى الى تسيير دفة حكمهم الشامل تجاه التصنيع لتحويل أمتهم الى دولة صناعية قادرة على قيادة العالم الاشتراكى المرتقب ، ولعل النتائج الباهرة التى توصل اليها الحكم السوفييتى فى هذا المضمار خصوصا حينما تمكن من قهر القضاء خلال السنوات الأخيرة لما جعل الاشتراكية السوفييتية وتجاربها فى مجالات التطبيق مثلا أقدمت أكثر الدول النامية على احتذائه فى الوقت الحاضر .

وعلى قدر هذه الاختلافات الواضحة بين النازية والماركسية السوفييتية فلقد جاءت النازية متفقة مع الفاشية الايطالية وسارت الى حد كبير خلفها لا من حيث نظام الحكم الشامل فحسب بل وشملت

مظاهر التشابه بينهما الدعوة والحزب وطريقة الوصول الى الحكم وشخصيات قادتيهما . فلقد كانت أهم عناصر الدعوة النازية مثل الفاشية معتمدة على آراء مدرسة الفكر اللاتعقلية Irrationalist School Of Thought وعلى الأخص ما كان منها متعلقا بفناء شخصية الفرد فى المجتمع وتدعيم سلطان الدولة على نشاط الأفراد [1] كذلك اشتركت الدعوتان فى تاريخ قيامهما عام١٩١٩ وفى اعتماد كل منهما على آراء قادتيهما « بنيتو موسولينى » و « ادولف هتلر » أكثر من اعتمادهما على الايديولوجية المذهبية [2] . كذلك أخذ الحزب النازى من الحزب الفاشى الاعتماد على التنظيمات المسلحة وأنشأ فرقة العاصفة S. A. على غرار الفرقة الايطالية الفاشية المسماة « فاشيو الكفاح » Fascio di Combatimento وعاصر الحزبان تزايد النفوذ الشيوعى فى بلديهما واتفقا على مناهضته الا أنه بينما اتخذ الحزب النازى هذا الاتجاه منذ تأسيسه عام ١٩١٩ فلقد هادن الحزب الفاشى الشيوعيين حتى اكتسب القوة والنفوذ ولم يعلن عداءه لهم الا عام ١٩٢١ أى قبل وصوله الى الحكم بعام واحد تقريبا [3] . ثم ان وصول كل منهما الى الحكم قد جاء بطريقة متشابهة

---

(١) مرجع سابق صفحة ٨١٩ .Sabine A history Of Political Theory

(٢) بعد وصول موسولينى الى الحكم عام ١٩٢٢ أصدر قرارا بصياغة أهم عناصر الدعوة الفاشية فى شكل ايديولوجى منظم ، وقام لتنفيذ هذه المهمة نخبة من رجال الفكر الموالين للفاشية فى ايطاليا .
اقرأ Murno I. S. Fascism to World Power.
مرجع سابق صفحة ١٨

(٣) هيبرت كريستوفر بنيتو موسولينى قصة حياته ترجمة عبد الفتاح البكرى الدار القومية للطباعة والنشر «مذاهب وشخصيات» عدد ٢٧ الجزء الأول صفحة ٣٣

حيث سعت اليهما القوى السياسية اليمينية فى بلديهما للاشتراك فى الوزارة لتحقيق الاستقرار السياسى الذى افتقرت اليه كل من ايطاليا عام ١٩٢٣ وألمانيا عام ١٩٣٣ كذلك فلقد تأثرت شخصية هتلر بشخصية موسولينى وكان دائم الاعجاب به ويطلق عليه لقب « رجل الألب الكبير » وتبدأ سلسلة التشابه بينهما فى انتمائهما الى السلك العسكرى وفى احترافهما السياسة بعد أن أعياهما طلب الرزق وفى قدرتيهما الفائقة على الخطابة والتأثير على الجماهير الا أن موسولينى كان على درجة ملحوظة من التعليم والثقافة لم يحظ بها هتلر .

وكانت اسبانيا والأرجنتين أهم الدول التى اتجه حكامها — اعجابا منهم بقادة النازية والفاشية الى محاولة السير على نهجيهما فلقد وصل الجنرال فرانكو الى الحكم بعد نجاح ثورته عام ١٩٣٧ وكانت المساعدات الايجابية التى لقيتها ثورته من قبل النازية والفاشية لما دفعه الى اعلان تضامن حكومته مع حكومتيهما واتجه هو الآخر الى تأكيد سلطته المطلقة على بلاده واقامة صرح حكمه الشامل . وفى الأرجنتين قام حكم بيرون العسكرى عام ١٩٤٣ وسار بيرون فى سياسة الاعتماد على طبقة العمال ورجال الجيش لتدعيم حكمه الشامل الذى استمر حتى أطاح به انقلاب عسكرى آخر عام ١٩٥٥ وبينما كان نظام الحكم الفرانكى أكثر الشبه بالنظام الايطالى الفاشى وعلى الأخص فى ايثار كل منهما الابقاء على الأسرة الحاكمة وعدم اعلان أى تغيير جذرى فى نظام الحكم فلقد كان الحكم البيرونى أكثر تقاربا الى الحكم النازى واقتبس منه نظريات العنصر والنزعة الاستعمارية (١) .

(١) جبل الشعب الأرجنتينى على الاعتقاد بأنه أعرق الشعوب المؤسسة فى امريكا اللاتينية لذلك فانه دائب النفور من الشعوب المجاورة =

وبعد فلقد اتضحت لنا « النازية » بأبرز مظاهرها : دعوة عنصرية لا ديموقراطية تستهدف الاستعمار وحزب شق طريقه بالقوة مستغلا الأزمات التى عاصرتها ألمانيا بعد الحرب وضعف الوعى السياسى لشعبها وقادة أحزابها وحكم شامل معتمد على شخصية الزعيم ، كذلك تبين لنا ان النازية لم تنفرد بهذه المظاهر وانما شاركتها فى معظمها الفاشية الايطالية وفى بعضها الماركسية السوفييتية . لذلك فانه لا يمكننا الاعتماد على هذه المظاهر للخروج بتعريف مميز للنازية ، ولكن لو أعدنا النظر الى مدلول هذه الدعوة وتطورها لوجدنا فى هتلر خاصية النازية المميزة فلقد كانت مبادىء الدعوة النازية معتمدة الى حد التسليم بأفكار هتلر ونزعاته السياسية ، ولم يظهر للحزب النازى من كيان حتى أمسك هتلر بزمامه ، ولم يصل الى الحكم الا نتيجة قدرته الفائقة على استغلال الظروف ، وبعد الوصول الى الحكم اتجه هتلر الى تأكيد سلطاته الشخصية المطلقة على الدولة بما يضمن له البقاء على رأسها ولم ينفذ من مبادىء النازية الا ما ساعده فى الوصول الى هدفه الأوحد .. وهو الاستعمار .. ولم تأخذ ألمانيا النازية بنظام الحزب الواحد وانما توارى حزبها النازى الوحيد خلف مقاصد الزعيم ليباركها ويدعو الى الايمان

= له وعلى الأخص البرازيل التى يعتبرها دولة العبيد . ولقد استغل بيرون هـذا الشعور فى الدعوى الى بناء الامبراطورية الارجنتينية أو اتحاد RIO DE LA PLATA كما كان يسميه والذى يضم أوروجواى وباراجواى وبوليفيا وجنوب البرازيل . ومن هنا اشترك بيرون مع هتلر فى العنصر والاستعمار ، وتوطدت الصلة بين الحكمين الى حد أن أصبحت الأرجنتين ملجأ لكبار النازيين الفارين بعد الحرب .

Foreign Affairs. An American Quarterly Refiew. January 1945 PP. 278-283.

Encyclopaedia Britannica (17) P. 535.

بها . اذن فلقد كانت الهتلرية هى المسيطرة على النازية وحزبها وحكومتها وهنا تتضح أهم معالم التمييز بينها وبين الدعوات السياسية التى شابهتها ، فحتى ولو اتفقت معها فى أهم مظاهرها فلقد تميزت النازية بالتهلرية ، طابعها الفريد ، الذى خط أساسها ، ووجه نموها وكان لها ينبوع الحياة . ولعل أبلغ دليل على صحة هذا الرأى هو أن النازية التى خلقها هتلر وكافح من أجلها وحكم تحت رايتها قد انتهت فى ألمانيا بنهايته ولو كانت هذه الدعوة مرتكزة على أسس ثابتة من الفكر السياسى ومستقلة عن نزعات قادتها لقدر لها البقاء بعد موت الزعيم ولوجدت من بين أتباعها زعيما جديدا يسير بها نحو طريق الكفاح من جديد .

المراجع

Beals A.C. : The Catholic Church and International Order, Oxford University Press, London 1941.
Beals Ralf and Haijer Harry : An Introduction to Antropology. Macmillan New York 1959.
Beck F.A. : Die Erziehung im Dritten Reich Dortmund Bresslau 1936.
Belomeyer Karl : Deutsche Bauermacht Akademische Verlag Berlin 1938.
Benedit A. : Race Science and Pllitics. Universitatverlag Berlin 1935.
Birger Forell : National Socialism and Protestantism. American Council for Public Affairs Washington 1944.
Bohle Ernst : Almanach der Nationslsozialistishen Revolution. Franz Eher Verlag Berlin 1934.
Borkenau F. : The New German Empire Atkinson London 1938.
Bruck Moeller : Dass Dritte Reich Deutsche Nationalverlag Hamburg 1934.
Bruck Moeller : Germany's Third Empire English Translation by E.O. Lorimer, Sanders & Hamilton 1934.
Bulloc Allan : Hitler : A Study in Tyranny. Bantham Books London 1953.
Chambers Frank : The Age of Conflict 1914-1943. Third Edition Harcourt Bruce, New York 1962.
Chamberlain Housten : The Foundation of the 19th Century Par-Kley London 1911.
Chamberlain Housten : The Foundation of the 19th Century Parkley London 1911.
Chamberlain Housten : Briefe (1882-1924).

Translated by the German Institute for Public Science Munich 1937.
• Churchill Winston : Memoirs of The Second World War.
Houghton Mifflin Company, Boston 1959.
Clark R.T. : The fall of the German Republic.
Allen & Unwin London 1935.
Cohen Saul : Geography and Politics in a World Divided.
Random House New York 1963.
Coon Charleton : Races of Europe
Macmillan New York 1954.
Cory & Abraham : Elements of Democratic Government
Oxford University Press London 1962.
Daily Express : March 13th 1933.
Daily Express : September 29th 1937.
Dalton Harold : Vocabulary of Dictators
Person, Dublin 1958.
Der Parteitag : Zentral Verlag Der Nsdap
der Ehne : Munchen 1936.
Der Parteitag : Volkische Beobarter
der Freiheit Sept 19th 1936.
Deuel Wallace : People under Hitler.
Boston & Harlem New York 1943.
Deutsche Nachrichten : Zweite Morgen Bulletin August 31
August 30 1937.
Dewey John : German Philosophy and Politics.
Van Ress Press New York 1942.
D'Harcourt Robert : Visage de I'Allemagne Actuelle
Piere & Blanchard Paris 1951.
Dietrich O. : Die Philosophische Grundlagen des Nationalsozialismus.
Breslau 1935.
Dunlop John : A Short History of Germany.
Harrap & Co. L.M.T.D. London 1957.
Dwsterberg T. : Unter Der Stahlhelm und Hitler
Detsche Verlag Munchen 1941.
Ebenstein William : The Nazi State.
Farrar & Reinehart New York 1943.

Ebenstein William : Today's ISMS Communism Fascism Socialism.
Princeton University 1955.
Ehrich Emil : Die Ausslandsorganisation der NSDAP
Junker Verlag Berlin 1937.

Encyclopaedia Britannica (17)

Feder Gottfried : Dass Programme der NSDAP.
Trahslated by E. Dugdale Franz Eher Verlag Munchen 1932.
Fichte J. G. : Reder An Die Deutsche Nation
Eherverlag Berlin 1918.
Fisher Ruth : Stalin and German Communism
Harvard University Press 1948.
Foreign Affairs : An American Quarterly Review
Jahuary 1945.
Fuller J. Mag. Geh : The Second World War
Ist Edition
U.S. Government Printing Office Washington 1949.
Gangulee F. : Mind and Face of Nazi Germany
London 1942.
Gaush Hermann : Neue Grundlagen zur Rassenforschung.
Deutsche Verlag Berlin 1935.
Gobineau Arthur : Essai sur I'Inégalite des Races Humaines
Paris 1853.
Gilbert G. M. : Nuremberg Diary
Peterson New York 1947.
Goebels Joseph : Diaries
Edited by Louis Lochner
Gorlitz, M. : Der Deutsche Generalstab.
Frankfurt/Main 1952.
Gorres L. : Gesammelte Shrifften
Koln 1926.
Gorres L. : Uber der Fall Deutschland und Seiner Wiedergebaut
Munchen 1854.
Gunther H.F. : Adel und Rasse.
Berliner Verlag 1918.

Harcourt Robert : National Socialism and the Catholic Church
Social Verlag Zurich 1941.
Hartmann Fritz : Dokumente des Dritten Reiches
Franz Eher Munchen 1941.
Heiden Konrad : A History of National Socialism
Parkly London 1934.
Heinrich Herte : Vierklee und Grantaysfel
Berlin 1931.
Helmut Franz : Dictators
Collins, New York 1962.
Herder Johann : Ideas for Philosophy of Mankind.
Oxford 1949.
Herder Johann : Sammtliche Werke
Suphan Berlin 1913.
Hermant Max : Les Paradoxes Economiques de l'Allemıgne Moderne.
Colin Paris 1931.
Hitler Adolf : Mein Kampf
The first unexpurgated edition published in English Language.
Stockpole Sons New York City 1942.
Hoffman F. : History of American German Relations.
Harrap New York 1959.
Hoover Calvin : Germany Enters the Third Reich.
Macmillan New York 1933.
Hubert Ernst : Verfassungrecht dss Grossdeutschen Reiches
Nationalverlag Hamburg 1939.
Humboldt A. Von : Cosmos Translated by Otto Meissner
University of Humboldt East Berlin 1959.
Jarmann T. L. : The Rise and Fall of Nazi Germany.
New York University Press 1956.
Kahler S.A. : Etudes Historiques.
Frankfurt Main 1912.
Klineberg Otto : Racialism in Germany,
Modern Press Zurich 1949,
Kriek E. : Grundlagen, Aufbau und Wirtschaftoordnung des
Nationalsozialistischen Staates
Deutsche Verlag, Berlin W Wien 1936.

Kriek E. : Nationalsozialistische Erziehung
Leipzig 1937.
Keyserling P. : Europe
Translated by Maurice Samuel Patterson & Co. New York 1928.
Lagard Paul De : Uber die Gegenwartigen Aufgaben des Deutschen Politik
Volksverlag Leipzig 1881.
Laqueur Walter : Nazism and the Nazis
"Encountr" April 1962.
Lassale F. : Gessameltwerke
Leipzig 1899.
Lerner Daniel : The Nazi Elite
Stanford University Press
California 1951.
Ley F. : Wir Glauben
Nationalverlag Frankfurt 1935.
Lichtenberger H. : Dass Ditte Reich
Translated by Kpatel Peiron
Oxford University Press 1935.
List Lriedrich : Ackervervassun und die Asswanderung
Berlin 1928.
Ludeke A. : I Knew Hitler
Macmillan London 1949.
Lutge Friedrich : Deutschland Vor Der Macht
Nationalverlag Munchen 1947.
Lynn White Jr. : Frontiers of Knowledge in the Study of Man
Harper, New York 1956.
Mars Wilhelm : The Victory of Judaism over Germanism.
Translated by E. Johnson.
Clarage Fondon 1915.
Martin Ra Ymond : National Socialism Hitlerien.
Penguin Paris 1959.
Meinecke Friedrich : The German Catastroihe
Translated by Sidney F. Fay
Harvard University Press 1951.

Meissner Hans & Wilde Harry : Naissance d'une D ictature.
Traduit par R. Juan.
France Empire Paris 1959.
Morgentau Ashly : The Fallacy of Race.
Random House New York 1947.
Morgenthau Hans : Politics among Nations
Alfred Knopf, Publisher,
New York 1961.
Murphy Raymond : National Socialism
United States Government
Printing Office, Washington 1943.
Murno I.E. : Fascism to World Power
Alexander Macklerhouse
London 1933.
Natting Rudolf : Germany in The Making.
Oxford University Press 1952.
Neesse Gottfried. : Die Nationalsozialistische Deutsche
Arbeitsıartei Versucheiner Rechtsdeutung Stuttgart 1935.
Nietzche Friedrich : Peoples and Countries.
Translated by J. Kennedy.
The Modern Library New York 1937.
Poliakov L. : The Weapon of Antisemitism.
Zurich 1951.
Ratenau W. : An Deutschlands Jugend.
Berlin 1918.
Reich Wilhelm : The Mass Psychology of Fascism.
Emmerson, New York 1946.
Reitlinger Gerhard : S.S. Alibi of a Nation
Raymond & Peterson
London 1956.
Ritter Gerhard : The Historical Foundation of Nazism
Cambridge Press, London 1951.
Roper Trevor : Hitler's Table Talks 1944-1947.
Weidenfeld and Nicolson. London 1953.
Roper Trevor : The Last Days of Hitler.
Berkly Mdaillon New York 1957.j

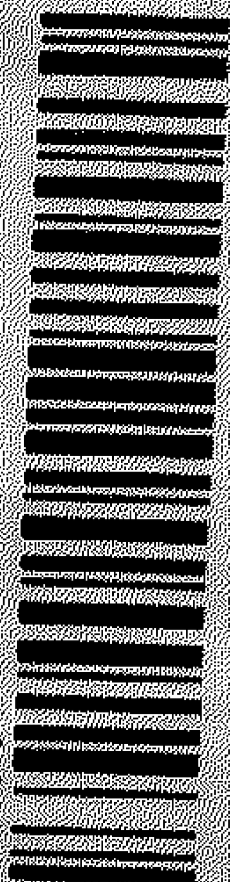
Rosenberg Alfred : Der Mythus des 20 Jahrhunderts.
Deutsche Nationalverlag Munchen 1936.
Sabine George : A History of Political Theory.
Halt & Reinehart, New York 1961.
Sales Raul De Roussy : Hitler: My New Order
Reynal & Hitchcock, New York 1941.
Sarkissian, A. : Studies in Diplomatic History
Longmanns, London 1961.
Schilling Alfred : An Introduction to German Agricultural Economy
Translated by Friedrick Miland
Drowly & Peters, London 1954.
Schlegel Karl : Philosophische Vorlesungesn 1814-1816
Berlin 1916.
Shaffer Otto : Sinn und Wesen des V.D.A.
Frankfurt/Main 1933.
Shirrer William : The Rise and Fall of the Third Reich
Secker and Warburg, London 1962.
Shneider Reinhold : Die Hohenzollern Tragik und Konigtum
Leipzig 1933.
Snell John & Others : The Nazi Revolution.
D.C. Heath and Company.
Boston 1959.
Snyder Louis : The Tragedy of a People.
Harrwburg New York 1952.
Spengler O. : Der Untergang des Abendlandes
Munchen 1922.
Stampfer Friedrich : Die Viertzehn Jahre der Ersten
Deutschen Republik
Karlsbad 1935.
Sturmer Randolf : Kamf um Nationalismus
Franz Eher Verlag Leipzig 1935.
The World's Great Events. : An Indexed History of the World
from Earliest Times to the Present Day.
Colliers & Son Company New York 1938.
Theimer Walter & Campbell Peter : Encyclopaedia of World Politics.

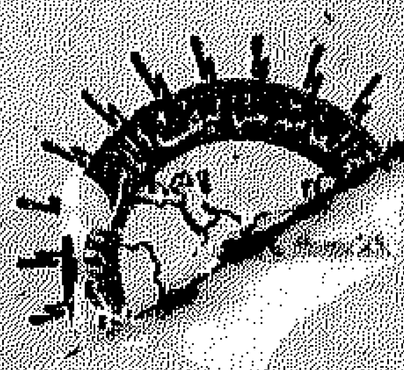
Faber & Faber Ltd., London 1939.
Thomas George : Basic facts on German War and Armament Economy.
Department of State, Washington 1959,
Trial of the Major War Criminals before the International Military Tribunal. U.S. Government printing Office 1951-1952, Vol. 29;
Thyssen Franz : I Paid Hitler.
Farrar New York 1943.
U.N.E.S.C.O. and International Council for Philosoihy and Humanistic Studies : The Third Reich.
Weidenfeld. & Nicolson London 1955.
Vermeil Edmond : L'Allemangne Essai D'Explication
Gallimard Paris 1945.
Vermeil Edmond : Doctrines de la Révolution Allemande
Sorlot Paris 1946.
Volkischer Beobarter - April 31, 1935.
Waite Robert : Vanguard of Nazism, The Free.
Corps Mouvement in Post War Germany.
Cambridge 1952.
Weinrich Paul : Hitler's Professors
Bawer & Co., London 1946.
Welis, H.G. : A Short History of the World
Penguin Books, London 1954.

عباس محمود العقاد — هتلر فى الميزان — دار المعارف ١٩٤٢
عباس محمود العقاد — النازية والاديان — سلسلة محاضرات مطبعة مصر ١٩٣١
دكتور محمد فؤاد شكرى — ألمانيا النازية — دار الفكر العربى ١٩٤٨
دكتور مصطفى كمال فايد — الثورات الثلاثة — نهضة مصر ١٩٤٥
هيبر هلموت — يوميات جوبلز — ترجمة خيرى حماد كتب سياسية (٣١٨)
هيبرت كريستوفر — بنيتو موسولينى — ترجمة عبد الفتاح بكرى مذاهب وشخصيات عدد ٢٧

الدار القومية للطباعة والنشر

الدار القومية للطباعة والنشر





ص
الثمن ١٠٠